

التعليقات التأصيلية للعقيدة الطحاوية

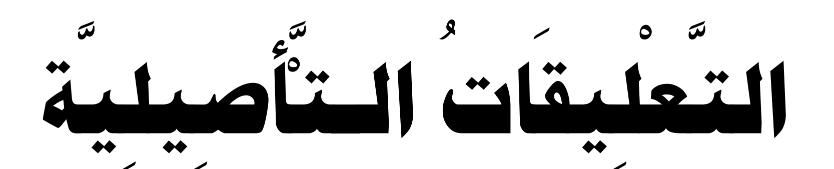
تأليف الشيخ
عبد الفتاح محمد مصيلحي

تقديم

فضيلة الشيخ
وحيد عبدالسلام بالي

فضيلة الشيخ
عبد المنجي سيد أمين





لِلعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة

تأليف

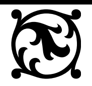
عبدالفتاح محمد مصيلحي

تقديم

فضيلة الشيخ	فضيلة الشيخ
وحيد عبد السلام بالي	**عبد المنجي سيد أمين**









التَّعْلِيقَاتُ التَّأْصِيلِيَّة لِلعَقِيدةِ الطَّحَاوِيَّة

تأليف

عبدالفتاح محمد مصيلحي

رقم الإيداع ٩٩٨٢ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي ٨/٢٦/٦٦١٨/٩٧٧/٩٧٨

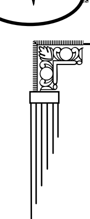
الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م




٣٣ ش محمد عبده – خلف الجامع الأزهر – القاهرة
شارع الهادي –عزبة عقل – المنصورة
ت/ ٠٢٢٥١١٧٧٤٧- ٠١٠٠٧٧١١٦٦٥- ٠١٠٠٧٨٦٨٩٣
Dar_elollaa@Hotmail.com
أحمد الأقصري للصف و التنسيق ت/ ٠١١٢٨٧٩٢٩٤٨ - ٠١٠٦٥٣٩٤٨٩٦
Luxoryali١٨@yahoo.com





مقدمة فضيلة الشيخ
وحيد عبدالسلام بالي

الحمدُ للهِ الذي أنطَقَنا من بُكْمٍ، وأسمَعَنا من صَمَمٍ، وعَلَّمَنا من جهالةٍ، وهدانا من ضلالةٍ، وأطعَمَنا من جوعٍ، وكَسانا من عُرْيٍ، وأَسْبَغَ علينا نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً.

وأشهد أن لَّا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أما بعد:

فإنَّ اللهَ خَلَقَ الخلقَ لعبادتِهِ، وأمَرَهُم بطاعتِهِ، فمَن أطاعَ اللهَ فهو السعيدُ، ومَن عَصَى وأدبرَ فهو الشَّقِيُّ الطَّرِيدُ، فإن تاب وأناب سيَجِدُ اللهَ غفورًا رحيمًا.

ولقد وقفتُ على كتابِ:

(التَّعْلِيقَات التَّأْصِيلِيَّة للعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة) لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح محمد مصيلحي حفظه الله تعالى، فوجدتُها مفيدةً نافعةً، سهلةَ الأسلوبِ، موضحةً لعقيدةِ المسلمِ التي يجب أن يلقى بها ربَّه.

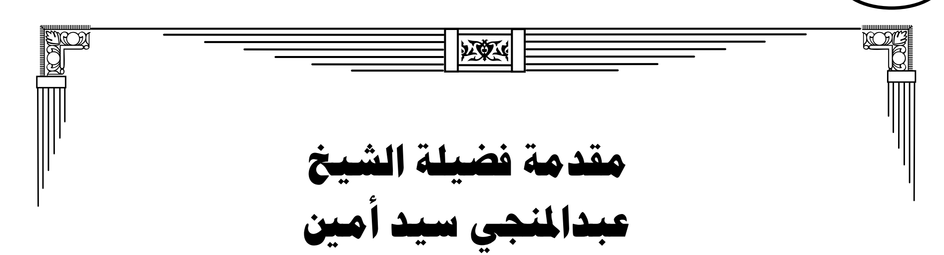
فأسألُ اللهَ تعالى أن يكتبَ لهذا الكتابِ القبولَ، وأن يجزيَ مؤلفَه خيرَ الجزاءِ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِهِ، وأصحابِهِ أجمعين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

وحيد بن عبدالسلام بالي

١/ ٥/ ١٤٣٩هـ



مقدمة فضيلة الشيخ عبدالمنجي سيد أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله، وصحبه أجمعين.

وبعد:

اعلم - رحمني الله وإياك - أنَّ الطريق إلى الله تعالى خالٍ من أهلِ الشركِ والشكِّ الذين يتبعون الشهوات أهل الزيغ، لكنه معمور بالموحدين الموقنين الصادقين أصحاب المعتقد الصحيح، وهؤلاء هم مصابيح الدُّجى، وأعلام الهدى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

واعلم أُخَيَّ: أنَّ للاعتقاد الصحيح تأثيرًا عجيبًا في إصلاح الدين والدنيا والآخرة، وهو سببٌ وثيقٌ - بعد الله تعالى - في رفع الدرجات وتكفير الخطايا؛ ذلك لأنَّ المسلم الحق قد أسس بنيانه على اليقين، والتوحيد، والإخلاص، والانقياد، ومعرفته بربه الواحد الأحد، فيكون مُقْبِلًا على مولاه بلا إعراض ولا إباء، ويكون بين يَدَيْ ربِّه مخبتًا، أوَّاهًا، منيبًا، أرجى ما يكون لعفوِهِ ورحمتِهِ؛ ذلك لأنَّه هَجَرَ الشركَ وكلَّ متعلقاتِه، وساعتَها يستوي سرُّهُ وجهرُهُ، ويتعلق القلب بفاطره دون ما سواه، فيستوحش من الدنيا وأهلها، ويأنس بالرحمن الرحيم.

هذا وإنِّ من ثمرات دراسة العقيدة الصحيحة أن يعلم العبد أنَّ ناصيته بيد الله، وأنَّ سعادته ليست إلا إليه تعالى في الآخرة والأولى، فله الدنيا والآخرة، والهدى هدى الله ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ **[النمل: ٩١]**، والعبد في حاجة ماسَّة إلى عون ربه

بعدد أنفاسه، بل أشد من ذلك.

وبين يديك سفر نفيس مبارك (**التَّعْلِيقَاتُ التَّأْصِيلِيَّة للعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة**) لأخينا الفاضل: ذلكم العَلَمُ النَّابِه، والأصولي الراسخ، والشيخ الفريد، الرائد في بابه.

فضيلة الشيخ المبارك/ أبي سلسبيل عبدالفتاح محمد مصيلحي، فلَكَمْ تعلَّمْنا مِن هديِهِ، وسَمْتِهِ، وصَمْتِهِ، ودَلِّهِ، ووقارِهِ، وعِلْمِهِ بارَكَ اللهُ في عمرِهِ، وعَمَلِهِ، ونفع به، وبكل ما خطَّت يداه، ونطق فمُهُ ما بَقِيَتِ السموات والأرض، والله من وراء القصد.

وكتبه فقير عفو ربه

عبدالمنجي بن سيد آل أمين

الأربعاء غرة ذي الحجة ١٤٣٨هـ

الموافق ٢٣ أغسطس ٢٠١٧م



مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ **[آل عمران:١٠٢]**.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ **[النساء:١]**.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ **[الأحزاب: ٧٠ -٧١]**.

أمَّا بعد:

فإنَّ علم العقيدة من أشرف العلوم، وأعلاها قدرًا، وأوجبها مطلبًا؛ إذ إنَّ قَدْرَ العلم ومكانتَه تُعلَمُ بمعرفة موضوعه ومسائله، ولمَّا كان موضوع علم العقيدة يدور حول ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، والإيمان بما غاب عن العبد ولم يره تصديقًا لرسل الله تعالى، وتسليم القلب والعقل والجوارح لله تعالى تسليمًا تامًّا كاملًا عُلِمَ مِن ذلك أهميةُ هذا العلم وعلوُّ قدرِه؛ لذا اهتمَّ أهلُ العلم بهذا العلم تأصيلًا، وشرحًا، وبيانًا، ونظمًا، لترسيخ هذه العقيدة وبيانها للناس بيانًا واضحًا.

ولكن مع كلِّ هذا، فإنَّ الأهواءَ ذَهَبَتْ بأصحابها كلَّ مذهب، فأدخلوا في علم العقيدة ما ليس منه، وحرَّفوا النبعَ الصافيَ، والمَحَجَّةَ الواضحةَ البيِّنةَ، وأصَّلوا لبِدَعِهم، واستدلوا لصحتها بلغة العرب تارة، والعقل والمنطق تارة أخرى، فضلًا عن تحريفهم للأدلة والنصوص، وفهْمِها بحسَبِ مرادِهم وأصولِ بِدَعِهم؛ لذا كان لزامًا علينا جيلًا بعد جيل وزمنًا بعد زمن الاهتمامُ بهذا العلمِ، وحماية جنابه، والعناية بالطرق التي تدفع شُبَهَ أهلِ الزيغِ والضلالِ، وتحريفَهم لهذه العقيدة المباركة.

ومن أفضلِ الطرقِ وأَنْجَعِهَا - والله أعلم - لِرَدِّ شُبَهِ أهلِ الباطلِ، وبيانِ عَوَرِ مذاهبهم هو التأصيلُ لمسائلِ العقيدةِ، وليس سردها بأدلتها فقط، وقلب أدلة أهل البدع عليهم، والرد عليهم بما استدلوا به من اللغة، والعقل، والمنطق، والتأصيل، فضلًا عن الاستدلال بالأدلة والنصوص.

ومن هنا كتبتُ هذهِ الورقاتِ - بفضل الله تعالى ومِنَّتِه - تعليقًا على سفر عظيم من أسفار الإسلام، قليل المبنى، كثير المعنى، جامعٍ لمسائل العقيدة وغالبها، ألا وهو «**العَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّة**» لصاحبِها «**الإمام الطَّحَاوِي**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسميتُها «**التَّعْلِيقَات التَّأْصِيلِيَّة للعَقِيدةِ الطَّحَاوِيَّة**»، اتَّبعتُ فيها منهجَ التأصيلِ، فعَمَدْتُ إلى تأصيل علم العقيدة ومسائله قدر المستطاع، ولم أتناوله بذكر المسائل وأدلتها فقط - وإن كان ذلك كافيًا لمَن نوَّرَ اللهُ قلبَه، وهدى بصيرتَه - بل عَمَدتُ لربط المسائل بأصولها، وإثبات أنَّ عقيدة أهل السنة متوافقة تمام الموافقة مع كل موارد الاستدلال، سواء كانت من الكتاب والسنة، أو غيرها من اللغة، وعلم الأصول، بل والمنطق، والعقل أيضًا، **واتَّبعتُ في ذلك بعض الخطوات، ومنها:**

- **صياغة المسائل قبل الاستدلال لها** عن طريق مقدمات ونتائج؛ إذ إنَّ غالبَ

ضلالِ مَن ضَلَّ من أهل البدع كان بسبب فساد مقدماتهم، ففسَدَتْ لذلك النتائجُ، وضلوا في عقيدتهم وذهبَتْ بهم الأهواءُ كلَّ مذهب، فوضعتُ لذلك مقدماتٍ شِبْهَ مُتَّفَقٍ عليها عند الجميع، ثم أخرجتُ منها النتائج الصحيحة، فإذا هي موافقةٌ تمام الموافقة لمذهب أهل السنة.

- **ذكرتُ مذاهبَ أهلِ البدعِ في المسائل، وأدلتَهم، مع مناقشتِها، والردِّ عليها،** بالمقدمات المُسَلَّم بها، وليس بالأدلة فقط؛ إذ إنَّ رأس مالهم هو ما جمعوا من مقدمات وعقليات يخدعون بها العامة، فإن بطلت هذه المقدمات، وظهر فساد العقليات تبين أنَّ مذهبَهم كسرابٍ بِقِيعةٍ يحسبه الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

- **عنيتُ بربط علم العقيدة بغيره من العلوم لبيان أنَّ العلوم يخدم بعضُها بعضًا،** ويأخذ بعضُها بحُجَزِ بعض، كعلم اللغة ومعاني الألفاظ، فعمدتُ للإتيان بمعاني غالب مسائل العقيدة من ناحية اللغة، ثم بينتُ أنَّ كلَّ المعاني اللغوية أو أغلبها يوافق المعاني الشرعية ويجتمع معها في كل المعنى، أو في بعضه كمسألة الكلام، والإيمان، وغيرها، بل أبعد من ذلك فقد بيَّنتُ أنَّ المعاني اللغوية قد تتوافق تمام الموافقة - مع كثرتها - مع الأحكام والأوصاف الشرعية، كما بينتُ ذلك مثلًا في معنى كلمة المسيح الدجال وما ذكره النبي ﷺ عنه من صفات، وكيف أنهما يتوافقان تمام الموافقة.

- **بينتُ أنَّ المسائلَ التي وُضِعَت في علم العقيدة ليست مقتصرة على مسائل الاعتقاد فقط،** بل منها مسائلُ عقديةٌ، وأخرى عمليةٌ، وثالثها فوائدُ وآدابٌ علميةٌ، ورابعها تزكيةٌ نفسيةٌ وآثارٌ إيمانيةٌ، ولخَّصْتُ كل ذلك في مُلَخَّصٍ في نهاية الكتاب؛ بيانًا لمن لم ينتبه لها في الشرح، أو فاته الوقوف عليها في ثنايا الكتاب.

- **أصَّلتُ لوضع بعض المسائل الفرعية الفقهية في علم العقيدة،** وبينتُ أنها لم

تُوضَع في علم العقيدة لأنَّ أهل البدع خالفوا فيها أهل السنة فقط، كما يُذكر في كثير من التصانيف، بل إنها وُضِعَت أيضًا لأنَّ بينها وبين علم العقيدة رابطًا وثيقًا من وجوه عدة؛ لذا خالف فيها أهل البدع، ووضعها العلماء في علم العقيدة، وذلك كمسألة المسح على الخفين.

- **بينتُ أنَّ مذهب أهل السنة يتوافق تمام الموافقة مع النصوص، وموارد الأدلة،** وليس هذا فحسب بل مع اللغة، والعقل، والفطرة، والمنطق كما بينتُ ذلك بيانًا واضحًا في مسألة العلو، والإيمان، وغيرها.

- **حاولتُ تحرير محل النزاع في كل مسألة اختلَف النقلُ فيها عن علماء أهل السنة،** كمسألة الحدِّ، والغاية، ونحوها، أو كل مسألة أُشْكِل قولُهُم فيها كمسألة الشبه، والتأويل، والنفي، ونحوها.

- **ذكرتُ بحثًا مختصرًا في كل مسألة أصلية ذُكِرَت في العقيدة مُبَيِّنًا كثيرًا من الأحكام والأخبار المتعلقة بها،** ولم أكتف بإثباتها فقط كمسألة عقدية، كمسألة خصائص الأنبياء، والحوض، والمبشرين بالجنة، وغيرها مراعيًا في ذلك عدمَ التقصيرِ المُخِلِّ، أوالإسهابِ المُمِلِّ، بل اكتفيتُ في بعضها بجَمْعِ النصوصِ الواردةِ فيها وَسَرْدِهَا؛ إذ إنَّ في ذلك كفاية لبيانها.

- **أطلتُ الكلام والتأصيل - على النحو المذكور - في مسألة القدر خاصة؛** لأنَّ دندنةَ أهلِ البدع حولها قديمةٌ حديثةٌ، واستخدامها أصبح ذراع أهل الإلحاد في زماننا، فأصَّلتُ لهذا المبحث خاصة واضعًا مقدماتٍ وضوابطَ متفقًا عليها عند الجميع، وبينتُ أسباب ضلال الناس فيه، وأُسَسَ البحث في هذا الباب، وأسباب الهداية والضلال، ونحو ذلك.

- **وضعتُ عناوينَ مناسبةً لكل فقرة ذكرها المصنف،** وجعلتُ الشرح المُفَصَّل لكل مسألة عند ذكر المصنف للفقرة الجامعة لعامة ما يتعلق بالمسألة؛ إذ

إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر بعض المسائل متفرقة في أكثر من موضع، ففصلتُها في موضع واحد، وأجملتها في باقي المواضع، تَجَنُّبًا للتكرار.

- **أتمَمْتُ ما اختصره المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أو ذكر بعضه وترك بعضه كعلامات الساعة الكبرى والصغرى، والمبشرين بالجنة، وغيرها.

- **حاولتُ إيجادَ الأسبابِ والحِكَمِ لبعضِ ما ذُكِر في الكتاب وترتيب مواضعه**، وبيان أنَّ العلماء يأخذون من مشكاة النبوة، وما وضعوا المسائل مواضعها إلا لحِكَمٍ وأسبابٍ فيما يرون، فبينتُ أسباب وضع الطحاوي لبعض المسائل التي توهم في ظاهرها عدم التناسق بين ترتيب المسائل كمسألة الكهان، وقبول دعاء الأحياء وأعمالهم للأموات، وغيرها من المسائل.

- **رتبتُ الأدلة في المسائل التي تحتاج إلى ذلك**، والتي فيها كَمٌّ كبيرٌ من الأدلة كمسألة الرؤية، والعلو، والإيمان، فلم أذكر الأدلة سردًا، بل قسمتُها إلى أقسام على حسب طريقة تناولها لإثبات المسألة، وبيان كثرة الأدلة وتنوعها في إثبات هذه المسائل، وهذا يدل على أهميتها، وبيان إقامة الحجة فيها على العباد.

ولا أدَّعي أنني أولُ مَن يفعل ذلك، أو فعلتُ ما لم يفعله غيري، ولكنني وجدتُ تأصيل المسائل بهذه الطريقة - مع أهميته - قليلًا في كثير من الشروح، أو يُوجَد في بعض المسائل دون بعض، أو قد يُذكَر دون التعويل عليه، أو قد يُذكَر كعادة المصنفين فقط دون الانتباه أحيانًا لأهميته ولتمام ارتباطه بالمعنى الشرعي، وذلك كذكر بعض التعريفات اللغوية دون الاهتمام بها، أو تُذكَر بعض هذه المقدمات كجزء من الشروح دون الالتفات إلى أنها مقدمة هامة للمسائل.

فأخذتُ ما ذَكَرَ غيري، ونسجتُ عليه، وأوضحتُ ما كان مُبهَمًا، وفصَّلتُ ما كان مجملًا، وأكملتُ ما كان ناقصًا، وجمعتُ ما كان في الشروح مُبَعْثَرًا، وأضفتُ إلى ذلك قواعدَ ومقدماتٍ لم تُذكَر مع أهميتها، راجيًا بذلك بيانَ هذهِ العقيدةِ بيانًا

تامًّا واضحًا، وإرشادَ طالبِ العلمِ إلى أدوات البحث التامة، وتصور المسائل تصورًا صحيحًا، والوصول للصواب من أقرب طريق وأيسره، وكذلك سهولة الردِّ على أهل البدع، وبيان عورهم بأيسر طريق وأقربه.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل منا، وأن يجعلنا في ركب العاملين لدينه، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا لي وللمسلمين في الدنيا والآخرة، وأن يتفضل علينا بعفوِهِ ومَنِّه، وأن يغفر خطأَنا وزلاتِنا وتقصيرَنا إنه عَفُوٌّ كريمٌ.

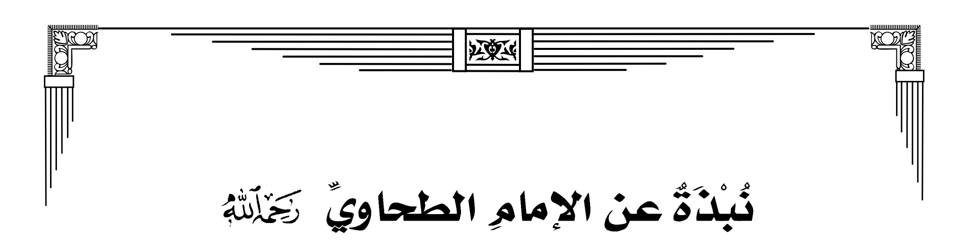
وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمد،
وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه فقير عفو ربه

عبدالفتاح محمد مصيلحي

الجمعة ٥ من جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ

الموافق ٢٣ من فبراير ٢٠١٨ م



نُبْذَةٌ عن الإمامِ الطحاويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

الإمامُ الطحاويُّ: هو الإمام العلَّامة الحافظ، المحَدِّث، الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبدالملك، الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، من أهل قرية طحا من أعمال مصر، مولده في سنة ٢٣٩هـ، صاحب التصانيف الفائقة، والأقوال الرائقة، والعلوم الغزيرة، والمناقب الكثيرة، وكان ثقةً، ثبتًا، نبيلًا، فقيهًا، عاقلًا، برز في علم الحديث، وعلم الفقه.

كان الطحاوي شافعيَّ المذهبِ، ثم انتقل إلى مذهبِ الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ لأسباب منها: حادثةٌ كانت بينه وبين خالِه المُزَنِيِّ، حيث كان يقرأُ عليه مسألةً دقيقةً، فلم يفهمْها أبوجعفرٍ، فبالغ المُزَنيُّ في تقريعِه، وقال له: والله لايجيء منك شيءٌ، فتحوَّلَ إلى المذهب الحنفي، وصار فيه إمامًا، حتى انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة في زمنه، حتى قال الشيخ أبو إسحاقٍ الشيرازي: لو كان المزنيُّ حيًّا لكفَّرعن يمينِه الذي حلفَه.

ومن أسباب انتقاله لمذهب أبي حنيفة أيضًا: أنه كان يرى خالَه المُزَنيَّ يُدِيم النظر في كتب أبي حنيفة، ذكر أبو يعلى الحنبلي في كتاب (الإرشاد) في ترجمة المُزَنيِّ، أنَّ الطحاوي المذكور كان ابن أخت المُزَنيِّ، وأنَّ محمد بن أحمد الشروطي قال: قلتُ للطحاوي: لِمَ خالفتَ خالَكَ، واخترتَ مذهبَ أبي حنيفةَ؟ فقال: لأني كنتُ أرى خالي يُدِيم النظر في كتب أبي حنيفة، فلذلك انتقلت إليه.

ومَن نَظَر في تواليف هذا الإمام عَلِمَ محله من العلم، وسعة معارفه، وقد كان ناب في القضاء عن أبي عبيد الله محمد بن عبدة، قاضي مصر سنة بضع وسبعين ومئتين.

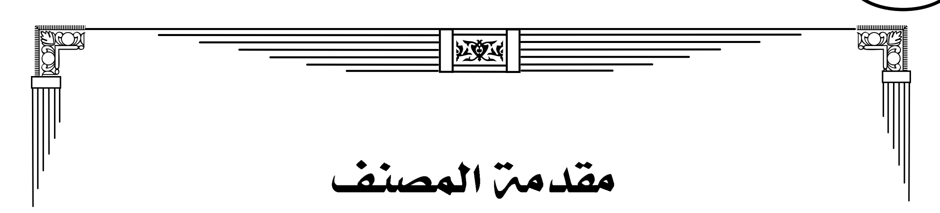
قال ابن عبد البر: كان الطحاوي كوفيَّ المذهب، وكان عالمًا بجميع مذاهب الفقهاء.

وصنف الطحاوي كتبًا مفيدة، وكثيرة، منها: (أحكام القرآن)، و(معاني الآثار)، و(بيان مشكل الآثار)، و(المختصر) في الفقه، وكتاب: (الوصايا والفرائض)، و(المختصر الكبير)، و(المختصر الصغير)، وكتاب في مناقب أبي حنيفة، وله في القرآن ألف ورقة، وله (النوادر الفقهية)، و(النوادر والحكايات)، و(حكم أراضي مكة)، و(قسم الفيء والغنائم)، وله الرد على عيسى بن أبان في كتابه الذي سماه: (خطأ الكتب)، وله متن (العقيدة الطحاوية)، وهو المتن الذي بين أيدينا، وتُوفِّيَ أبوجعفرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقاهرة عام ٣٢١ هـ[١].

❁

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى (١٥/٢٧)، الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتقى الغزي (١٣٦/١).



مقدمة المصنف

قَالَ الإمامُ الطَّحَاويُّ: هذا ذِكْرُ بيانِ عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ، على مذهبِ فقهاءِ المِلّةِ: أبي حنيفةَ النُّعمانِ بنِ ثابتٍ الكُوفيِّ(١)، وأبي يُوسُفَ يعقوبَ بنِ إبراهيمَ الأنصاريِّ(٢)، وأبي عبدِ اللهِ محمّدِ بنِ الحسنِ الشيبانيِّ(٣) – رحمة الله عليهم أجمعين – وما يعتقدونَ من أصولِ الدينِ، ويَدِينونَ به ربَّ العالمينَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا ذِكْرُ بيانِ عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ):

يبدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الإشارة إلى ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة،

---

(١) النعمان بن ثابت، التيمي، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المُحقِّق، أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ٨٠ هـ، وكان يطلب العلم في صباه، وانقطع للتدريس والإفتاء، كان قويَّ الحجة، من أحسن الناس منطقًا، قال الإمام مالك عنه: رأيت رجلًا لو كلمتَه في السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته، وقال الإمام الشافعيُّ: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، توفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ.

(٢) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان فقيهًا علامة، من حفاظ الحديث، ولد سنة ١١٣هـ ، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه (الرأي)، وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، من كتبه (الخراج)، و(الآثار)، و(أدب القاضي)، وتوفي سنة ١٨٢هـ.

(٣) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه، والأصول، وهو ممن نشر علم أبي حنيفة، وولد بواسط عام ١٣١هـ ، ولَّاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله، وكان فصيحًا حتى قال الشافعيُّ: لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت لفصاحته، ومن مصنفاته: (المبسوط)، و(الزيادات)، و(الآثار)، و(السير)، و(الحجة على أهل المدينة)، توفي عام ١٨٩ هـ.

وقبل دراسة أصول الاعتقاد، ومسائله لأهل السنة لابد أولًا من التعرف على هذا العلم، وموضوعه، وفائدتة، وما يدور حوله من مسائل، وهذا يكمن في بيان المبادئ العشرة التي يذكرها العلماء لهذا العلم.

المبادئ العشرة لعلم العقيدة:

أولًا: تعريف علم العقيدة:

العقيدة لغةً: ما يُعْقَدُ عليه القلبُ، يقال: عقد فلانٌ الأمر صدَّقه، وعقد عليه قلبه[1].

و(عَقَدَ) في اللغة تدل على الثبوت واللزوم. يقال: اعْتَقَدَتْ المودَّةُ بينهما: ثَبَتَتْ، واعْتَقَدَ الشيءُ: صَلُبَ، وعَقَد قَلْبَه على شيء: لا يَنْزِع عنه[2].

والمعنى اللغوي يشير إلى أمور:

- أنَّ أصل الاعتقاد يكون في القلب.
- أنه ما يصدقه القلب، وينعقد عليه، وإن لم يره.
- أنه ثابت ولازم، لا يتغير، ولا ينزع من قلب العبد.

شرعًا: هو العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسبة من الأدلة اليقينية، ورَدِّ الشبهات.

ثانيًا: موضوعه:

هو بيان حقيقة الإيمان بالله، وتوحيده، والإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، والقضاء والقدر، واليوم الآخر، وما ورد من الغيبيات، وما يختص به أهل السنة من المسائل، وإن لم تكن من مسائل الاعتقاد.

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٦١٣)

(٢) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (١/ ١٤).

ثالثًا: ثمرته:

وثمرات العقيدة والتوحيد كثيرة، منها ثمرات في الدنيا، ومنها ثمرات في الآخرة، فمن ثمراته في الدنيا:

١-سعة الخير و الرزق:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ **[الأعراف:٩٦]**.

٢-الاطمئنان و راحة القلب:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ **[الرعد:٢٨]**.

٣-انشراح الصدر:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ **[الشرح:١]**، فسورة الشرح مكية، وكان عامة ما نزل في مكة هو العقيدة والتوحيد، فدل على أنَّ شرح الصدر للنبي ﷺ كان بعلمه للتوحيد والعقيدة أولًا.

٤-ويفيد أيضًا تخليص العبادات من الشوائب:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ **[البينة:٥]**.

٥- التمكين، والاستخلاف، والأمن والأمان:

قال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ **[النور:٥٥]**.

أما في الآخرة: فللتوحيد والإيمان كثير من الفوائد والثمرات، منها:

- مغفرة الذنوب والآثام:

فإنَّ العبد إذا مات مُوَحِّدًا قد يغفر الله تعالى له مهما فعل من الآثام، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[1].

وعلى النقيض من ذلك فمهما فَعَلَ العبدُ من الصالحات دون أن يكون مُوَحِّدًا ما ينفعه ذلك، عَنْ عَائِشَةَ: قالتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[2].

- ومنها: الثبات والسداد عند سؤال القبر:

قال تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَنَازَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ بِهِ، فَهَذَا مَنْزِلُكَ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ وَيُفْسَحُ لَهُ**

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٤٦٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

(٢) أخرجه: مسلم (٣٦٥).

فِي قَبْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا يَقُولُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَيَقُولُونَ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَلَا اهْتَدَيْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِهِ فَإِنَّ اللهَ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ قَمْعَةً بِالْمِطْرَاقِ يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَيْهِ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ إِلَّا هِيلَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧][(١)].

- ومنها: الأمن يوم الفزع الأكبر، والهداية إلى طريق الجنة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَت **" الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ " قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟! فَأَنْزَلَ اللهُ " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "**[(٢)].

قال ابن حجر[(٣)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على إيراد البخاري لهذا الحديث:

وفي المتن من الفوائد: أنَّ المعاصي لا تُسَمَّى شركًا، وأنَّ مَن لم يشرك بالله شيئًا فله الأمن وهو مهتد، فإن قيل: فالعاصي قد يُعذَّب، فما هو الأمن والاهتداء الذي حصل له؟ فالجواب: أنه أَمِن من التخليد في النار، مهتدٍ إلى طريق الجنة، والله أعلم[(٤)].

---

(١) أخرجه: أحمد (١١٠٠٠)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (٨٦٥).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٢)، مسلم (١٢٤)،

(٣) أحمد بن على بن محمد الكنانى ابن حجر العسقلانى، من أئمة العلم، والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، مولده ووفاته بالقاهرة، ولد عام ٧٧٣هـ، انكبَّ على الحديث، ورحل فى طلبه، وولى القضاء مرة، وتصانيفه كثيرة، أشهرها: فتح البارى بشرح صحيح البخارى، توفي سنة ٨٥٢هـ.

(٤) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٨٩).

- **ومنها: ثقل الموازين يوم القيامة بالتوحيد، ورجحانها بها:**

عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ: عنِ النبيِّ ﷺ قَالَ:" **إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»**(١).

- **ومنها: شفاعة النبي ﷺ للنجاة من النار:**

وذلك بدعائه ﷺ على الصراط: ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، ففي الحديث: عنْ أبي هريرةَ: عنِ النبيِّ ﷺ: " **وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ**"(٢).

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ ﷺ:"**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**"(٣).

عنْ أُمِّ حَبِيبَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" **رأَيْتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي بَعْدِي، وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى كَمَا سَبَقَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُوَلِّيَنِي شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ فَفَعَلَ** "(٤).

---

(١) أخرجه: أحمد (٦٩٩٤)، الترمذي (٢٦٣٩)، ابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٤٣٧)، مسلم (١٨٢).

(٣) أخرجه: أحمد (١٣٢٢٢)، أبو داود (٤٧٣٩)، الترمذي (٢٤٣٥)، ابن ماجه (٤٣١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧١٤).

(٤) أخرجه: أحمد (٢٧٤١٠)، الطبراني في الأوسط (٤٦٤٨)، الحاكم (٢٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩١٨)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

والشفاعة لأهل الكبائر قد يراد بها عدم دخولهم النار ابتداء، وقد تعني خروجهم منها بعد دخولها، وكلاهما حادث.

- **ومنها النجاة من الخلود في النار، وإن دخلها العبد زمنًا:**

عنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**»(١)، وفي رواية "**فَأَقُولُ أَيْ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ فَأُخْرِجُهُمْ، قَالَ ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا، فَأَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيُقَالُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ قَالَ فَأُخْرِجُهُمْ**"(٢)، وغير ذلك من الفوائد.

رابعًا: فضله:

هو من أشرف العلوم، وأجلها قدرًا، وأوجبها مطلبًا؛ إذ هو العلم عن الله تعالى وأسمائه وصفاته، وحقوقه على عباده، وهو طريق النجاة في الدنيا والآخرة، فعِظَمُ فضلِه لِعِظَمِ موضوعِه، وعِظَمِ ثمرتِه في الدنيا والآخرة.

خامسًا: نسبته:

والمراد نسبته إلى غيره من العلوم: فهو متباين ومخالف لغيره في موضوعه، ومدى الحاجة إليه، مع خدمة كلٍّ من العلوم للآخر، وارتباط بعضها ببعض، وهو من علوم الشريعة، بل من أهمها.

سادسًا: الواضع أي مُدَوِّنُه:

أول من كتب فيه كعلم مستقل: يقال: هو الإمام أبوحنيفة في كتابه (الفقه

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٤)، مسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (١٣٩٥٠) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.

الأكبر).

سابعًا: الاسم:

يُسمَّى علم العقيدة، أو علم التوحيد، أو علم السنة، ويسمى علم أصول الدين، أو الإيمان، أو الشريعة، أو الفقه الأكبر.

وهذه الأسماءُ منها ماهو مختصٌّ بعلم العقيدةِ مثل: العقيدة – التوحيد.

ومنها ما يُطلقُ على العقيدةِ وغيرِها مثل: (السنة) فتطلق على العقيدةِ، وتطلق على المستحب، وتطلق على السنةِ التي هي ضدُّ البدعةِ، وقد تطلق على الهدي والطريقة.

(وكذلك الشريعةُ) فتطلقُ على العقيدةِ، مثل قولِه ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وقد تأتي بمعنى الفرعياتِ، والعملياتِ كما في قولهﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

ثامنًا: الاستمداد:

- يُستمَد علم العقيدة من القرآن والسنة؛ إذ هما أساسٌ ومرجعٌ لكل أحكام الشريعة، وخاصة علم العقيدة؛ إذ هو علم يختص بالله تعالى، وبما يجب الإيمان به من الغيبيات، ونحوها.

- ويُستمَد من الإجماع؛ إذ إنَّ الأمة لا تجتمع على ضلالة، فكل ما اجتمعت عليه الأمة في العقيدة وغيرها هو الحق الذي لا يجوز غيره.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي أَنْ تَجْتَمِعَ**

عَلَى ضَلَالَةٍ»[1].

- ويُستمَد من المعقولات، فقد يُستدل بالعقليات استئناسًا، لكن ليس كل العقليات، بل بعض صورها كقياس الأولى، ويكون ذلك في ضوء الشرع، وهو المثل الأعلى المذكور في القرآن، قال تعالى ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

تاسعًا: حكمه: أي حُكْمُ تَعَلُّمِه:

تَعَلُّمُ علم العقيدة منه ما هو فرض عين، وهو ما تصح به عقيدة المسلم، ومعرفة مسائل العقيدة إجمالًا، ومنه ما هو فرض كفاية، وهو معرفة التفصيل في مسائله، ومعرفة الدليل، وكيفية الرد على أهل البدع، ونحو ذلك.

عاشرًا: مسائله:

هي معرفة الأحكام الشرعية العقدية من الإيمان بالله، واليوم الآخر، وغير ذلك.

قوله (أهلِ السنةِ والجماعةِ):

أُطلِقَ هذا الاسمُ على من يَتَّبِعُ منهجَ النبيِّ ﷺ وسنتَه، وابتعدَ عن المُحْدَثات والبدع في أواخرِ القرن الثاني الهجري؛ وذلك لظهور أهلِ البدعِ في هذا الوقت وانتشارِهم، فبدأ الناسُ يتميَّزون.

ولفظ أهلِ السنةِ والجماعةِ: لفظانِ مرتبطانِ متلازمانِ فكلُّ متبعٍ للسنةِ فهو من جماعةِ المسلمين، وكلُّ رجلٍ من جماعة المسلمين يجب عليه أن يتبع السنة.

وأُخِذَت هذه التسميةُ من قولِ النبيِّ ﷺ: «...**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[2].

---

(١) أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٦).

(٢) أخرجه: أحمد (١٧١٤٢)، أبو داود (٤٦٠٧)، الترمذي (٢٦٧٦)، ابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه =

وقوله ﷺ «**لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»**[١].

فأهل السنةِ والجماعة: هم المتبعون لمنهجِ النبيِّ ﷺ، المجتمعون عليه.

قوله (على مذهبِ أبى حنيفةَ...، وأبي يوسفَ..، ومحمدِ بنِ الحسنِ....):

وهؤلاء الأئمة الثلاثة هم أئمة المذهب الحنفي الذي يُنسب له الإمام الطحاوي رحمهم الله جميعًا، ومن الوفاء والاعتراف بالجميل أنَّ أولَ مَن يَنسِبُ الإنسانُ إليه علمَه، وتَعَلُّمَه ينسبه إلى مشايخه وعلماء مذهبه، ولكنه لا يعني بذلك أنَّ لهم عقيدة خاصة غير عقيدة علماء المسلمين، بل هم في الجملة موافقون لأهل السنة والجماعة، وعامة العلماء في العقيدة إلا ما أُخِذَ عليهم رحمهم الله تعالى في بعض المسائل كمسألة الإيمان، وهل العمل داخل في مسمى الإيمان أم لا؟ ونحوها من المسائل المعلومة، والتي سيشار إليها في التعليق على الكتاب إن شاء الله تعالى.

قوله (من أُصولِ الدينِ، ويَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العَالَمِين):

ويعني بأصول الدين مسائلَ العقيدةِ، وتقسيمُ الدينِ إلى أصولٍ وفروعٍ من المصطلحات التي لم تكن معروفة عند السلف، والمصطلحاتُ وإن كانت مُحدَثةً، فلا بأس بها إن لم يخالف مضمونها ما عليه أهلُ السنة والجماعة من الأحكام والعقائد، فمن يُقَسِّم هذا التقسيم يعني بأصول الدين علمَ العقيدة وما يتعلق به، ويعني بفروعه الأحكامَ العمليةَ الفقهيةَ، ولا يلزم من ذلك انفكاكُ أحدِ العِلْمَين عنِ الآخَرِ، أو عدم احتياجه له، بل هما متلازمان مرتبطان، ولكن التقسيم قد يكون للتسهيل والتفريق بين مضمون ما يبحثه، ويدور عليه كل قسم.

=

وشواهده.

(١) أخرجه: أحمد (١٢٢٠٨)، ابن ماجه (٣٩٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٢)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بشواهده.



حقيقة الإيمان باللهِ تعالى

نقولُ في توحيدِ اللهِ مُعتقدينَ بتوفيقِ اللهِ: إنّ اللهَ تَعَالَى واحدٌ لا شريكَ لَهَ، ولاَشيءَ مثلُهُ، ولا شيءَ يُعجزُهُ، ولا إلهَ غيرُهُ.

قوله (نقولُ):

وهذا يدل على أنَّ العقيدةَ وإن كانت معقودًا عليها في القلب إلا إنها لابد من بيانها وإيضاحها باللسان؛ إذ إنَّ اللسانَ على القلبِ دليلٌ، وهذا يدل بالإشارة أيضًا على أنَّ الإيمانَ ليس بالاعتقادِ فقط، بل لابد من دخول العمل فيه، والعمل على حسب الحال، فإن احتاج البيان باللسان كان من عمل اللسان، وإن احتاج البيان بالجوارح كان من عمل الأركان والجوارح، وسيأتي بيانُ وتفصيلُ ذلك إن شاء الله تعالى في مبحث (الإيمان).

قوله (في توحيد الله):

التوحيدُ لغة: مِن (و- ح - د) وتأتي على معان منها: الإفرادُ، ومنه تَوَحَّدَ فلانٌ بالفضل أي انفرد، ومنه توحيد الله تعالى أي إفراده، وقد تأتي بمعنى التجميع أي تجميعُ الأشياءِ في شيءٍ واحدٍ، ومنه الاتحاد وهو الاجتماع، ومنه الوَحدة بفتح الواو، والوِحدة بكسرها، فالأولى تعني: الانفراد، والثانية تعني: الاتفاق والتجميع[1]، والمقصودُ هنا بالتوحيد المعنى الأولُ وهو: الإفرادُ.

---

(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ١١)، درة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (١/ ٢٩١).

التوحيدُ شرعًا: هو إفرادُ اللهِ ﷻ في ربوبيته، وألوهيته، وفي أسمائه وصفاته.

وورد لفظ التوحيد في السنة في أكثر من موضع منها:

عنِ ابنِ عباسٍ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لمَّا بعثَ معاذًا إلى اليمنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى...**»[1].

عنْ جابرٍ ﵁ قالَ: فأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»[2].

أقسامُ التوحيدِ:

يُقَسِّمُه بعضُ العلماءِ إلى قسمين، وهما:

١- توحيدُ المعرفةِ والإثباتِ.

٢- توحيدُ القصدِ والطلبِ.

ويقسمه بعضُ العلماءِ إلى ثلاثة أقسام:

توحيدُ الربوبية، وتوحيدُ الألوهية، وتوحيدُ الأسماء والصفات.

ولا فرق بين التقسيمين فتوحيدُ المعرفةِ والإثباتِ هو: توحيدُ الربوبيةِ، وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ.

وتوحيدُ القصِد والطلبِ: هو توحيدُ الألوهيةِ.

ولقد جاء هذا التقسيمُ في عباراتِ المتقدمين من أئمةِ الحديثِ والأثرِ حيث جاء عن أبي

جعفرٍ الطبري[3] في تفسيره في أكثر من موضع منها: في قوله تعالى (وله أسلم

---

(١) أخرجه: البخاري (٧٣٧٢).

(٢) أخرجه: مسلم (١٢١٨).

(٣) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ، المفسر، الإمام، ولد في سنة =

من في السماوات والأرض) يقول: وله خَشع مَن في السموات والأرض، فخضع له بالعبودية، وأقرّ له بإفراد الربوبية، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية[1]، وتحدث في تفسيره أيضًا في غير موضع عن الأسماء والصفات والإيمان بها، وإلحاد المشركين فيها، ووُجِد أيضًا في كلام ابنِ عبد البر[2]، وجاء في كلام ابن تيميةَ[3] في مجموع الفتاوى في غير موضع، وغيرهم من أهلِ العلم من أهل الحديث والأثر، إلى جانبِ ذلك فإنَّ هذا التقسيمَ أشير إليه في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع، ومن ذلك:

في أول سورة في كتاب الله تعالى سورة الفاتحة قال الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **[الفاتحة: ٢]**، فالآية تشير إلى توحيد الألوهية، والربوبيةِ.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **[الفاتحة: ٣]**، والآية هنا تشير إلى توحيد الأسماء والصفات.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **[الفاتحة: ٥]**، هذا توحيدُ الألوهيةِ أيضًا.

=

٢٢٤هـ، وله (أخبار الرسل والملوك)، وهو الذي يُعرَف بتاريخ الطبري، و(جامع البيان في تفسير القرآن)، وهو الذي يُعرَف بتفسير الطبري، وغير ذلك، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق مَن نقل التاريخ، توفي سنة ٣١٠هـ.

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٦٤).

(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، يقال له حافظ المغرب، ولد سنة ٣٦٨هـ، من كتبه (الدرر في اختصار المغازي والسير)، و(الاستيعاب)، و(جامع بيان العلم وفضله)، و(الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار)، توفي عام ٤٦٣ هـ.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقيّ، أبو العباس، شيخ الإسلام، ولد في حران عام ٦٦١هـ، كان آيةً في التفسير والأصول، فصيح اللسان، من مؤلفاته (مجموع الفتاوى)، و(الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)، و(منهاج السنة)، وغيرها كثير، توفي عام ٧٢٨ هـ.

وقال ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

فقوله (اعْبُدُوا) إشارة إلى توحيد الألوهية.

وقوله (رَبَّكُمُ) إشارة إلى توحيد الربوبية.

وقوله (الَّذِي خَلَقَكُمْ) إشارة إلى توحيدِ الأسماءِ والصفاتِ.

قال تعالى ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فقوله (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) إشارة إلى توحيد الربوبية.

وقوله (فَاعْبُدْهُ) إشارة إلى توحيد الألوهية.

وقوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) إشارة إلى توحيد الأسماء والصفات.

وفي آخر سورة في كتاب الله تعالى قال ﷻ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٣].

قوله (بِرَبِّ النَّاسِ) إشارة إلى توحيد الربوبية.

وقوله (مَلِكِ النَّاسِ) إشارة إلى توحيد الأسماء والصفات.

وقوله (إِلَهِ النَّاسِ) إشارة إلى توحيد الألوهية، وغيرها كثير من الآيات الدالة على ذلك.

- توحيدُ الربوبيةِ: هو الاعتقادُ بأنَّ اللهَ واحدٌ في أفعالِهِ سبحانَهُ لا شريكَ له.

وأفعالُ اللهِ ﷻ كثيرة منها (الرزقُ - الإحياءُ - الإماتةُ - التدبيرُ - السيادةُ، وغيرها)، فكلُّ ما يتعلق بأفعالِ اللهِ هو من توحيد الربوبية، قال تعالى ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

فأثبت سبحانه أَنَّهم أقرُّوا بالربوبية وأنكر عليهم أَنَّهم تركوا توحيدَ الألوهيةِ.

- **توحيدُ الألوهيةِ**: وهو إفرادُ اللهِ تعالى بأفعالِ العبادِ: أي يفردُ العبدُ ربَّه في عبادتِه وإنابتِه ومحبتِه وخوفِه ورجائِه، وغيرِ ذلك من الأعمال.

- **توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ**: وهو الاعتقاد بأنَّ اللهَ واحدٌ، لا مثلَ له في أسمائِه وصفاتِه، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ **[الشورى: ١١]**.

وقال عز وجل: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ **[مريم: ٦٥]**.

والخلافُ وقع بين الناسِ في أقسام التوحيد جميعها:

(ففي توحيدِ الربوبيةِ) وقع النزاعُ فيه بين المسلمين، والدَّهْريةِ والفلاسفةِ والملاحدة ونحوهم الذين يقولون: إنَّ هذا العالَمَ قديمٌ، وأنَّه ليس له خالقٌ.

(وفي توحيدِ الألوهية) وقع النزاعُ فيه بين أهل الإسلامِ، والمشركين من عُبَّادِ الأصنام، وغيرهم.

(وفي توحيدِ الأسماءِ والصفات) وقع النزاعُ فيه بين أهلِ السنة من أَتْبَاع السننِ والأثرِ، وأهلِ البدعِ.

لذا عني العلماء بتوحيد الأسماء والصفات أكثر من غيره؛ إذ إنه واقعٌ الخلافُ فيه بين أفراد الأمة.

قوله (واحدٌ لا شريكَ له):

معنى الواحدِ: أي المنفرد.

(لاشريكَ له) وهو نفي الشريك والظهير، وهو تأكيدٌ لما سبق؛ إذ الانفراد يعني بذاته نفي الشريك.

والتوحيدُ يشتمل على أمرين: أحدهما إثبات، والآخر نفي، فقوله (إنَّ اللهَ واحدٌ) فهذا إثبات، وقوله (لاشريك له) فهذا نفي.

وكلمةُ التوحيدِ اشتملت على هذين المعنيين (لاإله إلاالله).

قوله (معتقدين):

والمعنى: أقولُ حالةَ كوني معتقدًا لهذا الكلام، عاقدًا عليه قلبي، غيرَ متردِدٍ فيه، ولا مرتاب، ولا يخالف قولي اعتقادي، بل إنَّ الاعتقاد سابقٌ بالطبع للقول.

قوله (بتوفيقِ اللهِ):

والمعنى: أعتقد وأبين ما أعتقد مستعينًا في ذلك بالله ﷻ، وهي صورة للتطبيق العملي لما بدأ ذكره من الاعتقاد، وهو الاعتراف بالربوبية لله ﷻ، وأنَّ التوفيقَ والسداد بيديه، والإعانة منه، فكما أنَّ الاعتقادَ الصحيحَ السليمَ لا يكون إلا بتوفيق الله تعالى، فكذلك بيانُه وتأصيلُه لا يكون إلا بتوفيقِ الله ﷻ، فكم ممن يعتقد الاعتقادَ الصحيحَ السليمَ لكنَّه قد لا يُحسِنُ بيانَه، فلا بدَّ له من توفيقِ الله في الحالين: حال اعتقاده، وحال بيانه لما يعتقد.

قوله (ولاشَيءَ مِثلُه، ولاشَيءَ يعجزُه، ولا إلَهَ غيرُه):

هذه الكلمات متفِقةٌ مع أقسام التوحيدِ فهي كالبيان لها، فقوله (ولاشَيءَ مثلُه) راجعٌ لتوحيدِ الأسماءِ والصفات، وقوله (ولاشَيءَ يعجزُه) راجع لتوحيدِ الربوبية، وقوله (ولا إلَهَ غيرُه) راجع لتوحيد الألوهية.

قوله (ولا شَيءَ مِثلُه):

وهذا نفي المثلية عن الله تعالى، قال تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [**النحل: ٧٤**].

وقال تعالى ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [**مريم: ٦٥**].

وقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [**الشورى: ١١**].

وقال ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [**الإخلاص: ٤**].

المثليةُ هي المساواةُ، والقرآنُ ينفي المثليةَ؛ وذلك لأنَّ المثليةَ هي المساواةُ

في كل شيء: في الكيفِ، وفي معنى الصفةِ التامِّ بين الخالق والمخلوق.

والمثلية تختلف عن المشابهة؛ لذا فالمشابهةُ لم تُنفَ في القرآن؛ لأنَّ المشابهةَ نوعان:

أولًا: مشابهةٌ تامة: وهي المماثلة.

ثانيًا: مشابهةٌ ناقصة: وهي المشابهة في البعض وليس الكل.

فالمشابهةُ قد تكون:

- مشابهةً في معنى الصفة.
- مشابهةً في الكيف.
- مشابهةً في تمامِ الصفة.

فالمشابهةُ التي هي المماثلةُ: تكون في المعنى التام للصفة، وفي كيفية الصفة، وهي المشابهة التي نُفِيَتْ في حقِّ الله تعالى؛ إذ هي المثلية.

أما المشابهةُ الغيرُ منفية فهي التي تكون في معنى الصفةِ أي في أصلِ الصفةِ.

ونفي المثلية من صفات النفي، وصفات السلب والنفي لها خصائص هامة، من أهمها:

- النفيُ في الصفاتِ يكون مُجْمَلًا، والإثباتُ يكون مُفَصَّلًا:

وهذه القاعدةُ مأخوذةٌ من قول اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ **[الشورى: ١١]**.

وأهلُ البدعِ على خلافِ ذلك؛ حيث إنهم كثيرًا ما يجعلون الإثباتَ مجملًا، والنفيَ مُفَصَّلًا.

- كلُّ نفيٍ في حق الله تعالى يدلُّ على كمالِ ضدِّه، وليس مراده النفيَ لذاتِه:

قال الله عز وجل ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ

مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، فنفي العجز لإثبات كمالِ ضده، وهو كمال القدرة.

قال تعالى ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، فنفي الظلم لإثبات كمالِ العدلِ.

وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فنفي السِّنَةِ والنومِ لإثباتِ كمالِ الحياةِ والقيوميةِ، وهكذا.

قوله (ولا شَيءَ يُعجزُه):

وهذا مأخوذٌ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، وغيرها من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وهيمنته في ملكه.

والعجزُ عامَّةً يكونُ لأحد أمرين: إما لعدمِ العلمِ، أو لعدمِ القدرةِ؛ لذا لـمَّا نفى اللهُ تعالى عن نفسه العجزَ أثبت لنفسه العلمَ والقدرةَ، فختمَ الآيةَ بقوله (إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا).

قوله (ولا إلَـهَ غيرُه):

وهذا تقريرٌ للألوهية له وحده، وأمر بالعبودية له وحده، قال تعالى (ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ)، وهذه الكلمة جاءت بها الرسلُ جميعًا، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى عن نبيه نوح ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال عن نبي الله هود ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال عن نبي الله صالح ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال عن نبي الله شعيب ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

فكل الأنبياء جاءوا بهذه الكلمة؛ إذ هي دعوة التوحيد.

❊ ◊ ❊

قديمٌ بلا ابتداءٍ، دائمٌ بلا انتهاءٍ، لا يَفنى ولا يَبيدُ، ولا يكونُ إلا ما يريدُ.

يبين المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الكلمات بعض أسباب استحقاق الله تعالى للألوهية، وأنه منفرد بصفاته سبحانه وتعالى كما أنه منفرد بالعبادة والألوهية، فذكر أنه لا ابتداء له، ولا نهاية له؛ لأنه لا يفنى ولا يبيد، وكذلك فهو الإله الحق؛ لأنه المَلِكُ المالك لكل شيء المتصرف فيه، فلا يكون في كونه إلا ما يريد.

قوله (قديمٌ بلا ابتداءٍ):

واختُلِف في اسم (القديم) هل يصح إطلاقه على الله تعالى أم لا ؟

❁ ولبيان ذلك لا بد من ذكر بعض القواعد والمقدمات في الأسماء والصفات:

أولًا: إثباتُ أسماءِ اللهِ الحسنى لابدَّ لها من ثلاثةِ شروطٍ:

أ- أن تكونَ ثابتةً في الكتابِ والسنةِ.

ب- أن يشتملَ الاسمُ على المدحِ الكاملِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ج- أن يُدعى اللهُ بها.

ثانيًا: أنَّ بابَ الأسماءِ أضيقُ من باب الصفاتِ، وبابُ الصفاتِ أضيقُ من بابِ الأفعالِ والأخبار، حيث إنَّ باب الأسماءِ لا بدَّ فيه من توافر الشروط الثلاثة السابقة، وبابُ الصفاتِ لابدَّ من ثبوتها بالدليل، أما بابُ الأفعال والأخبارِ فأوسعُ من ذلك.

ثالثًا: معنى (القديم) في اللغةِ: هو الذي يسبقُ غيرَه حتى وإن كان مسبوقًا بآخر، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩].

فالعرجونُ يظلُّ جديدًا حتى يظهرَ غيرُه، ولا يعني ذلك أنَّه أولُّ شيءٍ مطلقًا.

رابعًا: أنَّ اسمَ القديمِ ليس كلُّه مدحًا: فمنه المدحُ، ومنه غيرُ المدحِ، ودليلُ

ذلك أنَّ اللهَ تعالى وصف به العرجون، وأسماءُ الله الحسنى كلُّها مدحٌ.

خامسًا: أنَّ هذا الاسمَ ليس منصوصًا عليه لا في الكتاب ولا في السنة على أنه اسم من الأسماء الحسنى، وإنما ورد ذكره كوصف لسلطان الله تعالى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ **أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ " أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ**[1] **مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ "**[2].

وعلى ما سبق نخلص بأمور:

- أنَّ الأَوْلَى عدم ذكر اسم القديم على أنه اسم من أسماء الله الحسنى، بل قد يُطْلَقُ على أنه من الأخبار.

- الأَوْلَى أن يذكر اسم (القديم) مُقَيَّدًا بأنه القديم الذي لا ابتداء له.

- الاستغناء عن ذكر اسم (القديم) بما ورد في الكتاب والسنة، ألا وهو اسم الله (الأول) قال ﷻ: ﴿ **هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ **[الحديد: ٣]**.

عنْ أبِي هريرةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»[3].

قوله (دائمٌ بلا انتهاءٍ):

الدائمُ هو الذي لا انتهاء له، فهو الآخرُ بذاتِه وصفاتِه، فكما أنه الأولُ بذاتِه وصفاتِه، فكذلك هو آخر بذاتِه وصفاتِه.

---

(١) " وسُلطانه القديم " أي: حجته القديمة، وبرهانه القديم، أوقهره القديم؛ لأنَّ السُلطان من السَّلاطَةِ، وهي القهر، والقديم من القِدَم- بكسر القاف وفتح الدال- وهو خلاف الحدوث. شرح أبى داود للعينى (٢/ ٣٧٥).

(٢) أخرجه: أبوداود (٤٤٦)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

(٣) أخرجه: مسلم (٢٧١٣).

قوله (لا يَفْنى ولا يَبِيدُ):

وهذه من صفات النفي الدالة على صفات الكمال والمتضمنة لها، فهو يدل على كمالِ حياتِه، وكمالِ قيوميَّته، وكمالِ رُبوبيته، ودلَّ على هذه الصفات قولُ الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ **[البقرة: ٢٥٥]**.

وقولُه ﷻ: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ **[القصص: ٨٨]**، وقولُه ﷻ: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]

وقولُ المؤلفِ: لا يفنى ولا يبيد أي لا في ذاتِه، ولا في أسمائِه، ولا في صفاتِه.

وذلك ردٌّ على بعضِ أهلِ البدعِ الذين زعموا أنَّ بعضَ صفاتِ اللهِ تفنى، وأنَّ بعضَ آثارِها تبيدُ.

قوله (ولا يَكُونُ إلا ما يُريدُ):

وهذا يدل على كمال قوته وهيمنته في ملكه، وأنه لا يقع شيء في ملكه إلا ما يريده.

وهنا مسائل:

❁ أولًا: أنواع الإرادة:

الإرادةُ نوعانِ:

أ- إرادةٌ كونيَّةٌ قدريَّةٌ: وهي ما يريدُه اللهُ في كونه وقدره، وهي المشيئةُ التي لا يخرجُ عنها أحدٌ قال ﷻ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ **[الإنسان: ٣٠]**.

ب- إرادةٌ شرعيَّةٌ: وهي ما يحبُّه اللهُ ويرضاه.

وعليه فالمراد بقولِهِ (ولا يكون إلا ما يريد) أي الإرادةُ الكونيةُ القدريةُ.

ثانيًا: الخلط بين الإرادتين أضلَّ الكثيرَ من أهلِ البدعِ:

فمن ضلَّ في هذا الباب ضلَّ لعدم التفريق بين الإرادتين:

١- المعتزلةُ والقدريةُ: لم يفرقوا بين الإرادتين فجعلوهما إرادةً واحدةً، وهي الإرادةُ الشرعيةُ، وهي المحبةُ والرضا، ويكون المعنى كلُّ شيءٍ أراده اللهُ أحبَّه ورضيه، والمعنى أنهما ربطا الإرادتين ببعضهما، فلا يقع كونًا وقدرًا بإرادته إلا ما أحبه الله ورضيه.

وعليه فالمعصيةُ لا يحبُّها اللهُ، وبما أنَّ كلَّ شيءٍ يريدُه الله يحبُّه، والمعصيةُ لا يحبُّها إذًا فهو لا يريدُ المعصيةَ أي قدرًا، ومن هنا قالوا: إنَّ اللهُ لا يريدُ الأفعالَ السيئةَ من العبادِ ولا يخلقها، والعبدُ هو الذي يخلقُ فعلَ نفسِه.

وهذا القول أوقعهم في أمر عظيم وهو وصفُ اللهِ ﷻ بالعجزِ وعدمِ الهيمنةِ في ملكه.

عن عمر بن الهيثم قال: خرجتُ في سفينة إلى الأبلة أنا وقاضيها هبيرة بن العديس قال: وصَحِبَنَا في السفينة مجوسيٌّ وقَدَرِيٌّ.

قال: فقال القدَرِيُّ للمجوسيِّ: أَسلِمْ.

قال: فقال المجوسيُّ: حين يريد اللهُ.

قال: فقال القدَرِيُّ: الله يريدُ، والشيطان لا يدعُك.

قال: فقال المجوسيُّ: أراد الله، وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان، هذا شيطانٌ قوي[1].

ووقف رجلٌ على حلقةٍ فيها عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، فقال: إِنِّي قَدِمْتُ بلدَكم هذا، وإنَّ ناقتي سُرِقَتْ، فادعُ الله أن يردَّها عَلَيَّ، فقال عمْرٌو: يا هؤلاء ادعوا الله لهذا الذي لم يُرِدِ الله أن تُسْرَقَ ناقتُه فَسُرِقَتْ أن تُرَدَّ عليه، فقال الأعرابيُّ: لا حاجة لي

(١) الشريعة للآجري (٢/ ١٢٢)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٤/ ٢٧٩).

بدعائك، قال: ولِمَ؟ قال: أخاف كما أراد أن لا تُسْرقَ فسُرِقَتْ أن يريد أن تُرَدَّ عَلَيَّ، فلا تُرَدُّ عَلَيَّ[١].

والردُّ على المعتزلة والقدرية في هذا الباب: أنَّ الإرادة نوعان، ومعصيةَ العاصي وقعت بإرادة الله الكونيةِ القدرية لا الشرعية.

٢- وممن ضلَّ في هذا الباب لعدم التفريق بين الإرادتين الجبريةُ؛ إذ إنهم جعلوا الإرادتين إرادةً واحدةً أيضًا، لكنهم جعلوهما إرادة كونية قدرية فقط، مع نفي إرادة العبد ومشيئته، أي كلُّ شيءٍ وقع في هذا الكونِ بإرادتِه الكونيةِ القدريةِ، ولا دخل للعبد فيه، فجعلوا العبدَ كالريشة في مهبِّ الريحِ لا إرادةَ له، وهؤلاء وصفوا الله تعالى بالظلم عياذًا بالله تعالى.

وأما أهلُ السنةِ: ففرقوا بين الإرادتين الكونيةِ القدريةِ، والدينيةِ الشرعيةِ.

فالكونيةُ القدريةُ هي: ما يريدُه اللهُ في قدرِه، وهذه هي المشيئةُ، وهي مرتبطةٌ بالعلم والحكمةِ، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ **[الأنفال: ٢٣]**، وهذا لا ينفي إثبات مشيئة العبد، لكنها تابعة لمشيئة الله تعالى كما سيأتي بيانه في باب القدر إن شاء الله تعالى.

والإرادةُ الشرعيةُ: هي ما يحبُّه اللهُ ويرضاه، فهي متعلقة بالعبد أمرًا و نهيًا.

ثالثًا: الإرادةُ الكونيةُ مرتبطةٌ دائمًا بالمصلحةِ والحكمةِ:

فالإرادةُ الكونيةُ القدريةُ تكون دائمًا متعلقة بحكمة الله وعلمه سواء تعلَّقت تلك الحكمةُ.

بالفردِ أم بالمجتمع؛ لذا فالشرُّ ليس إلى الله ﷻ، بل اللهُ لا يوصفُ إلا بالخير، ولا يُضافُ له إلا الخير؛ لأنَّ كل أفعاله لحكمة ومصلحة، وإن خَفِيَتِ المصلحة والحكمة على العباد.

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٤/ ٢٨٠).

رابعًا: لا تلازم بين الإرادة الدينية الشرعية، والإرادة الكونية القدرية:

فإنَّ الله قد يأمر بالشيء دينًا وشرعًا، ولا يريد وقوعَه كونًا وقدرًا، كما أمر اللهُ تعالى نبيَّه إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بذبح ولدِه إسماعيلَ، ولكنه لم يرد ذلك كونًا وقدرًا، بل فداه بذِبْح عظيم، قال تعالى ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [**الصافات: ١٠٣ - ١٠٧**].

فإن قيل فما الحكمة إذًا من هذا الأمر طالما أنَّه لم يرد وقوعَه كونًا وقدرًا؟!

يتبين ذلك في بيان الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [**الصافات:١٠٦**] فإنَّ الأمر قد يكون للامتثال، وقد يكون للابتلاء والاختبار.

خامسًا: يُستَدَلُّ بالإرادة الكونية القدرية على المصائبِ لا على المعائبِ:

فإذا أُصيبَ العبدُ بمصيبةٍ يقول: هذا قدرُ اللهِ ويرضى به ويُسَلِّم، ولكن إذا أذنبَ ذنبًا لا يُبَرِّئ نفسَه محتجًّا على ذلك بأنه وقع بقدر اللهِ، لأنَّ هذا عيبٌ، والذنبُ يقترفُه العبدُ بنفسِه وبما كسبت يداه، وإن كان اللهُ ﷻ أراده كونًا، لكنه لم يُرِدْهُ دينًا وشرعًا، وما أحبه ولا رضيه، ومتعلق العبد في الأوامر والنواهي هو الإرادة الدينية الشرعية.

فالمعصيةُ وقعت بقدر الله وإرادته الكونية، ولكنها تُنسبُ إلى العبد، ولا تنسبُ إلى الله، لأنَّ اللهَ ﷻ لم يُرِدْها شرعًا، إنَّما أرادها كونًا وقدرًا.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى (ثَلاثًا)**»[1].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري(٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

وليس المعنى هنا أنَّ آدم احتج بقدر الله تعالى على معصيته، بل إنه احتج بالقدر على المصاب الذي أصابه وأصاب بنيه من بعده ألا وهو الخروج من الجنة، ويدل لذلك قول موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ له «خيَّبْتَنَا وأَخْرَجْتَنَا من الجنة».

﴿◊﴾

لاتبلغُه الأوهَامُ، ولا تُدْركُه الأفهامُ، ولا يُشبه الأنامَ، حيٌّ لا يموتُ، قيومٌ لا ينامُ، خالقٌ بلا حاجةٍ، رازقٌ بلا مؤنَةٍ، مُميتٌ بِلا مَخَافةٍ، باعثٌ بلا مَشقةٍ، مازال بصفاتِه قديمًا قبل خلقِه، لم يَزْدَدْ بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًا؛ ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق؛ وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم.

قوله (لا تبلغُه الأوهامُ، ولا تدركُه الأفهامُ):

والمعنى: مهما تصوَّر العبد بخيالِه وفكره لا يمكنُ أن يبلغَ بخيالِه وفكرِه وصْفَ اللهِ ﷻ ولا كُنْهَ ذاتِه، ومهما حاول إدراكه بفهمه فلن يدركه على حقيقته وكماله؛ إذ الأفهامُ والأبصار ليست موضوعةً لإدراكِه، قال الله ﷻ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

❁ وهذه العبارة تشتمل على بعض الأمور منها:

أولًا: ردَّ المؤلفُ بهذه الجملةِ على أكثر من فرقة من أهل البدع، ومنهم المجسِّمةِ، والمعطِّلةَ، وكذلك الصوفية.

أ- المجسِّمة الذين جعلوا اللهَ جسمًا كالأجسام.

ب- المعطِّلة الذين جعلوا اللهَ مُعَطَّلًا عمَّا وصف به نفسَه.

ت- ردٌّ على المتصوفةِ الذين زعموا أنَّ العبدَ قد يبلغُ مرتبةً يدرك فيها الله عز وجل وكيفيته، بل ويراه في الدنيا.

ثانيًا: أنَّ الأصل في الإنسان الجهل وعدم العلم، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ

بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

وللحصول على المعرفة والعلم لا بد من أحد طريقين:

أولًا: أحد الحواس، وأهمها السمع والبصر؛ إذ هي أدوات التلقي والتعلم.

ثانيًا: المعرفةُ المبنيةُ على العقلِ والإدراكِ، وهذه تكون بالمقارنة والمقاييسِ.

واللهُ ﷻ لم تُدركْه الحواسُّ، ولم يُرَ مثيلٌ له، فليس هناك ما يمكن أن يقاسَ عليه، ولذلك دخولُ المعرفةِ لكيفية صفات الله بالحواس والمقاييس لا يمكن أن يكون.

ولذا جزم الطحاوي أنه لا تبلغه الأوهام، ولا يُدرَك بالأفهام.

والفرق بين الأوهام والأفهام أنَّ الأوهام راجعة إلى الخيال، والأفهام راجعة إلى الإدراك.

ولذلك قال (لا تبلغُه الأوهامُ، ولا تدركُه الأفهامُ).

فالوهمُ والفهمُ منقطعان عن إدراكِ كيفية صفاتِ الله ﷻ أو كنهه سبحانه وتعالى، وكل من أخطأ في هذا الباب أخطأ لتشبيهه الله تعالى بخلقه، ولذلك ختمها بقوله: ولا يشبهُ الأنامَ.

قوله (حيٌّ لا يموتُ، قَيُّومٌ لا ينامُ):

❁ وهنا تنبيهات:

أولًا: يجب أن نثبتَ لله ﷻ اسمَ الحيِّ والقيومِ، والدليلُ على ذلك:

قولُه ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ **[البقرة: ٢٥٥]**.

وقولُه ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ **[آل عمران: ٢]**.

ثانيًا: اسمُ اللهِ الحيّ هو اسم لازم لجميع صفاتِ الكمالِ.

ثالثًا: صفةُ الحياةِ من الصفاتِ التي تشترك بين الخالقِ والمخلوقِ.

والصفاتُ تتناسبُ مع الذاتِ، فكما أنَّ ذات الخالق غيرُ ذاتِ المخلوق، فكذلك صفات الخالق غير صفات المخلوق، قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

فالحياة في المخلوق تختلف بحسب ذاته وصفاته فمنها:

- حياةُ نماءٍ وإحساسٍ (كحياةِ الإنسانِ والحيوانِ).

- حياةٌ بالنَّماءِ فقط (كحياةِ النباتِ).

- حياةٌ خاصةٌ (كحياة الجمادِ)، فالجمادُ فيه حياةٌ خاصةٌ تتناسب مع طبيعته وصفاته، قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ **[الإسراء: ٤٤]**.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ **[سبأ: ١٠]**.

عنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**»(١).

إذن صفةُ الحياةِ بالنسبة للمخلوقين تختلفُ بحسب ذاتِها وصفاتها، فكيف بالخالقِ سبحانه وتعالى؟!

فهناك فرق بين صفات الخالقِ وصفاتِ المخلوق منها:

- أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يتصف بالصفاتِ على وجه الكمالِ، أمَّاالعبدُ فيتصف بالصفات على وجه النقصِ.

- أنَّ اللهَ ﷻ يتصفُ بالصفةِ بلا حاجةٍ، أما العبدُ يتصف بالصفةِ لحاجةٍ.

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٢٧٧).

– أنَّ صفاتِ الله متلازمةٌ؛ لأنَّه ﷻ له الكمالُ المطلقُ، أمَّاالمخلوقُ فلا يلزم، فقد توجد

به بعض الصفات ولا يوجد البعض الآخر، فقد يكون له سمع لكنه أعمى، وقد يكون له بصر لكنه أصم، وهكذا.

– صفاتُ اللهِ ﷻ تختلفُ عن صفاتِ المخلوقِ في تمام الصفةِ والكيفيةِ.

وقوله (لايموتُ، لا ينامُ) من صفات النفي، والنفيُ هنا ليس مقصودًا لذاتِه– كما سبق –، ولكنَّه لإثباتِ كمالِ ضدِه كغيرها من صفات النفي.

فقوله لا يموت: لإثبات كمالِ حياتِه.

وقوله لا ينام: لإثباتِ كمالِ قيوميتِه.

قوله (قيُّومٌ لا ينامُ):

(القَيُّومُ) معناه: القائمُ بذاتِه أو بنفسِه، والقائمُ على غيرِه، ويستلزمُ ذلك كمالَ غناه، وكمالَ قدرتِه.

فكمالُ غناه لأنَّه قائمٌ بذاته، وكمالُ قدرتِه لأنَّه قائمٌ على غيرِه يدبِّرُ له أمره.

(لا ينام) وهذا تعريفٌ بالأثرِ، فمن كمالِ قيوميتِه أنه لا ينامُ.

واسمُ اللهِ الحيّ يدلُّ على صفاتِ الكمالِ، واسمُ اللهِ القيوم يدلُّ على كمالِ الغنى والقدرةِ خاصة.

وكلُّ أسماءِ الله ﷻ ترجع لهذين الاسمين (الحيّ والقيوم).

وقد يكون هذا هو السببَ في أنَّ هذين الاسمين وردا في الأسماء التي يشملها اسمُ اللهِ الأعظم حيث ترجع إليهما كلُّ الأسماءِ والصفاتِ، وتجمعُ كلَّ أقسامِ التوحيدِ.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ: أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ «**اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِى هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، وَفَاتِحَةُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (الم اللهُ**

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)»[١].

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[٢].

قوله (خالقٌ بلا حاجةٍ):

وهذا يدل على أنَّ الخلق من خصائصه وصفاته، وكذلك قوله (بلا حاجةٍ) تدلُّ على كمالِ الغنى، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ **[فاطر: ١٥]**.

فالله سبحانه وتعالى لمَّا خلق وصوَّر مخلوقاتِهِ لم يُصِبْه شيءٌ من التعبِ، أو نَقَصَ مما في خزائنِه شيءٌ، وفي الحديث القدسي: «...**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي**...»[٣].

وقال الله ﷻ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ **[فاطر: ١٦]**.

قوله (رازقٌ بلا مَؤنَةٍ):

والمعنى: رازق بلا كُلفةٍ ولا مشقةٍ، فالله ﷻ يرزق العبادَ بدون نقصٍ من ملكه، أو حاجةٍ منه للمخلوقين، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ **[المائدة: ٦٤]**.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ

---

(١) أخرجه: أبوداود (١٤٩٨)، الترمذي (٣٤٧٨)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٤٣).

(٢) أخرجه: أبوداود (١٤٩٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

(٣) أخرجه: مسلم (٢٥٧٧).

أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ(١) مَا فِي يَدِهِ»(٢).

قوله (مميتٌ بلا مخافةٍ):

يعني أنَّه يميتُ مَن يشاء أن يميتَه، لا لخوفٍ منه أن يعتديَ على مقامِ الربوبية، أو بسببِ ضررٍ يعودُ على اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ منه- حاشاه سبحانه وتعالى-، وبلا مخافةٍ من العقَباتِ التي تنتجُ عن موتِ أحد من خلقه، ولكنَّ الإماتةَ كانت لحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبقوته وإرادته.

قوله (باعثٌ بِلَا مَشقَّةٍ):

أي باعثُ الخلقِ بعد موتهم بلامشقَّةٍ، قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]؛ وهذا دليل على عِظَمِ قوته وقدرته، بل وتفرده في صفاته بالكمال.

قوله (مازال بصفاتِه قديمًا قبل خلقِه، لم يزددْ بكونِهم شيئًا لم يكن قبلهم من صِفاتِه....):

- أراد أنَّه لم يزلْ متصفًا بصفاتِه قبل أن يخلقَ الخلقَ،وصفاتُه ثابتةٌ قبل وجودِ المخلوقاتِ، فاللهعَزَّ وَجَلَّ أولٌ بصفاتِه، وكذلك هو آخرٌ بصفاته، فصفاتُ الله أبديةٌ أزليةٌ، وأخذ بعض العلماء على المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا التعبير، وقالوا أنَّ هذا يومئ بأنَّ صفات الله كانت معطلة عن العمل زمنًا، وهذا ما يبحثه العلماء تحت مُسَمَّى (مسألة التسلسل)، وهذه من المسائل التي لا ينبني عليها كثير عمل، ولم يتناولها العلماء إلا للرد بها على أهل البدع، وبيان شبههم.

---

(١) يَغِض: ينقُص.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٤١١)، مسلم (٩٩٣).

ذلك بأنّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وكلُّ شيءٍ إليه فقيرٌ، وكلُّ أمرٍ عليه يسيرٌ، ولا يحتاجُ إلى شيءٍ، وهو السميعُ البصيرُ.

قوله (ذلك بأنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ):

وهذا تعليلٌ لما مرَّ قبل ذلك، فالله قدير على إحياء الخلق وإماتتِهم، وعلى رزق المخلوقات، وغيرِ ذلك، قال ﷻ: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

وقال الله ﷻ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وأهلُ السنةِ والجماعةِ: يجعلون قدرةَ الربِّ متعلقةً بكلِّ شيءٍ، فالله قادرٌ على ما يشاء، وما لم يشأ، وبذلك جاء القرآنُ، قال الله ﷻ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

أما أهلُ البدعِ: يُعَلِّقون القدرةَ بما يشاؤه الله ﷻ أي بما يشاء وقوعه فقط.

مثال: لو سُئلوا هل الله قادر أن يخلق فعلَ العبدِ السيءَ ؟

يقولون: (لا)، فالله لا يقدر؛ لأنه لم يردها ولم يشأها، فهو لا يقدر على فعلها.

ولو سئلوا: هل الله قادرٌ على أن لا يُوجِدَ إبليس؟

يقولون: لا، غيرُ قادرٍ، لأنَّ الذي شاءَه هو الذي في قدرته، وعدمُ خلقِ إبليس لم يشأه، إذن لا يقدر عليه.

فإذا قيل لهم يقول الله: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قالوا: المرادُ (واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يشاؤه قَدِيرٌ).

فيُعَلِّقون القدرةَ بما يشاؤه، فالذي شاءه هو الذي قَدَرَ عليه، والذي لم يشأه لايقدر عليه.

الردُّ عليهم:

أولًا: أنَّ الآياتِ علَّقت القدرة بكلِّ شيء، وهذا عموم فيما شاءه، وما لم يشأه.

ثانيًا: أنَّ هناك آياتٍ تدلُّ على أنَّ قدرةَ اللهِ تتعلق بما لم يشأ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنعام: ٦٥].

فاللهُ سبحانه وتعالى لم يشأ أن يبعثَ على هذه الأمةِ عذابًا من فوقِها، أو من تحت أرجلِها فيهلكهم بسنةٍ عامةٍ، ولو أراد لفعل، وهو قادر على ذلك.

٭ ◊ ٭

خَلَقَ الخلقَ بعلمِه، وقدَّرَ لهم أقدارًا، وضربَ لهم آجالًا، ولم يخْفَ عليه شيءٌ قبل خَلْقِهم، وعَلِم ما هم عَامِلُون قبل أن يخلقَهم، وأمرهم بطاعتِه، ونهاهم عن معصيتِه.

قوله (خلقَ الخلقَ بعلمِه...):

وهذا يدل على أنَّ العلمَ ملازمٌ للخلقِ، قال الله ﷻ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ **[الملك: ١٤]**.

وهذا ردٌّ على المعتزلةِ والقدريةِ الغلاةِ الذين قالوا: إنَّ اللهَ لا يعلم إلا بعد وقوعِ العملِ.

واستدلوا على قولهم بأدلةٍ من القرآن، منها:

قولُه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **[المائدة: ٩٤]**.

وقولُه ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ **[البقرة: ١٤٣]**.

فزعموا أنَّ هذه الآياتِ تدل على أنَّ اللهَ لا يعلم الأشياءَ إلا بعد أن تقع.

الجواب على هذا:

أولًا: علمُ اللهِ ﷻ صفةٌ ملازمةٌ له، فالعلم لا ينفك عن ذاته سبحانه وتعالى.

ثانيًا: أنَّ المقصودَ بالعلم في الآياتِ التي استشهدوا بها علمُ الحجةِ، أي حتى يظهرَ علمُ اللهِ في الأشياء المذكورةِ، ولا يكون للناس على الله حجة.

ثالثًا: ذَكَرَ الله تعالى في كتابه أنه سبحانه عَلِم أشياءَ لم تقع، وعَلِم أنها لو وقعت

على أي نحوٍ كانت ستقع، قال تعالى ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨]، وقال ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

قوله (وقدَّرَ لهم أقدارًا):

وفي هذا إشارة إلى مسألة القدر، وسيأتي الكلام عنها في بابها (باب: الإيمان بالقدر) إن شاء الله تعالى.

قوله (وضربَ لهم آجالًا):

الآجال جمعُ أجلٍ، وضربُ الآجالِ معناه: أنَّه جعل لكل شيءٍ أجلًا ينتهي إليه.

س: هل الأجلُ واحدٌ أم متعددٌ؟ وهل يزيد أم ينقص؟

ج: بعضُ الأدلةِ تبين أنَّ الأجلَ لا يزيدُ ولا ينقصُ، ومنها قوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وبعضُ الأدلةِ تبين أنَّ الأعمار تزيدُ وتنقصُ، ومنها قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

قال العلماء: وتحرير المسألةِ هو في التفريق بين الأجلِ والعمرِ:

فالأجلُ: هو المكتوبُ في اللوحِ المحفوظِ، وهذا لا يقبل التغييرَ ولا الزيادةَ ولا النقصانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: اللهُمَّ مَتِّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكِ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي**

النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ»[١].

والعمرُ: هو المكتوبُ في الكتبِ التي في أيدي الملائكةِ، وهذا يطرأُ عليه التغييرُ، قال ﷻ: ﴿**يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ**﴾ [**الرعد: ٣٩**].

قال ابن عباس: في هذه الآية: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)، قال: كتابان: كتابٌ يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعنده أمُّ الكتاب[٢].

فالأدلةُ التي ورد فيها الزيادة أو النقص وردت بلفظ (العمر).

والأدلة التي ورد فيها عدم الزيادةِ أو التغييرِ وردت بلفظ (الأجل).

وقد جاءت أدلةٌ من السنةِ تدلُّ علي الزيادةِ، ومنها: عنْ أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[٣]، وقولُه ﷺ: «**وَلَا يَزِيدُ فِي العُمرِ إِلَّا البِرُّ**»[٤].

وكلُّ ذلك في الأعمارِ المكتوبةِ في الكتب التي في أيدي الملائكةِ، وزيادةُ الأعمارِ تكون بأسبابها، وهذا هو المُسمَّى بالقدر المُعَلَّق، أما الآجال التي في اللوحِ المحفوظِ فهي قدرٌ مُنجَزٌ لا يعتريه تغيير، ومن عجائب الأقوال في ذلك قولُ المعتزلة الذين يقولون: الإنسانُ قد يكون له أجلان كالمقتول، ولذلك كان القاتلُ صاحبَ كبيرةٍ مخلدًا في النار؛ لأنَّه قطعَ أجلَ المقتولِ بالقتلِ، وهذا قول واضح الضلالة مخالف للأدلة والعقل.

---

(١) أخرجه: مسلم(٢٦٦٣).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٧).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٩٨٦)، مسلم (٢٥٥٧).

(٤) أخرجه: أحمد (٢٢٣٨٦)، الترمذي (٢١٣٩)، ابن ماجه (٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧).

أنواع الأقدار:

- **قدرٌ عام**: وهو الذي في اللوح المحفوظ، وهو ما جاء في قولِه ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(١).

- **تقديرٌ عُمريٌّ خاصٌّ**: وهذا الذي يُقدَّر للإنسانِ، وهو في بطن أمِّه، قَالَ عَبْدُ اللهِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٢).

- **تقديرٌ سنويٌّ**: وهو الذي يُقدَّر في ليلةِ القدر، وهو الوارد في قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [**الدخان: ٣ – ٥**].

د- **تقديرٌ يومي**: وهو الوارد في قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [**الرحمن: ٢٩**].

قوله (ولم يخْفَ عليه شيءٌ قبل خلقِهم، وعَلِم ما هم عاملون قبل أن يخلقَهم):

وهذا عامٌّ يعني في الطاعاتِ وفي المعاصي، و الخير والشرِّ مما عملوه ومما لم يعملوه، ولو عملوه كيف يكون عملهم، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [**البقرة: ٢٨٢**]، وقال الله ﷻ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٥٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣٢٠٨)، مسلم (٢٦٤٣).

طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠].

فاللهُ ﷻ تعلَّق علمُه بكلِّ شيءٍ، وهذا لأنَّ علمَ اللهِ ﷻ سابقٌ وشاملٌ.

قوله (وأَمَرَهُم بِطَاعتِه، ونَهَاهُم عَن مَعْصيتِه):

فمع علمه بما هم عاملون، لكنه أمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وبيَّن لهم سبل الخير والهداية وأمرهم بها، وسبل الشر والغواية ونهاهم عنها، فعِلْم الله تعالى بأعمالهم متعلق بالله تعالى، أما ما يتعلق بالعبد فهو السمع والطاعة، وامتثال أمر الله تعالى، فالواجب على العبد أن يشغل نفسه بما أراد الله منه دينًا وشرعًا، وبما أمره به في دينه وشرعه فيمتثله، وما نهاه عنه فينزجر عنه ويجتنبه، ولا يكون علم العبد أنَّ الله عالم لفعله قبل العمل داعيًا له أو مُبَرِّرًا للمعصية، كلا، فهذا باب وهذا باب.

فلما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الله يعلم أفعال العباد قبل فعلها، وقدَّر أقدارًا لعباده، بين أنَّ هذا فيما يتعلق بالله سبحانه، أما فيما يتعلق بالعبد فهو الامتثال والطاعة؛ لذا ألحق العبارات السابقة بقوله (**وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته**).

❧ ◈ ❧

وكُلُّ شيءٍ يجري بتقديرِه ومشيئتِه، ومشيئتُه تَنفذُ لا مشيئةَ العبادِ إلا ما شاءَ لهم، فما شاءَ لهم كانَ، وما لم يشأْ لم يكنْ.

إنَّ اللهَ ﷻ له مشيئةٌ، والعباد لهم مشيئةٌ،ولكنَّ مشيئةَ العبادِ مُرتَّبةٌ على مشيئةِ الله ﷻ، وتابعة لها، وليست مستقلةً، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [**الإنسان: ٣٠**].

وهذا ردٌ على المعتزلةِ والقدريةِ الذين أثبتوا مشيئةً مطلقةً للعبدِ، وأنَّه مستقلٌّ بأفعالِه وإرادتِه ومشيئتِه. وكذلك ردٌّ على الجبريةِ الذين يقولون: إنَّ العبدَ ليس له مشيئةٌ، إنما المشيئةُ لله فقط، والعبدُ يتحركُ بدون اختيارٍ ولا إرادةٍ، فهو مثل الآلة.

أمَّا أهلُ السنةِ والجماعةِ: فأثبتوا المشيئتين، وجعلوا للعبد مشيئةً لكنها مرتبطةٌ بمشيئةِ اللهِ ﷻ، وهذا مأخوذٌ من قول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، وهذا إثباتٌ لمشيئةِ العبدِ، لكنها ليست مستقلةً وإنما هي تابعة لمشيئة الله تعالى.

ولذلك لما قال رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(١).

فأنكر عليه النبيُّ ﷺ هذا القولَ؛ لأنَّه يُوهِمُ المساواةَ.

وفي رواية: «**قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ**»(٢).

فجعل النبيُّ ﷺ مشيئتَه تابعةً لمشيئةِ الله ﷻ، ولذلك عطف بلفظ (ثمَّ) التي تفيدُ الترتيبَ والتراخي، ولم يعطفْ(بالواو) التي تفيدُ التشريكَ فقط.

---

(١) أخرجه: أحمد (١٨٣٩)، ابن ماجه (٢١١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٩)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه: النسائي (٣٧٧٣)، ابن ماجه (٢١١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٢٠).

يهدي مَن يشاءُ، ويعصمُ ويُعافي مَن يشَاءُ فضلًا، ويُضلُّ مَن يشاءُ، ويخذلُ ويبتلي عدلًا، وكلُّهم يتقلبون في مشيئتِه بين فضلِه وعدلِه.

قوله (يهدي مَن يشاءُ):

الهدايةُ أنواع:

أولًا: هدايةٌ عامةٌ: وهي تكونُ لكلِّ مخلوقٍ حيث يهديه اللهُ جَلَّ إلى معاشِه، وطعامِه، وشرابه، وإصلاح حياتِه، ونحو هذا، قال تعالى حكاية عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ **[طه: ٥٠]**.

ثانيًا: هدايةُ البيانِ والإرشادِ: وهذه تكونُ من اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وكذلك من المخلوق، فاللهُ سبحانه وتعالى يبيِّنُ لعبادِه ويرشدهم بآياته المسطورة وآياته المنظورة؛ والرسلُ يُبيِّنونَ للناسِ ويرشدونهم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **[الشورى: ٥٢]**، وقال ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ **[الرعد: ٧]**، والدعاة إلى الله والعلماء وورثة الأنبياء يبينون للناس ويرشدونهم.

ثالثًا: هدايةُ التوفيقِ: أي إلى الصوابِ والرشد، وهذه هدايةٌ خاصة بالله عَزَّ وَجَلَّ فقط، وهي المرادة في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ **[القصص: ٥٦]**.

فقول المصنف (**يهدي من يشاء**) أي هداية توفيق ورشد.

قوله (ويعصمُ ويُعافي مَن يشَاءُ فضلًا، ويُضلُّ مَن يشاءُ، ويخذلُ ويبتلي عدلًا، وكلُّهم يتقلبون في مشيئتِه بين فضلِه وعدلِه):

أي إنَّ العصمةَ والعافيةَ منَ الذنوبِ والضلالاتِ تكون بفضل الله تعالى ومنته، والضلال يكون بالخِذلان والحرمان من التوفيق، وهنا يظهر الفرق بين معاملة الله تعالى للطائعِ والعاصي:

فالطائع: يعاملُه الله بفضلِه. **والعاصي**: يعامله اللهُ بعدلِه.

فالله ﷻ يهدي الطائعَ الذي يعلمُ اللهُ ﷻ أنَّه يَصْلُحُ للهداية، ويحرصُ عليها، ويُقبِلُ عليها فيُيَسِّرُها له فضلًا منه ومنَّة، قال تعالى ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، وقال تعالى حكاية عن الجن ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [**الجن: ١٤**]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [**الليل: ٥ - ٧**]، فصار السببُ من العبدِ، والهدايةُ والعصمةُ من الضلالة من الله ﷻ فضلًا.

ويضلُّ من يشاءُ بسبب إعراضِه عن الهدايةِ، وعدمِ رغبتِه في الخيرِ عدلًا منه ﷻ، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [**مريم: ٧٥**]، وقال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [**الليل: ٨ - ١٠**].

فصار السببُ من العبدِ، والإضلال والغواية من الله عدلًا.

لذا قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [**البقرة: ٢٥٨**].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [**البقرة: ٢٦٤**].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [**المائدة: ١٠٨**].

فجعل الكفرَ والظلمَ والفسقَ من أسباب عدمِ الهدايةِ، وهذه من أفعالِ العبادِ، فجازاهم اللهُ عليها بالحرمان من الهداية عدلًا منه ﷻ.

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [**الصف: ٥**].

وإذا أعطى اللهُ ﷻ الهدايةَ والتوفيقَ إلى كلِّ الناسِ بما فيهم من الخير والشر

وسوَّى بينهم، فهذا يتنافي مع حكمتِه وعلمه، قال ﷻ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥].

وقال ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال ﷻ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

فالعملُ كلُّه من العبدِ سواء كان خيرًا أو شرًّا، والمجازاةُ من الله على الخيرِ فضلًا، وعلى الشرِّ عدلًا.

وهو مُتعالٍ عنِ الأضدادِ والأندادِ، لا رادَّ لقضائِه، ولا مُعقِّبَ لحكمِه، ولا غالبَ لأمرِه، آمنَّا بذلك كلِّه، وأيقنَّا أنَّ كُلًّا مِن عندِه.

قوله (**وهو مُتعالٍ عنِ الأضدادِ والأندادِ**): أي مرتفعٌ عنهم سبحانه، وعلوُّ الله تعالى علوٌّ بذاتِه، وعلوٌّ بقدْرِه، وعلوٌّ بقهرِه، وإن كان المراد هنا علوَّ القدر وعلوَّ القهر، فكل الأنداد والأضداد التي اتخذها الناس فالله متعال عنها، وكلها تحت قهره وقوته، ولا تقترب أو تدنو من قدره وكماله، ولا تنازعه في قوته وقهره، بل إنها لا تملك لنفسها منه نفعًا ولا ضرًّا، بل هي أيضًا مع ذلك تحت سمائه، وهو متعال عنها بذاته، فهو سبحانه على عرشه فوق السماوات العُلا.

قوله (**لا رادَّ لقضائِه**): وهذا دليلٌ على هيمنتِه وقدرتِه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [**فاطر: ٢**]، وقال جل جلاله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [**البقرة: ١١٧**].

قوله (**ولا مُعقِّبَ لحُكمِه، ولا غالبَ لأمرِه**): فالكل تحت قهره وقوته، ونافذٌ فيهم حكمُهُ، والمرادُ بالحكمِ والأمرِ هنا: الحكمُ الكونيُّ القدريُّ، والأمرُ الكونيُّ القدريُّ.

أقسام الحكم:

- **الحكمُ الكونيُّ القدريُّ:**

وهو الذي يحكم الله بوقوعه كونًا وقدرًا، وهذا الذي لا يستطيع أحد أن يرده، وهو المراد بقوله تعالى ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [**يوسف: ٨٠**]، وقوله ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [**الأنبياء: ١١٢**] أي انصر عبادك المؤمنين، وأهل الحق.

- **الحكم الدينيُّ الشرعيُّ:**

وهو ما يحكم الله به في دينه وشرعه، ويأمر عباده بالامتثال له، ومنه قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ **[المائدة: ١]**، وهذا الحكم قد يلتزمه العباد،أو يردونه ويرفضونه.

أقسام الأمر:

- **الأمر الكونيُّ القدريُّ:**

وهو الذي يأمر الله تعالى بوقوعه في الكون والقدر، وهو المراد بقوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ **[يس: ٨٢]**، وقوله ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا﴾ **[الإسراء: ١٦]**، وهذا لا يملك العبد أن يخالفه أو يرده.

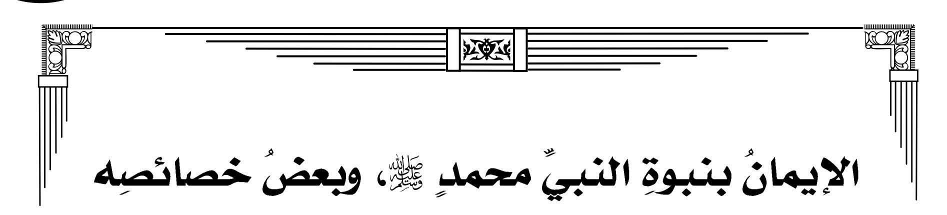
- **الأمر الدينيُّ الشرعيُّ:**

وهو الذي يأمر الله به في دينه وشرعه، وهو الذي يرجع لفعل العبد وصلاحه وفساده، فمنهم من يلتزمه، ومنهم من يرده، وهذا هو المراد في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ **[النحل: ٩٠]**.

فإذا أراد اللهُ أمرًا في الكون، وقدَّره كونًا، أو حكم به وقع، فلا أحدَ يغلب أوامرَه وأحكامَه الكونيةَ. أما الحكمُ الشرعيُّ والأمرُ الشرعيُّ: فمِنَ الناسِ مَن يقبلُه، ومنهم مَن يرفضُه ويردُّه، ولا يعملُ به.

وهذا البيان يبين أنَّ قول المصنف (لا معقب لحكمه) أنَّ المراد به الحكم الكونيُّ القدريُّ، وقوله (لا غالب لأمره) أنَّ المراد به الأمر الكونيُّ القدريُّ.

قوله (آمنَّا بذلك كلِّه، وأيقنَّا أنَّ كلًّا مِن عندِه): أي كلُّ ما سَبَقَ ذِكْرُه ندينُ لله سبحانه وتعالى به، ونؤمن به، وأنه كله أتى من عند الله تعالى.



الإيمانُ بنبوةِ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وبعضُ خصائصِه

وإنّ محمداً ﷺ عبدُهُ المُصطَفَى، ونبيُّه المُجتَبَى، ورسُولُه المُرتَضَى، وخاتمُ الأنبياءِ، وإمامُ الأتقياءِ، وسيدُ المرسلين، وحبيبُ ربِّ العالمين، وكلُّ دعوى نبوةٍ بعد نبوته فَغيٌّ وهوى، وهو المبعوثُ إلى عامَّةِ الجنِّ، وكافَّةِ الوَرَى، بالحقِّ والهدى، وبالنُّورِ والضياءِ.

هذه الجملةُ جمعتْ بعض صفاتِ النبيِّ ﷺ فهو: عبدٌ، ونبيٌّ، ورسولٌ، وخاتمُ الأنبياءِ والمرسلين، وحبيبُ وخليلُ ربِّ العالمين، وبِعْثَتُه عامَّةٌ للجنِّ والإنسِ، وكافَّةِ الوَرَى.

قوله (وإنَّ محمدًا ﷺ عبدُهُ المُصطَفَى، ونبيُّه المجتبَى، ورسُولُه المرتَضَى):

وهذا يعني أنَّ الإيمانَ بأنَّ محمدًا رسولُ الله ﷺ منَ التوحيدِ؛ وذلك لأنَّ توحيدَ اللهِ يُطلَق ويُعنَى به العقيدة عامَّة، فكلُّ أركانِ الإيمانِ تدخلُ في توحيد الله، ومن ضمن أركانِ الإيمانِ " الإيمان بالرسل"، ومنها " الإيمانُ بأنَّ محمدًا رسولُ الله ".

وكذلك لأنَّ رسولَ الله ﷺ هو طريقُ التوحيدِ، فتوحيدُ اللهِ لم يُعلمْ إلا عن طريقِ الرسل، قال ﷻ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

قوله (وإنَّ محمدًا عبدُهُ المُصْطَفَى):

وبدأ بقوله (**عَبْدُهُ**)؛ لأنَّ تحقيقَ العبوديةِ الخالصةِ أعلى المقامات، ولأنَّ صفةَ العبوديةِ تكون سابقةً للنبوةِ.

ولعُلُوِّ مقام العبوديةِ وُصِف به النبي ﷺ عند المقاماتِ الساميةِ، ومنها:

- عند الوحي إليه: قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ** ﴿١٠﴾﴾ [**النجم: ١٠**].

- عند الدعوة: قال جل جلاله: ﴿**وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴿١٩﴾﴾ [**الجن: ١٩**].

- عند رحلة الإسراء: قال عز وجل: ﴿**سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴿١﴾﴾ [**الإسراء: ١**].

- عند التحدي لأعداء الدين والدفاع عنه: قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴿٢٣﴾﴾ [**البقرة: ٢٣**].

وهذا يبين أنَّ مقامَ العبوديةِ أعلى المقامات، وذلك عند تحقيق العبودية الخالصةِ.

قوله (المُصْطَفَى):

الاصطفاءُ: هو الاختيارُ والاجتباءُ، قال سبحانه وتعالى: ﴿**ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ** ﴿٧٥﴾﴾ [**الحج: ٧٥**].

عنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[1].

والاصطفاء قد يكون لذات العبد كاختياره لرسالة ربه؛ لصفاء قلبه، وكمال تحقيقه للعبودية، وقد يكون الاصطفاء باصطفاء نسبه وأهله ومكانته، فجمع الله تعالى لنبيه الاصطفاءين معًا، فاصطفاه من بين العالمين وجعل قلبه أصفى القلوب

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٢٧٦).

وأنقاها، واصطفاه نسبًا ومكانة، فاختار كنانة واصطفاها من ولد إسماعيل، ومنها اصطفى قريشًا، ومن قريش اصطفى واختار بني هاشم، ومن بني هاشم اصطفى واختار أفضلهم وهو النبي محمد ﷺ، فهو حقًّا خيارٌ من خيارٍ من خيارٍ من خيارٍ.

قوله (ونبيُّه المُجْتَبَى):

النبيُّ: مأخوذ من النَّبْوَةِ وهي المَكَانُ المُرْتَفِعُ، والنَّبِيءُ: التَّلُّ من الرَّمْلِ، والطَّرِيقُ الواضِحُ يَأْخُذُ بكَ إلى حَيْثُ تُرِيْدُ[1].

والمعنى اللغوي يشير إلى معان هامة تتفق تمام الاتفاق مع المعنى الشرعي للنبي وهي:

- أنَّ النُّبُوَّةَ علوٌّ وارتفاعٌ في القرب والمكانة، وأَنْعِم بها من مكانة، وكذلك فعل العبد، وارتفاعه، وصفاء قلبه، وتحقيق العبودية الخالصة قد يكون سببًا في نبوته.

- وكذلك فإنَّ النبي واضح المعالم لا شبهة، ولا لبس فيه.

- وكذلك فإنَّ النبي يأخذ بأيدي العباد إلى ما يريده الله تعالى لهم، وهو الخير في الدنيا والآخرة.

الاجتباءُ: هو الاختصاصُ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٧].

قوله (ورسولُه المُرتَضَى):

فكلُّ رسولٍ رضِيٌّ عند اللهِ جل جلاله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [**الجن: ٢٦ - ٢٧**]، والرضا منازل ودرجات، والنبي ﷺ أعلاهم قدرًا ومنزلة، وأعظمهم نيلًا لرضى الله تعالى.

---

(١) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٢/ ٤٧٣).

س: ما الفرقُ بين النبي والرسول؟

ج: اختلف العلماء في الفرق بين النبي والرسول، وأقربُ الأقوالِ في ذلك – والله أعلم – أنَّ النبيَّ: هو من أُوحِي إليه بتشريعٍ، وأُمِر بتبليغه إلى قومٍ موافقين له.

والرسول: هو من أُوحي إليه بتشريعٍ، وأُمِر بتبليغه إلى قوم مخالفين.

ولذلك جاء في الحديث: «**إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ**»(١)؛ وذلك لأنَّ العالمَ يقوم في قومِه مقام النبيِّ أي في قومِه الموافقين له في التوحيدِ.

وقال البعض: أنَّ النبيَّ مَن أُوحِيَ إليه بشرع إلى نفسِه، ويستدلون على ذلك بقول النبيِّ ﷺ لما عُرِضت عليه الأمم «**وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»(٢)، فلو كان أوحي إلى غيره لأتى معه من ءامن به، ويستبعد أن يُرسَل نبيٌّ إلى قومٍ، ولم يؤمِن به أحد.

ولكنَّ الأولَ أظهرُ – والله أعلم –؛ إذ الظاهر من قوله (وليس معه أحد) أنه لم يؤمِن به أحد، وليس هذا بمستبعد، فلقد ورد في الحديث أنَّ النبي قد يأتي يوم القيامة وليس معه إلا رجل واحد.

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ «**وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ**»(٣).

فلا مانع إذًا من أن يأتي نبي ولم يؤمن به أحد، والله يهدي من يشاء، فضلًا عن أنَّ قوله ﷺ «**والنبي وليس معه أحد**» جاء في معرض ذكر الأنبياء، وعدد أممهم، ففيه **قال** ﷺ: «**...عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ بِأُمَمِهَا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَمُرُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ...**»(٤).

---

(١) أخرجه: أحمد (٢١٧١٥)، أبو داود (٣٦٤١)، الترمذي (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٧٥٢)، مسلم (٢٢٠).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩٦).

(٤) أخرجه: أحمد (٣٨٠٦)، ابن حبان (٦٤٣١)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وله =

وكذلك فإنَّ العلماءَ والدعاة مأمورون بالتبليغِ، فكيف بالنبيِّ !!

بل توعد الله تعالى من كتم علمًا بأن يلجمَه بلجامٍ من نار يوم القيامة، وهذا لعامة الناس، فكيف بالأنبياء!!

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»(١).

س: ما هي الدلائل والعلاماتُ التي يُعرف بها النبيُّ أو الرسولُ ؟

ج: الدلائل والعلامات عند أهلِ السنةِ والجماعةِ متنوعةٌ، وكثيرة، منها: الكتب والآيات، والبراهين والمعجزات، وكذلك ما يجري في أحوال النبيِّ في خبره، وأمرِه، ونهيِه، وفعلِه، وكذلك سيرتُه، وخُلُقُه، وهديُه، وسَمْتُه، وكذلك يكوَن مُؤَيَّدًا بالتوفيق والبيان، ومنها أنَّ اللهَ ينصرُه ويُمَكِّنُ له في الغالب، وغير ذلك.

العلاماتُ التي أُيِّد بها النبيُّ محمدٌ ﷺ:

والعلاماتُ التي تحقَّقت في النبيِّ محمدٍ ﷺ كثيرةٌ، ومنها:

- القرآنُ الكريمُ:

فهو حجةُ اللهِ على الناس، وتحدَّى اللهُ ﷻ به الجنَّ والإنسَ على أن يأتوا بمثله، أو بسورة منه فعجزوا، فدلَّ على أنه ليس قول البشر، بل هو قول رب البشر، قال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣ - ٢٤].

- ومنها: آياتٌ وبراهينُ سمعيةٌ:

وذلك كتسبيحِ الطعامِ بين يديه ﷺ، **عنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: «فلقد رأيتُ**

=

شاهد من حديث ابن عباس عند البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(١) أخرجه: ابن حبان (٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢١).

الماءَ ينبعُ مِن بينِ أصابعِ النبيِّ ﷺ، ولقد كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يؤكلُ»(١).

- ومنها: آياتٌ وبراهينُ راجعةٌ إلى البصر:

وهو ما يبصر من أشياء لا تحصلُ لغيره مثل: انشقاق القمر قال تعالى ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ومنها نبعُ الماءِ من بين أصابعه، **عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاةُ العَصْرِ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، قَالَ: «فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ»**(٢).

- ومنها: آياتٌ وبراهينُ راجعةٌ إلى نطقِ مالا ينطق في العادة:

مثل: نطق الجمادات: كحنين الجذع، **عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قالَ: «كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ»**(٣).

ومِن ذلك تسليمُ الحَجَرِ عليهِ ﷺ:

عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»**(٤).

- ومنها امتثال بعض الجمادات لأمره ﷺ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٥٧٩).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١٦٩)، مسلم (٢٢٧٩).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٥٨٥).

(٤) أخرجه: مسلم (٢٢٧٧).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْنَ تُرِيدُ؟»، قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: «هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟»، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «تَشَهَّدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: هَلْ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «هَذِهِ السَّمُرَةُ»، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا، وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنْ يَتَّبِعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ فَكُنْتُ مَعَكَ[1].

عنْ جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِى حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِى، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ «انْقَادِى عَلَىَّ بِإِذْنِ اللهِ». فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِى يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الأُخْرَى، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ «انْقَادِى عَلَىَّ بِإِذْنِ اللهِ». فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِى جَمَعَهُمَا - فَقَالَ «الْتَئِمَا عَلَىَّ بِإِذْنِ اللهِ»، فَالْتَأَمَتَا قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِى فَيَبْتَعِدَ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ فَيَتَبَعَّدَ - ، فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِى، فَحَانَتْ مِنِّى لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا - وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا -، ثُمَّ أَقْبَلَ»[2].

- ومنها: إجابة دعائه ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ يَخْطُبُ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: قَحَطَ الْمَطَرُ، فَاسْتَسْقِ رَبَّكَ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، وَمَا نَرَى مِنْ سَحَابٍ،

---

(١) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (٦٥٠٥)، وصححه الألباني في المشكاة (٢٩٢٥)، وقال الأرنؤوط رجاله ثقات.

(٢) أخرجه: مسلم (٣٠١١).

فَاسْتَسْقَى، فَنَشَأَ السَّحَابُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ مُطِرُوا حَتَّى سَالَتْ مَثَاعِبُ الْمَدِينَةِ، فَمَا زَالَتْ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ مَا تُقْلِعُ، ثُمَّ قَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ: غَرِقْنَا، فَادْعُ رَبَّكَ يَحْبِسْهَا عَنَّا، فَضَحِكَ، ثُمَّ قَالَ" **اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا"، فَجَعَلَ السَّحَابُ يَتَصَدَّعُ عَنِ الْمَدِينَةِ يَمِينًا وَشِمَالًا يُمْطِرُ مَا حَوَالَيْنَا، وَلَا يُمْطِرُ مِنْهَا شَيْءٌ يُرِيهِمُ اللهُ كَرَامَةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَإِجَابَةَ دَعْوَتِهِ"**[1].

وغير ذلك من الأدلة والبراهين التي أيد الله سبحانه وتعالى بها نبيه ﷺ.

قوله (وخاتمُ الأنبياءِ):

خاتم: من خَتَمَ القرآنَ بَلَغَ آخِرَه، واخْتَتَمَ الشيء ضد افتتحه، و الخَاتَمُ بفتح التاءِ وكسرِها والخَيْتامُ والخَاتَامُ كله بمعنى، والجمع الخَوَاتِيمُ، وتَخَتَّمَ لَبِس الخاتم، وخاتِمةُ الشيء آخره[2].

فالخاتم تعني الآخر، وقد تعني ما يُتزيَّن به كالخاتم الذي يُتزيَّن به، والمعنيان متحققان في النبيِّ محمدٍ ﷺ، فهو آخر الأنبياء، قال الله تعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

عنْ ثوبانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «...**وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[3].

عنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى**

---

(١) أخرجه: البخاري (٥٦٢٨).

(٢) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي (١/ ١٩٦).

(٣) أخرجه: أحمد (٢٢٣٩٥)، أبو داود (٤٢٥٢)، الترمذي (٢٢١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٣).

عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»(١).

وهو أيضًا زينتُهم ﷺ، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»**(٢).

وكونُه خاتمَ الأنبياءِ لا يتعارضُ مع نزولِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حيث إنَّه ينزل فيحكمُ بشريعةِ محمدٍ ﷺ، عنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»**.

وفي روايةٍ لمسلمٍ قَالَ ﷺ: **«كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟»**.

قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: «فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ»(٣).

قوله (وإمامُ الأتقياءِ):

الأتقياءُ هم الأصفياءُ الذين بلغوا الدرجات العلا في الخوف من الله تعالى، فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه، والنبيُّ ﷺ هو إمامُهم، وهذا يدلُّ على بطلان دعوى الشيعة وبعض الصوفية القائلين أنَّه قد يمكن لأحد الخروج عن الإئتمامِ بالنبي محمد ﷺ، أو أن يخرجَ عن شريعتِه؛ بحجة أنه وصل لدرجة من التقوى والولاية تمكنه من الخروج عن شريعة النبي ﷺ، كما وسِع الخضِر الخروج عن شريعةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكل هذا باطل؛ لأنَّ كلَّ تقيٍّ جاء بعده فلا يكونُ تقيًّا إلا بالإئتمام به ﷺ، واتِّباعه.

فهو إمام الأتقياء الذين اتقوا الشرك، والتزموا التوحيد، وهم أهل التوحيد.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٥٣٢)، مسلم (٢٣٥٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٥٣٥)، مسلم (٢٢٨٦).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٤٧٦)، مسلم (١٥٥).

وهو إمام الأتقياء الذين التزموا الأوامر وامتثلوها، واجتنبوا المحرمات والمحظورات، وهم المقتصدون.

وهو إمام الأتقياء الذين اتقوا الله حق تقاته، وهم السابقون.

فهو إمامُ كلِّ تقيٍّ ﷺ.

قوله (وسيِّدُ المُرسَلين):

عنْ أبي سعيدٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»[1].

والسيد: هو الإمامُ المقدَّمُ.

- فهو إمامهم، وهو المُقَدَّم عليهم في القرب والخُلَّة من الله، **عن ابنِ مسعودٍ** رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ«**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[2].

- وهو إمامهم، والمُقَدَّم عليهم في الصلاة حيث أَمَّهم ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ**»، **قَالَ: " فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي**

---

(١) أخرجه: أحمد (١٠٩٨٧)، الترمذي (٣١٤٨)، ابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٨)، وله شاهد أيضًا من حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٢٧٨).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٣٨٣).

بِالسَّلَامِ»[١].

– وهوإمامهم، والمُقَدَّم عليهم في عدد أمته، عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ" **عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ هذَا مُوسى وَقَوْمُهُ؛ ثُمَّ قِيلَ لي انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي انْظُرْ هكَذَا وَهكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ هؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بَغَيْرِ حِسَابٍ.....**"[٢].

– وهو إمامهم، والمُقَدَّم عليهم في حساب أمته يوم القيامة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: " **نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ، وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ** "[٣].

– وهو إمامهم، والمقَدَّم عليهم في دخول الجنة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ** "[٤].

فهو حقًّا سيد المرسلين، وإمامهم، والمُقَدَّم عليهم.

– ومن معانيها (المرجع) فهو أيضًا سيدهم ومرجعهم حيث يُرجِعون إليه أمرَ الشفاعة في عرصات القيامة،وذلك كما جاء في الحديث الطويل، وفيه:" **فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ،**

---

(١) أخرجه: مسلم (١٧٢).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٧٠٥)، مسلم (٢٢٠).

(٣) أخرجه: ابن ماجه (٤٢٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٤٩).

(٤) أخرجه: مسلم (١٩٧).

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ...»[1]..

قوله (وحبيبُ ربِّ العالمين):

قال العلماءُ: والأولى أن يقالَ (وخليلُ ربِّ العالمين)، عنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ«**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا،**

وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ»[2].

فالمحبةُ مراتب: أعلاها الخُلَّة.

والخُلَّة هي: المحبة التي تخللت القلب، فصارت خلاله أي في باطنه[3].

فالخلة هي: تَخَلُّلُ المحبةِ في القلبِ، فلا يبقى في القلب مكانٌ لغيره، وهذه درجه لا ينالها كلُّ أحد، بل لم تثبت إلا للنبي ﷺ، ونبي الله وخليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أما درجة المحبة فلقد نالها كثيرٌ من عباد الله تعالى، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ **[البقرة: ٢٢٢]**، وقال﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ **[البقرة: ١٩٥]**، وقال﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ **[آل عمران: ٧٦]**، وغير ذلك.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٥١٠)، مسلم (١٩٣).

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) المعجم الوسيط (١/ ٢٥٢).

قوله (وكلُّ دعوى نبوةٍ بعد نبوته فغَيٌّ):

أي: كل دعوى النبوة بعده كفر وضلال.

قوله (وهوى):

أي أنها ناشئةٌ عن الهوى، وليس ثمَّ شبهةٌ في هذا.

قالَ النبيُّ ﷺ: «**وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(١).

قوله (وهو المبعوثُ إلى عامَّةِ الجنِّ، وكافَّةِ الوَرَى، بالحقِّ والهُدى، وبالنُّورِ والضياءِ):

وبعثة النبي ﷺ كانت لكافة الورى، وقد دلَّ القرآنُ على هذا في غير موضع: قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [**الأنعام: ١٩**]، ولقد بلغ الإنذارُ للإنس والجنِّ.

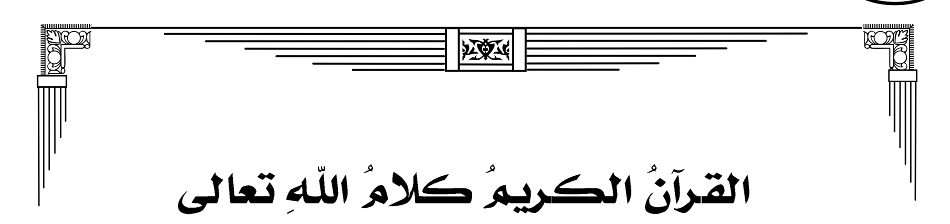
وقال جل جلاله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [**الفرقان: ١**]، وهذا عامٌّ في الجنِّ والإنسِ؛ لأنهم يدخلون في لفظ العالَمِين.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [**الأحقاف: ٢٩**].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [**الرحمن: ١٣**]، أي: الجن والإنس، وغير ذلك من الأدلة.

---

(١) سبق تخريجه.



القرآنُ الكريمُ كلامُ اللّهِ تعالى

وإنّ القرآنَ كلامُ اللهِ عَزّ وَجَلّ، منه بدأ بلا كيفيةٍ قولًا، وأنزله على نَبِيّه وحيًا، وصدّقَه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيْقَنوا أنّه كَلَامُ اللهِ تعالى بالحَقيقةِ، ليس بمخلوقٍ ككلامِ البَرِيّةِ، فمَن سمِعَه فزعَمَ أنه كلامُ البشرِ فقد كَفَرَ.

مسألة (كلام الله تعالى) مسألةٌ هامَّةٌ اختلف الناسُ فيها، وقيل: إنَّ أهلَ الكلامِ سمُّو بذلك لخلافهم في مسألة الكلام، وقيل إنَّ أولَّ مَن تكلم في تلك المسألةَ الجعْدُ بنُ درهمٍ[١] الذي قتله خالدُ بنُ عبد الله القسري[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولأجلِ ذا ضَحَّى بجعدٍ خالدُ الـ	**ـقسريُّ يوم ذبائح القربان**
إذ قال إبراهيمُ ليس خليله	**كلا ولا موسى الكليم الداني**
شَكَرَ الضحيةَ كلُّ صاحبِ سنةٍ	**لله دَرُّك من أخي قربان[٣]**

---

(١) الجعد بن درهم: مبتدع ضال، له أخبار في الزندقة، قال الذهبي: عداده في التابعين، مبتدع ضال، قال ابن الأثير: وقيل: كان الجعد زنديقًا شهد عليه ميمون بن مهران، فطلبه هشام، فظفر به، وسَيَّره إلى خالد القسري في العراق، فقتله يوم النحر في نحو ١١٨ هـ.

(٢) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم، ولي مكة سنة ٨٩ هـ للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ، فأقام بالكوفة، وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠هـ، توفي عام ١٢٦ هـ.

(٣) متن القصيدة النونية لابن القيم (١/ ٧).

قوله (وإنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ):

وكل هذا عَطْفٌ على ما سبق ويكون المعنى: نقول في توحيد الله: إنَّ اللهَ واحدٌ لا شريك له، وإنَّ محمدًا ﷺ عبدُه المُصْطَفَى، وإنَّ القرآنَ كلامُ الله.

فالكلامُ في القرآن كلامٌ في ركنٍ من أركانِ الإيمانِ؛ وذلك لأنَّ الإيمانَ هو: الإيمانُ بالله، وملائكتِه، وكتبِه،...، فالكلام في القرآن وكلام الله تعالى هو من الإيمان بالكتب.

قوله (وإنَّ القرآنَ):

القرآن: مِنَ القراءة. والقرآنُ يُطْلَقُ في الشرع على كلِّ ما أنزله الله على نبيٍّ من الأنبياء، وأُطلق بعد ذلك على آخر الكتب من بابِ الاختصاصِ.

عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقولُ:«**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ**»[1]، فسمَّى كلَّ ما يتلوه نبيٌّ من الأنبياء مما أنزله الله تعالى عليه قرآنًا، ثم أصبح خاصًّا بما أنزلَ على محمدٍ ﷺ وأمتِهِ.

قوله (كلامُ اللهِ):

الكلامُ: مأخوذٌ من ثلاثةِ أحرفٍ: الكاف، واللام، والميم، وصفات هذه الحروفِ، واشتقاقاتُها، وتصريفاتُها تدلُّ على القوةِ والشدةِ، وليس فيها معنى من معاني اللينِ والرَّخاوة.

مثال:

لَكَمَ: اللَّكم هو اللكز في الصدر، ومنها المُلَكَّمة وهي القرصة المضروبة باليد.

مَلَكَ: الملك ما ملكت اليد من مالٍ وخَوَل.

كَلَم: جَرَحَ، ومنه الكَلْم وهو الجُرْح، والكُلَامُ: الأرض الصلبة ذات حجارة

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٥٤٤)، مسلم (٧٩٢).

وجَصٍّ.

كمُل: أي تمَّ.

مَكِلَ: يُقال مَكِلَتِ البئر أي اجتمعَ الماءُ في وسطِها وكَثُر.

لَمَكَ: يقال لَمَكْتُ العجينَ إذا عجنتُه[١].

فكلُّ هذه المعاني تدل على معاني القوةِ، وهذا يعارض من ناحية أصل الاشتقاقِ قولَ القائلِ أنَّ كلامَ اللهِ كلامٌ نفسيٌّ؛ لأنَّ حديثَ النفسِ فيه الضعف والاختفاء واللين.

الكلام لغة:

كلَّمَه تكليمًا وَجَّه الحديث إليه، تكالم المتقاطعان: تحادثا بعد تهاجر، تَكَلَّم: نطق بكلام، ويقال تكلم كلامًا حسنًا، وبكلام حسن، الكلام في أصل اللغة: الأصوات المفيدة[٢].

الكلام في اصطلاح النحاة: اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها[٣].

وهذا يدل على أنَّ المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي متوافقان في أنَّ الكلام أصوات وألفاظ مفيدة لا بد أن تتعدى قائلها.

قوله (كلامُ اللهِ):

كلام الله صفة من صفاته تعالى، حيثُ أضيفت إلى الله، وما يُضاف إلى الله نوعان:

---

(١) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٢/ ٥٣).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٧٩٦).

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (مجـ ١ - جزء١ - صـ ١٥).

الأول: إضافةُ أعيانٍ مخلوقةٍ قائمةٍ بذاتِها وهي نوعان:

١- (إضافةُ تشريفٍ) مثل: بيت اللهِ - ناقة اللهِ.

٢- (إضافةُ ملك) مثل: عبد اللهِ.

والنوعان من إضافةِ المخلوق إلى الخالق.

الثاني: إضافةُ صفاتٍ ومعانٍ غيرِ قائمةٍ بذاتِها

مثل: صفة الكلام، والعلم، والحياة، ونحوها، فهذه ليست مخلوقة إنما هي صفاتٌ لله تعالى.

صفة الكلام من الصفات التي أصبحت فارقةً بين أهل السنة وأهل البدع وعلامة عليهم، فأهل السنة يثبتونها كغيرها من الصفات بلا كيفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، وأما أهل البدع كالأشاعرة والجهمية وغيرهم، فمنهم من نفاها مطلقًا، ومنهم من حرَّف معناها، ومنهم من عطَّلها عن معناها، فاتفقوا في نفي المعنى الحقيقي، واختلفوا في طرقه.

۞ أدلةُ مَن نَفَى صفة الكلام ومناقشتها:

- قالوا: إنَّ صفةَ الكلامِ صفةُ نقصٍ؛ وذلك لأنَّ مقتضاها تشبيهُ الخالقِ بالمخلوقِ، لأنَّ الكلام يستلزم فمًا وأسنانًا وحنجرة، ونحو ذلك.

وهذا غيرُ صحيحٍ من وجهين:

الأول: أنَّ القاعدة العامة في أسماء الله وصفاته قولُه ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ **[الشورى:١١]**، فليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإثبات أصل الصفة لا يعني التمثيل، فإنه ليس كمثله شيء.

الثاني: أنَّ صفة الكلام صفة كمال، وعدمها صفة نقص؛ لذا فإنَّ الذي لا يتكلم لا يستحقُّ أن يكونَ إلهًا؛ لذا بين الله سبحانه لبني إسرائيل ضلالهم في اتخاذهم العجل إلهًا، ونفى عن العجل صفة الألوهية بأنه لا يتكلم، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ

قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [**الأعراف: ١٤٨**].

فدلَّ ذلك على أنَّ صفةَ الكلامِ ليست نقصًا، بل هي صفة كمال، وعدمها هو صفة النقص، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

- وقالوا إنَّ كلام الله تعالى ليس صفة من صفاته ولكنه مخلوق من مخلوقاته:

واستدلوا بأدلة منها:

- قول الله تعالى﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [**الرعد: ١٦**].

والقرآن شيءٌ فدلَّ على أنَّه مخلوقٌ، وهذا يدل أنَّ الله لم يتكلم به على الحقيقة.

والجواب عليهم:

أنَّ ما ذكروه ليس مرادًا من الآية، بل المعنى: أنه خالقُ كلِّ شيءٍ مخلوقٍ، فليس المراد إثبات الخلق لكل شيء بإطلاق حتى أسمائه وصفاته، بل المراد هو انفراده وحده بخلق المخلوقات، فلا خالق للمخلوقات غيرُه.

ومن الناحية الأصولية، فهذا عامٌّ أُريد به الخصوص، وهو كثير في القرآن ومنه:

قال ﷻ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [**الأحقاف: ٢٥**].

ولم يُدَمِّر كلُّ شيء، والدليل قولُه ﷻ (فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ).

والمعنى تدمِّرُ كلَّ شيءٍ أُمِرَت بتدميرِه.

و قوله ﷻ: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [**النمل: ٢٣**].

أي: كلُّ شيءٍ يؤتاه الملوكُ، وهكذا، فالخاص المراد هنا: أنه خالق كل شيء مخلوق.

- ومن أدلتهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣].

قالوا: وجعلناه أي: خلقناه بدليل قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠]، والمعنى: وخلقنا من الماء.

وقال تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] أي وخلق الظلمات والنور، وهكذا.

والجواب على ذلك:

أنَّ (جعل) تأتي في اللغة على معانٍ منها: أن تكون بمعنى خلق، وذلك إذا نصبت مفعولًا واحدًا، أو لا تكون بمعنى خلق، وذلك إذا نصبت مفعولين.

أمثلةٌ للتوضيح:

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠].

(وجعلنا) نصبت مفعولًا واحدًا، وهو (كل)، فتكون بمعنى خلق.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

(وجعل) هنا نصبت مفعولًا واحدًا، وهو(الظلمات) فتكون بمعنى خلق.

قال جل جلاله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١﴾ [الأنبياء: ٣١].

و(جعلنا) هنا نصبت مفعولًا واحدًا وهو (رواسي) فتكون بمعنى خلق.

لكنها إن نصبت مفعولين لا تكون بمعنى خلق.

أمثلة:

قال جل جلاله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ

سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

فهنا نصبت مفعولين وهما: (الملائكة – إناثًا)، فلا تكون بمعنى خلق، بل تكون بمعنى اعتَقَدُوا أو وَصَفُوا أو نحو ذلك، وإلا فعلى قولهم يكون المراد وخلقوا الملائكة – عياذًا بالله تعالى –.

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٢٤].

(تجعلوا) هنا نصبت مفعولين وهما (لفظ الجلالة"الله" – عرضة) فهل يصح أن تكون بمعنى خلق ويكون المعنى: ولا تخلقوا الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وعلى هذا: فالآية التي استشهدوا بها من قبيل الأدلة الثانية ليست الأولى؛ لأنَّ (جعل) فيها نصبت مفعولين فلا تكون بمعنى خلق وهي:

قوله ﷻ:" إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "، والمفعولان هما (الهاء – قرآنًا)، والمعنى "إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا"، قال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢]، وقال ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣]، وقال ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧]، وقد يكون المعنى "إنا أوحيناه قرآنًا عربيًّا" كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: ٧]، أو نحو ذلك من المعاني.

– واستدلوا أيضًا ببيت شعر للأخطل[١] النصراني يقول فيه:

---

(١) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم، وقيل إنه أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل، نشأ على المسيحية، توفي عام ٩٠ هـ.

إنَّ الكــلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا   جُعِـل اللســانُ علـى الفـؤادِ دلـيلًا

وقالوا إنَّ هذا يدلُّ على أنَّ أصل الكلام يكون في القلب لا في اللسان، وهذا يدل على أنَّ كلام الله كلام نفسي، وليس على حقيقته.

والجواب عنهم:

أولًا: قيل إنَّ هذا البيتَ لا يوجدُ في ديوان الأخطلِ، فهو غير صحيح النسبة إليه.

قال شيخ الإسلام: فمِن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره، وقالوا: إنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه، وهذا يُروَى عن محمد بن الخشاب، وقال بعضهم لفظه: إنَّ البيان لفي الفؤاد[(١)].

قالَ أَبُو مُحَمَّد الخشاب[(٢)] نحويُّ الْعرَاق: فتَّشْتُ شعر الأخطل المدوَّن كثيرًا فَمَا وجدتُ هَذَا الْبَيْتَ[(٣)].

ثانيًا: وإن صحت نسبته للأخطل فلا يصح الاستدلال به لأمور، منها:

- أنَّ الأخطل النصراني ليس شاعرًا قديمًا، بل هو من المولَّدين.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبالجملة، فمَنِ احتاج إلى أن يعرف مُسَمَّى الكلام في لغة العرب، والفرس، والروم، والترك، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر، فإنه مِن أبعدِ الناس عن معرفة طرق العلم، ثم هو من المولَّدين، وليس من الشعراء

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ١٣٨).

(٢) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، البغدادي ابن الخشاب، الإمام العلامة المحدث، إمام النحو، ولد سنة ٤٩٢هـ، فاق أهل زمانه في علم اللسان، قال السمعاني: هو شاب كامل، فاضل، له معرفة تامة بالأدب، واللغة، والنحو، والحديث، توفي عام ٥٦٧هـ.

(٣) العلو للعلي الغفار للذهبي (١/ ٢٦٦).

القدماء[١].

- إنَّ الاحتجاج باستعمال الشعراء يكون لمعرفة المعاني لا لمعرفة الحدود، فإنهم لم يضعوا حدودًا، وإنما استعمالات للألفاظ ليعلم معانيها في لغتهم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مُسَمَّى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه في لغتهم، كما عرفوا مُسَمَّى الرأس واليد والرجل.

وأيضًا، فالناطقون باللغة يُحْتَجُّ باستعمالهم للألفاظ في معانيها، لا بما يذكرونه من الحدود، فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم: إنَّ الرأس كذا، واليد كذا، والكلام كذا، واللون كذا، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها، فتعرف لغتهم من استعمالهم.

فعُلِم أنَّ الأخطل لم يُرِد بهذا أن يذكر مسمى الكلام، ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة، وإنما أراد - إن كان قال ذلك - ما فسره به المفسرون للشعر، أي: أصل الكلام من الفؤاد، وهو المعنى، فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين، ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ ولهذا قال:

لا يُعْجِبَنَّك من أثير لفظُهُ ... حتى يكون مع الكلام أصيلًا

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنما ... جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلًا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل؛ ولهذا قال: حتى يكون مع الكلام أصيلًا، وقوله: مع الكلام: دليل على أنَّ اللفظ الظاهر قد سماه كلامًا، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه، وهذا حجة عليهم، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله: [مع الكلام] مطلق. وقوله: إنَّ الكلام لفي الفؤاد. أراد به

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ١٣٩).

أصله ومعناه المقصود به، واللسان دليل على ذلك[١].

- وكذلك إن صحت نسبته، فكيف يُرَدُّ كلامُ الله تعالى ورسوله ببيت شعر، إنَّ هذا لا يكون من فعل عوام المسلمين فضلًا عمَّن يدَّعِي لنفسه العلم.

- وكذلك إن ثبت فهو كلام لنصراني، فكيف تؤصل العقيدة عامة فضلًا عن أسماء الله وصفاته بكلام نصارى أخطأوا في أصل التوحيد، ووصفوا الله تعالى بما لم يصف به نفسه، وقالوا إن الله ثالث ثلاثة، واتهموه سبحانه بالنقائص والمعائب.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو نصراني كافر مُثَلِّث، واسمه الأخطل، والخَطَل فساد في الكلام، وهو نصراني، والنصارى قد أخطأوا في مسمى الكلام، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله[٢].

ثالثًا: عامةُ أهلِ البدعِ يردُّون حديثَ الآحادِ ويقولون: لا يصلح أن يُستدلَّ به في العقيدة، ويقولون: إنَّ ذلك احتياطٌ للعقيدة وعظمها وجلالة قدرها، فكيف يُرَدُّ حديثُ الآحادِ، ويُستشهَدُ ببيتِ شعر لنصراني في العقيدةِ، إنَّ هذا لأمرٌ عُجاب!!

- ومن أدلتهم:

قولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ **[القصص: ٣٠]**.

فقالوا: وهذا دليل أنَّ الذي تكلم هو الشجرة، وليس الله تعالى لقوله (من الشجرة).

والجواب:

أولًا: أنَّ معنى (من شاطئ) أي (من ناحية شاطئ)، وهي من باب حذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إليه مقامَه، وهي من دلالة الاقتضاء، وهو استخدام

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ١٣٩-١٤٠).

معلوم في لغة العرب.

ثانيا: تمام الآية يُبْطِلُ قولَهم حيث قال الله ﷻ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فهل يجوز للشجرة أن تقول ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وهذا مما احتج به الدارمي[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ على رجل منافح عن الجهمية حيث قال:

وأخبر الله تبارك وتعالى أنه كلَّم موسى تكليمًا، وقال هؤلاء لم يكلمه الله بنفسه، ولم يسمع موسى نفس كلام الله، إنما سمع كلامًا خرج إليه من مخلوق، ففي دعواهم دعا مخلوقٌ موسى إلى ربوبيته، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢]، فقال له موسى في دعواهم صدقتَ، ثم أتى فرعون يدعوه أن يجيب إلى ربوبية مخلوق كما أجاب موسى في دعواهم، فما فرق بين موسى وفرعون في مذهبهم في الكفر؛ إذًا فأي كفر أوضح من هذا؟![2].

كل هذا يدل على أنَّ الكلام صفة من صفات الله تعالى، وهي على حقيقتها كغيرها من الصفات؛ إذ إنَّ الأصل في الألفاظ والمعاني أنَّها على الحقيقة، ولا يُنتَقَل عنِ الأصلِ إلا بدليل يساوي هذا الأصلَ، أو أقوى منه.

أدلة أهل السنة لإثبات صفة الكلام:

ومن الأدلة التي تدل على إثبات صفة الكلام:

- قال ﷻ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

فـ(تكليمًا) هنا مفعولٌ مطلقٌ مُؤَكِّدٌ للفعل، وتأكيد الكلام باسم المصدر يدل

---

(١) الدارمي: عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد: الإمام، العلَّامة، الحافظ، الناقد، أبو سعيد، ولد قبل المئتين بيسير، وطوف الأقاليم في طلب الحديث، وصنف كتابًا في " الرد على بشر المريسي "، وكتابًا في " الرد على الجهمية "، وكان لهجًا بالسنة، بصيرًا بالمناظرة، توفي عام ٢٨٠هـ.

(٢) الرد على الجهمية (١/ ١٩٨).

على الحقيقة أي أنَّ الله تعالى كلم موسى كلامًا حقيقيًّا، والتأكيد ينفي احتمالية التأويل، أو ما يسمَّى بالمجاز.

– قال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ **[التوبة: ٦]**.

وكلام الله ﷻ نوعان:

أ – كلام كوني قدري.

ب – كلام ديني شرعي.

وكلاهما كلام الله، وصفة من صفاته.

– و من الأدلة قوله ﷻ: **﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾** **[الأعراف: ٥٤]**.

والواو تقتضي المغايرة، فالأمرُ غيرُ الخلق، والأمر من الكلام، فدل على أنَّ الكلام غير مخلوق.

– ومما يدل على ذلك أيضًا الإجماع أنَّ الكلام في الصلاة يبطلها، قال ابن المنذر[1]: وأجمعوا على أنَّ مَن تكلم في صلاته عامدًا، وهو لا يريد إصلاح شيء من أمرها أنَّ صلاته فاسدة[2]، مع أنَّ من حدَّثَ نفسه في الصلاة لا تبطل صلاته، فدل على أنَّ حديث النفس ليس كلامًا.

– **ومن الأدلة الدالة على إثبات صفة الكلام:** ما ورد من استعاذة النبي ﷺ

---

(١) ابن المنذر: هو الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام، أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه، صاحب التصانيف مثل (الإشراف في اختلاف العلماء)، و(الإجماع)، و(المبسوط)، وغير ذلك، ولد في حدود موت أحمد بن حنبل، وتوفي عام ٣١٨هـ.

(٢) الإجماع لابن المنذر (صـ٣٨).

بكلمات الله، ولو كان كلام الله مخلوقًا لكان النبي ﷺ قد استعاذ بالمخلوق – حاشاه –.

عنِ ابنِ عباسٍ قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُعَوِّذُ الحسنَ والحسينَ «**أعيذُكما بكلماتِ اللهِ التامَّةِ مِن كلِّ شيطانٍ وهامةٍ، ومِن كلِّ عينٍ لامةٍ، ويقولُ إنَّ أباكما كانَ يُعَوِّذُ بها إسماعيلَ وإسحاقَ**»[1].

عنْ أبي هريرةَ قالَ: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ ما لقيتُ مِن عقربٍ لدغَتْنِي البارحةَ، فقالَ «**أمَا لو قلتَ حينَ أمسيتَ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ مِن شرِّ مَا خلقَ لم تضرَّكْ**»[2].

قال ابن القيم[3] رَحِمَهُ اللَّهُ:

والله ربـي لـم يـزل متكلـمًا	وكلامـه المسـموع بـالآذان
صـدقًا وعـدلًا أُحكِمَـت كلماتُـه	طلبًـا وإخبـارًا بـلا نقصـان
ورسـوله قـد عـاذ بالكلمـات مـن	لـدغ ومـن عـينٍ ومـن شـيطانِ
أيُعَـاذُ بـالمخلوق حاشـاه مـن الــ	إشـراك وهـو معلـم الإيمـان
بـل عـاذ بالكلمـات وهـي صـفاته	سـبحانه ليسـت مـن الأكـوان
وكـذلك القـرآن عـين كلامـه المـ	ـسموع منـه حقيقـة ببيـان
هـو قـول ربـي كلـه لا بعضـه	لفظًـا ومعنـى مـا همـا خلقـان
تنزيـل رب العـالمين وقولـه	اللفـظ والمعنـى بـلا روغـان[1]

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٣٧١).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٧٠٩).

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين ولد عام ٦٩١ هـ، تتلمذ على ابن تيمية، وسجن معه في قلعة دمشق، وألَّف تصانيف كثيرة منها: (إعلام الموقعين)، و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية)، و(مدارج السالكين)، وغيرها، توفي عام ٧٥١ هـ.

ومع كل هذا البيان والوضوح لمسألة الكلام في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لم يهتد أهل البدع لذلك؛ إذ التوفيق بيد الله تعالى، بل إنهم لما عجزوا عن إثبات ضلالهم فبدلًا من أن يرجعوا عن قولهم، ويتوبوا، ويئوبوا إلى ربهم جنحوا جنحًا غريبًا عجيبًا يبين ضلالهم، وفساد طويتهم، جنحوا إلى محاولة تحريف كتاب الله تعالى وتغييره، ومعارضته، وهذا الفعل منهم يدل على قناعتهم أنَّ القرآن لا يؤيد قولهم، ولا يشهد لهم؛ لذا حاولوا تغييره كما فعل اليهود والنصارى بكتبهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكتب قاضيهم أحمد بن أبي دؤاد على ستارة الكعبة "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "، لم يكتب وهو « السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ كلَّ مَن عارض بين الوحي والعقل، ورَدَّ نصوص الكتاب والسنة بالرأي الذي يسميه عقلًا لا بد أن ينقض تلك النصوص المخالفة لعقله، ويعاديها، ويود أنها لم تكن جاءت، وإذا سمعها وجد لها على قلبه من الثقل والكراهة بحسب حاله، واشمَأَزَّ لها قلبه، والله يعلم ذلك من قلوبهم، وهم يعلمونه أيضا، حتى حمل جهمًا الإنكارُ والبُغضُ لقوله" الرحمن على العرش استوى" على أن قال: لو أمكنني كشطُها من المصحف كشطتُها، وحمل آخرَ بُغضُ قولِه" وكَلَّمَ اللهُ موسى تكليمًا" على أن حرَّفها، وقرأها بالنصب "وكَلَّمَ اللهَ موسى تكليمًا" أي أنَّ موسى هو الذي كلَّم اللهَ وخاطَبَهُ، والله لم يُكَلِّمْه، فقال له أبو عمرو بن العلاء فكيف تصنع بقوله" وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ"؟! فبُهِتَ المُعَطِّل، وجرى بيني وبين بعض رؤساء هؤلاء مناظرةٌ في مسألة الكلام، فقال: نحن وسائر الأمة نقول القرآن كلام الله، لا ينازِعُ في هذهِ الإضافةِ أحدٌ، ولكن لا يلزم منها أن يكون الله بنفسه متكلمًا، ولا أنه يتكلم، فمن أين لكم ذلك؟ فقال له بعضُ مَن كان معي من أصحابنا: قد قال النبي" **إذا تكلم الله بالوحي**"، وقالت =

---

(١) متن القصيدة النونية لابن القيم (١/ ٣٧- ٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ١٨٤).

عائشة: ولشأني كان أحقر من أن يتكلم اللهُ فيَّ بوحي يُتْلَى"، فرأيت الجهميَّ قد عبَسَ، وبسَرَ، وكَلَحَ، وزَوَى وجهَه عنه كالذي شم رائحة كريهة أعرض عنها بوجهه، أو ذاق طعامًا كريهًا مُرًّا مذاقُهُ، وهذا أمرٌ لم يزل عليه كلُّ مُبْطِلٍ إذا واجَهْتَه بالحق المخالفِ له، وصدمتَه به، وقَلَّ مَن يَتَبَصَّرُ منهم عند الصدمة الأُولى، ولهذا قال بعض السلف: ما ابتدع أحدٌ بدعةً إلا خرجت حلاوة الحديث من قلبه، وقال بعض رؤساء الجهمية إما بشر المريسي أو غيره: ليس شيءٌ أبغضَ لقولِنا مِنَ القرآن، فأَقِرُّوا به، ثم أَوِّلُوه، وقال بشر أيضا: إذا احتجوا عليكم بالقرآن فغالطوهم بالتأويل، وإذا احتجوا بالأخبار فادفعوها[(١)].

قوله (مِنْهُ بَدَأَ بلا كيفيةٍ قولًا):

والقول: هو الكلام، أو كلُّ ما يُلفَظ، فكلُّ قولٍ في القرآن لفظٌ.

والقولُ نوعان:

- قول مطلق.
- قول مقيد.

القولُ المطلقُ: يراد به القولُ الجهري.

القولُ المقيدُ: يكون باعتبارِ القيد.

أمثلة:

قال محمدٌ: آمنتُ بالله، هذا قولٌ مطلقٌ.

قال محمد سرًّا: ءامنت بالله، فهذا قولٌ مقيدٌ.

قال محمد في نفسه: ءامنت بالله، فهذا قولٌ مقيدٌ.

ونلاحظ أنَّ كلَّ قولٍ في القرآن منسوبٌ إلى الله ﷻ قولٌ مطلقٌ غيرُ مقيدٍ.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ١٠٣٧، وما بعده)

فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

هذا قولٌ مطلقٌ، فهو ملفوظٌ جهريٌّ مسموعٌ.

قال ﷻ: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥].

هذا قولٌ مطلقٌ، فهو ملفوظٌ جهريٌّ مسموعٌ.

قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة: ٨]، هنا قولٌ مقيدٌ.

قوله (وأنزَلَه على نَبيِّه وحْيًا):

وهذه العبارة تدلُّ على أمورٍ منها: أنَّ الله سبحانه في العلو، وأنَّ القرآنَ كلامُ الله لأنه وحي، وأنه نزل من عنده.

وقال أهلُ البدع: الإنزالُ لا يدلُّ على أنَّ القرآنَ كلامُ الله غير مخلوق؛ لأنَّ اللهَ ﷻ قال ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر: ٦].

وغير ذلك من الآيات، وهذه أشياءٌ مخلوقةٌ إذًا القرآنُ مثلها مخلوقٌ.

وهذا جمع مع الفارق، فهناك فرقٌ بين الإنزالين:

أنَّ الإنزالَ في القرآنِ نُسِبَ إلى الله ﷻ، قال تعالى﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ١٠٢]

أما الإنزالُ في الأشياءِ الأخرى يُذْكَر عمومًا كما سبق.

قوله (وحيًا):

الوحيُ في اللغة: الكتابُ، وجمعه وُحِيٌّ، والوَحْيُ أيضًا: الإشارةُ، والكتابةُ،

والرسالةُ، والإلهامُ، والكلامُ الخفيُّ، وكلُّ ما ألقيتَه إلى غيرك. يقال: وَحَيْتُ إليه الكلامَ وأوْحَيْتُ، وهو أن تكلِّمه بكلامٍ تُخْفِيه(١).

وقيل: الوحي لغة الإعلام في خفاء، والوحي أيضا الكتابة، والمكتوب، والبعث، والإلهام، والأمر، والإيماء، والإشارة، والتصويت شيئًا بعد شيء، وقيل: أصله التفهيم، وكل ما دلَّلْتَ به من كلام، أو كتابة، أو رسالة، أو إشارة، فهو وحي(٢).

الوحيُ في الشرع: هو إعلامُ النبيِّ ﷺ بشيءٍ: إما مشافهة، أوبكتاب، أو برسولٍ، أو بمنامٍ، أو بإلهامٍ.

وقيل: هو الإعلام بالشرع، وقد يطلق الوحي ويُرَاد به اسمُ المفعولِ منه أي المُوحَى، وهو كلام الله المُنَزَّل على النبي ﷺ(٣).

أنواعُ الوحـــي:

الوحيُ نوعانِ وهما:

الأول: وحيٌ عامٌّ: ويكون بالرؤيا، والإلهام، وغيرِ ذلك، ويكون للأنبياء وغيرِ الأنبياء. قال ﷻ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [**القصص: ٧**].

وقال ﷻ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [**النحل: ٦٨**].

وقوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [**المائدة: ١١١**].

---

(١) الصحاح في اللغة للجوهري (٢/ ٢٧٠).

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٩).

(٣) المصدر السابق.

الثاني: وحيٌ خاصٌّ: وهو لا يكون إلا للأنبياء فقط، ويكون بطرق منها: طريق التكليمِ المباشرِ كما حدث مع نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنبي محمد ﷺ في الإسراء والمعراج، أو عن طريق إرسالِ رسولٍ (مَلَك)، وهذا الملَكُ إما أن يأتيَ في صورة بشر، أو على حقيقته، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: ٥١]، أو غير ذلك.

صور الوحي للنبي ﷺ:

يُوحي الله سبحانه وتعالى له في المنامِ:

وكانت الرؤيا أول ما بدئ به ﷺ من الوحي، **عَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ...**[1].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ**»[2].

- الوحي من الله مباشرة بدون واسطة:

وذلك كما حدث له ﷺ في رحلة المعراج وفرض الصلاة عليه وعلى أمته.

- أن يأتي الوحي إلى الرسولِ ﷺ مثل صلصلةِ الجرسِ، أو يأتي في صورة رجل: وذلك كما جاء في حديث عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٩٨٢)، مسلم (٢٥٢).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٦٨٩) ، الحاكم (٣٦١٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخينِ ولم يخرِجاه، وحسنه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (٤٦٣).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢)، مسلم (٢٣٣٣).

- **أن يأتيَ الوحيُ بيقظةٍ في صورتِه الحقيقيةِ:**

عنِ الْأَوْزَاعِيِّ(١) قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى(٢)، يَقُولُ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، فَقُلْتُ: أَوِ اقْرَأْ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، فَقُلْتُ: أَوِ اقْرَأْ؟ قَالَ جَابِرٌ: أُحَدِّثُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**جَاوَرْتُ بِحِرَاء شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ - يَعْنِي جِبْرِيلَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ - **فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}**»(٣).

- **ومنها: أن يأتيه الوحي، فيلقي في روعه، فيعي ما يُوحَى إليه:**

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي

أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا

---

(١) عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام أبو عمرو، ولد سنة ٨٨هـ، قال العباس بن الوليد: فما رأيت أبي يتعجب من شئ في الدنيا تعجبه من الأوزاعي، فكان يقول: يا بني: عَجَزَتِ الملوكُ أن تؤدب أنفسها، وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه، توفي عام ١٥٧هـ.

(٢) يحيى بن أبي كثير: الإمام الحافظ، أحد الأعلام، أبونصر الطائي، قال أيوب: ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى بن أبي كثير، وقال شعبة: يحيى بن أبي كثير أحسن حديثًا من الزهري، وقال الإمام أحمد بن حنبل: إذا خالفه الزهري فالقول قول يحيى، توفي عام ١٢٩هـ.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٢٣٨)، ومسلم (١٦١).

عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»[(١)].

قوله (وصدَّقَه المؤمنون على ذلك حقًّا):

حقًّا: نائب عن المفعولِ المطلقِ، والمعنى: أي صدق به المؤمنون تصديقًا حقًّا أي تصديقًا تامًّا غير مشوب بشيء من الشك أو الريب.

قوله (وأيْقَنوا أنَّه كَلامُ اللهِ تعالى بالحَقيقةِ):

وهذا ردٌّ على من قال: أنَّه كلامُ اللهِ مجازًا، كما هو قولُ المعتزلةِ، وغيرهم.

قوله (ليسَ بِمخلوقٍ ككلامِ البريَّةِ):

والمعنى: أنَّ المشابهة في أصل صفة الكلام لا يعني المشابهة في الكيف، ولا في كامل المدلول، فكونه كلامًا لا يعني أنه مماثل لكلام البرية والمخلوق.

قوله (فَمَنْ سَمِعَهُ فزعمَ أنَّه كَلامُ البَشرِ فقد كفرَ):

فمن شبَّه كلامَ اللهِ ﷻ بكلامِ البشرِ فقد كفر، يعني أنَّ مَن قال: القرآن مخلوق، فقد شبهه بكلام المخلوق، ويكون قد كفر بقوله هذا.

عن عمرو بن دينار[(٢)] قال: أدركتُ تسعةً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: مَن قال القرآن مخلوق فهو كافر[(٣)].

قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ناظرْتُ أَبَا حنيفَة سِتَّة أشهرٍ، فاتفق رَأْيُنَا على أَنَّ مَن قَالَ

---

(١) أخرجه: أبونعيم في الحلية (١٠/ ٢٦)، البيهقي في الشعب (٢/ ٤٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥).

(٢) عمرو بن دينار، الإمام الكبير الحافظ أبو محمد، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه، ولد سنة ٤٦هـ، وسمع من ابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وغيرهم، قال عبد الله بن أبي نجيح: ما رأيت أحدًا قط أفقه من عمرو بن دينار، لا عطاءًا ولا مجاهدًا ولا طاووسًا، توفي عام ١٢٦هـ.

(٣) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٢٨).

الْقُرْآن مَخْلُوق فهو كافر[١].

قال سفيان الثوري[٢]: من زعم أنَّ قول الله عز وجل مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر[٣].

قال سفيان بن عيينة[٤]: القرآن كلام الله عز وجل، مَن قال مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر[٥].

وكان الشافعي[٦] يقول: مَن قال القرآن مخلوق فهو كافر[٧].

قال أحمد بن حنبل[٨]: مَن قال القرآن مخلوق هو عندنا كافر؛ لأنَّ القرآن مِن

---

(١) العلو للعلى الغفار للذهبى (صـ ١٥٢).

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث، وُلِد عام ٩٧ هـ ، راوده المنصور على أن يلى الحكم، فأبى، وخرج من الكوفة، ثم طلبه المهدي، فتوارى، له من الكتب (الجامع الكبير)، و(الجامع الصغير)، وكتاب في(الفرائض)، توفي عام ١٦١ هـ.

(٣) العلو للعلي الغفار للذهبي (١/ ١٣٨).

(٤) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدّث الحرم المكيّ، ولد عام ١٠٧ هـ ، كان حافظًا ثقة، واسع العلم، كبير القدر، قال الشافعيُّ: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، له (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير)، وسكن مكة، توفي بها عام ١٩٨ هـ.

(٥) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٢٢).

(٦) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة، ولد في غزة عام ١٥٠هـ، قال الإمام ابن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته مِنَّة، ومن تصانيفه: كتاب (الأم)، (المسند)، و(أحكام القرآن)، و(الرسالة)، وغيرها، توفي عام ٢٠٤ هـ.

(٧) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٢٥٢).

(٨) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني: إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمة الأربعة، ولد ببغداد ١٦٤هـ، نشأ مُنْكَبًّا على طلب العلم، وصنَّف (المسند)، وله كتب في =

علم الله عز وجل، وفيه أسماء الله عز وجل[١].

قالَ البخاريَّ[٢]: القرآن كلام الله غير مخلوق، فمن قال مخلوق فهو كافر[٣].

تنبيه:

حُكْمُ أهلِ العلمِ بالكفر في هذا ونحوه: المراد منه أنه فَعَل فِعْلَ الكُفرِ، وأما تكفيره عينًا فيحتاج لإقامة الحجة والبيان من أهل العلم.

قال ابن تيمية عن أهل البدع هؤلاء: ومع هذا فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَرَحَّمَ عليهم، وَاسْتَغْفَرَ لهم لِعِلْمِهِ بأنهم لم يُبَيَّنْ لهم أنهم مُكَذِّبون للرسول، ولا جاحدون لِمَا جاء به، ولكن تَأَوَّلوا فأخطأوا، وقلَّدُوا مَن قال لهم ذلك[٤].

قال الشافعيُّ: لمَّا ناظرتُ حفصَ الفرد[٥] وقال: القرآنُ مخلوقٌ، قال الشافعيُّ: كفرتَ باللهِ العظيمِ.

قال ابن تيمية: ولم يحكم بردَّته، وقال: لأنَّه لم يتبين له الحجةُ التي يُكفَّرُ بها،

= (التاريخ)، و(الناسخ والمنسوخ)، وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، وابتلي بسبب ذلك، توفي عام ٢٤١هـ.

(١) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٠٢)

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، ولد عام ١٩٤ هـ، ونشأ يتيمًا، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ستمائة ألف، مات عام ٢٥٦ هـ.

(٣) اعتقاد أهل السنة للالكائى (٢/ ٢٦٨).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/ ٣٤٩).

(٥) حفص بن أبي المقدام الفرد كنيته أبوعمرو، وهو من أئمة الجبرية، والقائلين بخلق القرآن، وهو من نفاة الصفات، وله مناظرات مع الإمام الشافعي، وكفره الشافعي رحمه الله تعالى فيها.

ولو اعتقد بردَّته لسعى إلى الوالي ليقتلَه[١].

وقال ابنُ تيميةَ: ناظرتُ الجهميةَ فقلتُ: لو قلتُ قولَك لكفرتُ، ولكنِّي لا أكفرُك لجهلِك[٢].

وبذلك نخلصُ إلى أنه ليس كلُّ مَن فَعَل فِعلَ الكفرِ يكونُ كافرًا، والذي يَحكمُ عليه بالكفرِ هم أهلُ العلمِ بعد إقامة الحجة، وبيان المحجة.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٣/ ٣٤٩).

(٢) المصدر السابق.

وقد ذمّه اللهُ تعالى وعَابَه، وأوعَده بسَقَرَ حيث قالَ ﷻ "سَأُصْلِيه سَقَرَ "، فلما أوعدَ اللهُ بسَقَرَ، لمَن قالَ: "إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ" علمْنا أنّه قولُ خالقِ البشرِ، ولا يُشبهُ قولَ البشرِ.

قوله (وقد ذمَّه اللهُ وعابَه.........):

وهنا يسوي المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين قول المشركين أنَّ هذا القرآن ليس من كلام الله، بل هو من قول البشر، وبين قول أهل البدع أنَّه ليس من كلام الله على الحقيقة، وهذا من الاشتراك اللفظي، فهما متساويان من بعض الجهات، لكنه يدخل في قولهم بطريق العموم، وإن دخل قول أهل البدع في قول الكفار، فلا يؤمن أن ينالهم نفس العقاب الذي توعد الله به المشركين، وهو نار سقر.

وتوعُّدُ الله تعالى مَن قال (إنه قول البشر) دلَّ على ضلالِ قولِ مَن يقول بذلك، ولما كان قولهم خطأ وضلالًا كان هو قول خالق البشر.

وهنا يستدل المصنف استدلالًا عقليًّا أنَّ القرآن كلام الله، وهو المُسَمَّى بالسَّبْرِ والتَّقْسِيمِ:

فذكر احتمالين:

أحدهما أنه قول البشر، والثاني أنه قول خالق البشر، وليس ثمة احتمال ثالث، فلما خَطَّأَ أحدَ القولين ألا وهو قول مَن قال إنه قول البشر، بل وتوعَّدَه الله النار عُلِم أنَّ الصحيح هو الاحتمال الثاني، وهو أنه قول خالق البشر.

ثم بين نتيجة أخرى بُنيَت على النتيجة السابقة، وهي أنه لا يشبه قول البشر، فطالما أنه قول خالق البشر، وخالق البشر لا يماثل البشر، فكذلك كلامه لا يشبه كلام البشر.

ومَن وَصَفَ اللهَ بمعنى من معانِي البشرِ فقد كَفَر، فمن أبصرَ هذا اعتبرَ، وعن مثلِ قولِ الكفارِ انْزَجَرَ، وعَلِمَ أنّ الله تعالى بصفاتِه ليس كالبشرِ.

قوله: (ومَن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر):

والمعنى أنَّ صفات الله تعالى تتناسب مع ذاته، ولا يجوز تشبيهه بخلقه في صفاته عامَّة، وفي صفة الكلام خاصَّة التي يدور الحديث حولها هنا، وأنَّ الكلام صفة من صفاته، وأنَّ القول بأنه مخلوق هو تشبيه لصفات الخالق بصفات المخلوق، وتشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق هو تشبيه للخالق بالمخلوق، ومَن شبَّه الخالق بالمخلوق فقد كفر؛ لأنه مُكَذِّبٌ للكتاب والسنة، وقد قال الله تعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

قوله:(فمن أبصرَ هذا اعتبرَ، وعن مثلِ قولِ الكفارِ انْزَجَرَ، وعَلِمَ أنَّه بصفاتِه ليس كالبشرِ):

والمعنى: أنه يكفي بهذا البيان انزجارًا عن هذا القول الضال بأنه يشبه قول الكفار، والدخول فيما توعدهم الله به من العذاب والنار، ويكفي به اتِّعاظًا واعتبارًا عن البعد عن منهج أهل البدع في كل باب من أبواب العقيدة، وخاصة باب الأسماء والصفات.

❀◈❀





رؤية الله حق

والرؤيةُ حقٌّ لأهلِ الجنة بغيرِ إحاطة، ولا كيفيةٍ كما نطقَ به كتابُ ربِّنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وتفسيرُه على ما أرادَ اللهُ تعالى وعَلِمَه.

مسألة الرؤية من المسائل الهامة التي خالف فيها أهلُ البدع أهلَ السنة، وأصبحت من العلامات والدلائل الفارقة بين أهل السنة وأهل البدع، وقبل الحديث عن مسألة الرؤية لا بد من ذِكْرِ بعض المقدمات الهامة لها.

مقدماتٌ هامة لمسألة الرؤية:

المقدمة الأولى: أنواع الرؤية يوم القيامة:

الرؤية يومَ القيامةِ نوعان:

الأولى: رؤيةُ تعريفٍ: وتكون في المحشر.

الثانية: رؤيةُ نعيمٍ: وتكون في الجنة وهي رؤية إكرام ورضا.

المقدمة الثانيةُ: فائدةُ الرؤية:

الرؤية في الجنة رؤيةُ نعيمٍ وانشراحٍ، فكلُّ من رأى شيئًا جميلاً يؤَثِّرُ في نفسه بالراحة والانشراح، وكلُّ أنواعِ الجمالِ التي يتعلق بها الإنسانُ إنما هي بعضُ آثار صفاتِ الجمال للهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

ولذا امتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده الصالحين بالرؤية في الجنة، وجعلها أعظمَ نعيمِ أهلِ الجنةِ، والأصل أنَّ الإنسانَ إذا أحبَّ شيئًا وتعلَّق به لا تهدأُ نفسُه حتى يراه، والإنسان لا تتم له السعادةُ الحقيقيةُ، ولا تهدأُ نفسُه، ويُروَى شوقُه حتى يرى

اللهَ ﷻ في الجنة.

ورؤيةُ اللهِ ﷻ تدلُّ على الرضا، والعبد لا يتم نعيمه في الجنة ويكتمل إلا بالرضا، لأنَّ اللهَ تعالى إذا رضي عن أحدٍ لا يسلبه ما أنعم عليه، فإذا رأى العبدُ ربَّه رؤيةَ النعيم دلَّ على رضا اللهِ على العبد، ودل أيضًا على دوام النعيم.

عنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»**[١].

المقدمة الثالثةُ: معنى كلمة (لن) في اللغة:

وكلمة (لن) تفيدُ النفيَ عند عامة أهلِ اللغة، وبعضهم يقول: تفيدُ النفيَ للتأبيد.

قال ابنُ هشام[٢] في أوضحِ المسالكِ: والراجحُ عند أهلِ اللغةِ أنَّ (لن) تفيدُ النفي فقط لا للتأبيد خلافًا للزمخشري[٣].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٤٩)، مسلم (٢٨٢٩).

(٢) أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، ولد عام ٧٠٨هـ ، قال ابن خلدون: مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية، يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه، من مصنفاته: (شرح شذور الذهب)، و(مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب)، وغيرها، توفي عام ٧٦١هـ.

(٣) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ: من علماء التفسير، واللغة، والأدب، ولد عام٤٦٧هـ، وكان معتزلي المذهب، مجاهرًا، من أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة)، و(الفائق) في غريب الحديث، توفي عام ٥٣٨ هـ.

والدليل على أنَّ (لن) لا تفيد النفيَ للتأبيد قوله ﷻ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥].

فقوله(أبدًا) جاء للدلالة على التأبيدِ، فعلم أنَّ (لن) لا تفيدُ بنفسها النفيَ للتأبيد.

فإن قيل: إنَّ (لن) تفيد التأبيد، لكن جاءت كلمة (أبدًا) للتأكيد.

أجيب: أنَّ الأصلَ التأسيسُ لا التأكيدُ، والبناء على الأصل هو الأولى إلا بقرينة، ولا قرينة هنا.

المقدمة الرابعةُ: الفَرْقُ بين الرؤيةِ والإدراكِ:

الإدراك: معناه الإحاطة.

أما الرؤية تكون: بالنظرِ، ولا يستلزم معها الإدراكُ والإحاطةُ.

ولذلك قد تحدثُ الرؤيةُ، ولا تحدثُ الإحاطةُ والإدراكُ.

قال ﷻ ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢].

وجهُ الاستدلالِ: نفيُ الإدراكِ، وثبوتُ الرؤيةِ، فدل على أنهما متغايران.

المقدمة الخامسةُ: استعمالات النظر في القرآن واللغة:

استعمالاتُ النظرِ في القرآنِ واللغةِ كثيرةٌ، وتختلف باعتبار التعدي واللزوم ومنها:

- **النظر إذا تعدَّى (بفي) يُراد به الاعتبارُ والتَّفكُّر.**

قال ﷻ: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

- **وإذا تعدَّى (بإلى) يراد به نظرُ العينين.**

قال ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ **[القيامة: ٢٢ - ٢٣]**.

- **وإذا تعدَّى بنفسه يُراد به الانتظارُ.**

قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ **[الحديد: ١٣]**.

۞ المقدمة السادسةُ: أسبابُ انعدامِ الرؤية:

الرؤية تنعدم في العادة لأحد سببين: إمَّا لأنَّ الشيءَ لا يُرى أصلًا، أو لأنَّ الناظر عاجزٌ وقاصرٌ عن الرؤية.

۞ المقدمة السابعة: إضافة الحدث إلى الذات يدل على وقوعه بجميع الذات، أو ببعض أجزائه، لا بشيء آخر:

الحدَثُ إذا أُضيف إلى الذاتِ يكون الفعلُ واقعًا من الذاتِ، أو من بعضِ أجزاءِ الذاتِ.

مثال: إذا قلت: تكلم زيدٌ.

فإما أن يكونَ زيدٌ كلُّه تكلم، أو بعضُ أجزائِه وهو هنا اللسان؛ لأنه آلة الكلام.

فقوله ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ **[القيامة: ٢٢ - ٢٣]**.

فالحدثُ (الذي هو النظر) أضيف إلى الوجه، فإما أن يكون النظر إلى الله بالوجهِ كلِّه، أو ببعض أجزاء الوجهِ وهي العينان؛ لأنها آلة النظر، ولا يصلح أن يكون المراد هنا القلب؛ لأنَّ القلب ليس من أجزاء الوجه الذي أضيف إليه النظر.

۞ المقدمة الثامنةُ: الأنبياء أعلم الناس بما يجوز في حق الله تعالى، وما لا يجوز:

إنَّ الأنبياءَ يعلمون ما يجوزُ في حقِّ اللهِ ﷻ، وما لا يجوز، فإذا سَألوا شيئًا في حق الله تعالى فهم يعلمون أنَّ هذا الشيءَ يجوزُ في حقِّه ﷻ، ومَن زعم أنَّ أحدًا من

الأنبياء سأل الله تعالى شيئًا لا يجوز في حقه تعالى يكون قد ادَّعى أنه أعلم بالله تعالى من رسله صلى الله وسلم عليهم أجمعين، وهذا منكر من القول وزور.

أدلة أهل البدع على نفي الرؤية ومناقشتها:

❑ الدليل الأول:

استدلوا بقوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ **[الأعراف: ١٤٣]**.

وجهُ الاستدلالِ عندهم:

- أنَّ الله ﷻ نفى الرؤية عن موسى، والنفيُ بـ " لن " يفيدُ التأبيد.

- أنَّ اللهَ ﷻ نفى الرؤية بالتأبيدِ عن موسى الكليمِ، فغيرُه من باب أولى.

الجواب عليهم:

أولًا: النفي بـ " لن " لا يفيد النفيَّ للتأبيد، وهذا قولُ ابنِ هشام وغيره كما سبق.

والدليلُ على ذلك قولُه ﷻ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[البقرة: ٩٥]**، وإذا كانت (لن) تفيدُ النفيَّ للتأبيد فليس هناك حاجةٌ لكلمة (أبدًا).

ثانيًا: أنَّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طلبَ الرؤيةَ، والأنبياءُ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يعرفون ما يجوز في حقِّ اللهِ ﷻ - كما سبق في المقدمات -، واللهُ ﷻ لم يُنكِرْ عليه طلبَه، كما أنكر على نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما طلب من الله ﷻ أن يغفرَ لولده، مما دل على أنَّ الرؤية والنظر له جائزة في حقه تعالى.

ثالثًا: أنَّ الله تعالى تجَلَّى للجبل، وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أفضلُ من الجبل، ولم

يتجل اللهُ سبحانه وتعالى لموسى؛ لأنَّه لن يستطيع الرؤية، بدليل أنَّ الجبل لم يستطع.

رابعًا: أنَّ الله سبحانه وتعالى قال: (لن تراني)، ولم يقل (لا أُرى) فهناك فرق بينهما.

مثال: لو أنَّ إنسانًا خَبَّأَ حجرًا، فقال له رجل: أطعمني ذلك، فيقال له: هذا لا يُطعم.

ولو خَبَّأَ تمرةً فقال له إنسان: أطعمني ما معك، فيقال له: (لن تأكلَها).

في الحالة الأولى: عُلمَ من قوله (لا يُطعم) أنَّه لا يُؤكل.

في الحالة الثانية: علم من قوله (لن تأكلها) أنَّه يُؤكل، ولكنَّه لن يعطيها له.

فعندما قال سبحانه: (لن تراني) دلَّ على أنَّه يُرى.

ولو قال: (لا أُرى) لدلَّ على نفي الرؤية أصلًا.

ومن ذلك ما ورد مِن مَنْعِ النبي ﷺ للحسن بن علي من أكل تمر الصدقة، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنهما تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كِخْ كِخْ لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**»[1]، فليس ذلك لأنَّ التمرة لا تؤكل، وإنما لأنه ممنوع من أكلها شرعًا، فهنا مانعٌ وعارضٌ، وإن كانت في أصلها يجوز أكلها؛ لذا قال لا نأكل، ولم يقل لا تُؤكل.

خامسًا: علَّق الله جل جلاله الرؤية على شيءٍ ممكنٍ، ولم يعلقْه على شيءٍ مستحيل، وفي اللغة إذا عُلِّق الأمرُ على شيء ممكن فهو ممكن، وإن علق على شيء مستحيلٍ فهو مستحيلٌ.

مثال: لمَّا ذكرَ اللهُ دخولَ الكفارِ الجنةَ علَّقه على أمرٍ مستحيل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ**﴾ **[الأعراف: ٤٠]**.

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه: البخاري (١٤٩١)، مسلم (١٠٦٩).

ومن المحال أن يلجَ الجملُ سمَّ الخياطِ، فدلَّ على أنَّ دخولهم الجنةَ محال.

أمَّا إذا ذكر اللهُ ﷻ الأمرَ الممكنَ علَّقه على أمرٍ ممكنٍ، فلما علَّق الله سبحانه رؤية موسى على استقرار الجبلِ، وهو أمر ممكن؛ فدل على أنَّ الرؤية في أصلها ممكنة.

سادسًا: أنَّ عدم الرؤية قد يكون للعجز والضعف عن الرؤية، وقد يكون لأنَّ الشيء لا يُرى أصلًا كما سبق في المقدمات، وثبت مما سبق أنه يُرى سبحانه بدليل تجليه للجبل، فدلَّ على أنَّ عدم رؤية موسى له لعجزه عن الرؤية وعدم تحمله، وذلك كعجز الإنسان عن النظر في عين الشمس، فإنه لا يستطيع رؤيتها أو التحديق فيها لا لأنها لا تُرى، وإنما لعجزه هو عن الرؤية.

❑ الدليل الثاني:

استدلوا بقوله تعالى ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقالوا: إنَّ الله تعالى نفى عن نفسه إدراك الأبصار له؛ فدل على عدم رؤية الخلق له بأعينهم.

والجواب عن ذلك:

بالمقدمة الرابعة السابقة: أنَّ الرؤية غير الإدراك، فالرؤية تعني النظر بالعين، أما الإدراك فمعناه الإحاطة، والله لا تدركه الأبصار ولا تحيط به سبحانه وتعالى؛ لذا أثبت الله تعالى الرؤية ونفى الإدراك فقال تعالى ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ **[الشعراء: ٦١ - ٦٢]**، فدل على أنهما متغايران.

❑ الدليل الثالث:

ومن أدلةِ أهلِ البدعِ أنهم قالوا في قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ **[القيامة: ٢٢ - ٢٣]**.

قالوا: المرادُ هنا الانتظارُ حيث أكدوا أنَّ كلَّ نظرٍ لله تعالى في القرآن يُراد به

الانتظار، وذلك نحو قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

مناقشة قولهم:

سبق في المقدمات: أنَّ الحدث إذا أُضيف إلى الذاتِ يكونُ متعلقًا بالذات أو ببعضِ أجزائها.

فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٣]، فالحدثُ -وهو النظر - متعلقٌ بالوجه، فإما أن ينظرو إلى اللهِ بالوجهِ، أو ببعض أجزاءِ الوجهِ وهما العينان؛ لأنهما آلة النظر في الوجه.

ثانيًا: النظرُ في اللغةِ له استخداماتٌ - كما سبق في المقدمات -، وهي على حسب نوع التعدي فهو:

١- إمَّا مُتعدِّي بنفسِه.

٢- أو مُتعدِّي بِفي.

٣-أو مُتعدِّي بإلى.

فإذا تعدَّى" بفي " يكون معناه التفكر والاعتبار.

وإذا تعدَّى "بإلى " يكون معناه نظر العينين.

وإذا تعدّى بنفسه يكون معناه الانتظار.

والنظرُ في الآية السابقة مُتَعَدٍّ بـ (إلى) فيكون معناه النظر بالعينين.

بخلاف قولِ الله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ (١٣)﴾ [الحديد: ١٣]، فهو متعدي بنفسه فمعناه الانتظار.

ثالثًا: النظر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآية ذُكر في معرض النعيمِ، والانتظار تنغيصٌ

وعذابٌ، وخاصة في القيامة، والدليلُ حديثُ الشفاعة.

رابعًا: أنَّ الجنةَ فيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذ الأعين، وليس فيها انتظارٌ، فإنَّ كلَّ نعيمٍ يُنتظَر يكون معارِضًا لنعيم الجنةِ.

قال أبو الحسن الأشعري[1]:

قولهُ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني مشرقة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يعني رائية.

قال: وليس يخلو النظرُ من وجوه سنذكرها، وهي:

بأن يكونَ عن (نظرٍ واعتبارٍ) كقوله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ **[الغاشية: ١٧]**، أو عن (نظرِ الانتظارِ) كقوله ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ **[يس: ٤٩]**.

أو عن (نظرِ التَّعطفِ) كقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **[آل عمران: ٧٧]**.

أو يكون عن (نظر الرؤيةِ).

وهنا في الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ **[القيامة: ٢٢ – ٢٣]**.

فلا تجوزُ عن نظرِ التفكرِ والاعتبارِ؛ لأنَّ الآخرةَ ليست دارَ اعتبارٍ.

ولا يجوز أن يكونَ عن نظر الانتظارِ، لأنَّ النظرَ إذا ذُكِرَ مع ذكرِ الوجهِ فمعناه: نظرُ العينين اللتين في الوجهِ، كما إذا ذَكَرَ أهلُ اللسانِ نظرَ القلبِ، فقالوا: انظر إلى

---

(١) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد عام ٢٦٠ هـ ، وتلقى مذهب المعتزلة، ثم رجع، وجاهر بخلافهم، له كتب منها: (الرد على المجسمة)، و(الإبانة عن أصول الديانة)، و(خلق الأعمال)، وغيرها، توفي عام ٣٢٤ هـ.

هذا الأمرِ بقلبك لم يكن معناه نظرَ العينين، وكذلك إذا ذُكر النظرُ مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظارِ الذي يكون للقلب.

وأيضـًا فإنَّ نظرَ الانتظارِ لا يكون في الجنةِ؛ لأنَّ الانتظارَ فيه تنغيصٌ وتكديرٌ، وأهلُ الجنةِ عندهم مالا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشرٍ، فكيف يكون فيها انتظارٌ فيه تنغيصٌ ؟!.

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيءٌ أُعْطُوهُ.

ولا يجوزُ أن يكونَ اللهُ ﷻ أراد نظرَ التعطُّفِ؛ لأنَّ الخلقَ لا يجوز لهم أن يتعطَّفوا على خالقهم.

وإذا فَسَدَتِ الأقسامُ الثلاثةُ ترجَّحَ القسمُ الرابعُ من أقسام النظر وهو أنَّ معنى (إلى ربها ناظرة) أي: رائيةٌ ترى ربَّها.

ومثل ذلك قولُه ﷻ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤].

فذَكَرَ الوجهَ، وأراد تقلبَ عينيه في السماء.

قال: ولو كانت الرؤيةُ مستحيلةً على ربِّنا ﷻ كما زعمت المعتزلةُ، ولم يعلمْ ذلك موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعَلِمُوهُ هم كان قولُهم أعلمَ بالله من موسى، وهذا مما لا يقول به مسلمٌ. قال: ولو أراد اللهُ غيرَ الرؤيةِ الحقيقيةِ لَقَرَنَ الكلامَ بما يستحيل وقوعُه، ولم يقرنْه بما يجوزُ وقوعُه، فلمَّا قرنَه باستواءِ الجبلِ وذلك أمرٌ يقعُ دلَّ ذلك على جواز الرؤيةِ، ألاترى الخنساءَ[1] لما أرادت تبعيدَ صُلَحِها لِمن كان حربًا

(١) تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، أشهر شواعر العرب، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني =

علَّقته بأمرٍ مستحيلٍ، فقالت:

ولا أُصَالِحُ قومًا كنتَ حربَهم ... حتى تعودَ بياضًا حلكةُ القارِ[(١)]

أدلة أهل السنة لإثبات الرؤية:

وهي أربعةُ أقسامٍ:

أولًا: أدلةٌ تذكرُ الرؤيةَ مباشرةً:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ **[القيامة: ٢٢ – ٢٣].**

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ...**»[(٢)].

وهنا شبَّه الرؤية بالرؤية، وليس المرئي بالمرئي.

فالقمر يُرى بالعين، ولا يضام في رؤيته، ولله المثل الأعلى، فكذلك يُرى الله تعالى يومَ القيامة.

ويُستدَلُّ بذلك أيضًا على صفةِ العُلُوِّ؛ إذ القمر يُرى في العُلُوِّ.

عَنْ صُهَيْبٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ**

= سليم، وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية، فجعلتْ تحرضهم على الثبات حتى قُتِلوا جميعًا، توفيت عام ٢٤ هـ.

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (١/ ٣٥، وما بعدها – بتصرف –).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٤٣٧)، مسلم (١٨٢).

النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»[١].

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»[٢].

وكثير من الأدلة الأخرى، قال ابن كثير[٣]: بل تواترت الأخبار عن أبي سعيدٍ، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة، عن النبي ﷺ أَنَّ المؤمنين يرَوْنَ اللهَ في الدَّار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنَّاتِ، جَعَلَنا الله تعالى منهم بمَنِّه وكَرَمِه[٤].

۞ ثانيًا: ثبوت لقائه سبحانه وتعالى:

قال ﷻ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ **[الأحزاب: ٤٤]**.

قال ابن بطة[٥]: سَمِعْتُ أَبَا عُمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ[٦] صَاحِبَ اللُّغَةِ يَقُولُ:

---

(١) أخرجه: مسلم (١٨١).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٤٤٤)، مسلم (١٨٠).

(٣) هو الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ولد سنة ٧٠١هـ، وقد نشأ بعد وفاة والده في رعاية شقيقه الأكبر الذي قال عنه: «كان لنا شقيقًا، وبنا رفيقًا شفوقًا»، وقد شهد أحداثًا عظيمة كهجوم التتار، والصليبيين، له مصنفات كثيرة أشهرها: تفسير القرآن العظيم، توفي عام ٧٧٤ هـ.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٧).

(٥) الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، أبو عبد الله عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان الحنبلي، مصنف كتاب(الإبانة الكبرى)، قال أبو حامد الدلوي: لما رجع ابن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، لم يُرَ في سوق ولا رُؤِيَ مفطرًا إلا في عيد، توفي في المحرم سنة ٣٨٧ هـ.

(٦) الإمام العلَّامة اللغوي المحدث، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، المعروف بغلام ثعلب، ولد سنة ٢٦١هـ، لازم ثعلبًا في العربية، قال علي بن أبي علي، عن أبيه: ومن الرواة =

سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا[١] يَقُولُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[الأحزاب:٤٣-٤٤] أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ اللِّقَاءَ هَاهُنَا لَا يَكُونُ إِلَّا مُعَايَنَةً، وَنَظَرًا بِالْأَبْصَارِ[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ**.....»[٣].

قال الحافظ ابن حجر: وقيل: المراد باللقاء: رؤية الله. ذكره الخطابي[٤]، وتعقبه النووي[٥] بأنَّ أحدًا لا يقطع لنفسه برؤية الله، فإنها مختصة بمن مات مؤمنًا، والمرء لا يدري بِمَ يُخْتَمُ له، فكيف يكون ذلك من شروط الإيمان؟! وأُجِيبَ: بأنَّ المراد: الإيمان بأنَّ ذلك حق في نفس الأمر، وهذا من الأدلة القوية لأهل السنة في

=

الذين لم يُرَ قط أحفظ منهم أبو عمر غلام ثعلب، وله كتاب (الياقوتة)، و(الموضح)، وغيرها، مات سنة ٣٤٥ هـ.

(١) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان محدثًا، مشهورًا بالحفظ، وصدق اللهجة، ولد عام ٢٠٠ هـ، ومن كتبه (الفصيح)، و(مجالس ثعلب)، و(معاني القرآن) و(إعراب القرآن)، وغير ذلك، توفي عام ٢٩١هـ.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٦٢).

(٣) أخرجه: البخاري (٤٧٧٧).

(٤) الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة، وله "شرح السنة"، و" شرح الأسماء الحسنى "، و" الغنية عن الكلام وأهله "، وغير ذلك، توفي عام ٣٨٨هـ.

(٥) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، أبو زكريا، محيي الدين: علّامة بالفقه والحديث، ولد عام ٦٣١ هـ ، من كتبه، (المجموع شرح المهذب)، و(شرح صحيح مسلم)، و(رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)، وغيرها، توفي عام ٦٧٦ هـ.

إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة؛ إذ جُعِلَتْ من قواعد الإيمان[١].

ثالثًا: تفسيرُ كلمةِ الزيادةِ:

قال تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٦]، عن صهيب: عنِ النبيِّ ﷺ قالَ «**إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ قالَ: يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: تريدونَ شيئًا أزيدُكم؟ يقولونَ: ألم تبيضْ وجوهَنا؟! ألم تدخلْنا الجنةَ؟! وتنجِّنا منَ النارِ؟! قال: فيَكشِفُ الحجابَ، فما أُعطُوا شيئًا أحبَّ إليهم منَ النظرِ إلى ربِّهم" زاد في رواية يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة" ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)**»[٢].

رابعًا: الاستدلال بأثر النظر:

قال الله ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإنسان: ١١]، وقال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٣٩].

عَنِ الْحَسَنِ في قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: حسنة، إلى ربِّها ناظرة قال: تنظر إلى الخالق وحُقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق[٣].

قال الشيخ الشنقيطي[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾:

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ١١٨).

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٨).

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، الجكني، ولد في عام ١٣٠٥ هـ، قال عنه تلميذه الشيخ عطية سالم: علم الأعلام، الشيخ الجليل، الإمام الهُمامُ، زكيُّ النفس، رفيعُ الْمَقَامِ، أحيا علومًا دَرَسَتْ، وَخَلَّفَ تُراثًا باقيًا، ومن مؤلفاته (أضواء البيان)، و(المُذَكِّرة)، وغيرها، تُوُفِّيَ عام ١٣٩٣ هـ.

تقدَّم معنى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [٧٥ \ ٢٢]، وهنا جمع لهم بين النُّضرة والسرور، والذي يظهر - والله تعالى أعلم -: أَنَّ النُّضرة لما يرون من النعيم، والسرور لما ينالونه من النظر إلى وجه الله الكريم كما تقدم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٧٥ \ ٢٢ - ٢٣] فيكون السرور نتيجة النظر إلى وجه الله الكريم - والله تعالى أعلم -[1].

خامسًا: مفهوم المخالفة:

وذلك من قوله ﷻ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [**المطففين: ١٥**].

فالكافر يُحجَبُ عن الله تعالى، ولا يراه عقابًا وسخطًا منه تعالى، فعُلِم بمفهوم المخالفة أنَّ المؤمنَ يراه سبحانه إكرامًا ورضا.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَجَبَ قوماً بالمعصية وهي الكفر، فثبت أنَّ قومًا يرونه بالطاعة وهي الإيمان، وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يُعَيِّرِ اللهُ تعالى الكفارَ بالحجاب، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [**يونس: ٢٦**][2].

سادسًا: الدليل العقلي:

قال أبو الحسن الأشعري: ومما يدل على رؤية الله تعالى بالأبصار أنه ليس موجود إلا وجائز أن يريناه الله عز و جل، وإنما لا يجوز أن يُرَى المعدوم، فلما كان الله عز و جل موجودًا مُثبَتًا كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز و جل، وإنما أراد مَن نَفَى رؤية الله عز و جل بالأبصار التعطيل، فلما لم يمكنهم أن يظهروا التعطيل صراحًا أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود - تعالى الله عن ذلك

---

(١) أضواء البيان للشنقيطى (٨/ ٣٩٥).

(٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: للخطيب الشربيني (١/ ٤٤١).

علوًّا كبيرًا -[١].

ويجمع ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما سبق من الأدلة لأهل السنة في نونيته فيقول:

ويرونه سبحانه من فوقهم ... نظر العيان كما يُرَى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ... ينكره إلا فاسد الإيمان

وأتى به القرآن تصريحًا وتعـ ... ـريضًا هما بسياقه نوعان

وهي الزيادة قد أتت في يونس ... تفسير من قد جاء بالقرآن

ورواه عنه مسلم بصحيحه ... يروي صهيب ذا بلا كتمان

وهو المزيد كذاك فسره أبو ... بكر هو الصديق ذو الإيقان

وعليه أصحاب الرسول وتابعو ... هم بعدهم تبعية الإحسان

ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا الـ ... ـرحمان في سور من الفرقان

ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الـ ... إجماع فيه جماعة ببيان

وعليه أصحاب الحديث جميعهم ... لغةً وعرفًا ليس يختلفان

هذا ويكفي أنه سبحانه ... وصف الوجوه بنظرة بجنان

وأعاد أيضا وصفها نظرًا وذا ... لا شك يفهم رؤية بعيان

وأتت أداةُ إلى لِرَفْع الوهم من ... فكر كذاك ترقب الإنسان

وأضافه لمحل رؤيتهم بذكـ ... ـر الوجه إذ قامت به العينان

تالله ما هذا بفكر وانتظا ... ر مغيب أو رؤية لجنان

ما في الجنان من انتظار مؤلم ... واللفظ يأباه لذي العرفان

لا تفسدوا لفظ الكتاب فليس فيـ ... ـه حيلة يا فرقة الروغان

ما فوق ذا التصريح شيء ما الذي ... يأتي به من بعد ذا التبيان

لو قال أبين ما يقال لقلتم ... هو مجمل ما فيه من تبيان

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (١/ ٤٨).

ولقـــد أتـــى في ســـورة التطفيـــف أنَّ القـــوم قـــد حُجِبـــوا عـــن الرحمـــان
فيـــــدل بــــالمفهوم أنَّ المؤمنيـــــ ـــــن يرونـــــه في جنـــــة الحيـــــوان
وبـــذا اســـتدل الشـــافعي وأحمـــد وســـواهما مـــن عـــالمي الأزمـــان[1]

۞

(١) نونية ابن القيم (١/ ٣٤١-٣٤٢).

وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه وتفسيره على ما أراد، ولا ندخلُ في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهّمين بأهوائنا، فَإنّه مَا سَلِمَ في دينه إلّا مَن سَلّمَ لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وردّ عِلمَ ما اشتَبهَ عليه إلى عَالمه، ولا تَثبُتُ قَدَمُ الإسلامِ إلا على ظهرِ التسليمِ والاستسلام، فمَنْ رَامَ علمَ ما حُظِرَ عنه عِلمُهُ، ولم يَقنع بالتّسليمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عن خالصِ التوحيدِ، وصافِي المعرفةِ، وصحيحِ الإيمانِ، فيتذبذبُ بين الكفرِ والإيمانِ، والتصديقِ والتكذيبِ، والإقرارِ والإنكارِ، موسوسًا تائهًا، شاكًّا زائغًا، لا مؤمنًا مُصَدّقًا، ولا جاحدًا مُكَذِّبًا.

قوله (وكلُّ ما جاءَ في ذلك منَ الحديثِ الصَّحيحِ عن رسولِ اللهِ ﷺ فهو كما قالَ):

فقد ثبت عن النبيِّ ﷺ رؤيةُ المؤمنين لربِّهم فهو كما قال، وثبت ذلك بالتواتر في أكثر من عشرين حديثًا جاءت عن المصطفى ﷺ في إثبات الرؤية.

ولهذا كفَّر طائفةٌ من أهلِ السنةِ مَن أنكرَ رؤيةَ المؤمنين ربَّهم يوم القيامة؛ لأنَّه إنكارٌ للمتواتر.

قوله (ومعناه على ما أراد، ولا ندخلُ في ذلك متأولين بآرائِنا، ولا متوهِّمين بأهوائِنا):

والمعنى: لا نُخرِجُ هذا الظاهرَ بتأويل، ولا نجعل الرؤيةَ بكيفية معينةٍ معلومة لنا.

فالمعتزلةُ: توهَّموا الرؤيةَ بكيفية معلومة لنا، فنفَوا الرؤية.

والمجسمة: توهموا أنَّ الرؤيةَ لا تكون إلابكيفية معلومة لنا، فأثبتوها على

تلك الكيفية التي نعلمها من المخلوق؛ إذ لا معلوم لنا في الكيفية غيرها، وكلاهما باطل.

قوله (فَإِنَّه مَا سَلِمَ فِي دِينهِ إِلَّا مَن سَلَّمَ لله ﷻ ولرسولِهِ ﷺ، وردَّ عِلمَ ما اشَتبَهَ عليه إلى عَالمِهِ):

والمعنى: أنَّ النجاة في أمرين:

- فعِنْدَ وضوحِ الدليلِ وإحكامِهِ التسليمُ للهِ ولرسولِهِ ﷺ.

- وعند وجود المتشابه هو رده إلى أهل العلم؛ لأنَّ الله ﷻ قال ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾ [**آل عمران: ٧**].

فدلَّت الآيةُ على أنَّ القرآنَ مشتمِلٌ على مُحكَمٍ ومتشابهٍ، وأهل العلم يقولون: آمنا بالمتشابه، فما اشتبَه علينا علمُه فإننا نردُّه إلى أهل العلم الأثبات.

وهنا تنبيهان:

أولًا: معنى (المشتبه):

الشُّبْهةُ: هي الالتباس، والمُشْتَبِهاتُ من الأمور المُشْكَلَات، والمُتَشَابِهاتُ المُتَمَاثِلاتُ[1].

فالمشتبه: ما لا يدرك معناه على الحقيقة، والمتشابه: هو المتماثل، والله جعل القرآنَ مُحكَمًا ومتشابهًا.

ويصحُّ أن يقال: القرآنُ مُحْكَمٌ كلُّه، ومُتشابِهٌ كلُّه،وأنَّ منه مُحْكَمًا ومُتَشَابِهًا، فكلُّ قسمٍ باعتبار:

---

(١) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي (١/ ٣٥٤).

" **مُحْكَمٌ كلُّه** " لأنَّ الله بيَّن أنَّه سبحانه وتعالى أَحْكَمَ القرآنَ في كل وجوهه: في البيان، والإعجاز، والأحكام، والأخبار، والقصص، فكلُّه مُحكَمٌ غاية الإحكام، فقال عز وجل ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١].

" **مُتشابهٌ كُلُّه** " قال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ **[الزمر: ٢٣]**.

أي يشبه بعضُه بعضاً في البيان والإعجاز، بل إنه متشابه في إحكامه.

" وكونُه منه مُحْكَمٌ، ومنه مُتشابِهٌ " هو الذي أشار إليه الطحاويُّ بقوله السابقِ: فالمُحْكَمُ ما كان معناه واضحًا.

والمُتَشَابِهُ: ما اشتبه معناه على البعض.

ثانيًا: أنواعُ المُتَشَابِهِ:

المُتَشَابِهُ نوعان:

أ- **اشتباهٌ نسبيٌّ**: عَلِمَه البعضُ وخفيَ المعنى على البعض الآخر، فما من أحدٍ إلا ويشتبه عليه أشياءُ، فليس أحدٌ بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم عَلِمَ معنى كلِّ آيات القرآنِ، وعَلِمَ كلَّ السنةِ على الوجه الأكمل، فلا بد وأن يشتبَه عليه شيءٌ،كما اشتبهت الكلالة على عمر رضي الله عنه مع وضوحها، ومع جلالة عمر وقدره في العلم، وكما اشتبه الخيط الأبيض والخيط الأسود على عدي بن حاتم، وكما اشتبه عدد أصحاب الكهف وخفي على البعض، قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ **[الكهف: ٢٢]**.

قال ابنُ عباسٍ عن هذه الآية: أنا من القليلِ الذي استثنى الله عز وجل كانوا

سبعة[١]، فكل هذا متشابهٌ نسبيٌّ.

ب- اشتباهٌ مطلق: وهو ما يشتبه على كل الناس كآيةٍ لا يعلم أحدٌ معناها، وهذا يستحيل في القرآن الكريم؛ لأنه لو كان لغاب الحق عن الناس في وقت، وهذا ينافي النصوص الواردة من الكتاب والسنة أنه لا تزال طائفة من الأمة في كل زمان ظاهرة على الحق، وأنَّ الأمة لا تجتمع على ضلالة.

قوله (ولا تَثبُتُ قَدَمُ الإسلامِ إلا على ظهرِ التسليمِ والاستسلامِ):

والتسليمُ والاستسلامُ: هو القَبُولُ والانقيادُ.

وأمورُ العقيدةِ مبنيةٌ على التسليمِ والاستسلامِ؛ لأنَّها من الغيبيات.

قال الزُهريُّ[٢]: من اللهِ الرسالةُ، ومن الرسولِ البلاغُ، وعلينا التسليمُ[٣].

ولا يكون الانقياد والاستسلام إلا إذا سُبِق بالقبول والرضا والتسليم؛ لذا بدأ المصنف بالتسليم، ثم تبعه بالاستسلام.

قوله (فمَنْ رَامَ عِلمَ ما حُظِرَ عنه عِلمُهُ، ولم يَقنَع بالتَّسليمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عن خالصِ التوحيدِ، وصافي المعرفةِ، وصحيحِ الإيمانِ):

هذه الجملةُ فيها النهيُ عن أن يتعدى المؤمنُ ما عَلِمَهُ من الكتاب والسنة، وعليه أن يقتصرَ عليهما، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ **[الإسراء: ٣٦]**.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٣٤).

(٢) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري، أبو بكر: ولد عام ٥٨ هـ، وهو أول من دوَّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، كتب عمر بن عبد العزيز إلى عُمَّاله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه، توفي عام ١٢٤هـ.

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري (١/ ٧٦).

فما ورد من أمور الغيبيات، ولم يَرِدْ فيه نصٌّ في الكتاب والسنة فإنَّه يُسكَتُ عنه، ولا يُتكلَّمُ فيه لا بالنفي ولا بالإثبات.

قوله (فمن رامَ عِلمَ ما حُظِرَ عنه عِلمُهُ):

والمعنى: مَن طلب وبحث عن علمٍ مُنِع وحُظِرَ البحث عنه في الكتاب والسنة.

قوله (ولم يَقنَعْ بالتَّسليمِ فَهمُهُ):

أي من لم يقنع بالتسليم بما جاء في الكتاب والسنة، وردِّ المتشابه إلى المُحْكَمِ.

قوله (حَجَبَهُ مَرَامُهُ عن خالصِ التوحيدِ):

أي حجبه ذلك عن كامل التوحيد وصافيه.

قوله (وصافِي المعرفةِ):

والمعرفةُ هنا بمعنى العلم، أي أنه لا يصل للعلم الصافي- وهو العلم الصحيح النافع- إلا بالتسليم، وإلا حُجِبَ عنه هذا العلم، وصار ما حواه من العلم غير صحيح، قليل النفع.

فعلمُ الشريعة عامة، وعلم التوحيدِ خاصة يؤتاه العبدُ بشيئين: التسليمُ وعدمُ الاعتراضِ، والعملُ بمقتضى هذا التوحيد.

قال بعضُ السلفِ: من عمل بما علِم أورثَه اللهُ عِلْمَ ما لا يعلم(١).

قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ **[النساء: ٦٦]**.

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (الحديث ٣٦).

قوله (فيتذبذبُ بين الكفرِ والإيمانِ، والتصديقِ والتكذيبِ، والإقرارِ والإنكارِ، موسوسًا تائهًا، شاكًّا زائغًا، لا مؤمنًا مُصَدِّقًا، ولا جاحدًا مُكَذِّبًا):

وهذا كثيرٌ فيمن عَرَضَتْ لهم الشكوكُ، ولم يقنعوا بما دلَّهم عليه الكتابُ والسنة، فهم يبقون مُتَشَكِّكِين حائرين، وإذا نظرتَ إلى كلام أهلِ الكلام لمَّا تابوا علمتَ ذلك يقينًا.

قال ابنُ رشدٍ[١] في تَهافُتِ التَّهافت: مَنِ الذي قال في الإلهيات شيئًا يُعتدُّ به؟!‏[٢].

والغزاليُّ[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترك علم الكلام في آخر حياته، وأقبل على الحديث، ومات وصحيحُ البخاريِّ على صدره[٤].

قال ابنُ القيمِ: وحدثني شيخ الإسلام قال: حَكَى لي بعضُ الأذكياء، وكان قد قرأ على أفضل أهل زمانه في الكلام والفلسفة، وهو ابن واصل الحموي[٥] أنه قال

---

(١) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، الملقب بابن رشد الحفيد، ولد عام ٥٢٠هـ ، درس الفقه، وسمع الحديث، وأتقن الطب، وأقبل على علم الفلسفة والكلام، وصنف كثيرًا في الفلسفة حتى اتُّهِمَ، من مصنفاته (بداية المجتهد)، و(تهافت التهافت)، وغيرها، توفي عام ٥٩٥هـ.

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ٨٤١).

(٣) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد: فيلسوف، متصوف، مولده بخراسان عام ٤٥٠ هـ ، من كتبه: (إلجام العوام عن علم الكلام)، و(إحياء علوم الدين)، و(تهافت الفلاسفة)، و(المستصفى من علم الأصول)، و(المنخول من علم الأصول)، توفي عام ٥٠٥ هـ.

(٤) الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ٨٤٢).

(٥) أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموي الشافعي، كان إمامًا عالمًا بعلوم كثيرة خصوصًا العقليات، مفرطًا في الذكاء، مداومًا على الاشتغال والتفكر في العلم، وصنف تصانيف في المنطق، والعروض، والطب، والأدب.

له الشيخ أضطَّجِعُ على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي شيء، ولهذا ذهب طائفة من أهل الكلام إلى القول بتكافؤ الأدلة، ومعناه أنها قد تكافأت، وتعارضت فلم يُعْرَفِ الحقُّ من الباطلِ، وصدَقوا، وكذَبوا:

أما صدقهم، فإنَّ أدلتهم وطرقهم قد تكافأت، وتصادمت حتى قال شاعرهم:

ونظيري في العلم مثل أعمى ... فترانا في حِنْدِس نتصادم

ولقد صدق هذا الأعمى البصر والبصيرة، ووصف حال القوم، فأحسن والله الفقه، وعبَّر عن حالهم بأشد عبارة مطابقة بزمرة عميان قاموا في ليلة مظلمة، يتهاوشون ويتصادمون.

وأما كذبهم فإنَّ أدلة الحق وشُبَهَ الباطل لا تتكافأ حتى يتكافأ الضوء والظلام، والبياض والسواد، والمسك وأنتن الجيف، فسبحان من أعمى عن الحق بصائر من شاء من خلقه كما أعمى عن الشمس أبصار من شاء منهم، فالذنب لِكَلَلِ البصائر لا للحق، كما أنَّ الحجاب في تلك العيون لا في الشمس، ولقد أحسن القائل في وصف هؤلاء وبصائرهم أنها بمنزلة أبصار الخفاش تعجز عن ضوء النهار، ولا تفتح أعينها فيه، ويلائمها ظلام الليل، فتذهب فيه، وتجيء، ولهذا تجد أكثر هؤلاء لَمَّا لم يتبين له الهدى في شيء من تلك الطرق نكص على عقبيه، وخلع العذار[1].

وقال الرازي[2]:

نهايةُ إقدام العقولِ عِقالُ ... وغايةُ سعي العالمين ضلالُ

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ٨٤٢، وما بعدها).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: ولد عام ٥٤٤ هـ، من تصانيفه (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن الكريم، و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات)، و (معالم أصول الدين)، توفي عام ٦٠٦ هـ.

وأرواحُنا في وحةٍ من جُسومِنا ... وحاصلُ دنيانا أذى ووبالُ

ولم نستفدْ من بحثِنا طولَ عمرِنا ... سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالُوا

وقال: لقد تأملتُ الطرقَ الكلاميةَ، والمناهجَ الفلسفيةَ فما رأيتُها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقربَ الطُّرقِ طريقةَ القرآنِ، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠] ومَن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[١].

وقال أبو المعالي الجويني[٢]: في مرضه: اشهدوا عليَّ أني رجعت عن كل مقالة أخالف فيها السلف، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور[٣].

وكان يقول: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أنَّ الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلتُ به[٤].

قال شمسُ الدينِ الخُسْرَوشاهي[٥] وكانَ من أجلِّ تلامذةِ فخرِ الدين الرازي: قال لبعضِ الفضلاءِ وقد دخل عليه يومـاً: ما تعتقده؟

قال: ما يعتقد المسلمون. فقال: وأنت منشرحُ الصدرِ لذلك متيقن به.

---

(١) العقيدة الحموية الكبرى لابن تيمية (١/ ٦).

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، ولد عام ٤١٩ هـ ، له مصنفات كثيرة، منها: (العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية)، و(البرهان) في أصول الفقه، و(الشامل) في أصول الدين، و(الورقات) في أصول الفقه، توفي عام ٤٧٨ هـ.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى (٥/ ١٩١).

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي (١٠/ ٤٢٤).

(٥) شمس الدين الخُسْرَوْشاهي أبو محمد عبد الحميد بن عيسى بن عمرية التبريزي الشافعي المتكلم، ولد سنة ٥٨٠هـ، ورحل فأخذ الكلام عن الإمام فخر الدين الرازي، وبرع فيه، وسمع من المؤيد الطوسي، وتقدم في علم الأصول، والعقليات، ودرس وناظر، ومات ودفن بقاسيون.

فقال: نعم. فقال: اشكر اللهَ على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضلَ لحيتَه[١].

وقال أبو يوسف: مَن طلب الدينَ بالكلامِ تزندق، ومن طلب المالَ بالكيمياء أفلسَ، ومن طلب غريبَ الحديثِ كذب[٢].

وقال الشافعيُّ: حُكْمِي في أهل الكلام أن يُضرَبوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في القبائل والعشائر[٣].

قال شيخنا الفاضل: فضيلة الشيخ عبد المنجي سيد أمين[٤]: لقد درسْتُ الفلسفة قديمة وحديثة - بحكم دراستي -، وكان هذا من البلاء المبين، وبعد دراسةٍ طويلةٍ عَلِمْتُ بيقين أنَّ الفيلسوف: هو باحثٌ عن نقطةٍ سوداءَ في صحراءَ متراميةِ الأطراف، في ليلة مظلمة شاتية، ريحها عاصف، وهو مع ذلك أعمى، فهل يا تُرَى سيصل ؟!!

ومن أجل تلك الحيرة ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ علاج ذلك ألا وهو التوجهُ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والتسليمِ إليه؛ لذا كان من دعاء النبي ﷺ «**اللهُمَّ رَبَّ جبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[٥].

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبى العز (١/ ٢٤٦).

(٢) العلو للعلى الغفار للذهبى (١/ ١٥١).

(٣) العقيدة الحموية الكبرى لابن تيمية (١/ ٩٠).

(٤) أبوأحمد عبد المنجى بن سيد آل أمين، ولد في مدينة القرين، محافظة الشرقية، جمهورية مصر العربية١٣٨٣هـ، أمين لجنة الفتوى، أصولى، فقيه، عالم بالعقيدة، ومن مؤلفاته (إيثار الحق)، و(الجواهر الحسان في معالم الإيمان)، وغيرها، وكان عمره حين صدور الكتاب ٥٥ عامًا تقريبًا.

(٥) أخرجه: مسلم (٧٧٠).

ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤية لأهلِ دارِ السّلامِ لمن اعتبرَهَا منهم بوهمٍ، أو تأَوّلها بفهمٍ، إذْ كان تأويلُ الرُّؤيَةِ- وتأويلُ كُلِّ معنًى يُضافُ إلى الرُّبوبيَّةِ- بتَركِ التَّأويلِ، ولُزُومِ التّسليمِ، وعليه دينُ المرسلين، ومَن لم يتوَقّ النفيَ والتشبيهَ زلّ ولم يصبِ التنزيهَ، فإن ربّنا جلّ وعلا موصوفٌ بصفاتِ الوحدانيةِ، منعوتٌ بنعوتِ الفردانيةِ، ليسَ في معناه أحدٌ منَ البريةِ.

إنَّ الإيمانَ بالأسماءِ والصفاتِ، بل والغيبياتِ كلِّها لا بدَّ فيه من التسليمِ والاستسلامِ أي القَبولِ والانقيادِ، فلا يجوزُ فيها التأويلُ، أو التشبيهُ، أو النفيُ، أو التمثيلُ، أو التكييفُ.

أولًا: التأويلُ:

التأويلُ في اللغةِ: هو ما يؤولُ إليه الشيءُ.

والتأويلُ عندَ أهلِ العلم ينقسم إلى عدةِ أقسامٍ:

الأول: التأويلُ بمعنى التفسير، أو وجود الشيء عينًا في الواقع، وذلك مثلُ قولِه ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، أي تفسير رؤياي.

الثاني: تأويلُ الأخبارِ، وتأويل الخبر هو مايؤول إليه حقيقةُ الخبر، قال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

الثالث: تأويلُ الأمرِ والنهيِ: وتأويلُ الأمرِ هو امتثالُه، وتأويل النهيِ هو الانتهاءُ عنه، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [**النساء: ٥٩**]، يعني: أحسن امتثالًا لأمر الله.

الرابع: التأويلُ بالمعنى الحادث: وهو صرف اللفظ إلى المعنى المرجوح البعيد بقرينة.

وهو يكون تأويلًا صحيحًا بشروط:

١- أن يحتمل اللفظ المعنى المصروف إليه.

٢- وجود الدليل الصحيح الصالح للتأويل.

لكن غالب تأويل أهل البدع يكون بصرف اللفظ إلى معنى غيرِ ظاهرٍ بدليل غيرِ صحيحٍ، أو بدليلٍ صحيحٍ غيرِ صالحٍ للتأويل، أو إلى معنى لا يحتملُه اللفظُ أصلًا.

ففي العصور الأولى عصر الصحابة والتابعين قالوا: "الاستواء" معناه: العلوُّ والاستقرار.

"واليد " هي اليدُ الحقيقيةُ، ومن لوازمها القدرةُ.

ونُقِل الإجماعُ على ذلك، حيث أجمع الصحابة على العملِ بظواهرِ الألفاظِ[1] وبذلك سلَّموا وآمنوا باللفظ، ومعناه، وحقيقته.

ومَن أوَّلَ هذه الصفات إلى غير هذا المعنى أوَّلَها بغير دليل، أو إلى معنى لا يحتمله اللفظ أصلًا.

---

(١) إرشاد الفحول للشوكاني (٢/ ٣٢)، والبحر المحيط للزركشي (٣/ ٢٥).

(ومن لم يتوقَّ النفيَ):

تركُ النفيِ مطلوبٌ وواجبٌ، والمرادُ تركُ نفيِ أصلِ الصفةِ، وتركُ نفيِ ظاهرِ الصفةِ وحقيقتِها، وتركُ نفيِ معنى الصفةِ، لكننا ننفي شيئًا واحدًا وهو العلم بالكيفية فقط.

حيث إنَّ النفي في باب الصفات أنواع:

- إما نفي لأصلِ الصفةِ.
- وإما نفي لظاهرِ الصفةِ.
- وإما نفي لمعنى الصفةِ.
- وإما نفي لكيفيةِ الصفةِ.

أولًا: نفيُ أصلِ الصفةِ:

والمعنى نفيُ وجود الصفة، وعدمُ إثباتها.

مثال: قال الله ﷻ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قالوا: إنَّ الله لم يستو أصلًا، وكذلك إنَّ الله لا يتصف بالسمع ولا بالبصر، ولا غيرها، وهذا مذهب واضح البطلان؛ إذ إنه معارض لنص الكتاب والسنة.

ثانيًا: نفيٌ لظاهرِ الصفةِ:

أي يقولون نثبتُ الصفةَ، وينفون المعنى الظاهرَ، ويثبتون معنى آخر غيره.

مثال: قالوا: نثبتُ الاستواءَ، لكنه ليس على معناه الظاهر، ولكن المرادُ هو الاستيلاء، وهؤلاء هم المحرفة.

ثالثًا: نفيُ معنى الصفةِ:

قالوا: نُسلِّم بالصفةِ ولكن لا ندركُ المعنى، ولا نَعْلَمُه، ولا نَفْهَمُه، فهؤلاء يفوضون المعنى، وهؤلاء هم أهلُ التجهيل الذين يسميهم العلماءُ المُفَوِّضة.

رابعًا: نفيٌ للعلم بكيفيةِ الصفةِ:

وهؤلاء يثبتون الصفةَ أي ظاهرها، ويثبتون المعنى، ولوازمَ الصفةِ، وينفون الكيفيةَ أي العلم بالكيفية، وهم أهل السنة.

فنفيُ العلم بالكيفيةِ واجبٌ، وهذا منهجُ أهلِ السنةِ والجماعةِ؛ إذ الكيفية لا يعلمُها إلا الله، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

إذن فالمقصودُ من قولِ الطحاويِّ (**ومن لم يتوق النفي...**) أي من لم يتوقَّ نفي أصل الصفة، ونفي معناها، ونفي ظاهرها.

قوله (والتشبيه):

التشبيهُ: هو جعلُ المخلوقِ مشابهًا للخالق، أو جعلُ الخالق مشابهًا في صفاته للمخلوق.

❁ أنواعُ التشبيهِ ومراتبُه:

النوعُ الأولُ: التشبيهُ الكاملُ في الكيفيةِ:

والمعنى: جعل الخالق مشابهًا للمخلوق في كلِّ شيء كقول المجسمة: يدُ اللهِ كيدي، وصورتُه كصورتِي- والعياذُ بالله - وهذا منفيٌّ.

النوع الثاني: التشبيهُ الكاملُ في تمامِ الصفةِ:

أي كمال الصفة عند المخلوقِ ككمالِها عند الله، وهذا منفيٌّ أيضًا.

النوع الثالث: التشبيهُ في أصلِ الصفةِ:

أي أنَّ أصل الصفة قد يتصف بها الخالق ويتصف بها أيضًا المخلوق، وهذا غيرُ منفيٍّ، لكنها مختلفة في كيفيتها، وتمامها، وكمالها.

فيكون قول المصنف (**والتشبيه...**) أي من لم يتوقَّ التشبيه في تمام المعنى للصفة أو كيفيتها زل ولم يصب التنزيه، لكن التشبيه في أصل الصفة غير منفي ولا مذموم، بل إنه واجب لثبوته في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

والتشبيهُ الكاملُ في الكيفية، وتمامِ الصفةِ يساوي التمثيلَ بل هو التمثيلُ بعينه.

إذن فأهلُ السنةِ والجماعةِ لمَّا قالوا: من غيرِ تشبيهٍ أي في الكيفيةِ، وتمامِ المعنى، وعندما يثبتون التشبيهَ يكون في أصل الصفةِ.

قوله (زلَّ ولم يُصبِ التنزيهَ):

كلُّ أهلِ البدعِ حادوا عن إثبات الصفات بحجةِ التنزيهِ، والتنزيهُ يكون بتقديس الله تعالى عن صفاتِ النقصِ، والإشكالُ عندهم تصوُّرُ بعضِ الصفاتِ أنها صفاتُ نقصٍ فنفَوها عن اللهِ سبحانه وتعالى، وهي في الحقيقة صفات كمال، فنفَوا عن الله الكمال، وأثبتوا له العيب والنقص، وحَكَمُوا بأنَّ الصفة صفة نقص أو كمال بما يعلمونه من المخلوق، وقاسوا عليه الخالق سبحانه وتعالى، وهذا غير متحقق في كل صفة، فهناك بعض الصفات تكون كمالًا في حق المخلوق وكمالًا في حق الله تعالى أيضًا، وهناك صفات تكون كمالًا في حق المخلوق، لكنها تكون من صفات النقص بالنسبة لله تعالى.

والحاكمُ أنَّ هذه الصفةَ كمالٌ أو نقصٌ بالنسبة لله تعالى هو الشرعُ، وليس عقول الناس القاصرة.

مثـــــال:

تركُ الطعامِ في حق المخلوق ذمٌّ ونقص؛ لأنَّه مخالف لأصل طبيعته، وأما في حقِّ اللهِ عز وجل فهي صفةُ كمالٍ؛ لأنَّ صفاتِ اللهِ تدل على الكمالِ، وعدمِ الحاجةِ، والأكل دليل الحاجة.

مثال آخر: صفةُ الكلامِ:

فمَن نفى صفةَ الكلام لله تعالى نفاها لظنه أنها صفةُ نقصٍ؛ وذلك لأنَّهم

تصوَّروا صفةَ المخلوقِ للخالق، فقالوا أنه لا بد لصفة الكلامِ من لسانٍ وحنجرة وغيرها، فقالوا: إذن هي صفة نقصٍ فنفوها.

والصحيحُ أنَّ صفةَ الكلامِ صفةُ كمالٍ، والدليلُ هو الشرعُ، ولا يلزم من التشابه في أصل الصفة التشابه في الكيفية - وقد سبق بيان ذلك -.

قوله (فإنَّ ربَّنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفاتِ الوحدانيةِ، منعوتٌ بنعوتِ الفردانيةِ):

يعني أنه مُتوحِّدٌ بصفاتِه، وأنَّ كلَّ نعتٍ يُنعَتُ بِهِ الربُّ فهو منفرِدٌ بِهِ، فهو سبحانه فرْدٌ في ذاته، وفردٌ في أسمائِه، وفردٌ في صفاتِه.

"والصفةُ والنعْتُ " بمعنى واحدٍ، وهو في حق الله تعالى المَثَلُ الأعلى المذكور في القرآن كما قال ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

أقسامُ صفاتِ الربِّ سبحانه وتعالى:

تنقسم الصفاتُ إلى أقسامٍ مختلفةٍ باعتباراتٍ مختلفةٍ:

أولًا: باعتبار قيامِها بالذات:

صفاتٌ ذاتيةٌ: وهي التي لا ينفكُ ربُّنا عن الاتصافِ بها، فلم يزل موصوفًا بها دائمًا، وهي قسمان:

- **خبرية**: مثل الوجه، والعينين، واليدين، والسمع، والبصر.
- **معنوية**: مثل الحياة، والعلم، والقدرة.

صفاتٌ فعليةٌ: وهي الصفاتُ الاختيارية، وهي: التي يفعلها ربُّنا وقتما شاء، سواء كانت بسبب من العبد كالضحك، والغضب، أو بغير سبب منه كصفة النزول.

❁ **صفات ذاتية فعلية**: مثل صفة الكلام فباعتبار ذاتها وأصلها فهي صفة ذاتية، فالله متصف بالكلام أزلًا وأبدًا، وباعتبار آحاد الكلام أنه سبحانه يتكلم بما شاء وقتما شاء، فهي صفة فعلية.

❁ ثانيًا: باعتبارِ صفاتِ الجلالِ والجمالِ:

- **صفاتُ جلالٍ**: وهي الصفات التي فيها نعتٌ لله بجلاله وعظمته وقهرِه، وهي التي تجلبُ في قلوبِ عباده الخوفَ منه والمهابة والرهبة، مثل صفاتِ القوةِ، والعزة، والمراقبة، ونحوها.

- **صفاتُ الجمالِ**: وهي الصفاتُ التي تبعثُ في قلبِ الموحِّدِ حُبَّ اللهِ ﷻ، والأنسَ به وبلقائه، ومناجاته، والإنابة إليه، مثل صفات الحلم، والمغفرة، والود، ونحوها.

❁ ثالثًا: باعتبار تعلقها:

- **صفاتُ ربوبيةٍ**: وهي ما كانت من أفرادِ الربوبية، مثل (الملك، والخلق، والرزق، والتدبير، وغيرها).

- **صفاتُ ألوهيةٍ**: وهي التي تدل على ألوهيته سبحانه وتعالى، مثل اسم (الله، الصمد، الغني، ونحوها).

-

❁❁❁

تعالى عنِ الحُدود، والغاياتِ، والأركانِ، والأعضاءِ والأدواتِ، لا تحويهِ الجهاتُ السِّتُّ كسائرِ المبتدَعاتِ.

قوله (تعالى عنِ الحدودِ، والغاياتِ):

هذه الألفاظ ليست من الألفاظ التي يستخدمها أهل السنة، وهي من الألفاظِ التي أُخِذَت على المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من حيث:

أولًا: هذه الألفاظ لم تَرِدْ في الكتاب ولا في السنة، ولا في لسان السلف، فكان ينبغي عدم استخدامها؛ إذ لا حاجة إليها.

ثانيًا: هذه صفاتُ نفي، والنفيُ عند أهل السنة والجماعة يكون مجملًا لا مُفَصَّلًا، وهنا المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ جاء بالنفي مُفَصَّلًا.

ثالثًا: أنَّ هذه الألفاظ قد تستخدم عند التنظير لا عند التأصيل.

فعند التأصيل: لا تستخدمُ إلا الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة، والواردة على لسانِ علماءِ أهلِ السنةِ والجماعةِ.

أما عند الجدالِ والتنظير: فيجوزُ استخدامُ ألفاظِ أهلِ البدعِ لبيانِ عَوَرِها ودحض حُجَجِهم.

والمقامُ هنا مقام التأصيل لا التنظير، فكان ينبغي ألَّا يستخدمَ هذه الألفاظَ؛ إذ إنها محتملةُ المعنى.

وورد عن بعضِ السلفِ استخدامُ تلك الألفاظ، لمَّا استخدمها أهل البدع، وروَّجُوا لها، ولكنهم اختلفوا في التعبير عنها، فمنهم من نفاها، ومنهم من أثبتها، وكلٌّ باعتبار.

فمن يثبتُ الحدَّ: يعني بحدٍّ فاصلٍ بينه وبين خلقه، فليس كمثله شيء.

والذي ينفي الحدَّ: يعني أنه لا حدًّ لصفاتِه، ولا غايةَ لها في الكمال، فالخلق

عاجزون أن يحدوه سبحانه وتعالى، أو يُقَدِّروه، أو يبلغوا صفته.

قال الإمام الذهبي[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سبق أن أَسْلَفْنا أنَّ إطلاق السلف للحد ليس من باب الصفات، وإنما هو من باب الإخبار، ولهم فيه استعمالان:

الاستعمال الأول: في حال الإثبات.

ومن الآثار الواردة في ذلك:

ما رواه الخلال[٢] بسنده: قيل لأحمد بن حنبل: يُحْكَى عن ابن المبارك[٣] - وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ - قال: في السماء السابعة على عرشه بحد. فقال أحمد: هكذا هو عندنا.

وعن حرب بن إسماعيل[٤] قال: قلت: لإسحاق - يعني ابن راهويه[٥] -: هو

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله: حافظ، مؤرخ، علَّامة محقق، ولد عام ٦٧٣ هـ، من مصنفاته: دول الإسلام، و سير أعلام النبلاء، والكبائر، وتهذيب تهذيب الكمال، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، توفي عام ٧٤٨ هـ.

(٢) الإمام العلامة الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، ولد في سنة ٢٣٤هـ، ومن مصنفاته: الجامع في الفقه، والعلل، والسنة، وغيرها، ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل، حتى تتبع هو نصوص أحمد، ودونها، توفي سنة ٣١١هـ.

(٣) الإمام العلم أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي، الفقيه الحافظ الزاهد، ولد عام ١١٨هـ، قال أبو إسحاق الفزاري: ابن المبارك إمام المسلمين، وكان رأسًا في العلم، رأسًا في العمل، رأسًا في الذكاء، رأسًا في الشجاعة والجهاد، رأسًا في الكرم، وتوفي عام ١٨١هـ.

(٤) الإمام، العلامة، أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني، الفقيه، تلميذ أحمد بن حنبل، رحل، وطلب العلم، قال الخلال: كان رجلًا جليلًا، حثني المروذي على الخروج إليه: ومسائله من أنفس كتب الحنابلة، توفي في سنة ٢٨٠هـ، وقارب التسعين، وما عُلِمَ به بأسٌ.

(٥) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظليّ التميمي، أبو يعقوب بن راهويه: عالم خراسان في =

على العرش بحد؟ قال: نعم بحد.

وذُكِرَ عن ابن المبارك قال: هو على عرشه، بائن من خلقه بحد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنَّ كثيرًا من أئمة السنة والحديث، أو أكثرهم يقولون: إنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه بحد.

الاستعمال الثاني: في حال النفي.

قال حنبل(١): قلت لأبي عبد الله: ما معنى قوله {وَهُوَ مَعَكُم}، و{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ} ؟. قال: علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد، ولا صفة.

و قال الإمام أحمد: والله عز وجل على عرشه ليس له حد، والله أعلم بحده.

❑ **توضيح المسألة:**

أما الاستعمال الأول: فهو استعماله في حال الإثبات:

فقد استُعمِل في مسألة إثبات علو الله على خلقه، وتَمَيُّزِهِ وانفصالِهِ عنهم، وعدمِ اختلاطِهِ بهم، أو حُلُولِهِ فيهم، فلمَّا زعم الجهمية: أنَّ الخالق في كل مكان، وأنه غير مبايِنٍ لخلقه، ولا مُتَمَيِّزٍ عنهم، قال بعض أئمة السلف: إنَّ الله سبحانه عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وذكروا الحد؛ لأنَّ الجهمية زعموا أنه ليس له حد، وما لا حد له لايباين المخلوقات، ولا يكون فوق العالم، والسلف

=

عصره، ولد عام ١٦١ هـ ، وهو أحد كبار الحفاظ، قال الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ، والصدق، والورع والزهد، وله تصانيف، منها (المسند)، وتوفي عام ٢٣٨هـ.

(١) حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد: الإمام، الحافظ، المحدث الصدوق، المصنف، أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه، ولد قبل المئتين. قال الخطيب: كان ثقةً ثبتًا، وله من المصنفات " المحنة "، و" التاريخ "، وغيرها، توفي عام ٢٧٣هـ.

يقولون إنه حد لا يعلمه إلا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن نقل الآثار الواردة عن السلف في إثبات الحد:

فهذا وأمثاله مما نُقِلَ عن الأئمة، بَيَّنوا أنَّ ما أثبتوه له من الحد لا يعلمه غيره، كما قال مالك[١] وربيعة[٢]، وغيرهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، فبين أنَّ كيفية استوائه مجهولة للعباد، فلم ينفوا ثبوت ذلك في نفس الأمر، ولكن نَفَوْا علم الخلق به.

الاستعمال الثاني: استعماله في حال النفي:

وذلك في مسألة نفي الإحاطة بالله علماً وإدراكاً، فلا منازعة بين أهل السنة بأنَّ الله تعالى

غير مُدرَك الإحاطة، والخلقُ عاجزون عن الإحاطة به، فهم لا يستطيعون أن يحدوا الخالق جل وعلا، أو يُقَدِّرُوه، أو يبلغوا صفته، فمن نفى الحد على هذا المعنى فهو مصيب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: المحفوظ عن السلف والأئمة إثبات حد لله في نفسه، وقد بينوا مع ذلك أن العباد لا يحدونه ولا يدركونه، ولهذا لم يتناف كلامهم في ذلك كما يظنه بعض الناس، فإنهم نفوا أن يَحُدَّ أحدٌ اللهَ.

---

(١) إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، ولد عام ٩٣هـ، طلب العلم، وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهَّل للفتيا، وله إحدى وعشرون سنة، ومصنفاته كثيرة، منها: الموطأ، والمدونة الكبرى، ورسالة في القدر، وكتاب في التفسير، وغيرها، توفي عام ١٧٩هـ.

(٢) ربيعة بن أبي عبدالرحمن فروخ، الإمام، مفتي المدينة، المشهور بربيعة الرأي، قال مطرف: سمعت مالكا يقول: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة، قلت: وكان من أوعية العلم، توفي عام ١٣٦هـ.

ولهذا قال أحمد: لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية.

وقد رواه الخلال في "كتاب السنة" قال حنبل بن إسحاق، قال: قال عمي: "نحن نؤمن بالله عز وجل على عرشه كيف شاء، وكما شاء، بلا حد، ولا صفة يبلغها واصف، أو يحده أحد[1].

قوله (لا تحويهِ الجهاتُ الستُّ كسائرِ المبتدَعاتِ):

هذه العبارة أراد بها الطحاويُّ أن يردَّ على أهلِ البدعِ الذين يقولون: إنَّ اللهَ في كلِّ مكانٍ، أي في كلِّ الجهات حاشاه ﷻ.

والمراد بالجهات الست أي التي للمخلوق، فهي نسبيةٌ ومقيدةٌ بمكان المخلوق، فليس هناك يمينٌ أو شمال أو أمام أو خلف للمخلوق مطلقًا، فلا بد أن يكون عن يمين أو شمال بالنسبة لآخر؛ لذا فهي جهات نسبية، وليست مطلقة.

وجهةُ العلوِّ إذا نُسِبَتْ للمخلوق فليستْ علوًّا مطلقًا، ولكنه علوٌّ نسبيٌّ فثَمَّ أشياء أعلى منه، والجهاتُ الستُّ النسبية لا تُطْلَقُ على الله ﷻ، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله.

فاللهُ فوقَ العرشِ، وله العلوُّ المطلَقُ، وبذلك نثبتُ لله ﷻ جهةً واحدةً مطلقةً وهي العلوُّ.

۞

(١) العرش للذهبي (١/ ٢٥٢، وما بعدها. بتصرف).



الإيمان بالإسراءِ والمِعْراج

والمِعْراجُ حقٌّ، وقد أُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ، وعُرِجَ بشخصه في اليقظةِ إلى السماءِ، ثمّ إلى حيثُ ما شاءَ اللّهُ تعالى من العُلا، وأكرمَهُ اللّهُ تعالى بما شاءَ، وأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى.

قوله (والمِعْراجُ حقٌّ............):

هذه الجملةُ اشتملت على تقريرِ الإسراء والمعراج، وإثبات أنَّ النبيَّ ﷺ أُسري به من مكةَ إلى بيتِ المقدسِ، ثم عُرج به إلى السماء في اليقظة.

الإسراء: يقال أَسْرَيْتُ وسَرَيْتُ إذا سِرْتُ ليلًا[1].

المعراج: هو المَصْعَد والسُّلَّم، وما عَرَجَ عليه الرسول ﷺ ليلة الإسراء[2].

فالإسراء اسمٌ للحدثِ، وهو السير بالنبي ﷺ ليلًا، والمعراج اسمٌ للآلةِ التي عُرِج بالنبي ﷺ عليها.

وذِكْرُ الإسراءِ والمعراجِ في أمور العقيدةِ لأنَّهما أمرانِ غيبيان، ومعجزتان خارقتان للعادة، وطالما أنهما من الغيبيات، فلا بدَّ من التسليمِ والاستسلامِ للنصوص الواردةِ فيهما دون تأويل أو تحريف، وهذا وفْق قاعدةِ أهل السنةِ والجماعةِ في الغيبياتِ، وهي: أن يُسلِّم العبد لها، ويؤمنَ بها، وألَّا يتعرضَ لها بتحريف عن ظاهرِها.

ودليلُ الإسراءِ: قولُه : ﷻ ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٣٧٧).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٥٩٢).

ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ، طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ.....**»[1].

ودليلُ المعراج: قولُه ﷻ ﴿ **وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ** ﴾ [النجم: ٧ - ١٠].

قالَ ﷺ «**فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ[2] عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلاَ أَحْسَنَ**» **قَالَ: قَالا لِي: ارْقَ فِيهَا، قَالَ: «فَارْتَقَيْنَا فِيهَا...»**[3].

قوله (وقد أُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ وعُرِجَ بشخصِه في اليقظة إلى السماء، ثمَّ إلى حيثُ شاءَ اللهُ تعالى من العُلا):

- الإسراءُ والمعراجُ إما أن يكونا: منامًا.
- أو بجسده دون رُوحِه.
- أو بروحه دون جسده.
- أو بجسدِه وروحه.

- فالقول بأنَّ الإسراء والمعراج منامًا مردودٌ لأنَّ قريشًا لا تنكر المناماتِ، ولا ينكرُه أيُّ عاقلٍ، ولمَّا أنكره الكفارُ وهم لا ينكرون المناماتِ دلَّ على أنَّه ليس منامًا.

---

(١) أخرجه: مسلم (١٦٢).

(٢) وعند أحمد والنسائى إلى "دوحة" بدل "روضة"، وهى الشجرة الكبيرة.إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (١٠/ ١٦٤).

(٣) أخرجه: البخاري (٧٠٤٧).

- **أن يكون بالجسد دون الروح**، فهذا لم يقلْ به أحدٌ؛ إذ إنه غير ممكن ولا معقول.

- **أن يكون بالروح فقط** وهذا يناقض الأدلة الآتية كقوله ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ **[الإسراء: ١]**، فالعبد يطلق على الروح والجسد لا الروح فقط.

- **أن يكون بالروح والجسد معًا**، وهو الصحيحُ، وهو الذي تشهد له الأدلة: قال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ **[الإسراء: ١]**.

وقال تعالى ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ **[النجم: ١٠]**، والأصلُ في الألفاظ أنَّها على حقيقتها وظاهرها، ولا تخرج عن حقيقتها وظاهرها إلا بدليل، فلمَّا قال: "بعبده"،" إلى عبده"، والعبدُ يُطلَقُ على الروحِ والجسدِ معًا دلَّ علىً أنَّ الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معًا.

وهذا الذي قاله المؤلفُ حيث قال:"وقد أُسري بالنبيِّ ﷺ، وعُرج بشخصِه في اليقظةِ إلى السماء "، فقوله بشخصه أي بالروح والجسد، فهو يَرُدُّ قولَ مَن قال بالروح دون الجسد، وقوله في اليقظة يرد قول من قال كانا منامًا، والله أعلم.

مسألة: هل رأى النبيُّ ﷺ ربَّه ليلة الإسراء المعراج؟

واختلفَ النقلُ عن الصحابة رضي الله عنهم ومَن بعدهم في رؤية النبي ﷺ لربه في المعراج بين النافي للرؤية، كعائشة رضي الله عنها، وابن مسعود رضي الله عنه، وبين المثبت لها كابن عباس رضي الله عنه، وسأل أبوذر رضي الله عنه النبيَّ ﷺ عن ذلك صراحة، **فعنْ أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»**[1].

(١) أخرجه: مسلم (١٧٨).

وحرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:

وَأَمَّا " الرُّؤْيَةُ " فَالَّذِي ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: " رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ "، وَعَائِشَةُ أَنْكَرَتِ الرُّؤْيَةَ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ: عَائِشَةُ أَنْكَرَتْ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ أَثْبَتَ رُؤْيَةَ الْفُؤَادِ، وَالْأَلْفَاظُ الثَّابِتَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هِيَ مُطْلَقَةٌ أَوْ مُقَيَّدَةٌ بِالْفُؤَادِ: تَارَةً يَقُولُ: رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ، وَتَارَةً يَقُولُ: رَآهُ مُحَمَّدٌ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَفْظٌ صَرِيحٌ بِأَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ، وَكَذَلِكَ " الْإِمَامُ أَحْمَد " تَارَةً يُطْلِقُ الرُّؤْيَةَ، وَتَارَةً يَقُولُ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّهُ سَمِعَ أَحْمَدَ يَقُولُ رَآهُ بِعَيْنِهِ، لَكِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ سَمِعُوا بَعْضَ كَلَامِهِ الْمُطْلَق فَفَهِمُوا مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ، كَمَا سَمِعَ بَعْضُ النَّاسِ مُطْلَقَ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَفَهِمَ مِنْهُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ، وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِهِ، وَلَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِن الصَّحَابَةِ، وَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، بَل النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ عَلَى نَفْيِهِ أَدَلُّ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّك ؟ فَقَالَ: **نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[الإسراء:١]، وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾[النجم:١٢]، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨]، وَلَوْ كَانَ رَآهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألتُ رسولَ اللهِ: هل رأيتَ ربَّك؟ قال **"نورٌ أنَّي أراه"**، فسمعتُ شيخَ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول معناه: كان ثَمَّ نورٌ، وحال دون رؤيته نورٌ، فأنَّى أراه.

قال: ويدل عليه أنَّ في بعض الألفاظ الصحيحة: هل رأيتَ ربَّك؟ فقال" رأيتُ نورًا"، وقد أُعْضِل أمر هذا الحديث على كثير من الناس، حتى صَحَّفَه بعضُهم، فقال: نور أنِّى أراه على أنها ياء النسب، والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظًا

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٥٠٩).

ومعنى، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لمَّا اعتقدوا أنَّ رسول الله رأى ربَّه، وكان قوله "أنَّي أراه" كالإنكار للرؤية حاروا في الحديث، وردَّه بعضُهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل، وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي - في كتاب الرؤية - إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك.

وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلافٍ في الحقيقة، فإنَّ ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: إنه رآه عز و جل، ولم يقل بعيني رأسه.

ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله في الحديث الآخر" حجابه النور"، فهذا النور هو - والله أعلم - النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه "رأيت نورًا"[(١)].

وقال ابن القيم أيضًا: قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية قدَّس الله روحَه: وليس قولُ ابن عباس: "إنه رآه" مناقِضـاً لهذا، ولا قولُه: "رآهُ بفُؤاده"، وقد صحَّ عنه أنه قال: "رأيتُ ربِّى تَبَارَكَ وتَعَالَى "، ولكن لم يكن هذا فى الإسراء، ولكن كان فى المدينة لما احتُبِسَ عنهم فى صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤيةِ رَبِّه تبارك وتعالى تِلْكَ اللَّيْلَةَ فى منامه، وعلى هذا بنى الإمامُ أحمد رحمه الله، وقال: "نعم رآه حقًّا، فإنَّ رؤيا الأنبياء حقٌّ، ولا بُدَّ"، ولكن لم يَقُلْ أحمد رحمه الله: إنَّه رآهُ بِعَيْنَىْ رأسِهِ يقظةً، ومَن حكى عنه ذلك، فقد وَهِمَ عليه، ولكن قال مرّة: "رآه"، ومرَّة قال: "رآه بفؤاده"، فَحُكِيَتْ عنه رِوايتان، وحُكِيَت عنه الثالثة مِن تصرُّفِ بعض أصحابه: أنه رآه بعينى رأسه، وهذه نصوصُ أحمد موجودة، ليس فيها ذلك[(٢)].

فالصحيح - والله أعلم - أنَّ النبي ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه في ليلة الإسراء

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١/ ١١).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٣٦، وما بعدها).

والمعراج، ومما يؤكد ذلك أيضًا أنه ﷺ ذكر كل ما حدث له في رحلة الإسراء والمعراج تفصيلًا ووصفًا، حتى شكل البراق ووصفه، ومَن لَقِي مِنَ الأنبياء، ومَن لَقِي مِنَ الملائكة ووصفهم، ولم يدَعْ شيئًا صغيرًا ولا كبيرًا إلا وَصَفَه، ومع ذلك لم يذكر أنه رأى الله تعالى، فلو كان ذلك حادثًا لكان هو أولى وأجل وأعظم من كل ما ذكره النبي ﷺ، فلما لم يذكره دل يقينًا أنه لم يحدث.

❀◊❀



الإيمانُ بالحوض

والحوضُ الذي أكرمَهُ اللهُ تعالى به غِيَاثًا لأُمتهِ حقٌّ.

❁ **الحَوْضُ:** واحد الحِياضِ والأَحْواضِ، وحَضْتُ أَحُوضُ: اتَّخَذْتُ حَوْضًا، واسْتَحْوَضَ الماءُ: اجتمع، والمُحَوَّضُ بالتشديد: شيء كالحَوْضِ يُجعَل للنخلة تَشرب منه(١).

وحوضُ النبيِّ ﷺ: هو مجمعُ الماءِ لأمته في عرصاتِ القيامة.

والحوضُ في عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ حقٌّ.

❁ **وذكر الحوض في العقيدةِ لعدةِ أمورٍ:**

أولًا: أنَّ الحوضَ أمرٌ غيبيٌّ، والإيمانُ بالأمورِ الغيبيةِ واجب التصديق والاعتقاد.

ثانيًا: أنَّ الحوضَ فيه خلافٌ بين أهل السنة وأهلِ البدعِ من الخوارج، والرافضةِ، والمعتزلةِ.

- **فالمعتزلةُ:** ينكرون الحوضَ، وقالوا: إنَّ هذه الصفةَ التي وردت في الحوضِ لا تُعقل، فردُّوا الأحاديثَ المتواترةَ بعقولهم، وهذا قول واضح البطلان؛ لأنَّ ثبوت الغيبيات لا يكون بالعقل حتى يُرَدَّ بالعقل، بل ثبوتُه ورَدُّهُ لا يكون إلا بالشرع.

- **الخوارجُ والرافضةُ:** يثبتون الحوضَ ولكنَّهم قالوا:أكثرُ الصحابةِ هم الذين

---

(١) الصحاح في اللغة للجوهري (١/ ١٥٦).

يُزادون عن الحوضِ؛ وذلك لتكفيرهم لكثير من الصحابة، وقولهم أيضًا باطلٌ ظاهر البطلان.

س: مَنِ الذي يُذادُ عن الحوضِ؟

ج: قيل هم الذين ارتدوا من المسلمين بعد النبيِّ ﷺكالذين اتبعوا مسيلمةَ الكذابَ، وغيرَه.

ثانيًا: قيل هم المنافقون.

ثالثًا: قيل هم أهلُ البدعِ الذين غيَّروا بعد النبيِّ ﷺ، وأحْدثوا في الدينِ كالروافضِ، والخوارج، والمعتزلة، وغيرِهم.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ رضى الله عنهما قَالَتْ: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ **" إِنِّى عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَىَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِى، فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّى وَمِنْ أُمَّتِى، فَيُقَالُ هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ"، فَكَانَ ابْنُ أَبِى مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا"**[١].

ومن البدع التي يكون حَرِيًّا بأهلها ألَّا يَرِدُوا الحوضَ بدعةُ إنكارِ الحوضِ - عياذًا بالله تعالى -.

وفي الأثر أنَّ أبابَرْزَةَ دخلَ على عبيدِاللهِ بنِ زيادٍ[٢] وفيه أنَّه قالَ له: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنِ الْحَوْضِ، سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺيَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ: نَعَمْ«لَا مَرَّةً، وَلَا ثِنْتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثًا، وَلَا أَرْبَعًا، وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللهُ

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٩٣)، مسلم (٢٢٩٣).

(٢) عبيدالله بن زياد بن أبيه: وال فاتح، من الشجعان، جبار، خطيب، ولد عام ٢٨هـ، ولاه عمه معاوية خراسان سنة ٥٣ هـ، ففتح راميثن، وغيرها، قال أحد من كانوا معه: ما رأيت أشد بأسا من عبيدالله: لقينا زحفًا من الترك، فرأيته يقاتل، فيحمل عليهم، ويغيب عنا، ثم يرفع رايته تقطر دمًا، توفي عام ٦٧هـ.

مِنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا»[١].

رابعًا: قيل: هم من صدَّق الكذابين من الأمراء وأعانهم في ظلمهم.

عنْ كعبِ بنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ ﷺ: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ مَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ**»[٢].

والصحيحُ والله أعلم: أنَّ كلَّ هؤلاء يدخلون في النص، ويكونون ممن يُذادون عن الحوض.

مكانُ الحوضِ:

س: هل الحوضُ قبل الصراطِ أم بعد الصراطِ؟

ج: عبارةُ المصنفِ تدلُّ على أنَّ الحوضَ قبل الصراط، وهي قولُه:(غِياثًا لأمته)؛ لأنَّ الغياثَ، واحتياجَ الناسِ إليه قبل الصراطِ حيث يشتدُّ بالناس البلاءُ والكربُ والظمأُ، فيحتاجون إلى الحوض، أما بعد الصراط فيدخل المؤمنون الجنةَ، وكذلك بعد الصراطِ لا يوجد مرتدون ولامنافقون حتى يزادوا عن الحوض، فهذا يدلُّ - والله أعلم - على أنَّ الحوضَ قبل الصراطِ.

صفة الحوض:

أولًا: شكْلُه:

الحوض مربعٌ: زواياه متساويةٌ، وأضلاعه متساويةٌ، قال ﷺ "**حَوْضِي مَسِيرَةُ**

---

(١) أخرجه: أحمد (١٩٧٦٣)، أبو داود (٤٧٤٩)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) أخرجه: أحمد (٥٧٠٢)، النسائي (٤٢٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٤٥).

شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ..."[1].

واختلفت الرواياتُ في طوله وعرضه، كالآتي:

قال ﷺ: **".. عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ "**[2].

وفي رواية:**" بَيْنَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمُضَرَ "**[3].

وفي رواية:**" «إِنَّ حَوْضِي مَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى أَيْلَةَ..."**[4].

ثانيًا: آنيتُه:

آنيتُه كنجومِ السماءِ، قال النبيُّ ﷺ **"وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ "**[5].

وهي تشبه نجومَ السماءِ في صفتين، وهما:

الأولى: الكثرةُ: وهذا يدل على عدم التزاحمِ على كيزانه مما يؤدي إلى الراحةِ والطمأنينةِ.

الثانية: أنَّها تُشبهها في الإشراقِ، والبهاءِ، والنورِ.

ثالثًا: لونُ مائِه، ورائحتُه، وطعمُه:

فمن حيث اللون هو أشدُّ بياضًا من الوَرِق واللبَنِ، ومن حيث الرائحة ريحه أطيب من المسك، قال النبيُّ ﷺ:«**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ**

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٣٠٠).

(٣) أخرجه: أحمد (٢٣٣١٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٤) أخرجه: ابن ماجه (٤٣٠٣)، وعند مسلم بلفظ:"إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ" (٢٤٨).

(٥) أخرجه: مسلم (٢٢٩٢).

مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»[(١)].

وطعمه أحلى من العسل، عنْ أبي ذرٍّ ﷺ قالَ: قلتُ: يارسولَ اللهِ ما آنيةُ الحوضِ قالَ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لآنيتُهُ أكثرُ مِن عددِ نجومِ السماءِ وكواكبِها أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**»[(٢)].

❁ رابعًا: مصدرُ مائِه:

مصدر ماء الحوض من الجنة، عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ «**وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلا فِى اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ...**»[(٣)].

❑ لكلِّ نبيٍّ حوضٌ:

عنْ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وإنهم يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»[(٤)].

عنْ سَمُرَةَ بنِ جندبٍ قالَ: قالَ ﷺ:«**وإِنَّ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ قَائِمٌ عَلَى حَوْضٍ مَلْآنَ، مَعَهُ عَصًا، يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ سِيمَاء يَعْرِفُهُمْ بِهَا نَبِيُّهُمْ**»[(٥)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه: مسلم (٢٣٠٠).

(٣) الحديث السابق.

(٤) أخرجه: الترمذي (٢٤٤٣)، الطبراني في الكبير (٦٨٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٥٦).

(٥) أخرجه: الطبراني في الكبير (٧٠٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٨٦).

وحوض النبي ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا وورودًا، عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ: رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَبْيَضَ مِثْلَ اللَّبَنِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

فغياثُ كل أمة عند حوضِ نبيها؛ ولذلك فإنَّ النبيَّ ﷺ يذودُ الأممَ عن حوضِه.

عنْ حذيفةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ"**إنَّ حوضي لأبعدُ من أيلةَ من عدنَ، والذي نفسِي بيدِهِ إنِّي لأذودُ عنه الرجالَ كما يذودُ الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضِهِ، قالوا يارسولَ اللهِ تعرفُنا؟ قالَ نعم تَرِدُونَ عليَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثارِ الوضوءِ، ليسَتْ لأحدٍ غيركُم**"[2].

❑ أوَّلُ مَن يَرِدُ الحوضَ:

أوَّلُ مَن يَرِدُ الحوضَ هم فقراءُ المهاجرينَ، عنْ ثوبانَ رضي الله عنه :عنِ النبيِّ ﷺ قالَ «**حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الشُّعْثُ رُءُوسًا، الدُّنْسُ ثِيَابًا، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ، وَلَا تُفْتَحُ لَهُم أَبْوَابُ السُّدَدِ**»[3].

❑ مكانة الأنصار على الحوض:

عنْ ثوبانَ رضي الله عنه : أنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قالَ" **إنِّي لبِعُقْرِ حوضِي أذودُ الناسَ لأهلِ اليمنِ**[4] **أضربُ بعصايَ حتى يَرْفَضَّ عليهم**[5]"[1].

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (٤٣٠١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٤٩).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٤٨).

(٣) أخرجه: الترمذي (٢٤٤٤)، الطبراني في الأوسط (٣٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٦٢).

(٤) والأنصارُ مِن اليمن. شرح النووي على مسلم (١٥/ ٦٢).

(٥) يَرْفَضَّ عليهم: أي يسيلَ عليهم.

عن خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ الْأَنْصَارِيَّةِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِقالت: قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تُحَدِّثُ أَنَّ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَوْضًا مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، قَالَ: " **أَجَلْ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ يَرْوَى مِنْهُ قَوْمُكِ...** "[٢].

❑ عددُ مَن يَرِدُ الحوضَ:

عنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ: «**مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ**» **قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: كنا سَبْعَ مِائَةٍ أَوْ ثَمَانِ مِائَةٍ**[٣].

وهذا يدل على أنه أكثر من هذا العدد الذي ورد في الحديث، وهذا دليل على كثرتهم، وهم المسلمون الذين لم يُبَدِّلُوا ولم يُحَرِّفُوا.

﴿◊﴾

=

(١) أخرجه: مسلم (٢٣٠١).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٧٣١٦)، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٣)أخرجه: أحمد (١٩٣٠٩)، أبو داود (٤٧٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٥٧).



الإيمانُ بالشفاعة

والشفاعةُ التي ادَّخَرَهَا لهم حَقٌّ، كما رُوِيَ في الأَخبَارِ.

قوله (والشفاعةُ التي ادَّخَرَهَا لهم حقٌّ):

والشفاعة المقصودة هنا هي التي ادَّخرها رسولُ اللهِ ﷺ لأمته في يوم القيامة، وهي حقٌّ وصدقٌ، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»**[1].

قوله (لهم): يعني لأمته.

قوله (حقٌّ): أي ثابتةٌ ونافعة كما رُوي في الأخبار، لأنَّ الحقَّ له معنيان:

المعنى الأول: المقصود النافع كما في قوله تعالى ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ **[الأحقاف: ٣]**.

المعنى الثاني: الموجود الثابت كقوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ **[المائدة: ٢٧]**، ويحتمل هنا المعنيان؛ لأنَّ الشفاعة موجودة وثابتة، وكذلك فهي مقصودة ونافعة لمن تناله، ويؤذن للشفعاء أن يشفعوا فيه.

والشفاعةُ: منَ الشَّفْع، والشَّفْعُ: خلاف الوِتْرِ تقول كان وِتْرًا فَشَفَّعْتُهُ شَفْعـًا، وناقةٌ شافِعٌ: في بطنها ولدٌ ويتبعها آخر، والشافِعُ التي معها ولدُها، سمِّيتْ شافِعـًا لأنَّ ولدها شَفَعَها وشَفَعَتْهُ هي، وناقةٌ شَفوعٌ: وهي التي تجمع بين مِحْلَبَيْنِ في حَلْبَةٍ

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٤٧٤)، مسلم (١٩٩).

واحدةٍ[١].

وسُمِّيت شفاعة: لأنَّ الداعيَ أو الشافعَ صار زوجًا للسائلِ بعد أن كان فردًا، فسُمِّي شفيعًا.

الشفاعة في الاصطلاح: اسمٌ عامٌّ لكلِّ دعاءٍ في الدنيا، أو في الآخرة لجلب الخير للغير، أو دفع الضر عنه.

أنواعُ الشفاعةِ باعتبار وقتها:

أولًا: شفاعةٌ في الدنيا:

والشفاعة في الدنيا إن كانت لجَلْبِ الخيرِ، أو دفعِ الضُرِّ، ولا تُعارِضُ حكمًا شرعيًّا فهي شفاعةٌ محمودةٌ، وهي التي حثَّ النبي ﷺ عليها، عَنْ أَبِي موسى رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ " **اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**"[٢].

وشفع ﷺ عند بعض أصحابه كما شفع عند بريرة من أجل مغيث، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي، وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعبَّاسٍ" **يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا**"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ" **لَوْ رَاجَعْتِهِ** "، **قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ" إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ"، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ**[٣].

فالشفاعة محمودة ما دامت لم تخالف نصًّا، أو تَدْعُ لإسقاط حقٍّ، أو ضياع حد من حدود الله تعالى، فإن كانت في شيء من ذلك فهي شفاعة مذمومة غير جائزة.

---

(١) الصحاح في اللغة للجوهري (١/ ٣٦١).

(٢) أخرجه: البخاري (١٤٣٢).

(٣) أخرجه: البخاري (٥٢٨٣).

عنْ عَائِشَةَ: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِى عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **" أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ" ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ؛ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا "**[1].

❁ ثانيًا: شفاعةٌ في الآخرةِ:

وهي التي أرادها المصنفُ حيث قال:"التي ادَّخرها لهم "، وهي المُختَلَفُ فيها.

وحقيقة الشفاعة: أنها رحمة من الله تعالى للمشفوع فيه، وإظهار كرامة الشافع، لكنَّ الأمرَ كلَّه للهِ.

❑ أنواعُ الشفاعةِ في الآخرةِ:

أولًا: الشفاعةُ العُظمى:

وهي التي تكون في عرَصاتِ القيامة لأهلِ المَوقفِ جميعًا، وذلك لفصل القضاء، حيث يفزع الناس للأنبياءِ ليشفعوا عند اللهِ ﷻ، وذلك كما جاء في الحديث الطويل، وفيه:**" فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا،**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٧٨٧)، مسلم (١٦٨٩).

فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ...»[١].

وهذه الشفاعةُ هي التي قال اللهُ ﷻ فيها ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: **«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ »**[٢].

والمقامُ المحمودُ: هو المقامُ الذي تحْمَدُه عليه الخلائقُ جميعًا، وهو مقامُ الشفاعةِ العظمى.

ثانيًا: الشفاعةُ في أن يدخلَ أقوامٌ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ:

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ**« عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ هذَا مُوسى وَقَوْمُهُ؛ ثُمَّ قِيلَ لي انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي انْظُرْ هكَذَا وَهكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ هؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بَغَيْرِ حِسَابٍ» فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ؛ فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنا فِي الشِّرْكِ، وَلكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلكِنَّ هؤُلاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ« هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ« نَعَمْ»، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ«سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»**[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: البخاري (٦١٤).

(٣) سبق تخريجه.

ثالثًا: الشفاعةُ في أن يدخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ "**(١).

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ:**"أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ"**(٢).

رابعًا: الشفاعةُ في رَفْعِ درجاتِ ومراتبِ بعضِ أهلِ الجنةِ:

عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»(٣).

ووجه الاستدلال قوله ﷺ: **" وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المهديين"**، والمعنى أي اجعله في درجة أرفع من الدرجة التي يبلغها عمله، ولو كان المراد الدعاء بجعله في درجته التي يبلغها عمله - وإن كانت مرتفعة - فلا فائدة إذًا من دعاء النبي ﷺ له.

ويشهد لهذه الشفاعة أيضًا قول النبي ﷺ**" أنا أول شفيع في الجنة "**، وهو يشمل معاني، منها: أنا أول من يشفع لدخول الناس الجنة، وكذلك أول شفيع في رفع مراتب أهل الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**" إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ، فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ"**(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: مسلم (١٩٦).

(٣) أخرجه: مسلم (٩٢٠).

(٤) أخرجه: أحمد في مسنده (١٠٦١٠)، ابن ماجه (٣٦٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط.

خامسًا: الشفاعةُ في أقوامٍ تساوتْ حسناتُهم وسيئاتُهم:

وهؤلاء هم أهل الأعرافِ، فيُشفَع فيهم لكي يعفوَ اللهُ عنهم، ويُدخِلَهم الجنةَ.

عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ، فَقَالَ: هُمْ قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَقَعَدَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ، وَخَلَّفَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمْ عَنِ النَّارِ، قَالَ فَوَقَفُوا هُنَاكَ عَلَى السُّوَرِ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيهِمْ[(١)].

واختلف العلماء في أصحاب الأعراف هؤلاء: هل سيدخلون الجنة بشفاعة النبي ﷺ، أم يَمُنُّ الله عليهم بدون شفاعة؟

وقد رجح الحافظ ابن حجر أنهم فيمن يشفع لهم النبي ﷺ حيث قال: وظهر لي بالتَّتَبُّعِ شفاعةٌ أخرى، وهي الشفاعة فيمَنِ استَوَتْ حسناتُه وسيئاتُه أن يدخل الجنة، ومستندها ما أخرجه الطبراني عنِ ابنِ عباسٍ قال: السابقُ يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد برحمة الله، والظالم لنفسه، وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ، وقد تقدم قريبًا أنَّ أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم[(٢)].

سادسًا: الشفاعةُ في أهلِ الكبائرِ:

وقد جاء بها الدليلُ الخاصُّ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ ﷺ: " **شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** "[(٣)].

عنْ أُمِّ حَبِيبَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " **رأَيْتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي بَعْدِي، وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى كَمَا سَبَقَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُوَلِّيَنِي شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ فَفَعَلَ** "[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٥).

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ٤٢٨)

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

وهـي نوعـان:

أ- شفاعتُه لقومٍ من أهل الكبائرِ أن يغفرَ اللهُ لهم سيئاتِهم التي رجَحَتْ على حسناتِهم، فلا يدخلون النارَ ابتداءً، وذلك بدعائه على الصراط: ربِّ سلِّم سلِّم: **عنْ أبي هريرةَ: عنِ النبيِّ ﷺ: " وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ "**(١).

ب- شفاعتُه في قوم من أهل الكبائر دخلوا النارَ، ثم يُخرَجون منها بالشفاعة، عنْ حمادِ بنِ زيدٍ قالَ: قلتُ لعمرِو بنِ دينارٍ: أسَمِعتَ جابرَ بنَ عبدِ الله يُحدِّثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ" **إنَّ اللهَ يُخرِجُ قومًا منَ النارِ بالشفاعةِ" قالَ: نعم**(٢).

وعنْ يَزِيدَ الْفَقِيرِ قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يحَدِّثُ الْقَوْمَ - جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ - عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ: مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ واللهُ يَقُولُ:** ﴿إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾[آل عمران:١٩٢]، وَ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[السجدة:٢٠].

فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **- يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ -؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ»، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: - يَعْنِي - فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: «فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ»، فَرَجَعْنَا، قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **متفق عليه:** أخرجه: البخاري (٦٥٥٨)، مسلم (١٩١).

رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَرَجَعْنَا، فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، أَوْ كَمَا قَالَ: أَبُو نُعَيْمٍ(١).

سابعًا: الشفاعةُ لأبي طالبٍ عمِّه أن يُخفَّفَ عنه العذابُ:

عنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»(٢).

وفي روايةٍ:" ذُكِرَ عِنْدَ النبيِّ ﷺ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»(٣).

وقد لَخَّصَ الشيخ حافظ الحكمي(٤) أنواعَ الشفاعةِ في سُلَّمِ الوُصُولِ فقالَ:

كَـذَا لَـهُ الشَّـفَاعَةُ الْعُظْمَـى كَمَـا ... قَـدْ خَصَّـهُ اللهُ بِهَـا تَكَرُّمَـا

مِـنْ بَعْـدِ إِذْنِ اللهِ لَا كَمَـا يَـرَى ... كُـلُّ قُبُـورِيٍّ عَلَـى اللهِ افْتَـرَى

يَشْـفَعُ أَوَّلًا إِلَـى الـرَّحْمَنِ فِـي ... فَصْـلِ الْقَضَـاءِ بَـيْنَ أَهْـلِ الْمَوْقِـفِ

مِـنْ بَعْـدِ أَنْ يَطْلُبَهَـا النَّـاسُ إِلَـى ... كُـلِّ أُولِـي الْعَـزْمِ الْهُـدَاةِ الْفُضَـلَا

وَثَانِيًـا يَشْـفَعُ فِـي اسْـتِفْتَاحِ ... دَارِ النَّعِـيمِ لِأُولِـي الْفَـلَاحِ

هَـذَا وَهَاتَـانِ الشَّـفَاعَتَانِ ... قَـدْ خُصَّـتَا بِـهِ بِـلَا نُكْـرَانِ

وَثَالِثًـا يَشْـفَعُ فِـي أَقْـوَامِ ... مَـاتُوا عَلَـى دِيـنِ الْهُـدَى الْإِسْـلَامِ

---

(١) أخرجه: مسلم (١٩١).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٢٠٨)، مسلم (٢٠٩).

(٣) أخرجه: مسلم (٢١٠).

(٤) الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ولد سنة ١٣٤٢هـ، كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم، وكان في كل دراساته مبرزًا ونابغة، فأثمر في العلم بسرعة فائقة، وله مؤلفات عدة في التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، والسيرة، وغيرها، توفي عام ١٣٧٧هـ.

وَأَوْبَقَـــتْهُمْ كَثْـــرَةُ الْآثَـــام فَأُدْخِلُـــوا النَّـــارَ بِـــذَا الْإِجْـــرَام

أَنْ يَخْرُجُـوا مِنْهَـا إِلَـى الْجِنَـانِ بِفَضْـلِ رَبِّ الْعَـرْشِ ذِي الْإِحْسَـانِ

وَبَعْـدَهُ يَشْـفَعُ كُـلُّ مُرْسَـلِ وَكُـلُّ عَبْـدٍ ذِي صَـلَاحٍ وَوَلِـي

وَيُخْـرِجُ اللهُ مِـنَ النِّيـرَانِ جَمِيـعَ مَـنْ مَـاتَ عَلَـى الْإِيمَـانِ

فِـي نَهْـرِ الْحَيَـاةِ يُطْرَحُونَـا فَحْمًـا فَيَحْيَـوْنَ وَيَنْبُتُونَـا

كَأَنَّمَـا يَنْبُـتُ فِـي هَيْئَاتِـهِ حَـبُّ حَمِيـلِ السَّـيْلِ فِـي حَافَاتِـهِ[1]

أنواعُ الشفاعاتِ من حيث الخصوص والعموم:

أولًا: شفاعةٌ خاصةٌ:

أي خاصةٌ بالنبيِّ ﷺ في الآخرة، وهي:

- الشفاعة العُظمى لأهلِ الموقف.
- شفاعتُه لعمه أبي طالب.
- شفاعتُه في دخول أهل الجنة الجنة.

ثانيًا: الشفاعةُ العامَّةُ:

وهي تكون للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء، والملائكة، والشهداء، والصالحين.

- وذلك كالشفاعة في رفع درجات أهل الجنة في الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**"[2].

- وكذلك الشفاعة في دخول بعض الناس الجنة، وإن لم تبلغها أعمالهم:

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول للشيخ حافظ الحكمي (١/ ٤٠).

(٢) سبق تخريجه.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" **لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ، أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ: رَبِيعَةَ وَمُضَرَ** "(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ يَشْفَعُ لِلرَّجُلَيْنِ، وَالثَّلَاثَةِ، وَالرَّجُلُ لِلرَّجُلِ**»(٢).

وقالَ ﷺ:" **وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي لَيَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنَ النَّاسِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلثَّلَاثَةِ، وَلِلرَّجُلَيْنِ، وَلِلرَّجُلِ** "(٣).

- وكذلك الشفاعة في خروج بعض أهل النار من النار.

وفي الحديث: "**فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ...**"(٤).

الشفعاء يوم القيامة:

شفاعة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم:

عنْ أبي هريرةَ: عنِ النبيِّ ﷺ **قالَ: " وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ "(٥)، وفي الحديث: "فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ...**"(٦).

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٢٢١٥)، الطبراني في الكبير (٧٦٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٦٣).

(٢) أخرجه: البزار في مسنده (٦٩٢١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٤٨).

(٣) أخرجه: أحمد (١١١٤٨)، الترمذي (٢٤٤٠)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤) أخرجه: مسلم (١٨٣).

(٥) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٤٣٧)، مسلم (١٨٢).

(٦) سبق تخريجه.

عنْ أَبِي سعيدٍ الخدريِّ ﵁: عنِ النبيِّ ﷺ **"فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرِيعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الأَنْبِيَاءُ فِيمَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا"**(١).

۞ شفاعة الملائكة:

قالَ ﷺ: **"فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ..."**(٢).

۞ شفاعة المؤمنين:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**» **فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَد أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا "، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠](٣).

---

(١) أخرجه: أحمد (١١٠٩٦)، وقال شعيب الأرنؤوط حسن.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه: مسلم (١٨٣).

۞ شفاعة الشهداء:

عنْ نِمْرانَ بنِ عتبةَ الذِّماريِّ قالَ: دخلْنا على أُمِّ الدَرداءِ ونحنُ أيتامٌ، فقالت: أبشِروا، فإني سمعتُ أبا الدَرداءِ يقولُ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"يَشفعُ الشهيدُ في سبعينَ من أهلِ بيتهِ"**(١).

۞ شفاعة الأولاد لآبائهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ"**(٢).

عَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، «**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ -، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ**»(٣).

۞ اختلاف الناسِ في مسألةِ الشفاعةِ:

❑ **أولًا: الصوفيةُ**: قالوا: الشفاعةُ جائزةٌ في أيِّ وقتٍ، وفي أيِّ أحد، ومن أيِّ أحد ثبت منه الصلاحُ، سواء كان الشافعُ حيًّا أو ميتًا.

❑ **ثانيًا: المعتزلةُ والخوارجُ**: نفَوا الشفاعةَ، وقالوا لا شفاعة مطلقًا؛ لأنَّ اللهَ ﷻ قال ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [**المدثر: ٤٨**].

واستدلوا أيضًا بقوله تعالى ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ

---

(١) أخرجه: أبوداود (٢٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه: مسلم (٢٦٣٥).

مِنۡ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران:١٩٢]، وقوله ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢]، وغيرها من الأدلة.

❑ **ثالثًا: أهلُ السنةِ والجماعةِ**: وهم وسطٌ بين هؤلاءِ وهؤلاء حيثُ أثبتوا شفاعاتٍ، ونفوا شفاعاتٍ، وقالوا لا شفاعةَ إلا بشرطين:

الأول: إذْنُ اللهِ ﷻ للشافع أن يشفعَ، قال تعالى ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]، وقال تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: رضا الرحمنِ عنِ الشافعِ والمشفوع له، قال ﷻ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

تنبيه:

" إذْنُ الله" المقصودُ به: الإذن الشرعي، والإذن الكوني.

الإذْنُ الكونيُّ: فإنَّ العبدَ لا يبدأ بالشفاعةِ إلا بعد أن يشاء اللهُ أن تقعَ منه الشفاعةُ كونًا يعني في الدنيا أو في الآخرة.

الإذنُ الشرعيُّ: أي تكونُ الشفاعةُ موافقةً للشرع، فإنْ شفع الشفعاء بدون إذنه الشرعي، أو شفع الشفعاء في من لم يرضَ اللهُ لهم شرعًا أن يشفعوا فيه لم تُقبلْ منهم الشفاعةُ، وذلك

مثل شفاعةِ نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لابنه في قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [هود: ٤٥].

فلم يقبل الله تعالى شفاعة نبيه نوح، وقال تعالى ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦].

ومثل شفاعة إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أبيه في قوله ﷻ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ

إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

فلم تنفعْه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

وكذلك لم تنفعه شفاعته يوم القيامة أيضًا، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **" يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: " إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ"، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ[(١)]، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ "**[(٢)].

ومما يدل على ثبوت الشفاعة من بعض الناس هو نفيها في حق بعضهم، وهذا يدل بمفهوم المخالفة على ثبوتها في حق غيرهم، **عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لاَ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلاَ شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[(٣)].

فأهل السنةِ أثبتوا الشفاعةَ التي وردت في الكتابِ والسنة، ونفَوا ما عداها.

وأجاب أهل السنة عمن نفى الشفاعة، واستدل بقوله جل جلاله ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] بأنَّ هذه الآيةَ نزلت في الكفارِ حيث جاءت في سياق قوله

---

(١) بذِيخ: بكسر الذال المعجمة، وسكون الياء، وبالخاء المعجمة: ذكر الضبع الكثير الشعر، وقال ابن سيده: والجمع أذياخ وذيوخ، وذيخة والجمع ذيخات، قوله: متلطخ: أي بالرجيع أو بالطين أو بالدم. عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعينى: (٢٣/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٣٥٠).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٥٩٨).

جَلَّاللهُ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٨].

وأجابوا عن استدلالهم بقوله تعالى ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وقوله ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢] بأنَّ هذه الآيات وردت فيمن لم يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم.

وكذلك قالوا لابد منَ الجمع بين الأدلة وعدم إهمال بعض النصوص، والعمل ببعضها، فلقد نفى الله تعالى الشفاعة في مواضع، وأثبتها في مواضع، فمن أثبتها مطلقًا فقد أهمل بعض النصوص، ومن نفاها مطلقًا فقد أهمل بعض النصوص الأخرى، والصواب بينهما، وهو الجمع بين الأدلة، وهو إثبات الشفاعة لكن بشروطها التي بيَّنَها الله في كتابه، وبهذا تنتظم الأدلة، وتتفق ولا تتعارض.



الإيمانُ بالميثاقِ

والميثاقُ الّذي أخذهُ اللهُ تعالى من آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريتهِ حقٌّ.

والميثاقُ من الأمور الغيبية، وهو ميثاقٌ حقيقيٌّ.

والميثاقُ: هو العهدُ الشديدُ قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤].

والمراد بالميثاق هنا هو الميثاق الذي أخذ الله تعالى على آدم وذريته حين أخرجهم الله تعالى من صلبه، وأشهدهم على أنفسهم.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ يَعْنِي عَرَفَةَ، فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا، قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾"** [الأعراف: ١٧٢-١٧٣][1].

عنْ أنسٍ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **"إنَّ اللهَ يقولُ لأَهْوَنِ أهلِ النارِ عذابًا: لو أنَّ لك ما في الأرض من شيءٍ كنتَ تفتدي به؟ قالَ: نعم، قالَ: فقد سألتُكَ ما هو أهونُ من هذا، وأنت في صلبِ آدمَ أن لا تشرك بي، فأبيتَ إلا الشرك"**[2].

وهذا بخلاف ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٠١).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٣٣٤)، مسلم (٢٨٠٥).

عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ **[الأعراف: ١٧٢]**، فلقد قيل أنَّ هذا الميثاق أخذ من ظهر بني آدم وليس من ظهر آدم، ولقد فسره كثير من المفسرين بأنه الفطرة، أي أنه كان بلسان الحال لا بلسان المقال، بفطرتهم على ذلك، وبيان الأدلة والآيات على وحدانيته.

عنِ ابْنِ الْمِنْهَالِ، قَالَ: سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، يُفَسِّرُ حَدِيثَ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» قَالَ: هَذَا عِنْدَنَا حَيْثُ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ حَيْثُ قَالَ: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢][1].

وخلاصة المسألة:

أنَّ الميثاق حقيقي أُخِذَ من الله تعالى على عباده، بأن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأهل السنة لم يختلفوا في وقوعه أو عدمه، كما زعمت القدرية والمعتزلة، بل الخلاف في من أُخِذَ عليهم الميثاق ووقته، هل أخذ عليهم وهم في صلب آدم، أم أُخِذَ عليهم وهم في أصلاب آبائهم، وهل الآية والحديث يتناولان ميثاقًا واحدًا أم بينهما خلاف، لكنهم يثبتون أنَّ الميثاق قد حدث، وأنه ميثاق حقيقي ليس شيئًا معنويًّا.

ومن رحمة الله تعالى ولطفه بعباده أنه لم يجعل مجرد الميثاق حجةً على العباد، لكنه سبحانه جعل الحجة الرِّسالية هي الحجة على العبادِ، قال ﷻ: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ **[الإسراء: ١٥]**، وقال تعالى ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ **[النساء: ١٦٥]**.

---

(١) أخرجه: أبوداود (٤٧١٦)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.



الإيمانُ بعلمِ اللّهِ تعالى

وقد علمَ اللّهُ تعالى فيما لم يَزَلْ عَدَدَ من يدخُلُ الجنةَ، وعَدَدَ من يدخُلُ النارَ جملةً واحدةً، فلا يُزادُ في ذلك العدد، ولا ينقصُ منهُ، وكذلك أفعالُهُم فيما عَلِمَ منهم أنهم يفعلونَهُ، وكلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِقَ له.

قوله (وقد عَلِمَ اللهُ تعالى........):

وعِلْمُ اللهِ صفةٌ من صفاتِه، والعِلْمُ منَ الصفات التي قد تُطلَق على المخلوق أيضًا، ولكن كما أنَّ ذات الله تعالى تختلف عن ذات المخلوق، فكذلك صفاته؛ لذا فعِلْم الله تعالى يختلف عن عِلْم المخلوقِ، وذلك في أمور، منها:

أولًا: أنَّ عِلْمَ اللهِ شاملٌ: فهو يعلمُ كلَّ شيءٍ، بخلاف علمِ المخلوقِ فهو قاصرٌ، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ **[البقرة: ٢٨٢]**.

وقال جَلَّ جَلَالُهُ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ **[الأحزاب: ٤٠]**.

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ **[غافر: ٧]**.

ثانيًا: علمُ اللهِ لم يسبقْه جهلٌ - حاشاه سبحانه وتعالى -، أما عِلْمُ المخلوقِ فلا بد أن يسبقه جهلٌ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ **[النحل: ٧٨]**.

ثالثًا: علمُ اللهِ أزليٌّ وليس حادثًا بخلاف علم المخلوقِ، فهو علم حادث مُكْتَسَب، وغير ذلك.

ولذا عَلِمَ اللهُ تعالى ذواتِ وعددَ مَن يدخلُ الجنةَ، وعددَ مَن يدخلُ النارَ وذواتِهم، وقد جاءت الأحاديثُ الكثيرةُ التي تفيد هذا المعنى.

فاللهُ ﷻ خلق الجنةَ، وخلق لها أهلًا، وعَلِم ما هم عاملون، وخلق النارَ، وخلق لها أهلًا، وعَلِم ما هم عاملون.

إذن: فلِمَ العملُ ؟!

الجواب في مشكاة النبوة.

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ «**مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**»، **قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ؟!** قَالَ «**لا. اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، **ثُمَّ قَرَأَ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) إِلَى قَوْلِهِ (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)**[1].

وهذه الإجابةُ لم تُقنِعْ أهلَ البدعِ، وما زالوا يقولون: فلِمَ العمل إذًا؟! وأصبح منهم جَبْرِيَّة وقَدَرِيَّة.

ولكنَّها كَفَتْ مَن هم أفضلُ منهم، وأنقى قلبًا، وأكثرُ منهم علمًا، وفهمًا، وَوَرَعًا.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٩٤٩)، مسلم (٢٦٤٧).



الأعمالُ بالخَواتِيمِ

والأعمالُ بالخَوَاتِيمِ، والسعيدُ مَن سَعِدَ بقضاءِ الله، والشقيُّ مَن شَقِيَ بقضاءِ الله تعالى.

قوله (والأعمالُ بالخَوَاتِيمِ):

العملُ يكونُ بالخاتمةِ، والواجبُ على الإنسانِ ألَّا يأخذَ بالظاهرِ، وألَّا يغترَّ بعملِه وإن كان من الصالحين، بل يخافُ سوءَ العاقبة، وكذلك لا يُحكَمُ على أحدٍ بأنَّه من أهل النارِ بمُوجبِ أفعالِه؛ لأنَّه لا يُدرَى بِمَ يُختَمُ له.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»[1].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَرَفَةَ، إِذْ وَقَعَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَقْصَعَتْهُ - أَوْ قَالَ: فَأَقْعَصَتْهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»[2].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، دَعَا بِثِيَابٍ جُدُدٍ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا**»[3].

قال الخطابي في "معالم السنن" تعليقاً على رواية أبي داود: "دعا بثيابٍ جددٍ

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٨٧٨).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١٢٦٥)، مسلم (١٢٠٦).

(٣) أخرجه: أبو داود (٣١١٤)، ابن حبان (٧٣١٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٧٥)، ومشكاة المصابيح (١٦٤٠).

فلبسها". أما أبو سعيد، فقد استعمل الحديث على ظاهره، وقد رُوِيَ في تحسين الكفن أحاديثُ، وقد تأوله بعض العلماء على خلاف ذلك، فقال: معنى الثياب العمل، كنَّى بها عنه، يريد أنه يُبعَث على ما مات عليه من عمل صالح أو عمل سيء، قال: والعرب تقول: فلان طاهر الثياب: إذا وصفوه بطهارة النفس والبراءة من العيب، ودنس الثياب إذا كان بخلاف ذلك، واستدل في ذلك بقول النبي ﷺ: "يحشر الناس حفاة عراة"، فدل ذلك على أنَّ معنى الحديث ليس على الثياب التي هي الكفن[1].

وقال البيهقي[2] فيما نقله عنه الحافظ في الفتح:

ويجمع بينهما أي حديث أبي سعيد هذا وبين حديث: "يحشر الناس حفاةً عراةً غرلًا" بأنَّ بعضَهم يُحشَر عاريًا، وبعضهم كاسيًا، أويحشرون كلهم عراة، ثم يكسى الأنبياء، فأول من يُكسَى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون عراة، ثم يكون أول من يُكسَى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء، لأنهم الذين أُمِرَ أن يُلْزَمُوا في ثيابهم، ويُدْفَنُوا فيها، فيُحْتَمَلُ أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد، فحمله على العموم، وممن حمله على عمومه معاذ بن جبل، فأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن عمرو بن الأسود قال: دفنا أم معاذ بن جبل، فأمر بها، فكُفِّنَت في ثياب جدد،

---

(١) معالم السنن للخطابي (١/ ٣٠١).

(٢) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، الأصولي، الورع، واحد زمانه في الحفظ، وفرد أقرانه في الإتقان والضبط،ولد في سنة ٣٨٤هـ، وله مصنفات كثيرة منها: " السنن والآثار "، و" الأسماء والصفات "، و" دلائل النبوة"، وغيرها، توفي عام ٤٥٨هـ.

وقال: أحسنوا أكفان موتاكم، فإنهم يحشرون فيها. قال: وحمله بعض أهل العلم على العمل، وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ على أحد الأقوال، وهو قول قتادة، قال: ومعناه: وعملك فأخلصه، ويؤكد ذلك حديث جابر رفعه: "يبعث كل عبد على ما مات عليه" أخرجه مسلم، وحديث فضالة بن عبيد: "من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة" أخرجه أحمد[1].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ التَقَى هُوَ وَالمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»**[2].

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ٣٩١).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٨٩٨)، مسلم (١١٢).

عنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ أنَّه قال: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ، يَعْنِي بَعَدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ **" لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا "**[١].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **" لا عَلَيْكُمْ أَنْ لا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ، حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمْرِهِ، أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ " يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ "**[٢].

عنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: **" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ "**[٣].

وهذا لا يكون عبثًا أو بمحض الصدفة، ولكن كلُّ شيءٍ بحكمةٍ وعلمٍ، حيث قال النبيُّ ﷺ في حديث سابق:**" إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو**

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٣٨١٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٧٢)، وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

(٢) أخرجه: أحمد (١٢٢١٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٢٠٨)، مسلم (٢٦٤٣).

لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "(١).

فدل على أنَّ صلاحه كان فيما يبدو للناس ويظهر، ولا يعلم السرائرَ والقلوبَ إلا ربُّها.

عنْ سهلِ بنِ سعدٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **"وإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا "**(٢).

عنْ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ **" إنما الأعمالُ بخواتيمِها كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ، طَابَ أَعْلَاهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ، فَسَدَ أَعْلَاهُ"**(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: البخاري (٦٤٩٣).

(٣) أخرجه: ابن ماجه (٤١٩٩)، ابن حبان (٣٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٢٠).



الإيمان بالقدر

وأصلُ القدرِ سرٌّ اللّه تعالى في خلقهِ لم يطّلعْ على ذلك ملَكٌ مُقرّبٌ، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ، والتعمُّقُ والنظرُ في ذلك ذريعةُ الخذلانِ، وسُلّمُ الحرمانِ، ودرجةُ الطُّغيانِ، فالحذرَ كلّ الحذرِ من ذلكَ نظراً وفكراً ووسوسةً؛ فإنّ اللّهَ تعالى طَوى علمَ القدرِ عن أنامه، ونَهاهُم عن مَرامه، كما قال تعالى في كتابه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمَن سأَلَ لِمَ فعَلَ؟ فقد ردّ حكمَ الكتابِ، ومَن ردّ حكمَ الكتابِ كانَ منَ الكافرينَ.

قوله (وأصلُ القدرِ سِرُّ اللهِ تعالى في خلقِه، لم يطَّلعْ على ذلك مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ):

الكلام في القدر من الأمور الهامة في عقيدة المسلمين، فهي مسألة عظيمة الخطب في مكانتها، وعظيمة الخطب في خطورتها؛ لذا كَثُرَ مَنِ انحرف فيها، وحاد عن طريق الحق والصواب، نسأل الله أن يعصمنا، وأن يوفقنا لما فيه الخير والسداد.

ولِعِظَمِ القَدَر وأهميته وخطورته جعل النبي ﷺ الإيمان به من أركان الإيمان، بل وأكده بمؤكدات عدة تنبيهًا على أهميته.

عنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْم، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ"وفيه قَالَ: **"فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ،**

وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ..."[١].

قال الحافظ ابن حجر: وهكذا الحكمة في إعادة لفظ "وتؤمن" عند ذكر القدر، كأنها إشارة إلى ما يقع فيه من الاختلاف، فحصل الاهتمام بشأنه بإعادة "تؤمن"، ثم قرره بالإبدال بقوله "خيره وشره، وحلوه ومره"[٢]، ثم زاده تأكيدًا بقوله في الرواية الأخيرة "من الله"[٣][٤].

- **تعريفُ القدرِ:**

القدَرُ في اللغة: القَضَاءُ المُوَفَّقُ، وإذا وافَقَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ فهو قَدَرٌ له[٥].

وفي الاصطلاح: قيل هو تدبير الله تعالى للأشياء على ما اقتضته حكمته، ووافق علمه.

وقال الإمامُ أحمد: القدر: هو قدرةُ اللهِ.

قال الحافظ ابن حجر: القدر: مصدر، تقول: قدَرْتُ الشيء بتخفيف الدال وفتحها أقدرُه بالكسر والفتح قدْرًا وقدَرًا إذا أحطْتُ بمقداره، والمراد: أنَّ الله تعالى عَلِم مقادير الأشياء،وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكلُّ مُحْدَثٍ صادرٌ عن علمه وقدرته وإرادته[٦].

وعرَّفه البعض بمراتبِه الأربعةِ:

هو علم الله بالأشياء، وكتابةُ كل شيء كائن في اللوحِ المحفوظِ، ومشيئتُه لكل

---

(١) أخرجه: مسلم (٨).

(٢) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (١٦٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٩٠٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٣٠).

(٤) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ١١٨).

(٥) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (١/ ٤٦٠).

(٦) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ١١٨).

ما يقعُ، وخلقُه للأشياء المخلوقة كلِّها.

قوله (سـرُّ اللهِ):

لأنَّ القدرَ تصرُّفُ اللهِ في ملكوته، وتصرُّفُ اللهِ في ملكوته لا يعلمُه إلا اللهُ.

وكلمةُ (سر) هي كلمةٌ دقيقةٌ؛ حيث إنَّ السِرَّ في أصله يصعب الوصول إليه، وكذلك السِرُّ لا ينبغي التفتيشُ عنه، وإن كان للمخلوق، مع أنَّ علمَ المخلوقِ يمكن معرفتُه والوصولُ إليه، فكيف بالقدرِ الذي هو سرُّ الله تعالى الذي لا يمكن معرفته، ولا الوصول إليه.

مراتبُ القدر:

أولًا: علمُ اللهِ:

والمراد علمُ اللهِ بالأشياء كلِّها ما حدث، وما لم يحدث، قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

فهو يعلم الأشياء التي حدثت، والتي ستحدث قبل وقوعها، بل وقبل كتابتها في اللوح المحفوظ، ويعلم الأشياء التي لم تقع إذا وقعت على أي نحو كانت ستقع.

فعلم اللهِ علمٌ شاملٌ لكل شيء؛ إذ هو علم كامل تام.

وبعضُ أهلِ البدعِ يقولون: إنَّ اللهَ لا يعلم الحوادث إلا بعد وقوعها، كبعض القدرية والمعتزلَة، واستدلوا على ذلك بأدلة سبق الإشارة إليها، ومنها أيضًا:

_ أنَّ الله سبحانه وتعالى علَّق العلمَ في القرآن بالوقوع، مثل قوله عز وجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المائدة: ٩٤]، وغيرها من الآيات.

وقولهم باطل من وجوه سبق بيانها، ومنها أيضًا:

أولًا: أنَّ الله تعالى بيَّن أنَّ كل ما يقع في الأرض والسماء مكتوب عنده في كتاب أي قبل وقوعه، قال جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠].

ثانيًا: أنَّ الأدلة المحكمة دلت على أنَّ اللهُ سبحانه وتعالى يعلم أفعالَ العبادِ قبل أن تقعَ منهم، والدليلُ قولُه عز وجل ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وقولُه عز وجل ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣].

قال الشافعي:" ناظِروا القدريةَ بالعلم، فإن أنكروه كفروا، وإن أقرُّوا به خُصِموا "(١).

ثالثًا: لو أنَّ الله تعالى لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها لكان علم الخالق كعلم المخلوق، ولا فرق بينهما، وحاشاه سبحانه وتعالى.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٣/ ٣٤٩).

ثانيًا: الكتابة:

والمراد بها الكتابةُ في اللوح المحفوظِ، وهي كتابة لا تتغير ولا تتبدل، قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال ﷻ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣].

وقال ﷻ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وقال النبيُّ ﷺ: **" كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"**(١).

عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: **" وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ "**(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **"خَلَقَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ، فَكَتَبَ حَيَاتَهَا، وَمَوْتَهَا، وَمُصِيبَاتِهَا، وَرِزْقَهَا "**(٣).

ثالثًا: المشيئة:

والمشيئةُ تعني وترادف الإرادةَ الكونيةَ القدريةَ، فكلُّ ما يقعُ في الخلق قد شاءه الله تعالى، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال ﷻ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقد فرَّقنا قبل ذلك بين الإرادةِ الكونيةِ، والإرادةِ الشرعية، فالإرادةُ الشرعيةُ:

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٠٥٩٦)، الطبراني في الكبير (٨٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨١)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه: أحمد (٨٣٤٣)، الترمذي (٢١٤٣)، ابن حبان (٦١١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

هي ما يحبه اللهُ تعالى ويرضاه، والإرادةُ الكونية: هي ما يريد الله تعالى وقوعه في الكون ويقدره.

ملحوظة:

المشيئة والإرادة الكونية القدرية قد تجتمع مع الإرادة الدينية الشر عية وقد تفارقها، فالأول كأن يُقَدِّرُ الله وقوع الفعل في القدر مع محبته له، وذلك كإيمان المؤمنِ، وطاعة الطائع، وقد تكونُ الإرادةُ الكونيةُ دون الشرعيةِ، وذلك إذا قدَّر الله وقوع الفعلِ مع أنه لا يحبُّه ولا يرضاه مثل كفرِ الكافرِ، فهذا أراده اللهُ كونًا وقدرًا، ولم يُرِدْهُ دينًا وشرعًا.

رابعًا: الخلق:

والمراد به خلقُ الله للأشياءِ بعد علمِه بها، وكتابته، ومشيئته لها.

قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ **[الزمر: ٦٢]**.

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ **[الفرقان: ٢]**.

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ **[الصافات: ٩٦]**.

والإيمانُ بالقدرِ هو الإيمانُ بهذه المراتبِ الأربعةِ.

الفرق بين القضاء والقدر:

- قال بعضُ أهلِ العلمِ: القضاءُ هو القدرُ ولا فرق.

- وقيل: القضاءُ هو إنهاءُ القدرِ فالقدرُ سابقٌ، والقضاءُ لاحقٌ، وقيل العكس.

- وقيل: القدرُ أربعُ مراتبٍ: العلمُ، والكتابةُ، والمشيئةُ، والخلقُ، أما القضاءُ فإنه يشمل المشيئةَ والخلقَ.

تنبيه:

الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب، بل الأسباب ذاتها والأخذ بها هي من

قدر الله تعالى، **عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ - فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ**(١).

أسبابُ ضلالِ بعضِ الفرقِ في مسائلِ القدَرِ:

أولًا: عدم الاستسلام للكتابِ والسنةِ، وتعدي حدود الله المرسومة للعقل والفكر؛ لذا غضب النبي ﷺ لما خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، ونهاهم عن ذلك، وعزم عليهم ألَّا يخوضوا فيه، وبيَّن أنَّ سبب ضلال الأمم السابقة هو الخوض في القدر وأسراره، مع أنَّ الله تعالى في غير آية دعا الناس إلى التفكر والتدبر، لكنه جعل ذلك في حدود ما رسمه الشرع، ودعا العقل للتفكر فيه.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٧٢٩)، مسلم (٢٢١٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: «أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ»[1].

ثانيًا: عدمُ اتِّباعِ منهجِ السلفِ الصالحِ، والوقوفِ حيث وقفَ القومُ:

واتِّباع منهج السلف الصالح في كل مناحي الحياة، وفي أمور الدين خاصة فيه الخير والفلاح والنجاة؛ إذ هم أنقى الناس قلوبًا، وأكثرهم ورعًا، وأفهمهم للكتاب والسنة، وأكثرهم تحرِّيًا للصواب، فإن وقفوا وقفوا عن علم، وإن تكلموا تكلموا بفهم، فكانوا أكثر الناس اتِّباعًا؛ لذا كانوا أكثرهم توفيقًا، وإصابة، والتزامًا بالسنة والحق، وبُعْدًا عن البدع والغواية، فلقد كانوا أعلم الناس بالحق، وأرحم الناس بالخلق.

عَنْ أَبِي الصَّلْتِ قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ، فَكَتَبَ: أَمَّا بَعْدُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ، وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ - بِإِذْنِ اللهِ - عِصْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا، أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا الْخَطَإِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى، وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى، فَإِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ، وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ، وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ، وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا،

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢١٣٣)، ابن ماجه (٨٥)، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ، كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ فَعَلَى الْخَبِيرِ - بِإِذْنِ اللهِ - وَقَعْتَ، مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ، وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بِدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ، لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءُ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ فِي كَلَامِهِمْ، وَفِي شِعْرِهِمْ، يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَاتَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ بَعْدُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ، وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ فَتَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ، وَتَضْعِيفًا لِأَنْفُسِهِمْ، أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ، وَلَمْ يُحْصِهِ كِتَابُهُ، وَلَمْ يَمْضِ فِيهِ قَدَرُهُ، وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: مِنْهُ اقْتَبَسُوهُ، وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ لِمَ أَنْزَلَ اللهُ آيَةَ كَذَا؟ لِمَ قَالَ كَذَا؟ لَقَدْ قَرَءُوا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ، وَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ: كُلُّهِ بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ، وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ، وَمَا يُقَدَّرْ يَكُنْ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا "[(١)].

ثالثًا: معارضة حكمة الله تعالى بالعقول القاصرة:

ولقد أدَّى ذلك للاجتهاد حيث لا مجال للاجتهاد، ودخولِ العقل في أفعالِ اللهِ ﷻ بالتحسين والتقبيح؛ وذلك لأنَّ العقلَ عندهم أصلٌ، فما حسَّنه العقلُ في أفعال الله صار حسنًا، وما قبَّحه العقلُ في أفعال الله صار قبيحًا، ووجب نفيُه عنِ اللهِ، فجرَّهم ذلك للتكذيب بالقدر.

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»[(٢)] قَالَ أَبُو حَازِمٍ: لَعَنَ اللهُ دِينًا أَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ يَعْنِي التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ[(٣)].

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٦١٢)، وقال الألباني: صحيح مقطوع.

(٢) أخرجه: أحمد (٦٩٨٥)، الترمذي (٢١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، وقال شعيب الأرنؤوط صحيح.

(٣) أخرجه: أحمد (٦٧٠٣)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

رابعًا: قياس أفعالِ اللهِ ﷻ على أفعالِ العبادِ:

فما رأوه محمودًا وعدلًا في أفعال المخلوقات جعلوه محمودًا في أفعال الله، وما رأَوْه مذمومًا في أفعال الخلق جعلوه مذمومًا في فعل الله تعالى.

خامسًا: الخوض في أفعالِ اللهِ بالتعليلِ:

وهو السؤال بـ (لِمَ فَعَلَ)؟:

وهذا هو التعمق في القدر كما سيذكره الطحاويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لاحقًا حيث قال: "والتعمقُ والنظرُ في ذلك ذريعةُ الخِذلانِ، وسُلَّمُ الحِرمانِ، ودرجةُ الطُّغيانِ".

سادسًا: عدمُ التفريقِ بين الإرادةِ الكونيةِ، والإرادةِ الشرعيةِ:

فيجعلون الإرادةَ الشرعيةَ والإرادةَ الكونيةَ شيئًا واحدًا، وقد سبق بيان ذلك – ولله الحمد –.

مقدماتٌ تضبطُ مسائلَ القدرِ:

أولًا: الإيمانُ بأنَّ اللهَ عدلٌ لا يظلم أحدًا:

فالانحراف في مسائل القدر يؤدي إلى وصف الله بالنقائص، ومن ذلك وصفه بالظلم – حاشاه سبحانه وتعالى – ولا يتم إيمان العبد ولا يصلح إلا إذا أيقن أنَّ الله عدل ولا يظلم عباده، وأنه يفعل ما يشاء في ملكه، مع العدل التام الكامل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"لَوْ يُؤَاخِذُنِي اللهُ وَابْنَ مَرْيَمَ بِمَا جَنَتْ هَاتَانِ يَعْنِي الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا لَعَذَّبَنَا ثُمَّ لَمْ يَظْلِمْنَا شَيْئًا"**[1].

عنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أنه قال لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ

---

(١) أخرجه: ابن حبان (٦٥٧)، أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٧٥)، وقال الأرنؤوط في تحقيقه على ابن حبان: إسناده صحيح على شرط مسلم.

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»**[1].

وفي رواية: قالَ الوليدُ بنُ عبادةَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي، فَقَالَ: أَجْلِسُونِي، فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ "**[2].

عنْ عبدِ اللهِ بنِ فيروز الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ».

وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَتَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَيٌّ، وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ، فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَاسْأَلْهُ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَسَأَلْتُهُ،

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٧٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٢٧٠٥)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لوْ أَنَّ اللهَ عذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ، وأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غيرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غيرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ**»[(١)].

عنْ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فَلَقِيتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ أَهْلَ البَصْرَةِ يَقُولُونَ فِي القَدَرِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ أَتَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاقْرَأِ الزُّخْرُفَ، قَالَ: فَقَرَأْتُ: {حم وَالكِتَابِ المُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}، فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا أُمُّ الكِتَابِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ كِتَابٌ كَتَبَهُ اللهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ، وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الأَرْضَ، فِيهِ إِنَّ فِرْعَوْنَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَفِيهِ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ...[(٢)].

عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: " **لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا**

---

(١) أخرجه: أحمد (٢١٥٨٩)، ابن ماجه (٧٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) أخرجه: الترمذي (٢١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

وَتَقْوَاهَا"[1].

قال عطاء بن أبي رباح: كنت عند ابن عباس، فجاءه رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيتَ مَن صَدَّنِي عن الهدى، وأَوْرَدَنِي الضلالة والرَّدَى، ألا تراه قد ظلمني؟

قال: إن كان الهدى شيئًا لك عنده فمنعكاه فقد ظلمك، وإن كان هو له يؤتيه من يشاء فلم يظلمك، قم لا تجالسني[2].

وهكذا ندرك أن هذا كان فهمَ الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وغيرهم من أهل الفضل والعلم، وأنهم ءامنوا أنَّ اللهَ عدلٌ في حكمه، وفعله، وقضائه، وإن عذَّب أهلَ السماواتِ، وأهلَ الأرضِ لعذَّبهم، وهو غير ظالم لهم سبحانه.

ثانيًا: الإيمانُ بأنَّ الله حكيمٌ في أفعاله:

والمعنى: أنَّ الله لا يفعل شيئًا إلا لحكمةٍ تامةٍ بالغةٍ، قال عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦].

وقال تعالى ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان: ٣٩].

وهداية مَنِ اهتدى، وضلال مَن ضل من مقتضى حكمته سبحانه وتعالى، قال عز وجل ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ **[القلم: ٣٥ - ٣٦]**.

ولذلك بيَّن سبحانه أنَّه أضلَّ أهلَ الضلالِ لسلوكهم طريق الضلالة وسعيهم إليها، وذلك بحكمةٍ، قال عز وجل ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ **[مريم: ٧٥]**.

وهدَى سبحانه أهلَ الهُدى لسلوكهم طريق الهدى وسعيهم إليه، وكل ذلك

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٥٠).

(٢) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ٦٧١).

بحكمةٍ، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: ١٧].

ثالثًا: الإيمانُ بأنَّ اللهَ جل جلاله هو المَلِكُ:

ومقتضى ذلك أنه يتصرفُ في ملكه كيفما يشاء، ولا يخرجُ شيءٌ عن مُلكِه سبحانه وتعالى، وما قضاه الله وقدره وقع في ملكه، سواء أكان ذلك بأسباب، أو بغير أسباب، أو كان ذلك مضادًّا للأسباب مخالفًا لها.

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَأَلَ عَنِ الْعَزْلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" لَوْ أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ الْوَلَدُ أَهْرَقْتَهُ عَلَى صَخْرَةٍ، لَأَخْرَجَ اللهُ مِنْهَا وَلَدًا، وَلَيَخْلُقَنَّ اللهُ نَفْسًا هُوَ خَالِقُهَا "**(١).

عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ لِي جَارِيَةً، هِيَ خَادِمُنَا وَسَانِيَتُنَا(٢)، وَأَنَا أَطُوفُ عَلَيْهَا، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ، فَقَالَ: **«اعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»، فَلَبِثَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْجَارِيَةَ قَدْ حَبِلَتْ، فَقَالَ: «قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»**(٣).

أقوالُ الناس في القدر:

اختلف الناسُ في القدر إلى ثلاثِ فرقٍ، وهم:

أولًا: الجَبْرِيَّةُ:

قالوا: إنَّ اللهَ هو الذي يفعلُ الأشياءَ، وأنَّ الإنسانَ مجبورٌ على فعله، ولا مشيئةَ له، وهو كالرِّيشة في الهواءِ، أوكالهشَّةِ في البحرِ، ولا اختيارَ له.

وهذا وصفٌ لله تعالى بالظلمِ وعدمِ العدل- عياذًا بالله تعالى - وأنه يفعل الأشياء، ويعاقب الناس عليها، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

---

(١) أخرجه: أحمد (١٢٤٢٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٣٣).

(٢) سانيتنا: أي التى تسقى لنا، شبهها بالبعير في ذلك.

(٣) أخرجه: مسلم (١٤٣٩).

وممن قال بهذا القول جهمُ بن صفوان[١]، ومن تبعه من غُلاة الصوفيةِ وأهل البدع.

❁ **ثانيًا: القَدَرِيَّةُ:**

قالوا: إنَّ اللهَ لا يخلق أفعالَ العبادِ، والعبدُ هو الذي يخلقُ فعلَ نفسه وهم قسمان:

الغلاةُ منهم وهم الذين ينكرون علمَ اللهِ السابقَ فيقولون: إنَّ اللهَ لا يعلم الشيءَ إلا بعد وقوعِه.

وهذا القول كان يقولُ به مَعبد الجُهني[٢]، وغيلان الدمشقي[٣]، وهؤلاء كفَّرهُم الصحابةُ كابنِ عمرَ، وابنِ عباسٍ، وغيرِهم؛ لأنهم أنكروا مرتبةَ العلم.

وفرقةٌ متوسطةٌ: كالمعتزلة والرافضة والزيدية، وهؤلاء سُمُّوا بالقدرية لأنهم نفَوا بعضَ مراتبِ القدرِ، حيث نَفَوْا قدرة الله وإرادته لأفعال العباد، وجعلوا أعمال

---

(١) جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، رأس الجهمية، قال الذهبي: الضال المبتدع، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، قبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت، وأمر بقتله، فقتل عام ١٢٨هـ.

(٢) معبد بن عبد الله بن عليم الجهنيّ البصري: أول من قال بالقدر في البصرة، ونشر فيها مذهبه، وعنه أخذ غيلان، وخرج مع ابن الأشعث على الحجاج بن يوسف، فجرح، فقتله الحجاج صبرًا، بعد أن عذبه، وقيل: صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق، ثم قتله عام ٨٠هـ.

(٣) غيلان بن مسلم الدمشقيّ: تنسب إليه فرقة " الغيلانية "من القدرية، وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، وكان يقول بالقدر خيره وشره من العبد، وطلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، فصلب على باب كيسان بدمشق عام ١٠٥ هـ.

العباد واقعة منهم استقلالًا، وهؤلاء جميعًا يناقضون آثار اسم الله الملِكِ ﷻ، ويصفون ملكه وهيمنته على ملكه بالنقص، بل ويصفونه بالعجز، وأنه يَخْرُجُ بعض عباده عن ملكوته وقبضته سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن حجر:

وقد حكى المصنفون في المقالات عن طوائفَ من القدرية إنكارَ كونِ البارئ عالمًا بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم، وإنما يعلمها بعد كونها، قال القرطبي وغيره: قد انقرض هذا المذهب، ولا نعرف أحدًا يُنْسَبُ إليه من المتأخرين، قال: والقدرية اليوم مُطْبِقُون على أنَّ اللهَ عالِمٌ بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأنَّ أفعال العباد مقدورةٌ لهم، وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهبًا باطلًا أخف من المذهب الأول، وأما المتأخرون منهم فأنكروا تَعَلُّقَ الإرادة بأفعال العباد فرارًا من تعلق القديم بالمُحْدَثِ، وهم مخصومون بما قال الشافعي: إن سلَّمَ القَدَرِيُّ العلمَ خُصِمَ يعني: يقال له: أيجوز أن يقع في الوجود خلافُ ما تضمنه العلم؟ فإن مَنَعَ وافقَ قولَ أهل السنة، وإن أجاز لَزِمَهُ نسبةُ الجهلِ، تعالى الله عن ذلك[1].

۞ ثالثًا: أهلُ السنةِ:

قالوا بجميع مراتب القدر، وأنَّ الله تعالى بيده الأمر والملك، يفعل ما يشاء، ويقضي ما يريد، وليس في ذلك ظلم للعباد؛ لأنه يقضي في ملكه بعلمه، وحكمته البالغة سبحانه وتعالى.

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ١١٩).

موقف السلف من القدرية:

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ[1] قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ...»[2].

عنِ ابنِ عمرَ قالَ: قالَ ﷺ: **" القدريةُ مجوسُ هذه الأمةِ إن مَرِضُوا فلا تَعُودُوهُم، وإن مَاتُوا فلا تَشْهَدُوهُم "**[3].

عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ لِابْنِ عُمَرَ صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُكَاتِبُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ**»[4].

عنْ نَافِعٍ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَحْدَثَ فَلَا تُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ

---

(١) يحيى بن يعمر: الفقيه، العلامة، المقرئ، أبو سليمان العدواني، وقيل: إنه كان أول من نقط المصاحف، وذلك قبل أن يوجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة، وكان ذا فصاحة، أخذ ذلك عن أبى الأسود، توفي قبل التسعين من الهجرة.

(٢) أخرجه: مسلم (٨).

(٣) أخرجه: أبوداود (٤٦٩١)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٤) أخرجه: أحمد (٥٦٣٩)، أبو داود (٤٦١٣)، الحاكم (٢٨٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَوْ فِي أُمَّتِي - الشَّكُّ مِنْهُ - خَسْفٌ أَوْ مَسْخٌ أَوْ قَذْفٌ فِي أَهْلِ القَدَرِ**»(١).

وكان الحسن البصري(٢) يقول: لأن يسقط من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يقول الأمر بيدي(٣).

عن مالك: عن عمه أبي سهيل بن مالك: أنه قال: كنت أسير مع عمر بن عبدالعزيز فقال: ما رأيك في هؤلاء القدرية ؟ فقلت: رأيي أن تستتيبهم، فإن تابوا وإلا عرضتهم على السيف، فقال: وذلك رأيي، قال مالك: وذلك رأيي(٤).

وعن مروانَ بنِ محمدٍ: قال: «سألتُ مالكَ بنَ أنسٍ عن تزويج القدَرِيِّ، فَقَالَ: ﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ﴾ [البقرة:٢٢١](٥).

- تقديرُ الهدايةِ والضلالِ:

الهداية والضلال يحدثان بقدر الله تعالى، لكنَّ ذلك لا يكون عبثًا، ولا بمحض الصدفة، بل يكون وفق أسباب من العباد، وحكمة بالغة من رب العباد.

فمن أخذ بأسباب الهداية عامله الله بفضله، ووفقه لمزيد من الهدى، ومن أخذ

---

(١) أخرجه: أحمد (٦٢٠٨)، الترمذي (٢١٥٢)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١١٦).

(٢) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، ولد عام ٢١هـ، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان لا يخاف في الحق لومة لائم، قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء، وأقربهم هديًا من الصحابة، توفي عام ١١٠ هـ.

(٣) أخرجه: أبوداود (٤٦١٩)، وصحح الألباني إسناده في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٤) أخرجه: مالك في الموطأ (٣٣٤٢).

(٥) أخرجه: ابن أبى عاصم في السنة (١٩٨)، ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٥٩)، أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦)، وصحح الألباني إسناده في ظلال الجنة في تخريج السنة (١٩٨).

بأسباب الضلال عامله الله بعدله، وزاده غيًّا وضلالًا.

قال تعالى حكاية عن الجن ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤]، فمن تَحرَّ الرشد هداه الله للإسلام.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

ولما اجتمع الإمام أبو إسحاق الاسفراييني[١] مع القاضي عبدِ الجبارِ[٢] المعتزليِّ،

قال القاضي عبدالجبار: سُبحان من تنزَّه عن الفحشاءِ (يُعَرِّض بالإمام أبي إسحاق لمَّا رآه، ويقصد أنَّ الله تعالى يتنزه عن أن يُقَدِّرَ الفحشاء).

قال أبو إسحاق الاسفراييني: سبحان من لا يكونُ في مُلكه إلا ما يشاء.

قال القاضي: أيشاءُ ربُّنا أن يُعصَى.

قال أبو إسحاقٍ: أيُعصَى ربُّنا قهرًا.

قال القاضي: أفرأيتَ إن منعنى الهُدى، وقضى عليَّ بالرَّدى أحسنَ إليَّ أم أساء؟!

قال أبو إسحاقٍ: إن منعك ماهو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له، فذلك

---

(١) أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الاسفراييني الشافعي، أحد المجتهدين في عصره، وكان الصاحب إسماعيل بن عباد إذا انتهى إلى ذكر هؤلاء، يقول: ابن الباقلاني بحر مغرق، وابن فورك صل مطرق، والاسفراييني نار تحرق، ومات في سنة ٤١٨هـ.

(٢) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من فقهاء الشافعية، ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة، تخرج به خلق في الرأي الممقوت، مات في سنة ٤١٥هـ.

فضلُ اللهِ يُؤتيه من يشاء[١].

عن أبي صالحٍ قال: قال رجلٌ من القدريَّة لأبي عصام العَسْقَلانيِّ: يا أبا عصامٍ أرأيتَ مَن منعني الهدى، وأوردني الضلالة والرَّدى، ثم عذَّبني، يكون لي منصفًا؟ قال: فقال له أبو عصامٍ: إن يكن الهدى شيئًا لك عنده فمنعك إيَّاه، فما أنصفك، وإن يكن الهدى شيئًا هو له، فله أن يعطي مَن يشاء، ويمنع مَن يشاء[٢].

فالقدر يدور بين التوفيقِ والخِذلانِ، والتوفيقُ فضلٌ، والخِذلانُ عدلٌ.

فالتوفيقُ: هو إمدادُ اللهِ ﷻ العبدَ بعونه، وتسديده، وتيسير الهداية له، فهو فضلٌ لأنَّه إعانةٌ، والفضل لا حقَّ للعبد فيه، بل يختص الله به من يشاء سبحانه، ومع ذلك فإنه يختص به من يشاء بحكمة بالغة.

والخِذلانُ: هو سَلْبُ التوفيقِ، أي سلْبُ الإعانةِ ممن لا يستحق؛ لذا فالخِذلانُ يكون عدلًا.

أسبابُ النهيِ عنِ الخوضِ في القدرِ:

والمراد بعدم الخوض في القدر أي بعدم الخوض في أفعال الله تعالى بالتعليلِ، ولا يُخاض في أفعال الله تعالى بالتعليل لأمور منها:

أولًا: أنَّ هذا ليس من سنة النبي ﷺ ولا طريقته، ولا هو هدي أصحابه، والسلفِ الكرام، فلم يُعلمْ عنهم أنَّهم بحثوا في هذه العللِ.

والقاعدةُ تقولُ: كل فعل توفر سببه في عهد النبي ﷺ، ولم يفعله فالمشروع تركه[٣].

ثانيًا: أنَّ العبدَ مسؤولٌ عن أفعالِه، وغيرُ مسؤولٍ عن أفعالِ الله تعالى، فمِن

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٣/ ٤٥٩).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٤/ ٢٨٠).

(٣) انظر بيان القاعدة في كتاب: الرسالة الندية في القواعد الفقهية (صـ ١١٨) للعبد الفقير.

سُوءِ الأدبِ مع اللهِ ﷻ أن نسألَ عن أفعاله سبحانه لِمَ؟ وكيف؟، قال ﷻ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فكيف يتركُ العبدُ ما هو مسؤولٌ عنه، وينشغلُ بما لم يُسأَلْ عنه، ولم يُطْلَبْ منه، بل نُهِي عن الخوض فيه.

ثالثًا: العلمُ نوعان:

- علمٌ موجودٌ.

- علمٌ مفقودٌ.

فيجبُ الإيمانُ بالعلم الموجودِ،وعدم البحث عن العلم المفقودِ الذي اختصَّ اللهُ ﷻ به نفسَه، كما سيذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد قليل.

رابعًا: أنَّ البحثَ في تعليلِ الأفعالِ للهِ ﷻ فوق طاقةِ العبدِ؛ لذا من رحمةِ اللهِ أنه لم يُكلِّفْنا بها، وكلُّ شيءٍ فوقَ طاقةِ العبدِ حجبه اللهُ ﷻ عن عباده رحمة ولطفًا بهم.

جاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة يجادله في القدر، فقال له: «أما علمتَ أنَّ الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد نظرًا ازداد تَحَيُّرًا»[(١)].

فأفعالُ اللهِ ﷻ يُنظرُ فيها، لكن ليس للتعليل، وإنما للإيمان بآثارها، ورؤية أوجه الإعجاز والمِنَنِ والفضل فيها، فيُحدِث ذلك إيمانًا زائدًا، واطمئنانًا وثقةً لما قضاه الله وقدره، وشكرًا واعترافًا بفضله.

خامسًا: أنَّ القدرَ مبنيٌّ على أشياء وهي (العلمُ- والكتابةُ- والمشيئةُ- والخلقُ- والحكمةُ).

وهذه الأشياء مجهولة بالنسبة للعبد، وعليه فكل مَن خاض في القدر بالتعليل فإنما يخوض بجهل، والخوض في الأمور بجهل آخره الخراب والبوار، فضلًا أن

(١) قلائد عقود العقيان لشرف الدين القرتبى (ق-٧٧-ب)، وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر عن جعفر بن محمد (٢/ ٩٤٥).

يكون ذلك في القدر الذي هو سر من أسرار الله تعالى.

أفعال العباد:

وخلاصة القول فيها: أنَّ أفعال العباد مخلوقة وهو مذهب أهل السنة والجماعة؛ وذلك لأنَّ العمل لا يتم إلا بقدرة وإرادة، فالقدرة دلالة على الاستطاعة، والإرادة دليل الاختيار؛ ولذلك فالذي فقد القدرةَ لا يُكَلَّفُ بالعمل، فمن فقد القدرة على الصيام لا يُكَلَّفُ به، ومن فقد الإرادةَ لا يقوم بالعمل، ولا يتمه كالذي يمتنع عن الصلاة لعدم رغبته وإرادته لها، وإن كان ذلك مع قدرته على تأديتها، إذًا فالعمل الذي يقوم به العبدُ يكون بناءً على الإرادةِ والقدرة اللتين جعلهما اللهُ ﷻ في العبد.

ولما كانت قدرة العبد وإرادته مخلوقتان، وهما أساس العمل دل على أنَّ العمل مخلوق أيضًا، وهذا واضح لا يحتاج إلى كثير بيان.

قوله (لم يطَّلعْ على ذلك مَلَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ):

إنَّ الاطِّلاع على القدر ليس في طاقة البشر، لأنَّ القدرَ هو تَصَرُّفُ اللهِ في ملكوتِه، وهذا التصرفُ مما اختص اللهُ ﷻ به نفسَه، فلم يَطَّلعْ على ذلك ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ.

فلا أحد يعلمُ ما القدر، وما الذي سيُقدَّر، بل هذا من مفاتحِ الغيب، قال ﷻ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [**الأنعام: ٥٩**]؛ لذا لم يُطلِعِ اللهُ عليه ملكًا مُقَرَّبًا، ولا نبيًّا مُرْسَلًا.

قوله (والتعمُّقُ والنظرُ في ذلك ذريعةُ الخِذلانِ):

الخِذلانُ: من (خ - ذ - ل) خَذَلَهُ خَذَل عنه خَذْلًا بالفتح، وخِذْلانًا بالكسر: تَرَك نُصْرَتَه قال اللهُ تعالى: " وَإِنْ يَخْذُلْكُم فَمَنْ ذَا الذي يَنْصُرُكُم مِنْ بَعْدِه "، وخِذْلانُ اللهِ العَبدَ:

أن لا يَعْصِمَه، زاد الأزهريُّ: مِن السيئةِ فيقَعَ فيها[١]، فالخِذلان: ضدُّ الهدايةِ.

وسببُ الخِذلانِ: أنهم تعمَّقُوا في القدر فتجاوزوا الحدَّ، ولم يُسلِّموا لِمَا جاء في الكتابِ والسنة، فعاقبهم اللهُ تعالى على ذلك بالشقاء، والحيرة، والحِرمان من الهداية في الدنيا، والخِذلان في الآخرة.

قوله (وسُلَّمُ الحِرمانِ):

الحِرمانُ: نَقيضه الإِعطاء والرِّزْقُ. يُقَالُ: مَحْرُومٌ، ومَرْزُوقٌ[٢].

والمراد بالحِرْمانِ هنا أن يحرمهم اللهُ ويمنعهم أن يظفروا بالحقائق التي يريدها اللهُ ﷻ من هذه المعاني فيضلون، وذلك بسبب خوضهم فيما نُهُوا عنه.

قوله (ودرجةُ الطُّغْيانِ):

الطُّغْيانُ: قال ابْنُ سِيدَهْ: طَغَى يَطْغى طَغْيًا، ويَطْغُو طُغْيانًا: جاوَزَ القَدْرَ، وَارْتَفَعَ وغَلا فِي الكُفْر[٣].

فالطُّغيانُ هو مجاوزةُ الحدِّ، وهم قد تجاوزوا الحدَّ في التعمقِ والتفكر فيما لم يكلفوا به، فعاقبهم اللهُ ﷻ أن ضلوا، فتجاوزوا الحدَّ في بابِ القدرِ، وفي مسائله، وفي نسبةِ أمورٍ إلى اللهﷻ لم ينسبها إلى نفسه، ووصفوا اللهَ بالنقائص، فحُرِموا الهدايةَ والتوفيقَ؛ كل ذلك لأنَّهم تعمَّقوا في النظر.

قوله (فالحذرَ كلَّ الحذرِ من ذلك نظرًا، وفكرًا، ووسوسةً):

ويُحَذِّر المصنف هنا مما سبق من الخوض في القدر بالتعليل، وتَجَاوُزِ الحَدِّ فيه نظرًا، وفكرًا، ووسوسةً:

نظرًا: بالبحث.

---

(١) تاج العروس للزبيدي (١/ ٧٠٣٢).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ١٢٥).

(٣) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٧).

وفكرًا: بالعقل.

ووسوسةً: بما يجول في الصدور؛ لأنَّ ذلك سيفتحُ على العبد طريق الخذلان، والحرمان، والطغيان.

قوله (فإنَّ اللهَ طَوى عِلمَ القدرِ عن أَنامِهِ، ونَهاهُم عن مَرامِه):

ولمَّا حذَّرَ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الخوض في القدر، والتفكر فيه بين هنا السبب في ذلك، وهو أنَّ الله طوى علم القدر عن جميع الأنام؛ ولذا نهاهم عن مَرامِه، والبحثُ عنه إنما هو بحثٌ فيما لا طائل تحته، ولا يمكن الوصول إليه.

قوله (فمن سأَل لِمَ فَعَلَ؟ فقد ردَّ حكمَ الكتابِ، ومن ردَّ حكمَ الكتابِ كانَ منَ الكافرينَ):

والسؤال بـ (لِمَ فَعَلَ)؟

إما أن يكون سؤاله للعلم والتعلم، وهو بحث عن غير معلوم لأحد من الخلق، فلا يمكن الوصول إليه، فهو من التنطع والضلال.

أو سأل لِمَ فَعَلَ؟

اعتراضًا وردًّا لحكمه، فيكون بذلك رادًّا لحُكْمِ اللهِ وكتابِهِ، ألا وهو قوله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ **[الأنبياء: ٢٣]**؛ لذا كان من الكافرين.

❊

فهذا جملةُ ما يحتاجُ إليه مَن هو مُنوّرٌ قلبُهُ من أولياءِ اللّه تعالى، وهيَ درجةُ الراسخينَ في العلمِ؛ لأَنّ العلمَ علمانِ: علمٌ في الخلقِ موجودٌ، وعلمٌ في الخلقِ مفقودٌ، فإنكارُ العلمِ الموجودِ كفرٌ، وادِّعاءُ العلمِ المفقودِ كفرٌ، ولا يصحُّ الإيمانُ إلّا بقَبُولِ العلمِ الموجودِ، وتركِ طلبِ العلمِ المفقودِ.

قوله (فهذا جملةُ ما يحتاجُ إليه مَن هو مُنوَّرٌ قلبُهُ):

أي ما ذُكِرَ في باب القَدَرِ من التأصيلِ، والبيانِ، والقواعدِ، والمراتبِ، وغيرها، هذا هو الذي يحتاجُه مَنِ استنارَ قلبُه، أمَا غيره فلا يقنع بهذا، ويرى أنه يحتاج أن يعلم أكثر من هذا، فيَضل ويُضِل.

ومُنوَّرُ القلبِ: هو الذي يتعلَّقُ قلبُه بالكتابِ والسنةِ نظرًا، وعملًا، وفكرًا، جَعَلَنا اللهُ والمسلمين منهم.

قوله (من أولياءِ اللهِ تعالى، وهي دَرجَةُ الرَّاسخينَ في العلمِ):

وهذه هي المرتبةُ العليا في هذا المقام، وأولياءُ اللهِ هم المتقون، قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

والرسوخُ في العلمِ: هو الثباتُ في العلمِ، والثباتُ في العلم أنواع، فمنها: الثباتُ في علمِ التوحيدِ، وفي الغيبياتِ وهذا هو (علم العقيدة)، ومنها الثباتُ في علمِ الفروعِ وهذا هو(علم الفقه)، والراسخُ في العلم هو الراسخ المتمكِّنُ من الأمرين معًا، وهو الذي أنَار اللهُ قلبَه، ونوَّرَ بصيرَتَه، وقد يكون المراد بالرسوخ في العلم هنا الرسوخ في عِلْمِ العقيدة.

قوله (لأنَّ العلمَ علمانِ: عِلمٌ فِي الخلقِ مَوْجودٌ، وعلمٌ في الخلقِ مفقودٌ، وإنْكَارُ العلمِ المَوجودِ كفرٌ، وادِّعاءُ العلمِ المَفْقُودِ كفرٌ):

فالعلمُ كما ذكرَ رَحِمَهُ اللَّهُ نوعان:

- علمٌ في الخلقِ موجودٌ.
- وعلمٌ في الخلقِ مفقودٌ.

أولًا: العلمُ الموجود: وهو ما علَّمَنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه، وما علَّمَنا رسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته.

وإنكارُ العلمِ الموجودِ كفرٌ؛ لأنَّه تكذيبٌ للهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وللرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: العلم المفقود: وهو ما استأثرَ الله بعلمِه كالغيبيات، والقدر وأسراره، وما ينطوي عليه من الغيب الذي اختص الله تعالى به نفسه، فمَنِ ادَّعى هذا العلمَ المفقودَ كَفَرَ؛ لأنه مُكَذِّبٌ لله، ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

قوله (ولا يصحُّ الإيمانُ إلَّا بقَبُولِ العلمِ الموجودِ، وتركِ طلبِ العلمِ المفقودِ):

فالمؤمنُ الحقُّ في باب القَدَر لا يثبت إيمانه إلا بتركِ الخوضِ في القدرِ عدا ناحيتين: قبول العلمِ الموجودِ والمُثبَت في الكتاب والسنة والإيمان به، وترك طلب العلمِ المفقود، وعدم البحث والتعمق فيه.



الإيمانُ باللوح والقلمِ

ونؤمنُ باللّوحِ والقلمِ، وبجميعِ ما فيهِ قد رُقِمَ، فلوِ اجتمعَ الخلقُ كلُّهُم على شيءٍ كتبَهُ اللّهُ تعالى فيهِ أنّهُ كائِنٌ ليجعلوهُ غيرَ كائنٍ لم يقْدِرُوا عليه، ولوِ اجتمعوا كلُّهُم على ما لم يكتبْهُ اللّهُ تعالى فيهِ أنه غيرُ كائِنٍ ليجعلوه كائنًا لم يَقدِرُوا عليهِ، جفَّ القلمُ بما هوَ كائنٌ إلى يومِ القيامةِ.

وذِكْرُ اللوح والقلم هنا من فقهه، وعلمه، وحسن ترتيبه رَحِمَهُ اللَّهُ، فلقد أتبع باب القدر بالإيمان باللوح والقلم؛ إذ الكتابة من مراتب القدر، والكتابة في اللوح المحفوظ كانت بالقلم.

قوله (ونؤمنُ باللوحِ والقلمِ):

اللوحُ في اللغة: كلُّ صَفِيحة عريضة من صفائح الخشب، قال الأَزهري: اللَّوْحُ صفيحة من صفائح الخشب، والكَتِف إِذا كُتِب عليها سُمِّيت لَوْحًا، واللوحُ: الذي يُكتَبُ فيه، واللوح: اللوحُ المحفوظُ، وفي التنزيل "في لوحٍ محفوظٍ"[1].

وفي الشرع: الكتاب الذي كتب اللهُ فيه مقاديرَ الخلائقِ.

وسمَّاه اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ اللوحَ المحفوظَ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ **[البروج: ٢١ - ٢٢].**

وسمَّاه الكتابَ المكنونَ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ **[الواقعة: ٧٧ - ٧٩].**

---

(١) تاج العروس للزبيدي (٢/ ٥٨٤).

وسمَّاه أمَّ الكتابِ، فقال ﷻ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾ [الرعد: ٣٩].

وسمَّاه الذكرَ، فقال ﷿ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

قوله (والقلمِ):

القلمُ في اللغةِ: هو القَلَم الذي يُكتب به، والجمع أقلام[١].

وفي الشرع: هو الذي أمره الله بكتابةِ مقاديرِ الخلائقِ.

❁ أيهما خُلِقَ أولًا العرشُ أمِ القلمُ:

اختلف أهل العلم في ذلك، فقيل: القلم أولًا، واستدلوا بحديث عبادة بن الصامت الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: **" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "**[٢].

وقيل: العرش أولًا، واستدلوا بأدلة منها: حديثُ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: **" كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"**[٣].

وهذا هوالصحيحُ واللهُ أعلمُ؛ إذ النصُّ صريح في أنَّ العرشَ كان موجودًا حين خلقَ الله القلم وأمره بكتابة ما هو كائن، وهذا لا يتعارض مع الحديث السابق؛ إذ قد يكون المعنى في الحديث الأول: أنَّ الكتابة كانت بعد خلقِ القلمِ مباشرةً، فقوله **" إنَّ أولَ ما خلق الله القلم"** أي حين خلق الله القلم، وليس المعنى هو أول ما

(١) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٢٧٠٧)، أبو داود (٤٧٠٠)، الترمذي (٣٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٦٥٣).

خُلِقَ، ويدلُّ لذلك ما وردَ عنِ ابنِ عباسٍ: عنِ النبيِّ ﷺ قالَ:" **لمَّا خلقَ اللهُ القلمَ قالَ لهُ: "اكتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُو كائِنٌ إلى قيامِ السَّاعَةِ"**[١].

ولقد لخَّصَ ذلك ابنُ القيمِ فقال:

والناسُ مختلفون في القلمِ الذي كُتِبَ القضاءُ به من الديَّانِ

هل كان قبل العرشِ أو هو بعده قولان عند أبي العلا الهمذاني

والحقُّ أنَّ العرشَ قبلُ لأنَّه عند الكتابةِ كان ذا أركانِ[٢]

قوله (وبجميعِ مَا فيهِ قد رُقِمَ):

أي كُلُّ ما كتبه اللهُ نؤمنُ به، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وما كتبه اللهُ في اللوح المحفوظ لا بدَّ وأنَّه كائنٌ؛ لهذا قال بعده: **فلوِ اجتمعَ الخلقُ كلُّهُم على شيءٍ كتبهُ اللهُ تعالى فيهِ أنَّهُ كائِنٌ ليجعلوهُ غيرَ كائِنٍ لم يقْدروُا عليهِ، ولوِ اجتمعوا كلُّهُم على شيءٍ لم يكتبهُ اللهُ تعالى فيهِ ليجعلوهُ كائِنًا لم يَقدِرُوا عليهِ.**

وهذا يدلُّ على كمالِ عِلمِه، وكمالِ قدرتِه، فلو تغيَّر شيءٌ مما كتبهُ اللهُ لكان هذا نقصًا في علمِ اللهِ لأنَّه كتبه وقدَّره بناءً على العلم، وإن لم يحدث شيء مما كتبه لكان نقصًا في قدرته وحاشاه ﷻ؛إذن ثبوتُ ما في اللوحِ المحفوظِ يدلُّ على كمالِ عِلمِه،وكمالِ قدرتِه سبحانه.

قوله (جفَّ القلمُ بما هوَ كائنٌ إلى يومِ القيامةِ):

جفَّ القلمُ: أي جفَّ ما كتبه القلمُ.

وهذا ليس دليلًا على الجبْرِ، ولكنَّه دليلٌ على كمالِ العلمِ والقدرةِ كما سبق.

وما سبق من كلام المؤلف في هذه الفقرة، وما سيأتي لاحقًا لها أُخِذ من كلام النبي ﷺ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ" **يا غُلَامُ إِنِّي**

---

(١) المعجم الكبير (١٢/ ٦٨)، وصححه الألباني في موسوعة الألباني في العقيدة (٥/ ٥٦٨).

(٢) متن القصيدة النونية (صـ٦٥).

أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"[١].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤٤٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

ومَا أخطأَ العبدَ لم يكُن ليصيبَهُ، وما أصابهُ لم يكُن ليُخطئَهُ، وعلى العبدِ أن يعلمَ أنّ اللهَ تعالى قد سبقَ علمُهُ في كُلّ كائنٍ من خلقه، وقدّرَ ذلكَ تقديرًا مُحكمًا مُبرَمًا، ليس له نَاقضٌ، ولا مَعقّبٌ، وَلا مزيلٌ، ولا مُغيّرٌ، ولا مُحَوّلٌ، ولا ناقصٌ، ولا زائدٌ من خلقهِ في سماواتهِ وأرضهِ، وذلكَ مِن عَقْدِ الإيمان، وأصولِ المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وَرُبُوبيّته، كمَا قالَ تعالَى في كتابه:" وَخَلَقَ كُلّ شَيْءٍ فَقَدّرَهُ تَقْدِيرًا "، وقال تعالى: " وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ".

قوله (وَمَا أخطأَ العبدَ لم يكُن ليصيبَهُ، وما أَصابَهُ لم يكُن لِيُخطِئَهُ، وعلى العبدِ أن يعلمَ أَنَّ اللهَ قد سبقَ علمُهُ في كُلِّ كائنٍ مِن خلقهِ):

والمعنى: أَنَّ عِلْمَ اللهِ قد سبَقَ مخلوقاتِه، وهذا خلاف ما يقولُه بعض المعتزلةِ: أَنَّ اللهَ يعلمُ بعد وقوعِ الأشياءِ.

قوله (ليس فيه نَاقِضٌ): الناقضُ هو المانع له من الوقوعِ.

قوله (ولا معقِّبٌ): أي لا مُؤَخِّر.

قوله (ولا مزيلٌ): أي لا دافع له بعد وقوعه.

والفرق بين المزيلِ والناقضِ، أَنَّ المزيل يرفعه بعد الوقوعِ،والناقضُ يمنعُه من الوقوعِ.

قوله (ولا مُغَيِّرٌ له): المغَيِّر هو المبدِّلُ، فلا مبدِّل للقدرِ.

قوله (ولا مُحَوِّلٌ): أي لا يحوله أحد عمن قدر الله له.

قوله (ولا ناقصٌ ولا زائدٌ): أي لا نقص ولا زيادة فيما قدره وقضاه.

قوله (وذلك من عَقْدِ الإيمانِ): يعني مما يجبُ أن يُعْقَدَ عليه القلبُ إيمانًا به.

قوله (وأصولِ المعرفةِ): يعني أصولَ العلمِ باللهِ ﷻ.

قوله (والاعترافُ بتوحيدِ اللهِ تعالى وَرُبُوبيَّتِهِ):

يريدُ بتوحيدِ الله في هذا الموطنِ – والله أعلم – (القدر خاصة) أي توحيدُ اللهِ وتفرده بتصرفِه في مُلكِه، فاللهُ ﷻ هو المتصرفُ في مُلكه، وأنَّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو المُدبِّر، فإنَّه يُوحِّدُه في قدرِه، وتفردِه بالملك، وكل ذلك يدل على تمام قدرةِ الله وهيمنتِه في ملكِه، وعلى عجزِ المخلوقِ وضعفِه وقلةِ حيلتِه في جنابِ اللهِ تعالى.

٭٭٭

فَويلٌ لمَن صارَ لله تعالَى فِي القدرِ خَصِيماً، وأحضرَ للنظرِ فيهِ قلباً سقيماً، لقد التمسَ بوهمِهِ فِي فحصِ الغيبِ سِراً كَتِيماً، وعَادَ بمَا قالَ فيهِ أفَّاكًا أثيماً.

بعد الحديث عن القدرِ، ومراتبه، وحدوده، وغير ذلك، يذكر جزاءَ مَن أَصَرَّ على أن يكون خصيمًا لله تعالى في هذا الباب، مخالفًا لأمرِه، متعديًا لحدودِه، فويل له، وعذاب في الدنيا بالحيرة والتيه، وويل له في الآخرة بالنكال والعذاب.

وهو صاحب القلب المريض الذي حلت فيه الشهوات تارة، والشبهات أخرى؛ إذ إنَّ مرض القلب نوعان:

(مرضُ شهوةٍ، ومرضُ شبهةٍ).

والمرادُ هنا في باب القدر مرضُ الشبهةِ، والمرضُ قد يشتد بصاحبِه كمرضِ البدنِ والأعضاءِ، وقد يموت القلبُ وصاحبُه لا يدري، وعلامةُ موتِ القلبِ عدمُ الشعورِ بالآلامِ والجراحِ؛ لذا فمن يخوض فى القدر بقلب سقيم يخوض في بحر الضلالات، وهو لا يدري ولا يشعر، بل يظن أنه ممن يحسن عملًا، ولا يشعر أنه من الأخسرين أعمالًا.

قوله (لقد التمسَ بوهمِهِ في فحصِ الغيبِ سرًّا كتيمًا):

الوهمُ: هو التخيل للشيء سواء كان موجودًا أو غير موجود، وهو إدراكٌ مرجوحٌ ضعيف. والذي يبحث في القدر بعيدًا عن حدود ما رسمه له الشرع، فإنه يبحث فيه بالوهم قطعًا؛ لأنه يبحث عن سرٍّ استأثر اللهُ ﷻ بعلمِه، وهذا السرُّ حجبَه اللهُ عن أعظمِ الناسِ إدراكًا، وفهمًا، وقربًا منه سبحانه وتعالى، وهُمُ الأنبياءُ والملائكةُ المُقَرَّبون.

فدلَّ على أنَّ الإنسانِ مهما عظُمَ إدراكُه فلن ينالَ هذا السرَّ، فما بالُك لو التمسَهُ بالوهمِ، وضعفِ الإدراكِ، فلابد أن يعود بالكذب والإثم؛ لذا قال بعدها (وعادَ بما

قَالَ فيه أفَّاكًا أثيمًا).

قوله (وعادَ بما قَالَ فيه أفَّاكًا أثيمًا):

عاد بالإفكِ والكذبِ والإثمِ، وهذا من أعظم الخسران، فإنَّ النتائج الحسنة والجزاء بالخير يُهَوِّنُ على العبد ما يلقاه من العناء والمشقة، لكن أن يبذل الإنسان الجهد والتعب والمشقة، ثم يعود في النهاية بالإفك، والكذب، والإثم إنَّ هذا لهو الخسران المبين.

۞



الإيمانُ بالعرش والكرسيِّ

والعرشُ والكرسيُّ حقٌّ، وهو مستغنٍ عنِ العرشِ وما دونهُ، محيطٌ بكلِّ شيءٍ وفوقه، وقد أعجزَ عنِ الإحاطةِ خلقَهُ.

قوله (والعرشُ والكرسيُّ حقٌّ):

وذكر العرش والكرسي في مسائل العقيدة؛ لأنهما من الغيبيات التي يجب الإيمان والتصديق بها، وهما ممَّا خالف فيهما أهلُ البدع أهلَ السنة أيضًا.

أولًا: الإيمانُ بالعرش:

العرش حق أي ثابت وموجود؛ وذلك للأدلةِ التي وردت في القرآن والسنة بثبوته: قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وقال عز وجل ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ۝٢٦﴾ [النمل: ٢٦].

وقال عز وجل ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقال عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

وقال ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **[الزمر: ٧٥]**.

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ **[الحاقة: ١٧]**.

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ **[البروج: ١٤ - ١٥]**.

معنى العرشِ:

العرشُ في اللغةِ: هو سريرُ المَلِكِ[1]، قال الله تعالى عن ملكة سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ **[النمل: ٢٣]**.

وفي الاصطلاح: العرشُ هو سقفُ المخلوقات، ومحيطٌ بها، وهو الذي استوى عليه الرحمن جَلَّ جَلَالُهُ.

أقوالُ الناسِ في العرشِ:

- منهم من قال: العرشُ هو المُلْكُ، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ **[الفرقان: ٥٩]**.

قالوا: فالعرش هنا هو المُلْكُ، والمعنى: ثم استوى على المُلْكِ.

وهذا قولٌ باطلٌ؛ لأنَّه مناقضٌ للأدلةِ التي جاءت في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ **[الحاقة: ١٧]**.

وقال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ **[غافر: ٧]**.

---

(١) المخصص لابن سيده (١/ ٣٢٤)، لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣١٣).

فهل الملائكة يحملون المُلْكَ؟! وهلِ المُلْكُ يُحمَلُ؟!

هلِ المُلْكُ له قوائم كما سيأتي في صفات العرش؟!

إذا كانت الإجابة (لا)، وهي كذلك؛ إذن: لا يجوزُ تفسيرُ العرشِ بالمُلْكِ.

- ومنهم من قال: العرشُ هو الكرسيُّ، وهو قول غير صحيح أيضًا لما سيأتي بيانه قريبًا إن شاء الله تعالى في الحديث عن الكرسي وصفاته، وأنه يخالف في صفاته العرش.

- قول عامة علماء أهل السنة والجماعة أنَّ العرش غير المُلْك وغير الكرسي؛ وذلك للأدلة التي وردت، وهي تفرق تفريقًا واضحًا بين العرش والمُلْك والكرسي، وسيأتي مزيدٌ من الأدلة الدالة على ذلك إن شاء الله تعالى.

صفاتُ العرشِ:

أولًا: استواءُ اللهِ على العرشِ:

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ **[الفرقان: ٥٩]**، واستواء الله على العرش ليس استواءَ حاجةٍ؛ فالعرشُ مخلوقٌ، وكلُّ مخلوقٍ عبدٌ للهِ تعالى، واللهُ سبحانه وتعالى لا يحتاجُ إلى عباده، بل هو الغني عن عباده، وإنما هو استواءُ اصطفاءٍ وإكرامٍ.

ثانيًا: وصَفَ اللهُ ﷻ العرشَ بأنه عظيمٌ، وكريمٌ، ومَجِيدٌ:

وصفَ اللهُ العرشَ بأنَّه عظيمٌ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ **[النمل:٢٦]**.

ووصفه بأنَّه كريمٌ كما في قوله ﷻ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ **[المؤمنون:١١٦]**.

ووصفَه بأنَّه مجيدٌ في قوله ﷻ ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾

[البروج: ١٤ - ١٥]، على قراءة مَن جَرَّ لفظ (المجيدِ)[١].

فالعظيمُ: من العظمةِ، فهو عظيم في كِبَرِه، وعلوِّه، واتساعِه، ومكانتِه حيث استوى الرحمن عليه.

والكريمُ: في اللغة الذي يجمعُ الفضائلَ، والحُسنَ زيادةً على أمثالِه.

والمجيدُ: الذي يدلُّ على البهاءِ والسَعةِ والقدرةِ.

ومجموعُ الصفاتِ الثلاثِ تدلُّ على عظمِ العرشِ؛ لذا خصه اللهُ ﷻ واستوى عليه دونَ سائرِ المخلوقاتِ.

ثالثًا: العرشُ هو أثقلُ المخلوقاتِ:

عنْ جُوَيْرِيَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[٢].

وقوله (عَدَدَ خَلْقِهِ) هو أكثر ما يُقَدَّر به في العددِ؛ ولذا اختاره النبيُّ ﷺ، فدلَّ ذلك على أنَّ وزنَ العرشِ أثقلُ ما يُقَدَّر به في الوزنِ؛ ولذا اختاره النبيُّ ﷺ، ولو كان هناك أثقل منه لاختاره ﷺ.

رابعًا: العرشُ أعظمُ منَ السماواتِ والأرضِ:

قال ﷻ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ **[المؤمنون: ٨٦]**

ففي الآيةِ:وصف اللهَ ﷻ العرشَ بأنَّه عظيمٌ، ولم يصفِ السمواتِ السبع بأنَّها عظيمةٌ، فدلَّ ذلك على أنَّ العرشَ أعظمُ من السمواتِ، بل هو أعظمُ المخلوقاتِ.

---

(١) قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٤٤٠).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٧٢٦).

خامسًا: العرشُ أولُ المخلوقاتِ:

وقد سبق تحرير ذلك، ومما يدل على ذلك أيضًا أنَّ علماءَ أهلِ السنةِ اختلفوا أيُّهما خُلق أولًا (القلم، أم العرش)، ولم يذكروا شيئًا ثالثًا، فدلَّ علَى أنَّ مجموعَ أقوالِ العلماءِ محصورةٌ في (القلم أو العرش) ولا ثالثَ لهما.

وقد دلَّت الأدلةُ على أنَّ العرشَ قبل القلمِ، فدلَّ ذلك على أنَّ العرشَ أولُ المخلوقاتِ، والله أعلم.

سادسًا: العرشُ له قوائمُ:

عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **«لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى»**(1).

سابعًا: العرشُ له حملةٌ، وهم الملائكةُ:

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ **[غافر: ٧]**.

وقال ﷻ: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ **[الحاقة: ١٧]**.

ثامنًا: الملائكة تُحِيطُ بالعرشِ وتَحُفُّه:

قال ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾ **[الزمر: ٧٥]**.

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ

---

(1) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٤١٢)، مسلم (٢٣٧٤).

لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ [غافر: ٧].

تاسعًا: العرشُ به قناديلُ من ذهبٍ معلقةٌ:

عنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ...»[١].

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا، أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ "، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ} [آل عمران: ١٦٩] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ"[٢].

عاشرًا: العرشُ له ظلٌّ:

ويدل عليه قول النبي ﷺ في الحديث السابق **" قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش "**.

عنْ معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه: عنْ رسولِ اللهِ ﷺ: **" الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ "**[٣].

---

(١) أخرجه: مسلم (١٨٨٧).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٣٨٨)، أبو داود (٢٥٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٥).

(٣) أخرجه: الطبراني في الكبير (١٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٣٧).

الحادي عشر: العرشُ سقفُ جنةِ الفردوسِ:

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: **"...فإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»**[(١)].

الثاني عشر: العرشُ كان على الماءِ:

قَالَ ﷺ: **" كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"**[(٢)].

الثالث عشر: العرشُ يهتزُّ لموتِ بعضِ الصالحين:

وممن اهتز له العرش سعدُ بنُ معاذٍ، **عنْ جَابِرٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ** ﷺ **يَقُولُ: «اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»**[(٣)].

ومجموعُ هذه الصفاتِ تدلُّ على أَنَّ العرشَ له مكانةٌ عظيمةٌ، ولذا شرَّفه الله، واصطفاه، واستوى عليه.

وقال بعضُ العلماءِ: من صفات العرش أنه مثلُ القبةِ، والأحاديثُ التي استدلوا بها ضعيفةٌ- والله أعلم-، **مثل قولِ النبيِّ** ﷺ **للأعرابيِّ:" وَيْحَكَ تَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ لَهَكَذَا مِثْلُ الْقُبَّةِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»**[(٤)].

واستدلوا بدليل عقليٍّ، فقالوا: **قَالَ** ﷺ: **" فإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»**[(٥)].

---

(١) أخرجه: البخاري (٧٤٢٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **متفق عليه:** أخرجه: البخاري (٣٨٠٣)، مسلم (٢٤٦٦).

(٤) أخرجه: أبو داود (٤٧٢٦)، الطبراني في الكبير (١٥٤٧)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٦٣٩).

(٥) سبق تخريجه قريبًا.

قالوا: والأوسط لا يكون الأعلى إلا في الشكلِ المُقَبَّبِ، وقد عرفنا أنَّ أعلاه عرشُ الرحمنِ، فدل على أنَّ العرش مثل القبة.

وعلى كلٍّ فهذا لا ينبني عليه عمل، والحديث لم يثبت - والله أعلم-، وقد أحسنَ مَنِ انتهى إلى ما سَمِع.

ثانيًا: الإيمان بالكرسي:

وقد ذُكر الكرسيُّ في آيةٍ واحدةٍ في القرآن الكريم، وسمِّيت بآيةِ الكرسيِّ، وهي قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهي أعظمُ آيةٍ في القرآنِ الكريمِ:

عنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْب ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»(١).

معنى الكرسي:

الكُرْسِيُّ في اللغة: قال الزجَّاج: الكُرْسي في اللغة الشيء الذي يُعْتَمَد عليه ويُجْلَس عليه، وقال: والكُرْسِيُّ في اللغةِ والكُرَّاسة: إِنما هو الشيء الذي قد ثَبَت ولزِم بعضُه بعضًا(٢).

في الشرعِ: هو موضع قدم الرحمن.

---

(١) أخرجه: مسلم (٨١٠).

(٢) لسان لعرب لابن منظور (٦/ ١٩٣).

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ[١]، وهذا موقوفٌ له حكمُ الرفعِ؛ لأنه لا مجال للاجتهاد فيه.

- ولقد وقع الخلاف في الكرسي كما وقع في العرش، فمنهم من قال: الكرسيُّ هو العرش، وهذا لا يدل عليه دليل من كتاب أو سنة كما سبق، بل الأدلة تبين أنَّ العرشَ غيرُ الكرسيِّ ومنها:

أولًا: لفظ العرشِ غيرُ لفظِ الكرسيِّ، ومعنى العرشِ يختلفُ عن معنى الكرسيِّ.

والأصل أنَّ الألفاظَ المختلفةَ تدلُّ على معاني مختلفةٍ، وذواتٍ مختلفةٍ، وهذا الأصلُ قد يتغيرُ لكن بدليل، ولا دليل هنا.

ثانيًا: أنَّ العرشَ ذُكر في أدلةٍ كثيرةٍ بأوصاف كثيرةٍ، أمَّا الكرسيُّ فذُكِر في آيةٍ واحدةٍ، وبوصفٍ واحدٍ.

ثالثًا: ورد في السنةِ فضلُ العرشِ على الكرسيِّ، **قالَ ﷺ: "...مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ»**[٢].

- ومنهم من قال: الكرسيُّ هو العِلمُ، حيث قالوا: المرادُ بقولِ الله تعالى:

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٣١١٦)، وقال صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني موقوفًا على ابن عباس في مختصر العلو (١/ ٧٥).

(٢) أخرجه: ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٣٦)، البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٢٣)، وقال: لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث، وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه، وليس شيئًا معنويًّا.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. أي وسِع علمُه السمواتِ والأرضَ.

وهذا القول غير صحيح، وذلك:

- لأنَّ مادةَ العلمِ تختلفُ عن مادةِ الكرسيِّ، وكما سبق أنَّ الأصل في الألفاظ المختلفة أنها تكون لذوات مختلفة.

- أنَّ اللهَ أخبر أنَّ الكرسيَّ يسعُ السمواتِ والأرضَ، أما علمه فقد وسع كلَّ شيءٍ، قال ﷻ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال ﷻ ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

فتبيَّن: أنَّ العِلْمَ غيرُ الكرسيِّ.

وصفُ الكرسيِّ:

ورد في القرآنِ وصفٌ واحدٌ للكرسيِّ، وهو قوله ﷻ ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والكرسيُّ: هو موضعُ قدمِ الرحمنِ، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، وهو قولُ صحابيٍّ، وقد لا يُعلم له مخالفٌ، وهو موقوف له حكم الرفع؛ لأنه ليس فيه مجال للاجتهاد؛ حيث إنه أمرٌ غيبيٌّ.

قوله (وهو مُسْتَغْنٍ عنِ العرشِ وما دُونَهُ):

وهذا ردٌّ على أهلِ البدعِ الذين ظنُّوا أنَّ وصفه بالاستواء ﷻ على العرش يعني أنه في احتياجٍ إليه، بل إنَّ العرشَ وما دونه مفتقرٌ للهِ ﷻ؛ لأنه عبْدٌ للهِ ﷻ، وكل عبد محتاج فقير لمن يعبده.

قوله (محيطٌ بكلِّ شيءٍ):

قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ [فصلت: ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ [البروج: ٢٠].

والإحاطةُ إحاطة حقيقية، وهي أيضًا إحاطةُ علمٍ وقدرةٍ، فمع أنه مستو على العرش، لكنه محيطٌ بجميعِ المخلوقاتِ، ويعلم ما هم عليه.

قوله (وفوقه):

فمع أنه محيط بكل شيء فهو أيضًا فوقَ المخلوقاتِ كلِّها، وهذا هو العلوُّ المطلقُ.

وهذا هو الفرقُ بين علوِّ الخالقِ، وعلوِّ المخلوقِ، فالمخلوقُ قد يعلو شيئًا، ولكنَّه يُعلَى عليه، فعلوُّ المخلوقِ مقيدٌ، أما علوُّ اللهِ سبحانه وتعالى فهو علوٌّ مطلقٌ.

❁ والعلوُّ والفوقيةُ تنقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأول: فوقيةُ الذاتِ.

الثاني: فوقيةُ القهرِ.

الثالث: فوقيةُ القدْرِ والشأنِ.

أولًا: علوُّ الذاتِ:

والمعنى: أنَّ اللهَ ﷻ بذاته فوقَ جميعِ المخلوقاتِ، وأنَّه العَلِيُّ الأعلى سبحانه وتعالى.

وهذا من معاني اسمِ اللهِ" الظاهر"قالﷺ:" **وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**"[1].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٧١٣).

ثانيًا: علوُّ القهرِ:

ومعناه: أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُغلَبُ، ولا يُقهَرُ، ولا يُضام جَنابُه.

ثالثًا: علوُّ القدرِ والشأنِ:

أي علوُّ أسمائه وصفاته وأفعاله في الكمال والجلال والجمال.

والخلاف الحادث بين أهل السنة وأهل البدع هو في علو الذات؛ لذا نسوق الأدلة الدالة على إثبات علو ذاته سبحانه وتعالى.

الأدلةُ على علوِّ اللّهِ وفوقيَّتِه بذاتِهِ:

وجاءت الأدلة التي تدل على علو الله وفوقيته بذاته على أكثر من نحوٍ، منها:

أولًا: أدلةٌ تدلُّ على أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في العُلُوِّ فوق عباده:

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: ١٨].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ٩﴾ [الرعد: ٩].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ٥٠﴾ [النحل: ٥٠].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ: ٢٣].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١﴾ [الأعلى: ١].

ثانيًا: أدلةٌ تدلُّ على أنَّ اللهَ في السماءِ:

- قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [الملك: ١٦ - ١٧].

- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: كَانَتْ لِى جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِى قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِى آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّى صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ

عَلَيَّ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ «**ائْتِنِي بِهَا**»، **فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا** «**أَيْنَ اللهُ؟**»، **قَالَتْ فِي السَّمَاءِ، قَالَ** «**مَنْ أَنَا؟**»، **قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ** «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[(١)].

- عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵁، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ؛ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هؤُلاءِ قَالَ: فَبَلَغَ ذلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ" أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً"، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، قَالَ" **وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ**"[(٢)].

- وقد ورد ذلك في قصةِ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفرعون، قال تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [**غافر: ٣٦ - ٣٧**]، فقوله "أسباب السماوات فأطَّلع إلى إله موسى..." يدلُّ على أنَّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لفرعونَ أنَّ الله في السماء.

ثالثًا: أدلةٌ تدلُّ على أنَّ الأشياءَ تصعدُ إلى الله ﷻ، ومنها:

- قال تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [**فاطر: ١٠**].

- وقال ﷻ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

---

(١) أخرجه: مسلم (٥٣٧).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٣٥١)، مسلم (١٠٦٤).

[**المعارج: ٤**]، والعروجُ إليه هو الصعودُ إليه.

– وفي قصةِ الإسراءِ والمعراجِ عُرج بالنبيِّ ﷺ إلى السماءِ، وفي ذلك دليلٌ أنَّ الله تعالى في السماء، وإلا لِمَ عُرِج به ﷺ إلى السماء؟!

– وفي السماء فرض اللهُ سبحانه وتعالى الصلاةَ على النبي ﷺ، وأخذ النبيُّ ﷺ يترددُ بين موسى وربِّه، ففي الحديث" **فأَوْحَى اللهُ إليهِ فيما يوحى إليهِ خمسينَ صلاةً على أمتِكَ كلَّ يوم وليلةٍ، ثم هبطَ حتى بلغَ موسى، فاحتبَسَهُ موسى، فقالَ: يا محمدُ ماذا عَهِدَ إليك ربُّك؟ قالَ" عَهِدَ إليَّ خمسينَ صلاةً كلَّ يوم وليلةٍ" قالَ: إنَّ أمتَكَ لا تستطيعُ ذلكَ، فارجِعْ، فَلْيُخَفِّفْ عنك ربُّكَ وعنهم، فالتَفَتَ النبيُّ ﷺ إلى جبريلَ كأنهُ يستشيرُهُ في ذلك، فأشارَ إليهِ جبريلُ: أنْ نعم إنْ شئتَ، فَعَلَا بهِ إلى الجَبَّارِ تعالى"**(١)، فقوله "ثم هبط"، وقوله "فعلا به إلى الجبار" دليل واضح أنَّ الله تعالى في العلو فوق المقام الذي كان فيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان في السماء السادسة.

– إشارته ﷺ حين استشهدَ اللهَ تعالى على الناس في حجة الوداع حيث **قَالَ** ﷺ **لهم:" وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**(٢).

رابعًا: نزولُ الأشياءِ من اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تدلُّ على علوِّه، ومنها:

– قولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [**الحجر: ٢١**].

– وقولُه عَزَّ وَجَلَّ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ [**النور: ١**].

---

(١) أخرجه: البخاري (٧٥١٧).

(٢) أخرجه: مسلم (١٢١٨).

- وقولُه سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩].

- ومنها نزولُ الملائكةِ، فقال ﷻ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: ٦٤].

خامسًا: الفطرةُ:

والفطرة تدلُّ على أنَّ اللهَ ﷻ في السماءِ، ويظهرُ ذلك عند رفعِ الأيدي إلى السماءِ في الدعوات، وتوجه القلب إلى العلو عند الحاجات والملمات، كل ذلك يكون بدافع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، واستقرت في نفوسهم.

عن أبي جعفر الهمذاني[1] لما سُئِلَ أبوالمَعَالي الجُوَينيُّ عن قوله {الرَّحْمَنُ على الْعَرْشِ اسْتَوَى} فقال: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان قبل العرش، فقلتُ: قد علمنا ما أشرتَ إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال ما تريد بهذا القول، وما تعني بهذه الإشارة؟ فقلت: ما قال عارِفٌ قطّ ياربَّاه إلا قبل أن يتحرَّك لسانه قام من باطنه قصد لا يلْتَفت يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً يقْصد الفوق، فَهَل لهَذَا الْقَصْدِ الضَّرُورِيِّ عندك من حِيلَةٍ؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت، وبكيت، وبكى الْخلقُ، فضرب الأستاذ بكمه على السرير، وصاح ياللحيرة، وخرق ما كان عليه وانخلع، وصارت قيامةً في المسجد، ونزل ولم يجبني إِلَّا يَا حَبِيبِي الحيرَة الحيرَة، والدهشة الدهشة، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهَمَذانِي[2].

---

(١) محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله، أبو جعفر، الهمذاني، الشيخ، الإمام، الحافظ، الرحال، الزاهد، بقية السلف، ولد بعد الأربعين وأربع مئة، كان من أئمة أهل الأثر، قال السمعاني: وما أعرف أحدًا في عصره سمع أكثر منه، توفي ٥٣١هـ.

(٢) العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي (١/ ٢٥٩).

قوله (وقد أعجزَ عنِ الإحاطةِ خلقَه):

أي أعجز خلقَه عن الإحاطةِ به، لأنَّ الإحاطةَ تعني أشياء: إحاطةَالرؤيةِ، أو إحاطةَ العلمِ، أو إحاطةَ الذاتِ.

وهذه الأشياءُ منفيَّةٌ في حقِّ اللهِ تعالى، فالعبادُ مهما بلغَ شأنُهم فإنَّهم أحقرُ، وأضعفُ، أن يُحيطوا به رؤيةً وعِلمًا، أو ذاتًا ووصفًا.

قال ﷻ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: ١١٠].

❧◊☙

إثباتُ الخُلَّةِ لإبراهيمَ، والتكليمِ لموسى عليهما السلامُ

ونقولُ إنّ اللهَ اتّخَذَ إبراهيمَ خليلًا، وكلّم اللهُ موسى تكليمًا، إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا.

قوله (ونقولُ إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلًا):

الخُلَّة من صفات الله تعالى اللائقة بذاته سبحانه وتعالى كباقي الصفات، وثبت أنَّ الله تعالى اتَّخَذَ إبراهيم خليلًا، قال تعالى ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا** ﴾ [النساء: ١٢٥]، وكذلك اتخذ اللهُ تعالى النبيَّ محمدًا ﷺ خليلًا، عنِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[1]. والخُلَّةُ - كما سبق - أعلى درجات المحبة؛ لذا فقد ثبتت محبة الله تعالى لبعض خلقه من الأنبياء وغيرهم، لكن لم تثبت الخُلَّة إلا لاثنين من الأنبياء - فيما نعلم - للنبي محمد ﷺ، ولنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله (وكلَّم اللهُ موسى تكليمًا):

والكلام اختص الله تعالى به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسُمِّي كليمَ الله، وإن شاركه البعض فيه أحيانًا كما حدث للنبي ﷺ في المعراج، لكنه في نبي الله موسى أغلب وأخص، وهو كلام حقيقي يليق بذاته سبحانه وتعالى، ولا يستلزم التكييف ولا التمثيل ولا التحريف، وقد سبق بيان ذلك مُفَصَّلًا في الحديث عن صفة الكلام فلا

---

(١) سبق تخريجه.

داعي لإعادته.

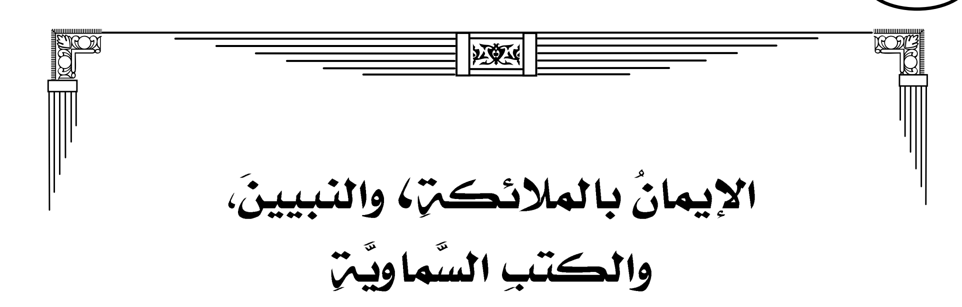
قوله (إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا):

الإيمان بالخُلَّة، والكلام، وغيرِها من الصفات هو دليل التصديق بقول النبي ﷺ، والإذعان له، والتسليم؛ لَذا قالَ بعدها (إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا).

فالإيمان بها كالنتيجة لمقدمتين: إحداها: تصديق النبي ﷺ فيما أخبر به، ثانيها: التسليم لقوله ﷺ والإذعان له، فمن لم يؤمن بهذه الصفات إما أنه لم يصدق بقوله ﷺ، وإما أنه يصدقه، لكنه لم يقنع به، ولم يُسَلِّم له، وكلاهما يوقع الإنسان في الكفر بالله تعالى، وتكذيب رسوله ﷺ؛ لذا حكم العلماء بتكفير الجعد بن درهم، وأفتَوا بقتله، وقالوا: إنه زَعَمَ أنَّ الله تعالى لم يتخذْ إبراهيمَ خليلًا، ولم يُكَلِّمْ موسى تكليمًا.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا قتل المسلمون أولَ مَن أظهرَ هذه البدعةَ في الإسلام - الجعدَ بنَ درهم - ضَحَّى به خالدُ بنُ عبدِ اللهِ القَسْرِيُّ في يومِ النحرِ، وقالَ: ضَحُّوا أيها الناس تَقَبَّل الله ضحاياكم، فإني مُضَحٍّ بالجعدِ بنِ درهم، إنه زَعَم أنَّ الله لم يتَّخِذْ إبراهيمَ خليلًا، ولم يُكَلِّم موسى تكليمًا، تعالى الله عمَّا يقولُ الجعدُ علوًّا كبيرًا، ثم نزلَ فذبَحَهُ[1].

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١/ ٨).



الإيمانُ بالملائكةِ، والنبيينَ، والكتبِ السَّماويَّةِ

ونُؤْمنُ بالمَلائكَة، والنَّبيِّينَ، والكُتُبِ المُنزَّلَةِ عَلَى المُرْسَلِينَ، ونَشْهدُ أنَّهُم كَانُوا عَلَى الحَقِّ المُبينِ.

أولًا: الإيمانُ بالملائكةِ:

قوله (ونُؤْمِنُ بالملائكَةِ):

والإيمانُ بالملائكةِ من أركانِ الإيمانِ، قال ﷻ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال ﷻ ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولمَّا سأَلَ جبريلُ عليه السلام النبيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، **قَالَ «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ»**[١].

س: ما معنى الإيمانِ بالمَلائكةِ ؟

ج: الإيمانُ بالملائكةِ يعني الإيمان بوجودها على الحقيقة، فنؤمنُ بكلِّ ما وردَ ذكرُه في الكتاب والسنةِ عن الملائكةِ سواء كان إجمالًا أو تفصيلًا، بالاسم أو بالصفة.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٠)، مسلم (١٠).

وكذلك العمل بآثار هذا الإيمان، ومن ذلك:

الإيمانُ بأنَّ هناك كِرامًا كاتبين يكتبون عملَ الإنسانِ، فأثرُ هذا الإيمانِ يجعلُ المسلمَ يزدادُ في العملِ الصالحِ الذي سيُكْتَبُ له، ويتجنب الآثام والمعاصي التي ستُكْتَبُ عليه.

وكذلك الإيمان بالملائكة يورث الإيمان بقدرةِ الله، والتعرف على قدر قوته، وعظمته، وسعة ملكه.

والإيمانُ بالملائكةِ يستلزم الإيمانَ بالكتبِ والرسلِ أيضًا؛ لأنَّنا إذا آمنَّا بالملائكةِ، آمنَّا بما نزلت به من الكتب، ومَن أُرسِلَت إليهم من الرسل، وهكذا.

س: متى خُلِقَتِ الملائكةُ ؟

ج: خُلِقَت الملائكةُ قبل آدمَ ﵇، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **[البقرة: ٣٠]**.

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ **[الحجر: ٢٨ - ٣٠]**.

س: هل خُلِقَتِ الملائكةُ قبلَ العرشِ أم بعدَ العرشِ ؟

ج: خُلِقَت الملائكةُ بعد العرش، **قال ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»**[1].

فلم يكن شيءٌ موجودًا - فيما نعلم - سوى العرشِ، وقد ذكرنا أنَّ العلماءَ اختلفوا ما الذي خُلق أولًا: القلم أم العرش ؟

---

(١) أخرجه: البخاري (٧٤١٨).

ولم يذكر أحدٌ منهم الملائكةَ، فدلَّ على أنَّ الملائكةَ خُلِقَت بعد العرشِ؛ إذًا فالملائكةُ خُلِقَت قبل آدم وبعد العرشِ.

س: أين تسكنُ الملائكةُ ؟

ج: الأصل أنها تسكنُ في السماءِ، عَنْ أبي هريرةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" **إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتِ المَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**"(١).

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ ﵁: عنِ النبيِّ ﷺ قالَ:«**الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**»(٢).

عنِ ابنِ مسعودٍ ﵁: عنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**» قَالَ:" **فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ**"(٣).

۞ صفاتُ الملائكةِ:

أولًا: مادةُ خلقِ الملائكةِ:

الملائكة خُلقت من نورٍ، **عنْ عائشةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالتْ: قالَ** ﷺ:«**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٨١)، مسلم (٤١٠).

(٢) أخرجه: النسائي (١٩٣٣)، الطبراني في الكبير (٦٢٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٢٨).

(٣) أخرجه: أبو داود (٤٧٣٨)، ابن حبان (٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦).

(٤) أخرجه: مسلم (٢٩٩٦).

ثانيًا: الملائكةُ لها أجْنِحةٌ:

قال جل جلاله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ **[فاطر: ١]**، وهذا يدلُّ على أنَّ أقلَّ الأجنحةِ اثنانِ، وقد تزيدُ الأجنحةُ فيما نعلمُ إلى سِتمائة جناح، **عنِ ابنِ مسعودٍ** رضي الله عنه **قَالَ: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}** [النجم: ١٨]، **قَالَ: «رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»**[١].

ثالثًا: مِنَ الملائكةِ مَن له رِجْلان، وقَرنٌ، وأذنٌ، وشحمةُ أذنٍ، وعاتِقٌ:

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه **قالَ: قالَ النبيُّ** صلى الله عليه وسلم: **«أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعمِائَةِ سَنَةٍ، يَقُولُ الْمَلَكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ»**[٢].

رابعًا: المَلائكةُ لها أَكُفٌّ، ولها جبْهَةٌ:

عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: **"...لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ..."**[٣].

عنْ أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ**[٤] **السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٢٣٢)، مسلم (١٧٤).

(٢) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٦٥٠٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٠).

(٣) أخرجه: أحمد (٨٠٤٣)، وقال الأرنؤوط: صحيح بطرقه، وشواهده.

(٤) قوله: " أطَّت " قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٥٤): صَوْتُ الْأَقْتَابِ، والقَتَب: صوت الرحل، وأَطِيطُ الإِبِلِ: أَصْوَاتُها وحَنِينُها. أَيْ أَنَّ كَثْرَةَ ما فيها من الملائكة قد أثقلها حَتَّى أَطَّتْ.

وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ..."[(١)].

خامسًا: الملائكةُ جميلةُ المنْظرِ:

قال الله ﷻ عن جبريل ﵇ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم:٦]، والمِرَّة: تُطْلَقُ على الهيئة الحسنة الجميلة، وقال تعالى ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)﴾ [يوسف:٣١].

سادسًا: الملائكةُ لا تُوصَف بالذكورةِ ولا الأنوثةِ:

لا توصفُ الملائكةُ بالذكورةِ ولا الأنوثةِ، وأنكر اللهَ ﷻ على المشركين قولَهم أنهم إناثٌ، وهذا لا يعني أنَّهم ذكورٌ؛ لأنَّ الذكورة والأنوثة في علمِ البشرِ له مواصفاتٌ خاصة لا توجدُ في الملائكةِ، فلا توصفُ الملائكة بالذكورةِ ولا الأنوثةِ؛ إذ لا دليل.

سابعًا: الملائكةُ لا تأكلُ، ولا تَفْتُرُ:

قال ﷻ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، وقال تعالى ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾ [الأنبياء:١٩ - ٢٠].

ثامنًا: عددُ الملائكةِ:

وعدد الملائكة لا يُحصيه إلا اللهُ ﷻ، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: "**إِنَّهَا لَيْلَةُ سَابِعَةٍ - أَوْ تَاسِعَةٍ - وَعِشْرِينَ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى**"[(٢)].

---

(١) أخرجه: أحمد (٢١٥١٦)، الترمذي (٢٣١٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٢٢).

(٢) أخرجه: أحمد (١٠٧٣٤)، الطبراني في الأوسط (٢٥٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح =

عنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ في رحلةِ المعراجِ: **"...فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ"**[(١)].

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ "**[(٢)].

عنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»**[(٣)].

تاسعًا: أسماءُ الملائكةِ:

فمنهم جبريلُ، وميكائيلُ، وإسرافيلُ، وهؤلاء الثلاثة الذين كان النبيُّ ﷺ يجمعهم في دعائِه، **عنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاتَهُ «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِى لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»**[(٤)].

وهم الملائكة المُوكَّلون بالحياةِ، فجبريلُ عليه السلام مُوكَّلٌ بحياةِ القلوبِ، وإسرافيلُ عليه السلام مُوكَّلٌ بالحياةِ بعد الموتِ، وميكائيلُ عليه السلام موكَّلٌ بالمطرِ حياةِ

=

الجامع (٥٤٧٣)، وقال الأرنؤوط: محتمل للتحسين.

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٢٠٧)، مسلم (١٦٤).

(٢) أخرجه: أحمد (١٢٥٥٨)، النسائي في الكبرى (١١٥٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٩١).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٨٤٢).

(٤) أخرجه: مسلم (٢٠٠).

الأبدانِ.

ومنهم مالِكٌ خازنُ النارِ، قال تعالى﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وغيرهم من الملائكة، وقيل منهم رضوان خازن الجنة[1]، وليس على ذلك دليلٌ، وغيرهم، ومنهم من ذُكِر بوصفه كحملةِ العرشِ، والكرام الكاتبين، والحفظة، وغير ذلك.

عاشرًا: درجاتُ الملائكةِ:

والملائكة تتفاوتُ درجاتُهم، قال ﷻ ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [**الصافات: ١٦٤**].

قال ﷻ ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [**الحج: ٧٥**].

الحادي عشر: علاقةُ الملائكةِ ببني ءادمَ:

الملائكةُ لهم عَلاقةٌ وثيقةٌ ببني آدمَ وأعمالِهم، فتقتربُ منهم وتبتعدُ على قدرِ أعمالِهم:

- **فالملائكة تُصلي على بعضِ بني آدم**، قال ﷻ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [**الأحزاب: ٤٣**].

- **والملائكةُ تستغفرُ لبعضِ بني آدمَ**، قال ﷻ ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [**غافر: ٧**].

---

(١) ورد هذا الاسم في حديث أورده القضاعي في مسند الشهاب (١٠٣٦)، وحكم عليه العلامة الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة (٤٦٣٦).

- **الملائكة تحضر مجالسَ العلمِ والذكرِ**، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ**»، قَالَ: «**فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»، قَالَ: **" فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ "، قَالَ: " فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " فَيَقُولُونَ: لا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ "، قَالَ: " فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا "، قَالَ: " يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ»، قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا "، قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً"، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ "، قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً "، قَالَ: " فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ "، قَالَ: " يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ "**(١).

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٤٠٨)، مسلم (٢٦٨٩).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٨٨١)، مسلم (٨٥٠).

عنْ صفوانَ بنِ عسَّالٍ المراديِّ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: " **إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ** "[1].

- **الملائكة تقاتل مع المؤمنين،** قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ **[الأنفال: ٩]**.

- **والملائكةُ تبشِّرُ المؤمنَ عند موتِه،** قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ **[فصلت: ٣٠]**.

- **وتتلقاهم الملائكةُ،** قال تعالى ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ **[الأنبياء: ١٠٣]**.

- **وتسلِّمُ عليهم عند دخولِ الجنة،** قال تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ **[الرعد: ٢٣ – ٢٤]**.

وكل هذا يدلُّ على قُربِ الملائكةِ من أهلِ الطاعةِ والإيمانِ.

_ وكما أنَّ الملائكةَ أولياء لأهلِ الإيمانِ، فهم أيضًا أعداء لأهل الكفر والطغيان:

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ...»[2].

---

(١) أخرجه: أحمد (١٨٠٩٨)، أبو داود (٣٦٤١)، الترمذي (٣٥٣٥)، النسائي (١٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٥٦).

(٢) أخرجه: مسلم (١٧٦٣).

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «**هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ**»[1].

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾** [يونس: ٩٠]، **فَقَالَ جِبْرِيلُ: يا مُحَمَّدُ فَلَوْ رَأَيْتَنِي، وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ البَحْرِ، فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ**"[2].

عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَازِنِيِّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا قَالَ: "**إِنِّي لَأَتْبَعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأَضْرِبَهُ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي**"[3].

وهذا فيه بشارةٌ ونذارةٌ، بشارةٌ لأهل الطاعةِ والإيمانِ أنَّ اللهَ جعل معهم ملائكته يُؤيدُونهم، وينصرونهم، ويدعون لهم، ويستغفرون لهم، وهم لهم على مَن عادَاهم، وإنذارٌ وتحذيرٌ لأهلِ الكفرِ والضلالِ.

الثاني عشر: ومن صفات الملائكة أيضًا الطهارة:

قال تعالى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ **[الواقعة: ٧٩]**.

وقال ﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾ **[عبس: ١٤ - ١٥]**.

الثالث عشر: أنهم لا يعصون الله تعالى ما أمرهم:

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ **[التحريم: ٦]**.

الرابع عشر: أنهم يخافون الله تعالى:

قال تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٩٩٥).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٨٢٠)، والترمذي (٣١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٦).

(٣) أخرجه: أحمد (٢٣٧٧٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

عنْ جابرِ بنِ عبدِالله ﵁ قالَ: قالَ ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى، وَجِبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ **أَنَّهُ قَالَ لِجِبْرِيلَ:" مَا لِي لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟ قَالَ مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ "**(٢).

الخامس عشر: لا يدخلون بيتًا فيه كلبٌ ولا تصاويرُ:

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ ﵁: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلا صُورَةٌ**»(٣).

السادس عشر: لا تصحب الملائكةُ رفقةً بها جلدُ نَمِرٍ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا جِلْدُ نَمِرٍ**»(٤).

السابع عشر: لا تصحب رفقةً بها كلبٌ ولا جرسٌ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ**»(٥).

الثامن عشر: الملائكة يراها بعض المخلوقات غير الأنبياء:

قال تعالى ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ

---

(١) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٤٦٧٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٦٤).

(٢) أخرجه: أحمد (١٣٣٤٣)، الآجري في الشريعة (٩٣٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١١).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٣٢٢)، مسلم (٢١٠٦).

(٤) أخرجه: أبو داود (٤١٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٤٥).

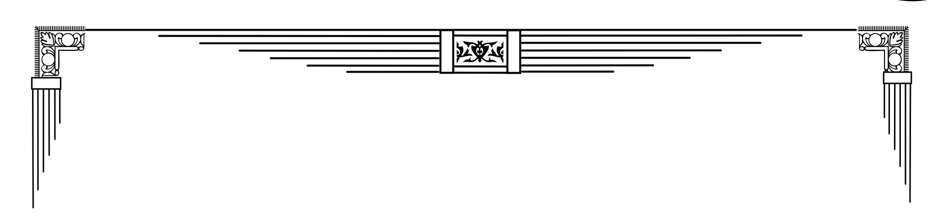
(٥) أخرجه: مسلم (٢١١٣).

ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ [**الأنفال**: ٤٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا**...»(١)، وغير ذلك مما ورد من صفاتها في الكتاب والسنة.

* * *

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٣٠٣)، مسلم (٢٧٢٩).



ثانيًا: الإيمان بالنبيين

قوله (والنَّبِيِّينَ):

والإيمان بالأنبياء من أركان الإيمان التي لا يؤمن العبد إلا بها- مَن عُلِم منهم، ومَن لم يُعلَم -قال تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

❁ الأنبياءُ دينُهم واحدٌ:

قال تعالى ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

عنْ أَبِي هُريرةَ ﷺ: عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ**

شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**لَقَدْ مَرَّ بِالصَّخْرَةِ مِنَ الرَّوْحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا حُفَاةً عَلَيْهِمُ الْعَبَاءَةُ، يَؤُمُّونَ بَيْتَ اللهِ الْعَتِيقَ، مِنْهُمْ مُوسَى نَبِيُّ اللهِ** ﷺ»(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا مِنْهُمْ مُوسَى، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْه، وَعَلَيْهِ عباءتانِ قَطْوانيَّتانِ، وَهُوَ مُحْرِمٌ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِ شَنُوءَةَ، مَخْطُومٍ بِخِطَامِ لِيفٍ لَهُ ضَفْرَانِ**»(٣).

ومعنى الإيمان بالنبيين هو تصديقهم فيما أتوا به من أخبار، والتزام ما أمروا به، ونهوا عنه. قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠]، وقال: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(٤).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ، الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ المَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِ؟ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ**»، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٣٦٥).

(٢) أخرجه: أبو يعلى في مسنده (٤٢٧٥)، أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٢٨) حسن لغيره.

(٣) أخرجه: الطبراني في الكبير (١٢٢٨٣)، الحاكم في المستدرك (٤١٦٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٢٧) حسن لغيره.

(٤) أخرجه: البخاري (٧٢٨٠).

وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ**»، **فَقَالَ الزُّبَيْرُ: " وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}** [النساء: ٦٥] **"**(١).

عنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، **قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قَالَ:** «**لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ**» **قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ**»(٢).

تنبيه: ومن مقتضيات الإيمان بالرسل الإيمان بأنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ خاتمُ النبيين، وأنه لا نبيَّ بعده، وأنه يجب الإيمان به؛ لأنَّ رسالته ناسخة لكل رسالة بعدها، ومَنِ ادَّعى أنه يؤمن بالنبي ﷺ، ويؤمن بوجود نبيٍّ بعده، فهو لا يؤمنُ بالنبيِّ ﷺ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ **قال: "...وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ "**(٣).

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٤).

لذلك لمَّا رأى رسولُ اللهِ ﷺ صحيفةً - أي من التوراة - في يدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه غَضِبَ، وَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»(٥).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٣٥٩)، مسلم (٢٣٥٧).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٠٢١).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٥٣٥)، مسلم (٢٢٨٦).

(٤) أخرجه: مسلم (١٥٣).

(٥) أخرجه: أحمد (١٥١٥٦)، الدارمي (٤٣٥)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

عدد الأنبياء:

عنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ: قَلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَمْ وَفَاءُ عِدَّةِ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «**مِائَةُ أَلْفٍ، وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةٍ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»[(١)].

أول الأنبياء:

أولُ نبيٍّ أُرسِلَ إلى الناس نوحٌ عليه السلام ، عنْ أنسٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**أولُ نبيٍّ أُرسِلَ نوحٌ** "[(٢)].

عنْ أنسٍ رضي الله عنه :أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " **يَجْمَعُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ...** "[(٣)].

وفي رواية:"**فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ...**"[(٤)].

---

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير (٧٨٧١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٧).

(٢) أخرجه: ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ٢٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٨٥).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٤١٠)، مسلم (١٩٣).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٣٤٠)، مسلم (١٩٤).

بعض خصائص، وصفات الأنبياء:

- الأنبياء جميعًا رَعَوُا الغنمَ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَنَحْنُ نَجْنِي الْكَبَاثَ[1]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ**»، **قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ رَعَيْتَ الْغَنَمَ، قَالَ:** «**نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا**»[2].

- الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم:

عنْ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عنِ النبيِّ ﷺ: "**...الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ...**"[3].

- رؤيا الأنبياء وحي:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: **أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ....**[4].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ**»[5].

قال ابن حجر:

وروى أبو نعيم في الدلائل بإسناد حسن عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود قال: أول ما يُؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة[6].

- الأنبياء إذا لبِسوا لأْمَةَ الحربِ ما يجوز خلعُها حتى يقضيَ الله بينهم وبين

---

(١) الكَبَاث: هو النضيخ من ثمر الأراك.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٤٥٣)، مسلم (٢٠٥٠).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٥٧٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٩).

أعدائهم:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ" رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً، فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةُ، وَأَنَّ الْبَقَرَ هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ" **لَوْ أَنَّا أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ، فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلْنَاهُمْ" فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ مَا دُخِلَ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْخَلُ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْإِسْلَامِ؟! - قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ - فَقَالَ" شَأْنَكُمْ إِذًا" قَالَ: فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، قَالَ: فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأْيَهُ، فَجَاءُوا، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ شَأْنَكَ إِذًا، فَقَالَ" إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ"**[1].

- الأنبياء لا تُورَّث:

عنْ أَبي بَكْرٍ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" **لا نُورَّثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ"**[2].

وفي روايةٍ عنْ أبي هريرةَ بلفظ:" **إِنَّا مَعْشَرَالْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ مَئُونَةِ عَامِلِي، وَنَفَقَةِ نِسَائِي صَدَقَةٌ"**[3].

- الأنبياء لا تأكل الأرض أجسادهم:

عنْ أوسِ بنِ أوسٍ رضي الله عنه: عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»[4].

---

(١) أخرجه: أحمد (١٤٧٨٧)، النسائي في الكبرى (٧٦٠٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣/ ٩٠)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٠٣٥)، مسلم (١٧٥٩).

(٣) أخرجه: أحمد (٩٩٧٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه: أحمد (١٦١٦٢)، أبو داود (١٠٤٧)، النسائي (١٣٧٤)، ابن ماجه (١٠٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

- الأنبياء أحياءٌ في قبورهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عليه السلام»(١).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ"(٢).

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ "(٣).

بعض خصائص النبي محمد ﷺ:

ما سبق هو بعض الخصائص العامة للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، والتي يشتركون فيها جميعًا، ولقد خَصَّ الله تعالى من بين أنبيائه خاتم الأنبياء والمرسلين ببعض الخصائص الأخرى، منها:

- أنه فُضِّلَ على الأنبياء بستٍّ ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ "(٤).

- أُعْطِي فواتحَ الكَلِم، وخواتِمَه، وجوامِعَه ﷺ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُعْطِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ، وَخَوَاتِمَهُ،

---

(١) أخرجه: أحمد (١٠٨١٥)، أبو داود (٢٠٤١)، الطبراني في الأوسط (٣٠٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) أخرجه: البزار في مسنده (٦٣٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٠).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٣٧٥).

(٤) أخرجه: مسلم (٥٢٣).

وَجَوَامِعَهُ» قَالَ: قُلْنَا: عَلِّمْنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، قَالَ: "فَعَلَّمَنَا التَّشَهُّدَ "(١).

- أقسَمَ اللهُ بحياتِهِ ﷺ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: " مَا خَلَقَ اللهُ وَلَا بَرَأَ وَلَا ذَرَأَ أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا سَمِعْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ ﷺ في قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢]

قَالَ: وَحَيَاتِكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٢).

- إنه إمام النبيين، وخطيبهم ﷺ يوم القيامة:

عنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: **"إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ "**(٣).

- هو أكثر النبيين تبعًا ﷺ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(٤).

- تسليم الجمادات عليه قبل البعثة ﷺ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»**(٥).

---

(١) أخرجه: ابن أبى شيبة في مصنفه (٢٩٩٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٨٣).

(٢) أخرجه: الآجري في الشريعة (٣/ ١٤١٥)، وصححه الألباني في شرح الطحاوية، موقوف على عبدالله بن سلام.

(٣) أخرجه: أحمد (٢١٢٤٥)، ابن ماجه (٤٣١٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٨١)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤) أخرجه: مسلم (١٩٦).

(٥) أخرجه: مسلم (٢٢٧٧).

- **الأرض تُطْوَى له ﷺ:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَكُنْتُ إِذَا مَشَيْتُ سَبَقَنِي، فَأُهَرْوِلُ، فَإِذَا هَرْوَلْتُ سَبَقْتُهُ، فَالْتَفَتُّ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: تُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ، وَخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ**»[(١)].

- **مَن رآه في المنام فقد رآه حقًّا ﷺ:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي**»[(٢)].

- **وكان ﷺ يرى أصحابَه مِن خلفه:**

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالِانْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي»[(٣)].

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ، وَلا رُكُوعُكُمْ، إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي**»[(٤)].

- **هو أَوَّلُ مَن تنشق عنه الأرض يوم القيامة ﷺ:**

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ..."[(٥)].

---

(١) أخرجه: أحمد (٧٥٠٦)، أبو نعيم في الحلية (٣/ ٤٣)، وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري(٦١٩٧)، مسلم (٢٢٦٦).

(٣) أخرجه: مسلم (١١٢).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤١٨)، مسلم (٤٢٤).

(٥) أخرجه: أحمد (١٢٤٦٩)، البيهقي في الشعب (١٤٠٩)، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده جيد.

- هو أَوَّلُ مَن يُؤذَن له بالسجودِ والشفاعةِ ﷺ:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَأَنْظُرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيَّ، فَأَعْرِفَ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَمِنْ خَلْفِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ يَمِينِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ شِمَالِي مِثْلُ ذَلِكَ..."[1].

وفي حديث الشفاعة قَالَ ﷺ:"...فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنَ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ..."[2].

- هو أَوَّلُ مَن يقرعُ باب الجنة ﷺ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تبعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»[3].

- هو أَوَّلُ مَن يدخل الجنة ﷺ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ،فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ "[4].

ذكر صفته ﷺ في الكتب السابقة:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ

---

(١) أخرجه: أحمد (٢١٧٣٧)، الحاكم (٣٧٨٤)، البيهقي في الشعب (٢٤٩٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٩٩)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤٤٧٦)، مسلم (١٩٣).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩٦).

(٤) سبق تخريجه.

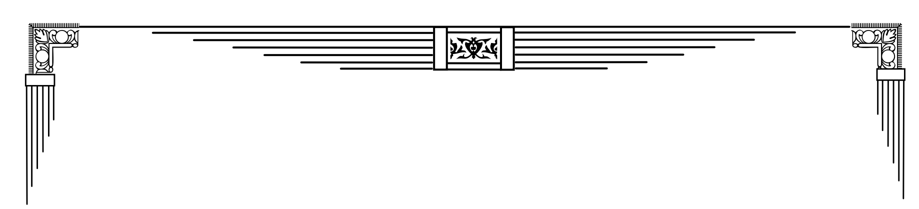
لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: **أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا "**[(١)].

وغير ذلك من خصائصه ﷺ، حشرنا الله تعالى تحت لوائه، ومنَّ علينا بشفاعته، وسقانا من يده شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

---

(١) أخرجه: البخاري (٢١٢٥).



ثالثًا: الإيمانُ بالكتبِ السماويةِ

قوله (والكتُبِ المُنزَّلةِ عَلى المُرسَلينَ):

وهذا لازمُ ما سبق، فالإيمان بالملائكةِ يستلزمُ الإيمانَ بالأنبياءِ والكتبِ، والإيمانُ بالأنبياءِ يستلزمُ الإيمانَ بالكتبِ.

ومن الكتُبِ التي أنزلها اللهُ ﷻ على أنبيائِه: التوراةُ، والإنجيلُ، والزَّبُورُ، والقرآنُ، ومنها صحف إبراهيم وموسى.

هذه هي الكتبُ التي سمَّاها اللهُ ﷻ لنا في كتابِه، نؤمن بها، كما قال ﷻ ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ **[البقرة: ١٣٦]**.

وقال ﷻ ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ **[البقرة: ٢١٣]**، وقال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ **[المائدة: ٤٤]**، وقال ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ **[المائدة: ٤٦]**، وقال ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ

أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩].

والإيمانُ بالكُتُبِ يستلزمُ أمورًا:

أولًا: الإيمان بأنها نزلت من عندِ اللهِ؛ فيجب أن يكون لها من القداسة، والتوقير، والتقدير مالها؛ إذِ الرسالةُ مقامُها من مقام مُرسِلِها.

ثانيًا: العملُ بها، وتحكيمُها بين الناس؛ لأنَّها ما نزلت إلا للعمل، والتعبد بها.

ثالثًا: الإيمانُ بأنَّها كتبٌ كاملةُ الحكمةِ والعلمِ، بيِّنةُ المعنى، لا يجوز فيها الطعنُ، ولا التغييرُ، ولا التبديلُ، وغير ذلك.

قوله (ونشْهدُ أنَّهم كَانُوا عَلى الحَقِّ المُبينِ):

وهذه العبارة كالمقدمة والتعليل لِمَا تقدَّم منَ الإيمانِ بالكتبِ، والرسلِ، فلمَّا كانوا على الحقِّ المبينِ وجب علينا أن نؤمن بهم، ونمتثل أمرهم، ولما كانوا على الحقِّ المبينِ عُلِم أنه ليس في هذه الشرائع عيب ولا خلل، وخاصة آخر هذه الشرائع إذ هي أفضلها وأكملها؛ لذلك قال تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

❦

ونُسَمِّي أهلَ قبلتنا مُسلمينَ مؤْمنينَ مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، ولَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وأَخْبرَ مُصَدِّقِين.

قوله (ونُسَمِّي أهلَ قبلتِنا مُسلمِينَ مُؤْمِنينَ):

والمعنى: أي نسمي كلَّ مَن توجَّهَ إلى القبلة بالصلاة من المسلمين، وإن ارتكب ما ارتكب من المعاصي ما لم يأت بناقضٍ للدين والتوحيد، عنْ أنسٍ رضي الله عنه قالَ:قالَ النبيُّ ﷺ: **«مَنْ صَلَّى صَلاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ»**(١).

قوله (ما دَامُوا بِمَا جَاء بِهِ النبيُّ ﷺ مُعْتَرِفِين، ولَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وأَخْبرَ مُصَدِّقِينَ):

المقصودُ بالاعترافِ: الإقرارُ والانقيادُ، فهو لا يعني الاعتراف بلسانِه فقط، لكنَّ الاعترافَ الحقيقيَّ هو الإقرارُ به، والالتزامُ بما جاء به النبيُّ ﷺ، و نصدقه في كل ما أخبر به من الحاضر والغائب، والموافق للعقل والمخالف له.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٩١).



حرمة الخوض والجدال في الدين

ولا نَخُوضُ فِي اللهِ عزّ وجَلّ، ولا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ، ولا نُجَادِلُ فِي القُرْآنِ، ونعلَمُ أنّه كَلامُ رَبِّ العَالَمينَ، نَزَلَ بِه الرُّوحُ الأَمِينُ، فَعَلّمَهُ سيِّدَ المُرْسَلينَ مُحمّدًا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابِه أجمعين، وكَلامُ اللهِ تَعالَى لا يُسَاوِيهِ شَيءٌ مِنْ كَلامِ المَخْلوقِينَ، وَلا نَقُولُ بِخَلْقِه، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمينَ.

قوله (ولا نَخُوضُ فِي اللهِ):

الخوضُ هو: اللبس في الأمر[١]، وخاض القوم في الحديث خوضًا تفاوضوا فيه[٢]، وأَصْلُ الخَوْضِ المشيُ في الماء وتحريكُه، ثم استُعْمِل في التلبس بالأَمر والتصَرُّفِ فيه، والخَوْضُ من الكلام ما فيه الكذب والباطل[٣].

وما سبق يدل على أنَّ الخوض هو الدخولُ في الشيء سواء كان حسنًا أو قبيحًا، ولكن غلبَ استعمالُه بعد ذلك على الخوضِ في الأمور القبيحةِ أو المذمومةِ، ومنه قوله تعالى ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ **[المدثر: ٤٥]**، وقوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ **[الأنعام:٦٨]**.

---

(١) المخصص لابن سيده (١/ ٢٩٥).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٢٦٢).

(٣) لسان العرب لابن منظور- بتصرف - (٧/ ١٤٧).

قوله (ولا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ، ولا نُجَادلُ فِي القُرْآنِ):

من صفاتِ أهلِ السنةِ عدمُ المُماراةِ في دين الله تعالى، وعدمُ الجدالِ في القرآنِ.

والجدالُ نوعانِ:

الأول: جدالٌ محمودٌ وهو: الذي يكون لنصرة الحقِّ وبيانه، دون الانتصار للنفس،لذلك قال ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [**النحل: ١٢٥**]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [**العنكبوت: ٤٦**]، فهذا هو الجدال المحمود.

الثاني: جدالٌ مذمومٌ وهو: الذي يُبنى على الانتصارِ للنفسِ، وعدمِ النظرِ إلى الحقِّ والوصولِ إليه.

والجدالُ في القرآنِ حرام، بل منه ما هو بدعةٌ كتأويل أسماءِالله وصفاتِه في القرآن، ومنه ما قد يكون كفرًا كالجدالِ الذي يُؤدي إلى تكذيبِ شيءٍ من القرآنِ.

بل بيَّن النبي ﷺ أنَّ الضلال بعد الهدى مقرونٌ دائمًا بالجدال، **عنْ أَبي أمامةَ** رضي الله عنه **قالَ: قالَ** ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ**»، **ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ** ﷺ **هَذِهِ الآيَةَ: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: ٥٨]**[1].

۞ أسبابُ ذمِّ الجدالِ في الشريعةِ:

- لأنَّ الجدال لا يكون إلا لهوى النفس، وهوى النفس مذموم طالما أنه بعيد

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٢١٦٤)، الترمذي (٣٢٥٣)، ابن ماجه (٤٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٣)، وقال الأرنؤوط: حسن بطرقه وشواهده.

عن منهاج النبوة، قال طَاوُوسٍ: «مَا ذَكَرَ اللهُ هَوًى فِي الْقُرْآنِ إِلَّا عَابَهُ»[١].

وقال الربيعُ، عَنِ الشافعي: لأن يَلْقَى اللهَ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشركَ خيرٌ من أن يلقاه بشيءٍ من الأهواءِ[٢].

- **ولأنَّ الجدال والمراء قد يؤديان بالعبد إلى الكفر.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ**[٣] **كُفْرٌ**»[٤].

وفي روايةٍ: "**الْجِدَالُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ**"[٥].

- **الجدال يكون سببًا في كثرة التنقل**، قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ، أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ»[٦].

---

(١) اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٣٠).

(٢) أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٠٦).

(٣) قال البغوي في "شرح السنة"(١/ ٢٦٢): وَاخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، فَقِيلَ: مَعْنَى الْمِرَاءِ: الشَّكُّ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ} [هود: ١٧] أَيْ: فِي شَكٍّ، وَقِيلَ: الْمِرَاءُ: هُوَ الْجِدَالُ الْمُشَكِّكُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا جَادَلَ فِيهِ، أَدَّاهُ إِلَى أَنْ يَرْتَابَ فِي الآيِ الْمُتَشَابِهَةِ مِنْهُ، فَيُؤَدِّيهِ ذَلِكَ إِلَى الْجُحُودِ، فَسَمَّاهُ كُفْرًا بِاسْمِ مَا يَخْشَى مِنْ عَاقِبَتِهِ إِلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ.
وَتَأَوَّلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى الْمِرَاءِ فِي قِرَاءَتِهِ، وَهُوَ أَنْ يُنْكِرَ بَعْضَ الْقِرَاءَاتِ الْمَرْوِيَّةِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَتَوَعَّدَهُمْ بِالْكُفْرِ، لِيَنْتَهُوا عَنِ الْمِرَاءِ فِيهَا، وَالتَّكْذِيبِ بِهَا؛ إِذْ كُلُّهَا قُرْآنٌ مُنْزَلٌ، يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ.
وَكَانَ أَبُو الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيُّ إِذَا قَرَأَ عِنْدَهُ إِنْسَانٌ لَمْ يَقُلْ: لَيْسَ هُوَ كَذَا، وَلَكِنْ يَقُولُ: أَمَّا أَنَا فَأَقْرَأُ هَكَذَا.

(٤) أخرجه: أحمد (٩٤٧٩)، أبو داود (٤٦٠٣)، النسائي في الكبرى (٨٠٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٨٧)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٥) أخرجه: أحمد (٧٥٠٨)، الحاكم (٢٨٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٠٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٦) أخرجه: مالك في الموطأ (١/ ٢٥٤)، الدارمي في سننه (٣١٢)، الآجري في الشريعة =

- **الجدال دليل إرادة الشر بالعبد** - عياذًا بالله تعالى -، قال الأوزاعيُّ: «بلغني أَنَّ الله عز وجلَّ إِذا أراد بقوم شرًّا أَلزمهم الجدلَ، ومنعهم العملَ»[١].

- **الجدال قد يؤدي إلى الشك**، ويُذهِب بنور العلم، ويقسي القلب، قال مالك: «الجِدَالُ في الدينِ يُنشِئُ المِراءَ، ويَذهَبُ بنورِ العلمِ مِنَ القلبِ ويقسي، ويورث الضغنَ»[٢].

لذلك كان كثيرًا ما ينهى السلفُ والأئمةُ عن الجدالِ، بل ويفرون منه.

قال الشافعي: كان مالك بن أنسٍ إذا جاءه بعضُ أهل الأهواءِ قال: أَمَا إِنِّي على بَيِّنَةٍ من رَبِّي وَدِينِي، وأمَّا أنت فشَاكٌّ، اذهب إلى شاكٍّ مثلِك فخاصِمْه[٣].

وقال مالك: وكان يقال: لا تُمَكِّن زائغ القلب من أذنيك، فإنك ما تدري ما يعلقك من ذلك، ولقد سمع رجل من أهل المدينة شيئًا من بعض أهل القدر، فعلق بقلبه، فكان يأتي إخوانه الذين يستنصحهم، فإذا نهوه قال: فكيف بما علق في قلبي؟ لو علمت أنَّ الله رضي أن ألقي بنفسي من فوق هذه المنارة لفعلتُ[٤].

وعن إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى الطَّبَّاعِ[٥]، قال: كان مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَعِيبُ الجدال في الدِّين، ويقول: «كُلَّمَا جاءنا رجلٌ أَجْدَلُ من رجلٍ أرادنا أن نَرُدَّ ما جاء به جبريلُ إلى رسول الله ﷺ»[٦].

=

(١١٦).

(١) أخرجه: ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٧٧٥).

(٢) أخرجه: مالك في الموطأ (١/ ٢٥٤).

(٣) أخرجه: أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٢).

(٤) أخرجه: مالك في الموطأ (١/ ٢٥٤).

(٥) إسحاق بن عيسى بن الطباع، أبو يعقوب، يروي عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، روى عنه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، كان مولده سنة أربعين ومائة من الهجرة، ومات سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة.

(٦) أخرجه: ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٨٢).

وعن مَعْنِ بْنِ عِيسَى[(١)] قَالَ: انْصَرَفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدَيَّ قَالَ: فَلَحِقَهُ رَجُلٌ، كَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمْكَ بِهِ، وَأُحَاجَّكَ، وَأُخْبِرْكَ بِرَأْيِي قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتُكَ اتَّبَعْتَنِي قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَكَلَّمَنَا، فَغَلَبَنَا؟ قَالَ: نَتَّبِعُهُ ، فَقَالَ مَالِكٌ: يَا عَبْدَ اللهِ، «بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ وَاحِدٍ، وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ»[(٢)].

لذا قال الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ[(٣)] «مَا كَانَ جَدَلٌ إِلَّا أَتَى بَعْدَهُ جَدَلٌ يُبْطِلُهُ»[(٤)].

وعَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ[(٥)] قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ»[(٦)].

وَقَالَ بعض السلف لِابْنٍ لَهُ يُكَلِّمُهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ: «يَا بُنَيَّ أَدْخِلْ إِصْبعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ لَا تَسْمَعْ مَا يَقُولُ». ثُمَّ قَالَ: «اشْدُدْ»[(٧)].

---

(١) معن بن عيسى بن يحيى بن دينار، الإمام الحافظ الثبت، أبويحيى المدني القزاز، مولى أشجع، ولد بعد الثلاثين ومئة، وكان ثقة، كثير الحديث، ثبتًا، مأمونًا، قال أبو حاتم: أثبت أصحاب مالك وأوثقهم معن بن عيسى، مات بالمدينة في شوال سنة ثمان وتسعين ومئة.

(٢) أخرجه: ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٨٣).

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، البصري،الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، أحد الأعلام، ولد سنة مئة من الهجرة، وكان - رحمه الله - مفرط الذكاء، ومات سنة بضع وستين ومئة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومئة.

(٤) أخرجه: اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٢٨).

(٥) هشام بن حسان الإمام العالم، الحافظ، محدث البصرة، أبو عبد الله الأزدي، البصري، قال الذهبي، وما علمت له شيئًا عن الصحابة، والظاهر أنه رأى أنس بن مالك، فإنه أدركه، وهو قد اشتد، مات في أول يوم من صفر سنة ثمان وأربعين ومئة.

(٦) أخرجه: ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٨٦).

(٧) أخرجه: أبو نعيم في الحلية. عن ابن طاوس. (٩/ ٢١٨).

وعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ[(١)] فِي قَوْلِهِ ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة:١٤] قَالَ: «الْخُصُومَاتُ وَالْجِدَالُ فِي الدِّينِ»[(٢)].

وقالَ رجلٌ لأَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ[(٣)]: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنِ السُّنِّيُّ؟ فَقَالَ: السُّنِّيُّ الَّذِي إِذَا ذُكِرَتِ الْأَهْوَاءُ لَمْ يَغْضَبْ لِشَيْءٍ مِنْهَا[(٤)].

قوله (ونَشْهدُ أنَّه كَلامُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِه الرُّوحُ الأمِينُ):

وكلام رب العالمين أي القرآن، والروحُ الأمينُ أي جبريلُ عليه السلام، وسُمِّي بالروح؛ لأنَّه ينزلُ بالوحي الذي هو حياةُ الرُّوحِ.

قوله (فَعلَّمَهُ سيِّدَ المُرْسَلينَ مُحمَّدًا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وكَلامُ الله تَعالَى، لا يُسَاوِيهِ شَيءٌ مِنْ كَلامِ المَخْلوقِينَ، وَلا نَقُولُ بِخَلْقِه، ولا نُخَالفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمينَ):

قوله (ولا نخالفُ جماعةَ المسلمينَ):

وفيه دليل على أنَّ القول بأنَّ القرآن كلام الله ليس مخلوقًا هو من المتفق عليه، وأنه لا يشبه قول البشر، وقد سبق بيان ذلك مُفصَّلًا في الكلامِ عن صفةِ الكلامِ، ولله الحمد.

---

(١) إبراهيم النخعي: الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبوعمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس، أحد الاعلام، وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد، قال ابن عون: وصفتُ إبراهيم لابن سيرين، قال: لعله ذاك الفتى الأعور الذي كان يجالسنا عند علقمة، كان في القوم، وكأنه ليس فيهم، مات سنة ٩٦هـ.

(٢) أخرجه: ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٧٧٢).

(٣) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، مولاهم الكوفي، المقرئ، الفقيه، المحدث، شيخ الاسلام، وبقية الأعلام، مولى واصل الأحدب، ولد عام ٩٧هـ، وقال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش، مات عام١٩٣هـ.

(٤) أخرجه: الآجري في الشريعة (٢٠٥٨).



الردُّ على الخوارج والمرجئة

ولا نُكفّرُ أحَدًا مِنْ أهْلِ القبْلةِ بِذَنْبٍ مَا لمْ يَسْتحِلّهُ، ولا نَقولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.

قوله (ولا نُكفِّر أحدًا من أهلِ القبلةِ بذنبٍ ما لم يستحلَّه):

والمعنى: لا نكفر أيَّ أحدٍ من أهلِ القبلةِ من المسلمين الذين ثبت لهم الإسلامُ بذنبٍ ما لم يستحلَّه.

وهذه العبارةُ هي ردٌّ على الخوارجِ والمعتزلة؛ لأنَّ الخوارج يكفِّرون بالذنبِ، والمعتزلة لا يكفِّرون بالذنبِ في الدنيا، لكنهم يقولون: ليس بمسلمٍ، وليس بكافرٍ، لكنَّه في الآخرةِ مُخلَّدٌ في النارِ، فوافقوا الخوارجَ في الآخرةِ في أنَّ مرتكبَ الكبيرةِ مُخلَّدٌ في النارِ، وخالفوا في الاسمِ فقط في الدنيا، فالخوارجُ قالوا: كافرٌ، والمعتزلةُ قالوا: ليس بكافرٍ، وليس بمؤمنٍ، بل في منزلةٍ بين المنزلتين.

والمعنى: أي لا نُكفِّر أحدًا من أهل القبلة بكلِّ ذنبٍ كما تفعل الخوارج، لكن نكفره ببعض الذنوب التي يثبت أنها كفر.

وقيل: إنَّها عبارةٌ عامَّةٌ لأنَّ كلمةَ "بذنبٍ" نكرةٌ في سياق النفي، أي لا نكفره بأيِّ ذنبٍ، وهذا العام يقبل التخصيص بما ورد في الشرع أنَّ فعله كفر بدون استحلال، ويكون من باب العام المخصوص، كتاركِ الصلاةِ عند البعضِ، وكالمستهزئ بآيات اللهِ وغيرِ ذلك ممَّا ورد به النصُّ في الكتابِ والسنةِ.

وقيل: إنَّ هذا من باب العام المراد به الخصوص، ويكون المعنى لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بالكبائر كما تفعله الخوارج، والله أعلم.

قوله (مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ): فهذه العبارةُ التي ذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ حَصرَتِ الكفرَ في الاستحلالِ فقط، مع أنَّه قد يكفُر العبدُ بفعلِ أمورٍ ليست استحلالًا كالشكِّ، والريْبِ، والاستهزاءِ، قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [**التوبة: ٦٥- ٦٦**]، والسبُّ أو الطعنُ في الدينِ، وكذلك تاركُ الصلاةِ عند فريقٍ من العلماء، ونقل فريقٌ من العلماء الإجماعَ على ذلك عن الصحابةِ، وهذا كلُّه لم يستحله، فدل ذلك على أنَّ الاستحلال ليس شرطًا في كل كفر.

س: هل كلُّ مستحلٍّ يكفرُ؟

ج: نعم، فكلُّ مستحلٍّ للمُحرَّم يكفرُ بالعمومِ إلاَّ إذا كان هناك عذرٌ أو تأويلٌ، فهذا يخرجُه من دائرة الكفرِ للعذرِ، وذلك كشبهةِ التأويل، أو الجهل، أو نحو ذلك، عنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:"...أُتِيَ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَقَدْ كَانَ شَرِبَ فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُجْلَدَ، فَقَالَ: لِمَ تَجْلِدُنِي؟! بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي أَيِّ كِتَابِ اللهِ تَجِدُ أَنِّي لَا أَجْلِدُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة:٩٣] الْآيَةَ، فَأَنَا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا، ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا، شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ وَالْخَنْدَقَ وَالْمَشَاهِدَ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا تَرُدُّونَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ؟

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ أُنْزِلَتْ عُذْرًا لِلْمَاضِينَ وَحَجَّةً عَلَى الْبَاقِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠]، ثُمَّ قَرَأَ حَتَّى أَنْفَذَ الْآيَةَ الْأُخْرَى ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ﴾ [المائدة:٩٣]، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ نَهَى أَنْ يُشْرَبَ

الْخَمْرُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَدَقْتَ "[١].

خلاصةُ المسألةِ: أنَّ الكفرَ لا ينحصرُ في الاستحلالِ فقط، بل يكون ببعض الأفعالِ التي ثبت الكفرُ بفعلها دون استحلال.

أنَّ الاستحلالَ كفرٌ في الجُملةِ إلَّا من كان له عذرٌ كشبهةِ تأويلٍ، أو جهلٍ، أو نحوِ ذلك.

قوله (ولا نَقولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ):

هذا يُرَدُّ به على الجهميةِ والمرجئةِ حيث يقولون: لا يضرُّ مع الإيمانِ ذنبٌ؛ إذ الإيمانُ عند الجهمية هو المعرفةُ، وعند كثير من المرجئة هو التصديق، وكلاهما عمل القلب، فلا تؤثر فيه الأعمال ولا الذنوب والآثام – على ظنهم–، فهو شيء واحد لا يتجزأ، ولا يزيد، ولا ينقص، وسيأتي بيان ذلك مُفصَّلًا إن شاء الله تعالى عند الحديث عن مسألة الإيمان. وأوردَ البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حديثًا في "باب حسن إسلام المرء" رَدَّ به على الطائفتين، عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «**إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا**»[٢].

قال الحافظ ابن حجر: وفيه دليل على الخوارج وغيرهم من المُكَفِّرين بالذنوب، والمُوجِبين لخلود المذنبين في النار، فأَوَّلُ الحديث يرد على مَن أنكر الزيادة والنقص في الإيمان؛ لأنَّ الحُسْنَ تتفاوت درجاته، وآخره يرد على الخوارج والمعتزلة[٣].

---

(١) أخرجه: النسائي في السنن الكبرى (٥٢٦٩)، الحاكم في المستدرك (٨١٣٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه: البخاري (٤١).

(٣) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ١٠٠).

نَرجُو لِلمُحْسنِينَ مِنَ المؤْمنِينَ أَنْ يعْفُوَ عنْهُم، ويُدْخِلَهُم الجَنَّةَ بِرَحْمته، ولَا نَأمنُ علَيهِم، ولا نَشْهدُ لهُمْ بِالجنَّةِ، ونَستغفرُ لِمُسيئِهِم، ونَخَافُ علَيْهِمْ، ولا نُقَنِّطُهُمْ.

قوله (نَرجُو للمُحْسِنينَ):

هذا بابُ الرجاءِ، والرجاءُ طلبُ ما عند اللهِ ﷻ بالعمل والجهد، فهو بخلاف التمني؛ لذا فالرجاءُ لا يكون رجاءًا حقيقيًّا إلا بأمور: حب الراجي لما يرجوه، والعمل لتحصيله، والخوف من فوته.

وهذا يدلُّ عليه الشرعُ والعقلُ، لكن الذي يحبُّ الشيءَ بدون عملٍ فهذا لا يرجوه، وإنَّما يتمناه بالأماني الكاذبةِ؛ لذا فالمسلمُ لابدَّ أن يجمعَ بينَ الرجاءِ والعملِ.

لذا لم يقل رَحِمَهُ اللَّهُ: نرجو للمذنبِ العاصي، بل قال: نرجو للمحسنِ، والمرادُ بالمحسنِ هنا المسلمُ، وإلَّا لو رجوْنا للمحسنِ فقط الذي هو من الإحسان قسيم الإيمانِ والإسلامِ لخسر عامةُ الأمةِ من المؤمنين والمسلمين؛ إذ الإحسانُ أعلى الدرجاتِ كما بيَّنَ ذلك النبيُّ ﷺ في حديثِ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فدلَّ على أنَّ الإحسانَ هنا ليس قسيمَ الإيمانِ والإسلام، وإنَّما هو الإحسانُ اللُّغويُّ الذي هو ضدُّ الإساءةِ.

قوله (مِنَ المُؤمِنينَ أَنْ يعْفُوَ عنْهُم، ويُدْخِلَهُم الجَنَّةَ بِرَحْمتِهِ):

(مِن) هنا بيانية أي كل مؤمنٍ نرجو أن يعفوَ اللهُ عنه، وإن كان أعلى المؤمنين درجةً، وأفضلَهم إيمانًا، فما مِن مؤمنٍ إلا وهو يحتاجُ عفوَ الله، ورحمتَه؛ لذا علَّم النبيُّ ﷺ أفضلَ الأمةِ، وأحبَّها إليه أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقولَ في دبرِ كلِّ صلاةٍ "...**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**[1] "[1].

---

(١) قال الكرماني: وهذا الدعاء من الجوامع؛ إذ فيه اعتراف بغاية التقصير، وهو كونه ظالمًا =

وطلبُ العفوِ لكي يكون رجاءًا، لا بد أن يكونَ بالعملِ لا بالأماني؛ لذا جعل اللهُ ﷻ لنيل العفو أسبابًا مَن عمِلَها نال العفوَ، وإلا فطلبُه من الأماني الزائفةِ.

ومن هذه الأسباب:

- الاستغفارُ والتوبةُ من العبد، وقد يكون سبب العفو والمغفرة استغفار غيره له، كاستغفار ولده الصالح له.

- ادخار الحسنات العظيمة الماحية للسيئات، كما عفا الله تعالى عن حاطب؛ لأنه شهد بدرًا، وغفر لصاحب الطفيل بهجرته.

- الإخلاص في الأعمال، ومراقبة الله تعالى قد يكون سببًا للعفو، كما قد عفا الله تعالى عن البغيِّ التي سقت كلبًا لتَمَثُّل الإخلاص في عملها في أحسن صورة.

- ومنها العفو عن الناس، فهو باب لعفو الله تعالى عن العبد، كما قال تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ **[النور: ٢٢]**، وغير ذلك.

قوله (وَلا نَأمنُ عَليهِم، ولا نَشْهدُ لهُمْ بِالجنَّةِ، ونَستغفرُ لِمُسيئِهِمْ، ونَخَافُ عَليْهِمْ، ولا نُقَنِّطُهُمْ):

فلا يأمنُ الإنسانُ على نفسِه ولا على غيرِه؛ إذ مدار الأعمال على ما يقترن بالعمل الصالح من أعمال القلوب، وهذا لا يعلمه إلا الله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ،**

= ظلمًا كثيرًا، وطلب غاية الإنعام التي هي المغفرة والرحمة؛ إذ المغفرة ستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات، فالأول: عبارة عن الزحزحة عن النار، والثاني: إدخال الجنة، وهذا هو الفوز العظيم.

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٣٢٦)، مسلم (٢٧٠٥).

وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(١).

ولا نشهد لأحد بجنة ولا نار ما لم يشهد له الله ورسوله ﷺ، بل إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقولُ: وَمَا أَدْرِي وَاللهِ وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي، **عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ** ثَابِتٍ عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ بَايَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى حِينَ اقْتَرَعَتِ الْأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَى، فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، قَالَ" **وَمَا يُدْرِيكِ؟"**، قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللهِ، قَالَ" **أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِنَ اللهِ، وَاللهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ؟"، قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ: فَوَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ" ذَاكَ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ"**(٢).

أما المسيء فنخاف عليه من العقاب؛ لذا نطلب له العفو والمغفرة باستغفارنا له، ولا نقنطه من رحمة الله، فإنَّ الله تعالى قال ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ **[الزمر: ٥٣]**.

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه: البخاري (٧٠١٨).



حكمُ الأمن والإياس

والأمْنُ والإِيَاسُ يَنْقلانِ عَنِ الملّة، وسَبِيلُ الحَقّ بَيْنَهُما لأهْلِ القِبْلةِ، ولا يَخْرُجُ العَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إلَّا بِجُحُودِ مَا أدْخَلَهُ فِيهِ.

قوله (والأمنُ والإياسُ بنقلانِ عنِ الملةِ):

الأمنُ: هو ذهابُ كلِّ الخوفِ، فالأمن هنا عام أريد به الخصوص، فليس المراد به كل أمن، بل الأمن الذي لا يبقى معه أي خوف أو مراقبة لله تعالى، فهذا هو الذي ينقل عن المِلَّةِ.

والإياسُ الذي ينقل عنِ المِلَّةِ هو ذهابُ كلِّ الرجاءِ من قلبِ العبد لله تعالى.

فالإنسان قد يصيبُه أحيانًا أمنٌ بسبب ما يعمل من الطاعاتِ والخيراتِ، وقد يصيبه إياسٌ بسبب ما يقترف من الذنوب والمعاصي، لكنَّ هذا الأمن أو هذا القنوطَ قد يكونُ بعضَ أمنٍ أو بعضَ قنوطٍ، فلا ينقل عنِ المِلَّةِ، وإن كان ليس محمودًا.

قوله (وسَبِيلُ الحَقِّ بَيْنَهُما لأهْلِ القِبْلةِ):

أي إنَّ سبيل الحق بين الخوفِ والرجاءِ، فلابدَّ من الجمعِ بينهما مع المحبة، وبهذا تكونُ العبادةُ في أبهى صورِها، وأزهى حُلَلِها، وسيأتي بمشيئة الله تعالى في آخر الكتاب مزيد بسط لتلك المسألة.

قوله (ولا يَخْرُجُ العَبْدُ مِنَ الإيمَانِ إلَّا بِجُحُودِ مَا أدْخَلَهُ فِيهِ):

هذه العبارةُ أيضًا من كلامِ المؤلفِ حَصَرَها في موضعٍ ليس فيه الحَصْرُ؛ إذ

الكفرُ لا يكون بالجحودِ، وعبارته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحتمل أمورًا:

١ - أنَّ المصنف أراد بها الردَّ على الخوارج، وأنَّ مراده أنَّ العبد لا يكفر بفعل كبيرة من الكبائر، أو ترك واجب من الواجبات إلا بجحوده وإنكار شيء منها، وهذا كلام قريب من كلام جمهور أهل السنة.

٢- وقد يكون المراد بقوله هذا أنه لا كفر للعبد بعملٍ منَ الأعمال، بل لا يكون الكفر إلا بالجحود فقط، وهذا يكون موافقًا لكلامٍ المرجئة، ولقولِ مَن يقول أنَّ الإيمانَ هو التصديقُ، أو التصديقُ والقولُ، ولا يدخل فيه العمل، وهذا ما سيقرره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة الإيمان.

وعلى كلٍّ فالمعلوم عند عامة العلماء وجمهور أهل السنة أنَّ الكفر لا ينحصر في الجحود فقط، بل للكفر أنواع كثيرة منها الجحود، ومنها:

- الكفر قد يقع بالقول:

كسبِّ الله تعالى، أو الاستهزاءِ بالنبي محمد ﷺ، أو بالقرآن، أوبشيء من الدين، قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [**التوبة: ٦٥ – ٦٦**].

- وقد يكون الكفر بالعمل:

كمن يطأ المصحف، أو يذبح لصنم، أو يسجد له، أو دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب المدد والعون منهم.

فكلُّ هذا فعلُ كفرٍ بمجرد الفعل، وإلا لقلنا من يسجد لصنم، أو يذبح له لا يكون كافرًا لو قال: أنا لا أجحد.

- وقد يكون الكفر بالشك:

كمن يشك في نبوة النبي ﷺ، أو يشك في عذاب القبر، أو في وجود الملائكة، وغير ذلك من الصور غير الجحود.

وتحرير المسألة أنَّ الكفر نوعان:

أولًا: الكفر الاعتقادي:

وهو ما يكون الكفر فيه بسبب الاعتقاد: كالجحود، والاستحلال، ونحو ذلك من أعمال القلوب.

ثانيًا: الكفر العملي: وهو نوعان:

١-كفر يعارض أصول الدين والإيمان ويناقضها:

وذلك كسبِّ الله ورسوله، والطعن في نبوة النبي ﷺ، والاستهزاء بشيء من شريعته، أو صرف صفة من صفاته تعالى إلى مخلوق من مخلوقاته: كصرف العبادة لغير الله تعالى كالسجود لمخلوقٍ حيًّا كان أو ميِّتًا، أو الذبحِ له، أوالنذرِ له، كل هذه أفعال تناقض أصل الدين، فهي فعلُ كفرٍ مخرجٍ مِنَ المِلَّةِ، وهو المسمى بالكفر الأكبر.

٢-كفر لا يعارض أصل الدين:

- وذلك كقتال المسلم لأخيه المسلم:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١).

- ومنه: إباق العبد من مواليه:

عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه: عنْ رسولِ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٨)، مسلم (٦٤).

(٢) أخرجه: مسلم (٦٨).

- **ومنه: ادِّعاءُ الرجلِ لغير أبيه:**

عنْ أَبي هُرَيْرَةَ قالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ**»(١).

- **ومنه إتيان المرأة الحائض، أو النساء في أدبارهن:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ" **مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**"(٢)، وغير ذلك.

فكل هذا من الكفر العملي الذي لا يُخرِج من الملة، وهو المسمى بكفر دون كفر.

فتبين مما سبق أنَّ الكفر لا يُشترَط فيه الجحود، وليس محصورًا فيه، بل قد يكون بالجحود، وقد يكون بغيره من الأقوال والأعمال.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٧٦٨)، مسلم (٦٢).

(٢) أخرجه: الترمذي (١٣٥)، ابن ماجه (٦٣٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.



مسألة الإيمان

والإيمانُ: هو الإقْرارُ باللِّسانِ، والتَّصديقُ بالجَنانِ، وأنَّ جميعَ ما أنزلَ اللهُ تعالى في القرآنِ، وجميعَ ما صَحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ منَ الشرعِ والبيانِ كُلُّه حقٌّ.

مسألةُ الإيمانِ وحَدُّهُ من المسائل الهامةِ، ومما يبين أهميةَ هذه المسألةِ هو رعايةُ أعداءِ الدينِ لمذهبِ الإرجاءِ؛ إذ إنَّهم لما فشلوا في القضاء على الأمَّةِ كأمَّةٍ قادوها إلى إخراجِ أُمَّةٍ ضعيفةٍ هزيلةٍ آمنةٍ مطمئنةٍ من عذابِ الله ﷻ، ترضى من كلِّ الدين بكلمةٍ، وبهذا تكون أمةً حيَّةً موجودةً في اسمها ومظهرِها، ميتةً في حقيقتِها وجوهرِها، مطموسةَ المعالمِ، حائرةً في فكرِها وتوجُّهاتِها، غيرَ مُميِّزةٍ لعدوِّها من حبيبِها ووليِّها، وكلُّ ذلك من آثارِ فكرِ الإرجاءِ، والانحرافِ في مسألة الإيمانِ.

ينتظم الحديث عن الإيمان في مسائل:

أولًا: تعريفُ الإيمانِ لغةً:

قال الأزهريُّ[(١)]: واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أنَّ " الإيمان " معناه: التَّصديق[(٢)].

---

(١) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب، ولد عام ٢٨٢ هـ، نسبته إلى جده (الأزهر)، عني بالفقه فاشتهر به أولًا، ثم غلب عليه التبحر في العربية، ومن كتبه (غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء)، و(تفسير القرآن)، وتوفي عام ٣٧٠ هـ.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٢٢٥).

وقيل: الإيمانُ: الثِّقَةُ، وإظْهارُ الخُضوعِ، وقَبولُ الشَّريعَةِ[(١)].

قال ابنُ تيمية: الإيمانُ في اللغة هو: الإقرارُ[(٢)] وليس مجردَ التصديقِ.

وعليه: فاعتمادُ بعضِهم في تعريفِ الإيمان على التعريف اللغويِّ أمرٌ غيرُ دقيقٍ لأمور:

- **أنَّه مُختلَفٌ فيه بين العلماء:**

فمنهم من قال: هو التصديقُ، ومنهم من قال: غير ذلك.

بل أنكر البعضُ كابن تيميةَ أن يكون الإيمانُ لغة بمعنى التصديقِ، وذلك لأمور منها:

- التصديقُ يتعدَّى بنفسِه يقال صدَّقتُك، أما الإيمانُ فإنَّه يتعدى بحرفِ الجرِّ، فيقال: ءامنتُ بك، ولا يقال ءامنتُك.

- الإيمانُ ضدُّه الكفرُ، أما التصديقُ ضدُّه التكذيبُ.

- الإيمانُ يكونُ بالأوامر والنواهي والأخبار، أما التصديقُ لا يكون إلا بالأخبارِ فقط[(٣)].

بل إنَّ التصديقَ ذاتَه قد لا يكون تصديقًا صحيحًا معتبرًا إلا بالعمل، قالَ ﷻ لنبيِّه إبراهيمَ عليه السلام ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ **[الصافات: ١٠٥]**، فأثبت اللهُ تعالى لإبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تصديق الرؤيا لمَّا قام وهمَّ بفعل ما أمره الله به فيها، وليس بمجرد تصديق القلب للخبر، وإلا فإبراهيم مُصَدِّقٌ لأمر ربه بمجرد إخباره به بلا شك.

ومن ذلك أيضًا، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ" **إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ**

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/ ١٥١٨).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٦٣٨).

(٣) مستفاد من مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٩٠).

حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ»[1]، فجعل فعل الفرج هو التصديق لما سبق.

- أنَّ مدارَ المعاني الشرعيةِ على الحدودِ الشرعيةِ لا على الحدودِ اللُّغويةِ:

مدارُ المعاني الشرعيةِ على الحدودِ الشرعيةِ لا على الحدودِ اللُّغويةِ؛ لأنَّ الشرعَ جاء حاكمًا على اللغة، وليس العكس.

وذلك حيث إنَّ الشرعَ تصرَّف في المعنى اللغوي على حسب مرادِ الشرعِ من هذه المعاني.

- فقد يكون المعنى اللغويُّ معنى عامًّا يصعبُ الامتثالُ به شرعًا، فيُنقِص الشرعُ هذا المعنى إلى الحد الذي يريدُه الشرع، ويمكن الامتثال به، فلفظُ الصيام معناه في اللغة: مطلقُ الإمساكِ أي عنِ الطعامِ، والشرابِ، والجماعِ، والكلامِ، والحركةِ، ونحوِ ذلك، فقصرَ الشرعُ المعنى اللغويَّ وجعله إمساكًا عن معانٍ مرادةٍ للشرعِ ألا وهي: الطعامُ، والشرابُ، والشهوةُ.

- وقد يكون المعنى اللغوي معنى قاصرًا لا يفِي بمرادِ الشرع من التشريعِ، فيزيدُ الشرعُ على المعنى اللغوي في المعنى الشرعي ليفي بالمطلوبِ، مثل: الحج، فحج البيت معناه قصد البيت؛ إذ الحج معناه القصد، لكنَّ هذا المعنى لا يفي بمراد الشرع؛ إذ إن مجرد قصد البيت ليس مرادًا، إنما المراد ما يفعله العبد عند البيت من أفعال، فأزاد الشرع على هذا المعنى، وجعل الحج هو قصد البيت لفعل مناسك مخصوصة بنية، وكذلك معنى الإيمان، فعند مَن قال هو: التصديقُ أو الإقرارُ فقط أو نحوُ ذلك نقول: هذا المعنى اللغوي لم يف بمرادِ الشرعِ من الإيمانِ، فأزاد الشرعُ على ذلك العمل، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٢٤٣)، مسلم (٢٦٥٧).

- **وقد يكونُ المعنى اللغويُّ غيرَ مرادٍ للشرع من أصلِه**، ولا يحقق ما يريد الشرعُ، فيُغيِّر الشرعُ هذا المعنى اللغويَّ إلى معنى آخر يفي بمطلوبِ الشرعِ، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» **قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ**: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[١].

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»[٢].

والخلافُ بين أهلِ السنةِ وغيرهم ليس على المعنى اللغوي للإيمان، ولكن على المعنى الشرعي، فالمرجعُ فيه للأدلة الشرعية، فضلًا على أنَّ المعنى اللغويَّ لا يسلمُ لهم.

- **أنَّ اللفظَ يكونُ معناه بحسَبِ مناطِهِ:**

فإن وردَ في اللغةِ فمدارُه على المعنى اللغوي، وإن ورد في أعرافِ الناسِ فمدارُه على المعنى العرفي، وإن ورد في الشرع فمردُّه ومرجعُه للمعنى الشرعي.

فلفظُ الصلاةِ معناه في اللغة: الدعاء، بخلاف المعنى الشرعي الذي يعني أقوالًا وأفعالًا مخصوصةً مفتتحةً بالتكبيرِ، ومختتمةً بالتسليم، فأينما ذُكِر في الشرع قُصِد به المعنى الشرعي بديهة إلَّا بدليل من الشرع يدلُّ أنَّه في موضعٍ ما عدلَ الشرعُ من المعنى الشرعي إلى المعنى اللغوي، **كقوله** ﷺ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا، فَلْيَطْعَمْ**»[٣]، وفي رواية «**فَإِنْ**

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٨١).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦١١٤)، مسلم (٢٦٠٩).

(٣) أخرجه: مسلم (١٤٣١).

كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَدْعُ»[(١)]، فعُلِم أنَّ معنى الصلاة هنا هو الدعاء.

وهذا العدولُ إلى المعنى اللغوي لا يكونُ تغييرًا لمعنى الصلاةِ في الشرع من أصلِه، وإنَّما يكونُ عدولًا في هذا الدليلِ فقط،ويبقى معنى الصلاةِ على أصلِه الذي هو المعنى الشرعي.

وكذلك لفظُ الصيامِ فمعناه في اللغة: مجردُ الإمساكِ، لكن معناه في الشرعِ: الإمساكُ عن الطعامِ والشرابِ والشهوةِ من طلوعِ الفجرِ إلى غروبِ الشمس بنيةٍ، فأينما ذُكر لفظُ الصيامِ أُريد به المعنى الشرعي ما لم يرد نصٌّ مِنَ الشرع يعدلُ عن هذا المعنى إلى غيرِه كقوله ﷻ: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ **[مريم: ٢٦]**، فالمراد بالصيام هنا الإمساك عن الكلام بدليل قوله تعالى (فلن أكلم اليوم إنسيًّا).

فهذا لا يكون تغييرًا لمعنى الصيامِ من أصلِه، لكنه عدولٌ في هذا الدليلِ فقط.

وهكذا الإيمانُ فإنَّه وإن كان له معنى لغوي فهو له معنى شرعي، فلو فُرض أنَّه في المعنى اللغوي يعني التصديقَ، فلابدَّ من النظرِ للمعنى الشرعي، بل ويكون هو الأصل، فأينما ذُكِرَ الإيمانُ في الشرع فإنَّه يرادُ به المعنى الشرعي إلَّا إذا دلَّ دليلٌ على عدولِه في دليلٍ عن المعنى الشرعي إلى المعنى اللغوي، ويكون هذا العدولُ قاصرًا على الحالةِ والدليلِ الذي قُصِرَ فيها، ولا يكونُ تغييرًا للمعنى الشرعي برمَّتِه من أصلهِ.

❁ ثانيًا: تعريفُ الإيمانِ شرعًا:

اختلف الناسُ في حدِّ الإيمانِ شرعًا:

- **الكرَّامية:** قالوا: الإيمانُ قولُ اللسانِ، وهذا رأيٌ باطلٌ بالبديهة؛ إذ إنه يَحكُمُ

---

(١) أخرجه: أبوداود (٣٧٣٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

بإيمان المنافقين، الذين أظهروا الإسلام وقالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله بألسنتهم، لكنهم أَخْفَوُا الكفر وحاربوا الله ورسوله، فمع قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله، لكن حَكَمَ الله بكفرهم، ونهى عن الصلاة عليهم، والوقوف على قبورهم قال تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

- **الجهمية**: قالوا: الإيمانُ هو المعرفةُ، وهو قولٌ باطلٌ أيضًا بالبديهة؛ إذ إنه يقضي بإيمان فرعونَ، وإبليسَ ممن ثبت لهم المعرفةُ، ففرعون قال عنه الله ﷻ ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [**النمل**: ١٤]، وإبليس كان يعرفُ ربَّه، قال عنه الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [**الحجر**: ٣٩]، وقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

- **المرجئة: وهم فريقان:**

فريقٌ منهم قال: الإيمانُ قولٌ باللسانِ فقط، وهم الكرَّامية وأمثالهم، ومنهم من قال: هو المعرفة فقط وهم الجهمية، وقد سبق.

وفريقٌ آخرُ يُسَمَّى مرجئةَ الفقهاءِ، وهم يقولون: الإيمانُ تصديقٌ بالقلبِ، وإقرارٌ باللسان، ويُخرِجون العملَ من الإيمان.

- **الخوارجُ قالوا**: الإيمان قولٌ وعملٌ.

- **أهلُ السنةِ قالوا**: الإيمان قولٌ وعملٌ.

والفرقُ بين قولِ أهلِ السنةِ والخوارجِ:

أنَّ أهلَ السنةِ يجعلون العمل جملةً ركنًا من الإيمانِ.

أما الخوارج يجعلون كلَّ عملٍ من الواجبات بمفرده ركنًا من الإيمانِ.

فعند أهلِ السنةِ مَن أَخَلَّ بكلِّ الأعمالِ فقد أخلَّ بركنٍ من أركان الإيمانِ، وعند الخوارجِ مَن أخلَّ بأي عملٍ من الأعمال الواجبة فقد أخلَّ بركنٍ من أركان

الإيمانِ، فبينهما فرقٌ كبيرٌ، وبونٌ شاسعٌ.

مناقشةُ مذهبِ المرجئةِ:

يخصُّ العلماءُ الحديثَ في مسألةِ الإيمانِ بالحديث عنِ المرجئةِ؛ لأنَّهم الأكثرُ انتشارًا، وأثرًا من غيرهم من الفِرَقِ.

- **لِمَ سُمِّيتِ المرجئةُ بالمرجئةِ؟**

المرجئةُ: سُمُّوا مرجئةً لأنَّهم أرجأوا العملَ عن مُسمَّى الإيمانِ، وأخَّرُوه عنه، وقيل لأنهم يُغَلِّبون باب الرجاء، ويجعلون العبد آمنًا بلا عمل.

قال الحافظ ابن حجر: والمُرْجِئةُ بضم الميم وكسر الجيم بعدها ياء مهموزة، ويجوز تشديدها بلا همز نُسِبُوا إلى الإرجاء وهو التأخير؛ لأنهم أخَّروا الأعمال عنِ الإيمان، فقالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط[1].

- **أوَّلُ مَن تكلَّم بالإرجاءِ:**

قال الإمام أحمد بن حنبل: ذَرُّ بنُ عبد اللهِ الهمدانيُّ[2] هو أول من تكلم في الإرجاء.

وشكا ذَرٌّ سعيدَ بنَ جبيرٍ[3] لأحد العلماء، قال: سلَّمْتُ عليه، فلم يردَّ عليَّ،

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ١٦٩).

(٢) ذَرُّ بنُ عبدِ اللهِ الهمداني، قال أبو داودَ: كَانَ مُرْجِئًا، ذكر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم قال: قلت لأبي حاتم الرازي: ما تقول في ذَرِّ بن عبد الله الهمداني، فقال: كان يرى الإرجاء، قال أبو نعيم الفضل بن دكين في تسمية من ينسب إلى الإرجاء من أهل الكوفة ذَرُّ بن عبد الله الهمداني وابنه عمر بن ذَرٍّ.

(٣) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمد، أحد الأعلام، روى عن ابن عباس، وعبد الله بن مغفل، وعائشة، وأبي هريرة، وعن ابن عمر، وابن الزبير، وكان من كبار العلماء، قرأ القرآن على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة، قُتِلَ عام ٩٥هـ.

فكلمه فيه، فقال سعيد: إنَّ هذا يُحدِث كل يوم ذنبًا، والله لا كلمتُه أبدًا[١].

وقيل: أول مَن قال بالإرجاء حمَّادُ بنُ أبي سليمانَ[٢] شيخُ الإمامِ أبي حنيفةَ.

والأقرب - والله أعلم - أنَّ أوَّل مَن قال به: ذَرُّ بن عبدالله، والذي نشرَه هو حمَّاد بن أبي سليمان، ويشهد لذلك: ما حكاه معمر[٣] عنه حيث قال: قلت لحماد: كنتَ رأسًا، وكنتَ إمامًا في أصحابك، فخالفتَهم فصرتَ تابعًا، قال: إني أن أكون تابعًا في الحق خير من أن أكون رأسًا في الباطل.قلتُ: يشير معمر إلى أنه تحول مرجئًا إرجاء الفقهاء[٤].

وقال ابن عون[٥] عجبًا لحماد يذهب فيَشِى بذَرٍّ إلى إبراهيمَ، ثم يدخل في الإرجاء[٦].

فكل هذا يدل على أنه لم يكن أول من قال به، بل كان تابعًا لغيره.

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٣٢).

(٢) حماد بن أبي سليمان العلامة الإمام فقيه العراق، أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي مولى الأشعريين، قال ابن عيينة: كان معمر يقول: لم أر من هؤلاء أفقه من الزهري، وحماد، وقتادة، وقال النسائي: ثقة مرجئ، مات حماد سنة عشرين ومئة من الهجرة.

(٣) الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عروة بن أبي عمرو، مولده سنة خمس أو ست وتسعين من الهجرة، وشهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حدث، وكان أحمد يقول: ما أضم أحدًا إلى معمر إلا وجدت معمرًا أطلَبَ للحديث منه، مات سنة ١٥٤هـ.

(٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٣).

(٥) عبد الله بن عون بن أرطبان، الإمام القدوة الحافظ، عالم البصرة، أبو عون المزني ولد سنة ٦٦هـ، قال هشام بن حسان: لم تر عيناي مثل ابن عون، وقال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا أفضل من ابن عون، وقال شعبة: شَكُّ ابنِ عونٍ أحبُّ إليَّ من يقين غيره، ومات عام ١٥١هـ.

(٦) ضعفاء العقيلي (١/ ٣٠٥).

❁ أدلةُ المرجئةِ ومناقشتُها:

-قال تعالى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ -٣]، وأدلة أخرى على هذا النحو جاء فيها عطف الإيمان على العمل الصالح.

قالوا: إنَّ الإيمانَ عُطِف على العملِ الصالحِ، والعطفُ يقتضي المغايرةَ، فدلَّ على أنَّ الإيمانَ غيرُ العملِ الصالحِ.

- واستدلُّوا بحديث البطاقةِ، عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ عنِ النبيِّ ﷺ:" إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[1].

وهذا يدلُّ على أنَّ هذا الرجلَ لم يعملْ منَ الأعمالِ شيئًا، وليس عنده من الحسناتِ إلا هذه البطاقة، وهو قولُه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومع ذلك فإنه قد نجا.

- واستدلوا بحديث الشفاعةِ: وفيه **أنَّ اللهَ** ﷻ **يقولُ للملائكةِ "...ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا "، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ

---

(١) سبق تخريجه.

ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٩]، **فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...»**[1].

- **واستدلوا أيضًا** بحديثِ حذيفةَ رضي الله عنه، **عنْ حُذَيْفَةَ** رضي الله عنه **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صلى الله عليه وسلم: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا نُسُكٌ، وَيُسَرَّى عَلَى كِتَابِ اللهِ**[2] **فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَيَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا**».

قَالَ صِلَةُ بْنُ زُفَرَ لِحُذَيْفَةَ: فَمَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا نُسُكٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ»[3].

وهذا يدلُّ على أنَّهم ينجون من النارِ، ولم يعملوا أي عمل.

- **واستدلوا بأدلة أخرى عامتها تذكر أنَّ مَن قال لا إله إلا الله نجا يوم القيامة، ومنها:**

قولُه صلى الله عليه وسلم: «**...مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»[4].

---

(١) أخرجه: مسلم (١٨٣).

(٢) (يَدْرُسُ الإسلام) من درس الرسم دروسًا إذا عفا وهلك، (وَشْيُ الثوب) نقشه، (ويُسَرَّى على كتاب الله) أي يذهب بالليل.

(٣) أخرجه: ابن ماجه (٤٠٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٧٧).

(٤) **متفق عليه:** أخرجه: البخاري (١٢٨)، مسلم (٣٢).

ومنها: قولُه ﷺ: "...فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ "(١).

ومنها: قولُه ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٢).

ومنها: قولُه ﷺ: «...مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣)، وغير ذلك من الأدلة.

۞ مناقشةُ أدلةِ المرجئةِ:

قبل مناقشةِ الأدلةِ لا بد من بيانِ أمرٍ هامٍّ:

وهو أنَّ الاستدلالَ إذا كان لتأصيلِ المسائلِ فلا بدَّ فيه من أمورٍ:

أولًا: أن تكونَ الأدلةُ صحيحةً، وغيرَ محتملةٍ للتأويل، أو لمعنى آخر، وإلَّا لو كانت الأدلةُ محتملةً لمعانٍ أخرى لا تسلمُ للتأصيلِ لمسألةٍ يُنازَعُ في فهمِها، والاستدلالِ لها.

ثانيًا: لابد من جمع الأدلةِ في الباب، ولا يُؤخَذ الحكمُ من دليل، ويُترَك آخر ويُهمَل؛ لأنَّ ذلك إهمالٌ للنصوصِ، وحَرِيٌّ أن يوقِعَ العبدَ في الخطأ، وإلا سيؤدي ذلك لضربِ النصوص بعضِها ببعضٍ، والحَيْدِ عن الحقِّ في كثير من المسائل؛ ولأنَّ الدليلَ قد يكونُ عامًّا، ويكونُ تخصيصُه في مكانٍ آخرَ، أو مطلقًا، وتقييدُه في نصٍّ آخر، أو منسوخًا، والناسخُ نصٌّ منفصلٌ آخر، وهكذا.

ثالثًا: أن تكونَ الأدلةُ سِيقت في وقتِ الاختيارِ، وغيابِ العوارضِ والضروراتِ؛ لأنَّ المسائل عند العوارضِ والضروراتِ يكون لها أحكامٌ أخرى،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٤٠١)، مسلم (٣٣).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٦).

(٣) أخرجه: أحمد (٢٢٠٦٠)، والطبراني في الكبير (٧٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٥٥)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

وفي أغلبها تكونُ مخالفةً للحكمِ الأصلي، فإباحةُ أكلِ الميتةِ للمضطر لا يعني حِلَّه مطلقًا، بل وقت الضرورة فقط، بل إنَّ حلَّها وقتَ الضرورة يعني أنَّها محرمةٌ في أصلها، وعند غياب الضرورة.

رابعًا: ألَّا تكونَ الحادثةُ المُسْتَدَلُّ بها حادثةَ عينٍ، خاصةً بفردٍ، أو بفئةٍ، وهذا يظهر من الأدلة الأخرى، وإلا لعُمِّمَ حكمٌ لم يُرِدِ الشرعُ تعميمَه، ووُسِّع في أمر ضيَّقه الشرعُ.

مناقشةُ الدليلِ الأولِ:

وهو استدلالُهم بعطف الإيمان على العمل الصالح، وأنَّ العطفَ يقتضي المغايرةَ، وهذا قول صواب أنَّ العطف في أصله يقتضي المغايرة، ولكن المغايرة أنواع لا بد من معرفتها حتى يستقيم الفهم.

أنواعُ المغايرةِ:

النوع الأول: المغايرةُ في الذاتِ، وهذا ما عنوه، كقوله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [**البقرة: ١٢٣**].

النوع الثاني: المغايرةُ في الصفاتِ: وإن كانت الذاتُ واحدةً، لكنَّ العطفَ هنا يعني أنَّهما متغايران صفةً، كقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [**الحجر: ١**]، فعُطِف الكتابُ على القرآن، وهما ذات واحدة وشيء واحد، لكنهما متغايران في الصفة، فالكتاب يعني المكتوب، والقرآن يعني المقروء.

وقول النبيِّ ﷺ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»[1]، فكلُّها أوصاف لذات واحدة وهو النبي ﷺ، لكن لكل صفة معنى مغاير للآخر؛ لذا صح عطفها على بعضها، فمع أنها متحدة الذات، لكنها متغايرة

---

(١) سبق تخريجه.

الصفات والمعنى.

النوع الثالث: المغايرةُ بين الجزءِ والكلِّ، والعامِّ والخاصِّ، قال تعالى ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [**البقرة: ٩٨**]، فعطف الملائكة على جبريل وميكائيل هو من باب عطف العام على الخاص، إذًا فالاستدلالُ بالعطفِ فقط لا يسلمُ لهم لاعتبارِهم هذا العطفَ دليلًا على مغايرةِ الذاتِ؛ لأنه قد يكونُ من بابِ مغايرةِ الصفاتِ، وقد يكونُ من بابِ عطفِ الكلِّ على الجزءِ كما يقول بذلك أهلُ السنةِ، فعطف الإيمان على العمل الصالح عندهم من النوع الثالث وهو من عطف الكل على الجزء، وليس من عطف الذات على الذات المغايرة لها.

مناقشةُ الدليلِ الثاني:

وهو حديثُ البطاقةِ: وحديثُ البطاقةِ لا بدَّ من جمعِه مع الأدلةِ الأخرى التى تبين أنَّه قالها بشروطها من الصدق والإخلاصٍ، وغير ذلك، ومات على ذلك، حتى لا تُهمَل الأدلة الأخرى، وهذا لم يَرِد في النص، بل أتى من أدلة أخرى، وكذلك العمل، فإنه واردٌ في أدلة أخرى.

والظاهر: أنَّ هذه حادثةُ عينٍ خاصةٌ بهذا الرجلِ فلا تُعمَّم، والدليلُ على أنَّها حادثةٌ خاصةٌ بعض الأمور، منها:

- أنَّه لم يدخل النارَ، ودخل الجنةَ ابتداءً، فلو كانت هذه البطاقةُ هي بمجردِ قوله: لا إله إلا الله، لا لشيء آخر لكان في هذا نجاة لكلِّ مسلمٍ، لأنَّ كلَّ مسلمٍ يقول: لا إله إلا الله، وهذا يعني أنَّ كلَّ مسلمٍ معه مثل هذه البطاقة، ونتيجة ذلك ألَّا يدخلَ مسلمٌ النارَ وهذا مخالفٌ لنصوص الكتابِ والسنةِ.

- ومما يشهد أيضًا لكونها حادثة خاصة قوله ﷺ "**إنَّ الله سيُخَلِّص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا...**"، وقوله "**سيُخَلِّص رجلًا من أمتي**" يشير إلى أنه خاص برجل معين، وليس حكمًا عامًّا، وإلا فما فائدة قوله (سيُخَلِّصُ رجلًا من أمتي) إن كان الحكم عامًّا لكل من

يقول لا إله إلا الله أي لكل الأمة.

- ومما يبين ذلك أيضًا أنَّ لفظ (رجلًا) في الحديث لفظ مطلق؛ لأنه نكرة في سياق الإثبات، وليس عامًّا، واللفظ المطلق لا يُعَمَّم، فلا يشمل كلَّ رجلٍ، بل هو رجلٌ واحدٌ.

مناقشةُ الدليلِ الثالثِ:

وهو قوله ﷺ" لم يعْملوا خيرًا قطُّ ".

ولبيان ذلك لا بد من النظر لمعنى هذه الكلمة.

وبالنظر لمعناها يُعلَم أنها تطلقُ على أمورٍ:

- منها أنَّ المراد لم يعملوا أيَّ عملٍ قط، ولم يأتوا به لا مُحْكَمًا ولا مع الخللِ.

- وهي كذلك تُطْلَقُ على مَن عَمِل عملًا قليلًا.

- وتطلقُ أيضًا على مَن عَمِل عملًا ضعيفًا أي به الخللُ، وعدمُ الإحكامِ، فيكون نفي العمل أي نفي إتقانه.

قال أبوعبيد القاسم[1]: هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المُستَنكَر في إزالة العمل عن عامله، إذا كان عمله على غير حقيقته، ألا ترى أنهم يقولون للصَّانع إذا كان ليس بمُحكِمٍ لعمله: ما صنعتَ شيئًا، ولا عمِلتَ عَمَلًا، وإنَّما وقع معناهم هاهنا على نفي التَّجويد، لا على الصَّنعة نفسِها، فهو عندهم عاملٌ بالاسم، وغير عاملٍ في الإتقان[2].

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، الإمام، الحافظ، المجتهد، كان عالمًا بالقراءات، والفقه، والنحو، وغيرها من العلوم، وله مصنفات كثيرة، ومنها: كتاب " الأموال "، و" الغريب "، و" فضائل القرآن "، و" الطهور "، و" المواعظ "، وغيرها، مات ٢٢٤هـ.

(٢) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (١/ ٨٠).

ونفى ﷺ الإيمانَ عمَّن لا أمانةَ له، **عنْ أَنَسٍ** رضي الله عنه **قَالَ: مَا خَطَبَنَا النَّبِيُّ** ﷺ **إِلَّا قَالَ" لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ "**[١].

والمرادُ: أنَّ إيمانَه غيرُ كاملٍ، وبه خللٌ.

وكذلك فهؤلاء الذين لم يعملوا خيرًا قط عند الجميع لابدَّ أنَّهم يقولون: لا إله إلا الله، وهي من عمل اللسانِ، ولم ترد في الحديثِ، ولكنَّها وردت في أدلةٍ أخرى.

وممَّا يدلُّ على وجودِ العملِ، وأنَّ المرادَ قلةُ العملِ لا نفيُه مطلقًا الروايةُ الأخرى للحديث.

- وسبق في المقدمات أنه لا بد من جمع الأدلة في المسألة للوصول إلى الحق، ففي الرواية الأخرى"...**حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِن ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...**"[٢].

فالروايتان تناولتا نفسَ المسألةِ، ونفسَ التفصيلِ، وفي رواية قال: لم يعملوا خيرًا قط،

والأخرى: تثبت أنَّهم كانوا يعملون أعمالًا، كالصلاة في قوله" فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلامَةِ آثَارِ السُّجُودِ".

ونفيُ العملِ عنهم في الروايةِ الأولى لا لعدمِ وجودِه، ولكن لقلَّتِه، وأنَّه عملٌ يسيرٌ، بالنظر للواجب عليهم، أو أنه عَمَلٌ به الخللَ الكبير.

وفي الحديث أيضًا: أنَّ مَن أخرجَهم اللهُ برحمتِه كانوا يُصَلُّون، مع أنَّ الملائكةَ

---

(١) أخرجه: أحمد (١٣١٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٧٩).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٥٧٣).

قالوا: لم نذر فيها خيرًا أي فيما يرَون، لكنَّه قد بقي فيها بعضُ الخيرِ، أو قالوا ذلك لقلَّتِه، وأنَّه قليلٌ لا يُذْكَر ولا يُنجِّي.

مناقشةُ الدليلِ الرابعِ:

أثر حذيفةَ وصلةَ:

والحديث يظهرُ فيه إخبار النبي ﷺ أنَّ هؤلاء سيكونون في آخرِ الزمانِ وقت اندراسِ الإسلامِ وأحكامِه، وانتشارِ الجهلِ، وغيابِ العلمِ، والعبد مكلَّفٌ بالعلمِ، فهذا زمنُ وجودِ العارضِ، وهو عارضُ الجهلِ، وغيابُ العلمِ، ولكنَّه عارضٌ عامٌّ في هذا الزمانِ.

وسبق في المقدمات أنَّ الدليلَ لابد أن يكونَ عند غيابِ العارضِ، وإلَّا فاعتراضُ صلةَ، وسكوتُ حذيفةَ مع وجودِ العارضِ لَأكبرُ دليلٍ على أنَّه عند غيابِ العارضِ لا ينفعهم ذلك كباقي الأحكامِ التي تباحُ عند العوارضِ، ولابدَّ أن تكونَ ممنوعةً عند غيابِ العارضِ، وإلا فما فائدةُ ارتباطِها بالعارضِ إن كان الحكمُ واحدًا عند وجودِ العارضِ وعند غيابِه.

مناقشةُ الدليلِ الخامسِ:

وهي عمومُ الأدلةِ التي قال فيها ﷺ: " من قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ".

وهذه يتضحُ المرادُ منها بجمعِ الأدلةِ، فلا يُؤخَذُ الحكمُ من دليلٍ واحدٍ، ويُهْمَلُ الآخرُ، وإلا فعامَّة هذه الأدلةَ وأغلبها لا تَذْكُرُ مجرد قول لا إله إلاَّ الله، بل إنها تشترط معها بعض الشروط التي لا يخلو من تَحَلَّى بها، وقرَّت في قلبه من العمل، فمنها ما يَشترط أن يقولها بصدق من قلبه كقولِه ﷺ: «...**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»[1].

---

(١) سبق تخريجه.

ومنها ما يَشترط أن يقولها ابتغاء وجه الله تعالى كقولِه ﷺ: **"...فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ "**[١].

ومنها ما يَشترط أن يقولها مع العلم بها أي بمعناها، وما تقتضيه، وما يترتب عليها **كقولِه** ﷺ: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»**[٢].

ومنها ما يَشترط أن يقولها بإخلاص لا رياء فيه ولا سمعة، وكذلك أن يقولها مُوقِنًا بها **كقولِه** ﷺ: **"...مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ"**[٣]، وغير ذلك من الأدلة.

- وكذلك فإنَّ هذه الأدلة ليس في أغلبها أنه قال "محمد رسول الله"، ولم يقل أحد أنها ليست شرطًا، بل يُقال إنَّ اشتراطها ورد في أدلة اخرى، وكذلك العمل فإنه يؤخذ من الأدلة الأخرى، فيشترط ارتباطها بالعمل إن تمكن منه، وهذا يتضح في الأدلة التي استدل بها أهلُ السنةِ والتي ستُذكرُ قريبًا إن شاء الله، وإلا فمَن قالها بصدقٍ وعلمٍ وإخلاصٍ، موقنًا بها ويبتغي بها وجهَه على الحقيقة كيف يلقاه بغيرِ عملٍ؟!

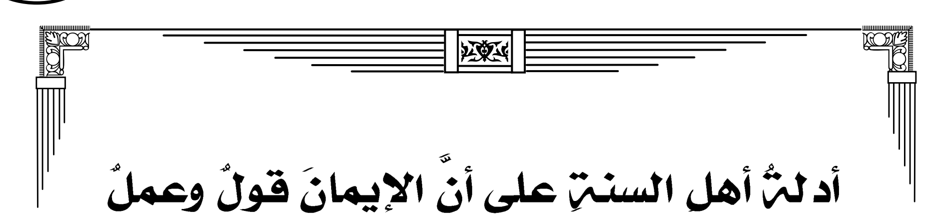
بل إنَّ العملَ هو دليلُ الصدقِ، والإخلاصِ، والعلمِ الحقيقيِّ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه: أحمد (٢٢٠٦٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٥٥)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.



أدلة أهل السنة على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ

أولًا: الأدلةُ مِنَ القرآنِ:

- قال تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، وفي الآية يبين الله تعالى أنَّ ما أمر الله به عباده هو العبادة مع الإخلاص، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأمرهم بالتوحيد والأعمال معًا، بل وبين سبحانه وتعالى أنَّ ذلك هو الدين القويم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد استدلَّ كثيرٌ من الأئمَّة كالزُّهريِّ والشَّافعيِّ، بهذه الآية الكريمة على أنَّ الأعمال داخلةٌ في الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[1].

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: وقد استدَلَّ على أنَّ الأعمال تدخلُ في الإيمانِ بهذه الآيةِ، وهي قولُه:(وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)، طوائفُ من الأئمةِ، منهم: الشافعيُّ، وأحمدُ، والحميديُّ[3]، وقال الشافعيُّ: ليسَ عليهم أحجُّ من هذه الآيةِ،

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٦).

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي: حافظ للحديث، ولد في بغداد عام ٧٣٦ هـ، من كتبه (شرح جامع الترمذي)، و(جامع العلوم والحكم)، و(القواعد الفقهية)، و (لطائف المعارف)، و(فتح الباري شرح صحيح البخاري)، توفي عام ٧٩٥ هـ.

(٣) عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيدالله بن أسامة، الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحرم، صاحب المسند، قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام، وقال أبو حاتم: أثبت الناس في ابن عيينة الحميدي، وهو رئيس أصحاب ابن عيينة، وهو ثقة إمام، توفي سنة ٢١٩، وقيل ٢٢٠هـ.

واستدلَّ الأوزاعيُّ بقولِهِ تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾[الشورى:١٣] إلى قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[الشورى:١٣]، وقال: الدِّينُ: الإيمانُ والعملُ[١].

عن أبي عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشَّافِعِي[٢] قال: سمعت أبي يقول ليلةً للحميدي: ما يُحَجُّ عليهم (يعني: على أهل الإرجاء) بآية أحجَّ من قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:٥] الآية[٣].

- قال تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [**التوبة: ٥**]، وقال تعالى ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [**التوبة: ١١**].

فجعل الله تعالى في الآية شرطَ تخليةِ السبيلِ، والأُخُوَّةِ في الدين أن يتوبوا إلى الله تعالى ويسلموا، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فقرن العمل مع التوبة والإسلام لتحقيق المشروط ألا وهو تخلية السبيل، والأُخُوَّةُ في الدين.

- قال تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [**الأنعام: ١٥٨**]، وهنا علق سبحانه وتعالى عدم النجاة وعدم النفع بصفتين: من لم يؤمن قبل مجيء الآيات، أو آمن لكنه لم يكسب، ولم يعمل خيرًا.

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٣٣).

(٢) محمد بن محمد بن إدريس كنيته أبوعثمان، وهو ابن الإمام الجليل الشافعي، وسمع وتعلم من أبيه، وسمع سفيان بن عيينة، وكان يسأل الإمام أحمد بن حنبل عن أشياء كثيرة، مات أبو عثمان سنة إحدى وثمانين ومائتين من الهجرة.

(٣) تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٤٥٦).

قال الإمام الشوكاني[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمعنى: أنه لا ينفع نفسًا إيمانُها عند حضور الآيات متصفة بأنها لم تكن آمنَتْ من قبل، أَوْ آمنَتْ من قبل، ولكن لم تكسب في إيمانها خيرًا، فحصل من هذا أنه لا ينفع إلا الجمع بين الإيمان مِن قبلِ مجيءِ بعض الآيات مع كسب الخير في الإيمان، فمَن آمن مِن قبلُ فقط، ولم يكسب خيرًا في إيمانه، أو كسب خيرًا، ولم يؤمن فإنَّ ذلك غير نافعه، وهذا التركيب هو كقولك: لا أُعطِي رجلًا اليوم أتاني لم يأتني بالأمس، أو لم يمدحني في إتيانه إليَّ بالأمس، فإنَّ المستفاد من هذا أنه لا يستحق العطاء إلا رجلٌ أتاه بالأمس، ومدحه في إتيانه إليه بالأمس[2].

- وممَّا استدلَّ به أهل السنة قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: "...لَمَّا حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ، قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصْحَابُنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأُنْزِلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ﴾[3].

وفقه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تراجمه وتبويبه، فبَوَّبَ لهذا الحديث (باب الصلاة من الإيمان)[4].

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا هو الذي بوَّبَ عليه البخاريُّ في هذا الموضع؛ ولأجلِهِ ساقَ حديثَ البراءِ فيه، وكذلك استدلَّ به ابنُ عيينةَ، وغيرُهُ من

---

(١) هو الإمام العلامة محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكاني، ولد سنة ١١٧٢هـ، طلب العلم مبكرًا، وتفرغ له، قرأ القرآن في صغره، له مؤلفات عدة منها: (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار)، وكتاب (أدب الطلب ومنتهى الأرب)، وغيرها، توفي عام ١٢٥٠هـ.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٠٦).

(٣) أخرجه: أحمد (٢٦٩١)، أبو داود (٤٦٨٠)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤) صحيح البخاري (١/ ١٦).

العلماءِ على أنَّ الصلاةَ من الإيمانِ[١].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسمَّى الله الطهور والصلوات إيمانًا في كتابه، وذلك حين صرف الله تعالى وجه نبيه ﷺ من الصلاة إلى بيت المقدس، وأمره بالصلاة إلى الكعبة.

كان المسلمون قد صلَّوا إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، فقالوا: يا رسول الله، أرأيت صلاتنا التى كنا نصليها إلى بيت المقدس، ما حالها وحالنا؟

فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [**البقرة: ١٤٣**] الآية.

فسمَّى الصلاة إيمانـًا، فمن لقي ربه حافظـًا لصلواته، حافظـًا لجوارحه، مؤديـًا بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله به، وفرض عليها لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة، ومن كان لشيء منها تاركًا متعمدًا مما أمر الله به لقي الله ناقص الإيمان[٢].

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ أي: صلاتكم فجعل الصلاة إيمانا، وهذا دليل على المرجئة؛ حيث لم يجعلوا الصلاة من الإيمان، وإنما سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان، وحُكِي: أنَّ أبا يوسف شهد عند شريك بن عبد الله[٤] القاضي فرَدَّ شهادته، قيل له أترد شهادة

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلى (١/ ١٢٧).

(٢) تفسير الإمام الشافعي (١/ ٢٢٩).

(٣) منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني، الخراساني المروزي، ولد في سنة ٤٦٧هـ، وسمع من أبي الخير محمد بن أبي عمران الصفار " صحيح البخاري " حضورًا، وسمع من أبيه وأبي القاسم الزاهري، وغيرهم كثير، توفي سنة ٥١٠هـ.

(٤) شريك بن عبد الله: العلامة، الحافظ، القاضي، أبو عبد الله النخعي، ولد في سنة ٩٥هـ، أحد الأعلام، وكان من كبار الفقهاء، قال عيسى بن يونس: ما رأيت أحدًا أورع في عمله من شريك، مات سنة سبع أو ثمان وسبعين ومئة من الهجرة.

يعقوب؟ فقال: كيف أقبل شهادة من يقول: إن الصلاة ليست من الإيمان؟![1].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: ودخل في ذلك مَن مات من المؤمنين قبل تحويل الكعبة، فإنَّ الله لا يضيع إيمانهم، لكونهم امتثلوا أمر الله وطاعة رسوله في وقتها، وطاعة الله امتثال أمره في كل وقت، بحسب ذلك، وفي هذه الآية، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أنَّ الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح[3].

والأصل أنَّ الشيءَ لا يُسمَّى بجزئِه إلا إذا كان الجزءُ ركنًا فيه، وهذا يرجح قول من يقول من أهل السنة أنَّ الأعمالَ ركنٌ وليست شرطًا؛ إذ إنَّ الشيءَ يُعَبَّرُ عنه بجزئه لا بشرطه؛ لأنَّ الجزء داخل في ماهيته بخلاف الشرط فهو خارج عنه.

- ومنه قوله تعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾**[الفرقان: ٧٧]**، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ ﴾ [الفرقان:٧٧]يَقُولُ: لَوْلَا إِيمَانُكُمْ[4].

وبَوَّبَ البخاري لذلك باب" دعاؤكم إيمانكم"، وذكر حديث بني الإسلا م على خمس ثم ذكر بعده الآية، وقال: ومعنى الدعاء في اللغة الإيمان.

وعلق الحافظ ابن حجر في الشرح فقال: ووجه الدلالة للمصنف أنَّ الدعاء عمل، وقد أطلقه على الإيمان فيصح إطلاق: أنَّ الإيمانَ عملٌ[5].

---

(١) تفسير السمعاني (١/ ١٥٠).

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر، ولد عام ١٣٠٧هـ، نشأ يتيمًا، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه، ورغبته الشديدة في العلوم، ومن مصنفاته: (تيسير الكريم المنان)، و(الدرة المختصرة في محاسن الإسلام)، و(القول السديد في مقاصد التوحيد)، وغيرها، توفي عام ١٣٧٦هـ.

(٣) تفسير السعدي (١/ ٧٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٤).

(٥) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٤٩).

❁ ثانيًا: الأدلةُ منَ السنةِ:

- عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عنِ النبيِّ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[1].

فحصر النبيُّ ﷺ الإيمانَ في شُعَبٍ، وشُعَبُ الشيءِ لابد وحتمًا أن تكون منه.

(فأعمالُ القلوبِ) قسمٌ، وتحتها شُعَبٌ، وضرب مثالًا لها بالحياءِ.

(وأفعالُ اللسانِ) قسمٌ، وتحتها شُعَبٌ، وضرب مثالًا لها بقولِ لا إله إلا الله.

(وأعمالُ الجوارحِ) قسمٌ، وتحتها شُعَبٌ، وضرب مثالًا له بأدنى شعبةٍ فيها ألا وهي إماطةُ الأذى عن الطريق.

وشُعَبُ الشيءِ وأقسامُه منه، فإنَّه لا يحسن أن نقسِّمَ أركانَ الإسلامِ مثلًا إلى خمسةِ أركانٍ ثم نقول: الصلاةُ ليست منها، أو الزكاةُ ليست منها، بل كلُّها من أركانِ الإسلامِ، وإن اختلفت مراتبها، أو أن نُقسِّمَ الصلاة إلى خمسةِ فرائض، ثم نأتي لصلاةِ الظهرِ، ونقول ليست من الصلواتِ.

وعليه فتقسيمُ النبيِّ ﷺ الإيمان إلى شُعَبٍ دلَّ أنَّ هذه الشُعَبَ جميعَها من الإيمانِ، وإن تفاوتت درجاتُها.

- عنْ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عنِ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[2].

وهذا يدلُّ على أنَّ تغييرَ المنكرِ باليدِ واللسانِ والقلبِ من الإيمانِ، فعَمَلُ اليدِ نصَّ النبيُّ ﷺ أنَّه من الإيمانِ، بل بيَّن أنَّ الإيمانَ محصورٌ في أحدِ هذه الثلاثةِ، وليس وراءَ ذلك من الإيمانِ حبةُ خردلٍ.

---

(١) أخرجه: مسلم (٣٥).

(٢) أخرجه: مسلم (٤٩).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»[1].

- عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» **قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ:** «**لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[2].

قال الحافظ ابن حجر:

وفي الحديث فوائد أخرى منها: أنَّ الدينَ يُطْلَقُ على العمل؛ لكونه سَمَّي النصيحةَ دينًا، وعلى هذا المعنى بني المصنفُ أكثرَ كتابِ الإيمانِ[3].

- ومما استدلَّ به أهلُ السنةِ: حديثُ وَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، **وفيه أنَّ النبيَّ ﷺ:"...أَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ:«أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ...**»[4]، فعرَّف النبيُّ ﷺ أركانَ الإيمانِ بالشهادتين، وأعمالِ الجوارحِ، وهي: إِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وإعطاءُ الخُمُسِ مِنَ المَغْنَمِ.

---

(١) أخرجه: مسلم (٥٠).

(٢) أخرجه: مسلم (٥٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٣٨).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٣)، مسلم (١٧).

ثالثًا: ومما استدلَّ به أهلُ السنةِ أيضًا الإجماعُ:

- قال الشافعيُّ: وكان الإجماعُ من الصحابةِ والتابعين وتابعيهم أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ونيةٌ، لا يجزئ واحدٌ من الثلاثةِ إلا بالآخر[١].

- قال الإمامُ البغويُّ[٢]: اتفقتِ الصحابةُ، والتابعون، ومَن بعدهم من علماءِ السنةِ على أنَّ الأعمالَ من الإيمانِ[٣].

- قال الإمام أحمدُ بنُ حنبل: هذه مذاهبُ أهلِ العلمِ، وأصحابِ الأثرِ، وأهلِ السنةِ المتمسكين بعروقِها، المعروفين بها، المُقتدَى بهم من لدنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركتُ من علماءِ أهلِ الحجازِ والشامِ وغيرِهم، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهبِ، أو طعن فيها، أو عابَ قائلَها، فهو مبتدعٌ خارجٌ عنِ الجماعةِ، زائلٌ عن منهجِ السنةِ، وسبيلِ الحقِّ، فكان قولُهم: الإيمانُ قولٌ، وعملٌ، ونيةٌ، وتَمَسُّكٌ بالسنةِ[٤].

- قال ابن بطال[٥] في شرح البخاريِّ: ومذهبُ جماعةِ أهلِ السنةِ عن سلفِ

---

(١) الإيمان لابن تيمية (١/ ١٦٦).

(٢) الحسين بن مسعود بن محمد، الفرّاء، أو ابن الفَرَّاء، ويلقب بمحيي السنَّة، البغوي: فقيه، محدث، مفسر، ولد عام ٤٣٦ هـ، ونسبته إلى (بَغَا) من قرى خراسان، له (التهذيب) في فقه الشافعية، و(شرح السنة) في الحديث، و(لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير، وغيرها، توفي عام ٥١٠ هـ.

(٣) شرح السنة للبغوي (١/ ٣٨).

(٤) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٢٤).

(٥) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف بابن اللجام، أبو الحسن: شارح صحيح البخاري، قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، شرح الصحيح في عدة أسفار، ورواه الناس عنه، توفي سنة ٤٤٩ هـ.

الأمةِ وخلفِها أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ[(١)].

- قال أبوزرعة[(٢)] وأبوحاتم[(٣)]: أدْرَكْنا العلماءَ في جميع الأمصار حجازًا، وعراقًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص[(٤)].

- قال الإمام الآجُرِّي[(٥)]: ولا تجزئ معرفة القلب، ونطق اللسان حتى يكون عمل الجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث خصال كان مؤمنًا دل عليه القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين[(٦)].

- قال الأوزاعي: وكان مَن مَضَى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، فالعمل من الإيمان، والإيمان من العمل[(٧)].

- قال ابن تيمية: ولهذا كان القول: إنَّ الإيمان قول وعمل عند أهل السنة من

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٥٦).

(٢) الإمام، سيد الحفاظ، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد: محدث الري، مولده في المائتين، وطلب العلم وهو حدث، وكان إمامًا ربانيًّا، حافظًا متقنًا، قال عبد الله بن أحمد: لما ورد علينا أبو زرعة، نزل عندنا، فقال لي أبي: يا بني: قد اعتضت بنوافلي مذاكرة هذا الشيخ، توفي سنة ٢٦٤هـ.

(٣) أبو حاتم الرازي: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران: وهو من نظراء البخاري، ولد عام ١٩٥هـ، قال أحمد بن سلمة النيسابوري: ما رأيت بعد إسحاق، ومحمد بن يحيى أحفظ للحديث من أبي حاتم الرازي، ولا أعلم بمعانيه، توفي عام ٢٧٧هـ.

(٤) اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٦)..

(٥) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري: فقيهٌ شافعيٌّ مُحَدِّثٌ. نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، له تصانيف كثيرة منها: (كتاب الشريعة) في العقيدة، و(أخلاق حملة القرآن)، و(أخلاق العلماء)، و(التفرد والعزلة)، توفي عام٣٦٠ هـ.

(٦) الشريعة للآجري (٢/ ٦١١).

(٧) الإبانة لابن بطة (٢/ ٨٠٧).

شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك، وقد ذكرنا عن الشَّافعيِّ ﵁ ما ذكره من الإجماع على ذلك قوله في (الأُمِّ): وكان الإجماع من الصحابة، والتَّابعين مِن بعدِهِم، ومَن أدركناهم يقولون: إنَّ الإيمان قول، وعمل، ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر[1].

- قال أبوعمرالطلمنكي[2]: أجمع أهل السنة أنَّ الإيمان قول، وعمل، ونية، وإصابة السنة[3].

- قال الحافظ ابن رجب: وأكثر العلماء قالوا هو قول وعمل، وهذا كله إجماع من السلف، وعلماء الحديث، وحكى الشافعي إجماع الصحابة، والتابعين عليه، وحكى أبوثور الإجماع عليه[4].

- قال أبوعبيد القاسم بن سلام: فالأمر الذي عليه أهل السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا أنَّ الإيمان بالنية، والقول، والعمل جميعًا[5].

- قال الفضيل بن عياض[6]: يقول أهل السنة الإيمان المعرفة والقول والعمل[7].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٣٠٨).

(٢) الإمام المقرئ المحقق المحدث الحافظ الأثري، أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى، المعافري الأندلسي، كان من بحور العلم، أدخل الأندلس علمًا جمًّا نافعًا، وكان عجبًا في حفظ علوم القرآن، توفي في ذي الحجة سنة ٤٢٩هـ.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٣٣٢).

(٤) فتح الباري لابن رجب (١/ ٥).

(٥) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (١/ ٩).

(٦) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكيّ، ولد عام ١٠٥ هـ، وهو من أكابر العباد، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خَلْقٌ منهم الإمام الشافعيّ، ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، ثم سكن مكة، توفي عام ١٨٧ هـ.

(٧) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ٣٠٥).

رابعًا: آثارٌ عن السلف:

- عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قال: «لا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِأَحَدٍ تَرَكَ الصَّلَاةَ»(١).

والصلاةُ عملٌ، وحكَمَ عمرُ رضي الله عنه أنَّه لا حظَّ في الإسلامِ لمَن تركها، ولا حظَّ في الإسلام أي: لا نصيب له.

- عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: أنه رَأَى رَجُلًا لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلاَ سُجُودَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: «مَا صَلَّيْتَ؟» قَالَ: «لَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم عَلَيْهَا»(٢).

فهذا حُكْمُ حذيفة رضي الله عنه فيمن فرَّط في أركان الصلاة مع الإتيان بها أنه لو مات مات على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدًا صلى الله عليه وسلم، فما بالك فيمن فرَّط فيها كلِّها، بل ومَن فرَّط فيها مع غيرِها من الأعمال، ولم يأتِ بشيء من الأعمال، فكيف يكون على فطرة محمد صلى الله عليه وسلم؟!.

قال الحافظ ابن حجر: واستدل به على تكفير تارك الصلاة؛ لأنَّ ظاهره أنَّ حذيفة نفى الإسلام عمن أخلَّ ببعض أركانها، فيكون نفيه عمَّن أخلَّ بها كلها أولى، وهذا بناء على أنَّ المراد بالفطرة الدين(٣).

ومَن قال بأنَّ المراد بالفطرة هنا السنة أو الطريقة، والمراد به الزجر فقط، فلا يكون على قوله في الأثر استدلال لما ذكرنا، والله أعلم.

خامسًا: الاستدلال العقلي:

قال أبو ثور(٤) رحمه الله: فأما الطائفة التي زعمت أنَّ العمل ليس من الإيمان،

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٠٦٧)، عبد الرزاق في مصنفه (٥٠١٠)، الطبراني في الأوسط (٨١٨١).

(٢) أخرجه: البخاري (٧٤٩).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٧٥).

(٤) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، الفقيه صاحب الإمام الشافعيّ، قال ابن =

فيقال لهم ما أراد الله عز و جل من العباد إذ قال لهم (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) الإقرار بذلك، أو الإقرار والعمل؟ فإن قالت: إنَّ الله أراد الاقرار، ولم يُرِدِ العمل، فقد كَفَرَتْ عند أهل العلم.

فإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل.

قيل: فإذا أراد منهم الأمرين جميعًا لِمَ زعمتم أنه يكون مؤمنًا بأحدهما دون الآخر، وقد أرادهما جميعًا؟!

أرأيتم لو أنَّ رجلًا قال: أعمل جميع ما أمر الله، ولا أُقِرُّ به أيكون مؤمنًا؟ فإن قالوا: لا،

قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به، ولا أعمل منه شيئًا أيكون مؤمنًا؟! فإن قالوا: نعم، قيل لهم: ما الفرق، وقد زعمتم أنَّ الله عز و جل أراد الأمرين جميعًا، فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمنًا إذا ترك الآخر جاز أن يكون بالآخر إذا عمل، ولم يقر مؤمنًا لا فرق بين ذلك[(١)].

۞ سادسًا: من الأدلة التي يُستأنَسُ بها: التلازمُ بين الظاهرِ والباطنِ:

فهناك تلازمٌ دائم بين الظاهرِ والباطنِ، فإن سلَّمْنا أنَّ الإيمان بالقلب لا بالجوارح، فلابد وأن يظهر هذا الإيمان على الجوارح لعدم انفكاك الظاهر عن الباطن، فلما لم يظهر من أعمال الجوارح شيء دلَّ على أنه ليس معه من الإيمان في القلب شيء، و يدل على هذا التلازم كثير من الأدلة منها:

قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، فالإرادة أمر قلبي، لكنَّ

=

حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا، وقال ابن عبد البر: له مصنفات كثيرة منها: كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعيّ وذكر مذهبه في ذلك، مات ببغداد عام ٢٤٠ هـ.

(١) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ٨٥٠).

الله تعالى علَّق وجود الإرادة على ما أظهروه من العمل، وإعداد العدة، وبين أنهم لم يريدوا الخروج؛ لأنهم لم يَعُدُّوا العدة، فدل على أنَّ العمل الظاهر دليل العمل الباطن فهما متلازمان.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [**الأنفال: ٢ - ٤**]، وفي الآية يُعَرِّف الله تعالى المؤمنين بأنهم الذين توجل قلوبهم عند ذكر الله تعالى، ويتوكلون على الله، وبأنهم الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، وينفقون مما رزقهم الله تعالى، بل وبين سبحانه بأنهم هم المؤمنون إيمانًا حقيقيًّا.

وهكذا كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يستدلون على كثير من الأعمال الباطنة بما يظهر من الأعمال الظاهرة، فكان النبي ﷺ إذا غضب يعرف الصحابةُ ذلك منه مع أنَّ الغضب أمر باطن قلبي، لكنهم يعلمونه من ظهوره على الجوارح.

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي القَدَرِ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: «**أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ**»(١)، فمع أنَّ الغضبَ أمر قلبي، لكنه استُدِلَّ عليه بأمر ظاهر ألا وهو احمرار الوجه.

عنْ كَبْشَةَ بِنْتِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ أَبِي قَتَادَةَ - أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ دَخَلَ، فَسَكَبْتُ لَهُ وَضُوءًا، فَجَاءَتْ هِرَّةٌ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، فَأَصْغَى لَهَا الْإِنَاءَ حَتَّى شَرِبَتْ، قَالَتْ كَبْشَةُ: فَرَآنِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَتَعْجَبِينَ يَا ابْنَةَ أَخِي؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ، إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ**

---

(١) سبق تخريجه.

وَالطَّوَّافَاتِ»[١].

فمع أنَّ التعجبَ أمرٌ قلبيٌّ، لكنه استُدِلَّ عليه بعمل ظاهر ألا وهو نظر العينين.

وكذلك الرضا فإنه من أعمال القلوب، لكن جعل النبيُّ ﷺ سكوتَ البكرِ في الزواج علامةً عليه، أما الثيِّب فلا بدَّ أن تُعْرِبَ عن نفسِها، **عن ابن عباس** رضي الله عنهما: **أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ، وَإِذْنُهَا سُكُوتُهَا»**[٢].

وهذا يدلُّ على التلازمِ بين الظاهرِ والباطنِ، فلو كان الإيمانُ في الباطنِ فقط كما يقولون لَلزِم أيضًا أن يكونَ له أثرٌ في الظاهرِ وعلى الجوارح والأعمالِ، فلمَّا لمْ يظهرْ شيءٌ على الجوارحِ والأعمالِ دلَّ على أنَّه لا يوجد شيءٌ من الإيمانِ في القلبِ.

ومما سبق يتبين أنَّ الظاهر والباطن متلازمان يؤثر أحدهما في الآخر، فلا ينفكان، فما يوجد في القلب يظهر على الأعمال أَثَرُهُ، وما يبدو من الأعمال يؤثر فيما في القلب سواء بسواء.

قال ابن تيمية رحمه الله:

وإذا قام بالقلب التصديقُ به والمحبةُ له لزم ضرورةً أن يتحرَّك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظَّاهرة، والأعمال الظَّاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو مُوجَبُ ما في القلب ولازِمُهُ، ودليلُهُ، ومَعْلُولُه، كما أنَّ ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضًا تأثيرٌ فيما في القلب، فكُلٌّ منهما يؤثر في الآخر لكنَّ القلب هو الأصل، والبدن فرعٌ له والفرع يُسْتَمَدُّ من أصله، والأصل يَثْبُتُ ويقوى بفرعه، كما في الشَّجرة التي يُضْرَبُ بها المثل لكلمة الإيمان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٢٥٨٠)، أبو داود (٧٥)، الترمذي (٩٢)، النسائي (٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٣٧).

(٢) أخرجه: مسلم (١٤٢١).

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾ [إبراهيم:٢٥] وهي كلمة التوحيد، والشجرةُ كلَّما قَوِيَ أصلُها وَعَرِقَ وَرُوِيَ قوِيَتْ فروعُها، وفروعُها أيضًا إذا اغتَذَتْ بالمطر والرِّيح أَثَّرَ ذلك في أصلها، وكذلك "الإيمان" في القلب، و"الإسلام" علانية، ولمَّا كانت الأقوال والأعمال الظَّاهرة لازمةً ومستلزمةً للأقوال، والأعمال الباطنة كان يُسْتَدَلُّ بها عليها: كما في قوله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة:٢٢]، فأخبر أَنَّ مَن كان مؤمنًا بالله، واليوم الآخر لا يُوجَدُونَ مُوادِّينَ لأعداء الله ورسوله، بل نفس الإيمان ينافي مَوَدَّتَهُمْ، فإذا حصلَتْ المُوَادَّةُ دلَّ ذلك على خللِ الإيمان، وكذلك قوله: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٨١]، وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحُجُرات:١٥] فأخبر تعالى أنَّ هؤلاء هم الصَّادقون في قولهم: آمَنَّا[١].

حدُّ العملِ الذي هو ركنٌ في الإيمانِ:

وضعَ العلماءُ شروطًا لهذا العملِ الذي هو ركنٌ في الإيمان، ومنهم سفيانُ بنُ عيينةَ، وإسحاقُ بن راهويه ، وابنُ تيميةَ، وغيرُهم، ومنها:

أولًا: أن يكونَ هذا العملُ واجبًا من الواجباتِ، لا يكون من المندوبات والمستحبات.

ويقصد بالواجباتِ الأركان، كالصلاة، والصيام، والحج، ونحوها.

ثانيًا: أن يكونَ هذا العملُ ممَّا يتميزُ به دينُ الإسلامِ.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤١-٥٤٢).

فلا يُجزئُ إخراجُ صدقةٍ مثلًا، أو الإحسان العام، أو قول الخير؛ لأنَّ هذه أشياء عامة قد تتحقق في المسلم وغير المسلم، فحاتم الطائي مع أنه كان كافرًا، لكنه كان كريم الوفادة، وضُرب به المثل في الجود والكرم، وكان كفار مكة يسقون الحجاج، ويعمرون البيت الحرام، فكل هذا لا يجزئ، بل لا بد أن يكون هذا العمل مما يتميز به دينُ الإسلام.

ثالثًا: أن لا يكونَ تركُ أحدِ الأعمالِ المتروكةِ كفرًا.

- فمن قال: بكفرِ تاركِ الصلاةِ اشترط أن يكون من ضمن هذه الأعمالِ الصالحةِ الصلاةُ.

- ومن كفَّرَ بالرُّكنين (الصلاة، والزكاة) قال: لا بد من عمل، ولا تخلوا الأعمالُ من الصلاةِ والزكاةِ.

- ومن يُكَفِّرْ بتركِ الأركانِ الأربعةِ قال: يلزم أن يكونَ من هذه الأعمالِ الأركانُ الأربعةُ، وهكذا.

۞ الإيمانُ يزيدُ وينقصُ:

ومن عقيدة أهل السنة أنَّ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالأعمال الصالحة والطاعات، وينقص بالمعاصي والزلات.

وخالف في ذلك المرجئة وقالوا الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وعمدتهم في ذلك أنَّ الإيمان هو التصديق، والتصديق شيء واحد لا يزيد ولا ينقص.

وقد سبق بيان أنَّ الإيمان في الشرع وفي اللغة أيضًا ليس معناه التصديق فقط.

ولو سلمنا أنَّ الإيمان هو التصديق، فهذا لا يعني أنه لا يزيد ولا ينقص، حيث إنَّ التصديق يتفاوت، ويزيد وينقص.

قال الحافظ ابن حجر:

فذهب السلف إلى أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنكر ذلك أكثر المتكلمين،

وقالوا: متى قيل ذلك كان شكًّا، قال الشيخ محيي الدين: والأظهر المختار أنَّ التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر، ووضوح الأدلة؛ ولهذا كان إيمان الصِّدِّيق أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشبهة، ويؤيده أنَّ كلَّ أحدٍ يعلم أنَّ ما في قلبه يتفاضل، حتى أنه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقينًا، وإخلاصًا، وتوكلًا منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها، وقال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أنَّ الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، وحكى الإجماع فضيل بن عياض، ووكيع[1] عن أهل السنة والجماعة. ثم قال: ثم شرع المصنف يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرحه بالزياده، وبثبوتها يثبت المقابل، فإنَّ كلَّ قابلٍ للزيادةِ قابلٌ للنقصانِ ضرورةً[2].

ومما استدل به أهل السنة على أنَّ الإيمان يزيد وينقص:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [**الأنفال: ٢ –٤**]، وقال تعالى ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ [**الأحزاب: ٢٢**]، وغيرها من الآيات.

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[3].

---

(١) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، ولد سنة ١٢٩هـ، وكان من بحور العلم، وأئمة الحفظ، قال القعنبي: كان عند حماد بن زيد، فلما خرج وكيع، قالوا: هذا راوية سفيان، قال حماد: إن شئتم، قلت: أرجح من سفيان، توفي عام ١٩٦هـ.

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر - بتصرف - (١/ ٤٦-٤٧).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٥٧٨)، مسلم (٥٧).

ومعنى (لَاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ) أي الإيمان الكامل، وهذا دليلٌ أنَّ الإيمانَ نقصَ وقتَ الزنا، ولم يذهب كلُّ الإيمانِ قطعًا.

عنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»، **قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ**[١].

عنْ عائشةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ في المرأةِ الحائضِ: "**أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ، وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**»[٢].

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنْ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ" **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا**"[٣].

قال الحافظ ابن حجر: فإنَّ فيه دليلًا على بطلان قول الكرامية أنَّ الإيمان قول فقط، ودليلًا على زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأنَّ قوله ﷺ "**أنا أعلمكم بالله**" ظاهر في أنَّ العلم بالله درجات، وأنَّ بعض الناس فيه أفضل من بعض، وأنَّ النبي ﷺ منه في أعلى الدرجات، والعلم بالله يتناول ما بصفاته، وما بأحكامه، وما يتعلق بذلك، فهذا هو الإيمان حقًّا[٤].

وكان من دعاء ابن مسعود ﵁: اللهم زِدْنَا إيمانًا، ويقينًا، وفقهًا[٥].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٨٢٧)، مسلم (٩٤).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٠٤).

(٣) أخرجه: البخارى (١٩).

(٤) فتح البارى للحافظ ابن حجر (١/ ٧٠).

(٥) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ٣٦٩)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٤٦).

وكان عبد الله بن رواحة ﵁ يقول: تعالوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله، ونزدد إيمانـًا؛ لعله يذكرنا بمغفرته[١].

وعن جندب بن عبدالله البجلي ﵁: كنا مع النبي ﷺ، ونحن فتيان حزاورة، فتَعَلَّمْنَا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانًا[٢].

عن هشام بن عروة[٣] قال: ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص إيمانه[٤].

عن سعيد بن جبير قال: في قوله تعالى" ولكن ليطمئن قلبي"، قال: ليزداد إيماني[٥].

قال ابنُ عيينةَ: لما سُئل هل الإيمانُ يزيدُ وينقصُ ؟

قال يزيدُ وينقصُ، قال تعالى" فزادهم إيمانـًا ".

فقالوا له: هذا يزيدُ، فقال: ما من شيءٍ يزيدُ إلا وينقصُ[٦].

قال الحافظ ابن حجر في تعليقه على حديث "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان": قوله "كُنَّ" أي حصلن، فهي تامة، وفي قوله "حلاوة الإيمان" استعارة تخييلية شبَّه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه، وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح، لأنَّ المريض الصفراوي يجد طعم العسل مُرًّا، والصحيح

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١١/ ٤٣).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٦١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

(٣) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، الإمام الثقة، شيخ الاسلام، أبو المنذر، ولد سنة ٦١هـ، وسمع من أبيه، وعمه ابن الزبير، وزوجته أسماء بنت عمه المنذر، وأخيه عبد الله بن عروة، وعبد الله بن عثمان، وطائفة من كبراء التابعين، توفي عام ١٤٦هـ، وصلى عليه أبو جعفر المنصور.

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ٣٦٨).

(٥) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ٣٦٩).

(٦) الشريعة للآجري (١/ ٢٦٦).

يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئًا ما نقص ذوقه بقدر ذلك، فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يُقَوِّي استدلال المصنف على الزيادة والنقص[1].

فكل ما سبق من الأدلة، والآثار، وأقوال العلماء يدل على أنَّ مذهب أهل السنة وعقيدتهم أنَّ الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

قوله (وجميعُ ما صَحَّ عنِ النبيِّ ﷺ من الشرعِ والبَيانِ كُلُّه حقٌّ):

وهذا لازمُ الإيمانِ بأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، أن نؤمن بأنَّ كل ما جاء به من الشرع حقٌّ أي ثابت ونافع.

۞

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٦٠).

والإيمانُ واحدٌ، وأهلُهُ في أصْله سَواءٌ، والتَّفاضُلُ بينَهم بالخَشْيَة والتُّقَى، ومُخالفةِ الهوى، ومُلازمةِ الأَوْلَى، والمُؤمنُونَ كلُّهُمْ أوْليَاءُ الرَّحمَنِ، وأكْرمُهُم أطْوَعهُمْ، وأتْبعُهُمْ للقُرآنِ.

قوله (وأهلُهُ في أصْلِهِ سَواءٌ): يدل على أنَّ الإيمانَ أصلٌ وفرعٌ.

وعليه فهل الفروع من الإيمان أم ليست من الإيمان ؟

فإن قيل من الإيمانِ؛ إذًا فالإيمانُ أهلُه ليسوا فيه سواء، فهم مختلفون في الفروع بدليل تقييده للمساواة بالأصل فقط.

فإن قيل: الفروعُ ليست من الإيمانِ؛ يقال إذًا كلمةُ "في أصلِه" لا محلَّ لها، فكان ينبغي أن يُقالَ، وأهلُه فيه سواءٌ.

والقول بأنَّ "الإيمان واحد، وأهله فيه سواء" له مقدمتان، ونتيجة:

فأما المقدمة الأولى: هي القول بأنَّ الإيمان هو التصديق فقط.

والمقدمة الثانية: أنه شيء ثابت لا يزيد ولا ينقص.

وأما نتيجته: هي القول أنَّ إيمان المؤمنين جميعًا درجة واحدة، وجعل منهم من يقول: إيماني كإيمانِ جبريلَ وميكائيلَ، وإيمانُ العُصاةِ كإيمانِ الملائكةِ، ولا فَرْقَ.

وهذا القول لم يقل به أحد من السلف، ولو كان إيمان العصاة كإيمان الملائكة لكان أولى بذلك الصالحون والصحابة الأبرار، ولكن هذا لم يحدث من أحد منهم، وما قال أحد منهم أنَّ إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل مع مكانتهم وعلو قدرهم، بل كانوا يخافون على أنفسهم النفاق.

عن ابن أبي مُلَيْكَةَ[1] قال: أدركتُ ثلاثينَ من أصحابِ النبيِّ ﷺ كلُّهم يخاف

---

(١) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكيّ، من رجال الحديث الثقات، وكان عالمًا =

النفاقَ على نفسِه، ما منهم أحدٌ يقولُ: إنَّه على إيمانِ جبريلَ وميكائيلَ "[1].

وبوَّب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الأثر وغيره بـ (باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر).

قال الحافظ ابن حجر:

والصحابةُ الذين أدركهم ابن أبي مُلَيْكَةَ مِن أجلِّهم: عائشة، وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة، وأبو هريرة، وعقبة بن الحارث، والمسور بن مخرمة، فهؤلاء ممن سمع منهم.

وقد أدرك بالسن جماعةً أجلَّ مِن هؤلاء: كعلى بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماعٌ؛ وذلك لأنَّ المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقال ابن بطال: إنما خافوا لأنهم طالت أعمارهم، حتى رأوا من التغير ما لم يعهدوه، ولم يقدروا على إنكاره، فخافوا أن يكونوا داهنوا بالسكوت.

قوله: ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل أي لا يجزم أحد منهم بعدم عروض النفاق لهم كما يجزم بذلك في إيمان جبريل، وفي هذا إشارة =

مفتيًا صاحب حديث وإتقان، وكان بليغ الموعظة، حسن القصص، نفَّاعًا للعامة، قال أبو زرعة النصري: كان لأهل الشام كالحسن البصري بالعراق، وكان قارئ أهل الشام جهير الصوت، توفي عام ١١٧ هـ.

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الإيمان باب: خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

قال الحافظ في الفتح (١/ ١١٠): هذا التعليق وصله ابن أبي خيثمة، في «تاريخه» لكن أبهم العدد، وكذا أخرجه محمد بن نصر المروزي مطولًا في كتاب الإيمان له، وعينه أبو زرعة الدمشقي في (تاريخه) من وجه آخر مختصرًا كما هنا.

إلى أنَّ المذكورين كانوا قائلين بتفاوت درجات المؤمنين في الإيمان، خلافًا للمرجئة القائلين بأنَّ إيمان الصديقين وغيرهم بمنزلة واحدة[١].

ومما يدل على أنَّ الإيمان متفاوت ما ورد عنه ﷺ في اختلاف وزن الإيمان في حديث الشفاعة، فقد يكون وزن شعيرة، وقد يكون وزن بُرَّة، وقد يكون وزن ذَرَّة.

عنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**»[٢]، وفي رواية "**فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ: فَأُخْرِجُهُمْ، قَالَ: ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا، فَأَقُولُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَيُقَالُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ: فَأُخْرِجُهُمْ**"[٣].

عنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّديَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ» قَالُوا: مَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ»**[٤].

وعلَّقَ الحافظ ابن حجر على تبويب البخاري لهذا الحديث (باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال)، فقال: ومطابقة الحديث للترجمة ظاهر من جهة تأويل القُمُصِ بالدِّين، وقد ذكرأنهم متفاضلون في لبسها، فدل على أنهم متفاضلون في الإيمان[٥].

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ١٧٠).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٤)، مسلم (١٩٣).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٠٠٨)، مسلم (٢٣٩٠).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ٧٠).

قوله (والتَّفاضُلُ بينَهم بالخشْيةِ والتُّقَى):

وهذه العبارة من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تُشعِر أنَّ أعمالَ القلوبِ ليست من الإيمانِ، لذكره أنَّ الإيمان لا تفاضل فيه، لأنَّ الناسَ فيه سواء، ثم ذكر أنَّ التفاضل بينهم يكون بالخشية والتقى، لكنَّ كثيرًا ممن يُخرِج العمل من الإيمان يقصدُ أعمالَ الجوارحِ، لكنه يُدخلُ أعمالَ القلوبِ (كالخشية – والتوكل – وما إلى ذلك).

قال جَلَّ جَلَالُهُ ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ **[المائدة: ٢٣]**.

وقال جَلَّ جَلَالُهُ ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فربط بين الخشيةِ والتوكلِ، والإيمانِ، فدلَّ على أنَّ هذه الأعمالَ منَ الإيمانِ.

قوله (ومُخالفةِ الهَوى، ومُلازمةِ الأَوْلَى):

والمعنى: يكون التفاضل بينهم أيضًا بمخالفةِ الهوى، ومخالفةُ الهوى لا تكون مطلوبة في كل حال، بل تكون حين يخالف الهوى ما جاء في الشرع، وإن أُطْلِقَ لفظ الهوى فالمراد به الهوى المخالف لما جاء به الشرع، وكذلك يكون التفاضل بين الناس بملازمة الأولى مما جاء عن النبي ﷺ قولًا وفعلًا، فضلًا عنِ اتِّباعِ ما أمر به النبيُّ ﷺ، واجتناب ما نهى عنه.

قوله (والمُؤمنُونَ كُلُّهُمْ أَوْليَاءُ الرَّحْمَنِ، وأَكْرَمُهُم عِندَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ، وأَتْبعُهُمْ للقُرآنِ):

يبين هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الولاية لكل المؤمنين، لكنَّ الولايةَ درجاتٌ كما أنَّ المؤمنين درجاتٌ، فالمتَّقون لهم الولاية العليا، فإذا ضعف الإيمانُ قلَّتِ الولايةُ، والولايةُ هي النصرةُ، والتأييدُ، وتدبيرُ الأمور، ونحوها.

والوَلِيُّ عرَّفه الله تعالى، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

وهذا هو الوليُّ على الدرجة العالية، وإن كان الذي يَقِلُّ عن ذلك من المؤمنين له درجة من الولاية، كلٌّ على حسب عمله، والتزامه بأمر الله تعالى، ومعرفة الوليِّ ليس حكمه للناسِ، وإنَّما هو لحكمِ اللهِ ﷻ، فالوليُّ هو المؤمنُ التقيُّ كما بين الله سبحانه وتعالى.

❀◊❀

والإيمَانُ: هُوَ الإيمَانُ بِاللهِ، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليومِ الآخِر، والبعْثِ بعدَ الموتِ، والقدرِ خيْره وشرِّه، وحُلْوِه ومُرِّه منَ اللهِ تَعالى، ونحْنُ مؤْمنونَ بذلكَ كلِّه، لا نُفرِّقُ بينَ أحدٍ منْ رسُلِه، ونُصدِّقُهم كُلَّهم على مَا جَاءُوا بِهِ.

قوله (والإيمَانُ: هُوَ الإيمَانُ بِاللهِ................):

هذا تعريفُ الإيمانِ المُجمَلِ الذي يجبُ على كلِّ إنسان أن يؤمن به ويقر به في الجملة، وقد سبق تفصيل بعضه، وسيأتي بمشيئة الله تعالى تفصيل الباقي.

قوله (ونحْنُ مُؤمنونَ بذلكَ كُلِّهِ، لا نُفرِّقُ بينَ أحدٍ من رسُلِهِ، ونُصدِّقُهم كُلَّهم على مَا جَاءُوا بِهِ):

نُصدِّقُهم على الإجمالِ والتفصيلِ، فما ورد مُفَصَّلًا نؤمنُ به، وما لم يردْ لنا مُفَصَّلًا نؤمنُ أن ما جاء به الرسلُ هو من عندِ الله، وهو قولٌ صدقٌ وحقٌّ، وقد سبق الإشارة إلى كل ذلك في أكثر من مبحث فلا حاجة لإعادته.



حكمُ أهلِ الكبائرِ في الآخرةِ

وأهْلُ الكَبائرِ منْ أمّة مُحمّدٍ ﷺ في النّارِ لا يُخلّدُون إذا ماتُوا وهُمْ مُوحّدُون، وإنْ لمْ يكُونُوا تائبين، بعْد أنْ لقُوا الله عارفين مُؤمنين، وهُمْ في مشيئته وحُكْمه إنْ شاء غفر لهُمْ، وعفا عنْهم بفضْله، كما قال تعالى في كتابه " ويغْفرُ ما دُون ذلك لمنْ يشاءُ "، وإنْ شاء عذّبهُمْ في النّار بقدر جنايتهم بعدْله، ثُمّ يُخْرجُهُمْ منْها برحْمته، وشفاعة الشّافعين منْ أهْل طاعته، ثُمّ يبْعثُهم إلى جنّته، وذلك بأنّ الله تعالى مولى أهْل معْرفته، ولمْ يجْعلْهُم في الدّاريْن كأهل نُكْرته الذين خابُوا منْ هدايته، ولمْ ينالُوا منْ ولايته، اللهُمّ يا وليّ الإسْلامِ وأهْله ثبّتْنا على الإسْلامِ حتّى نلْقاك به.

قوله (وأهلُ الكبائرِ):

الكبيرةُ اختُلف في تعريفِها، لكن كل التعريفات تفيد أنها أمرٌ محظورٌ عظيمٌ في الدين، وأنَّ عاقبته وخيمة إن لم يعف الله تعالى عن صاحبه.

ومجمل ما ذُكر في تعريفها أنها ما يُوجِبُ حدًّا، أو ما وردَ فيه غضبٌ، أو وعيدٌ، أو لعنةٌ، أو بيَّن ﷺ أنه من المهلكات، أو نَصَّ ﷺ أنه من الكبائر، أو ما أشبه ذلك.

ومن ذلك: قوله تعالى ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

ومنه: قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا

تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤].

ومنه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**» **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**»(١).

ومن ذلك: عنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» **ثَلَاثًا «الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ -»، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئًا، فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ**»(٢).

ومنه أيضًا: عنِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عنِ النبيِّ ﷺ قالَ:«**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»(٣)، وهكذا.

فكل هذا يدلُّ على أنَّ هذه الأفعال من الكبائر، وأهلها يُسمَّون أهلَ الكبائرِ.

تنبيه: ليس مجرد أن يفعلَ الإنسانُ كبيرةً يكونُ من أهلِ الكبائر، بل يُشترط لكي يوصف بأنَّه من أهلِ الكبائرِ شرطان:

الأول: أن يعلمَ أن هذا من المُحرَّمات، ولا يلزم أن يعلم عقابها، وما يترتب عليها من الحدود ونحوه، بل يكفي أن يعلم أنها من المحرمات.

الثاني: عدمُ التوبةِ، فإن تابَ صاحبُ الكبيرةِ فلا يوصف بأنَّه من أهلِ الكبائرِ.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٨٥٧)، مسلم (٨٩).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٩١٩)، مسلم (٨٧).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١٢٩٤)، مسلم (١٠٣).

س: هل يلزم أن يعلم أنها كبيرة حتى يلزمه أثرها، أم يكفي علمه بالتحريم ؟

ج: لا يلزم معرفته بما يترتب على فعله للكبيرة من أثر كحدٍّ ونحوه، لكن يكفي أن يعلمَ أنَّه مُحَرَّمٌ، فيكون بذلك قد اجترأ على أوامر الله تعالى، وتعدى حدوده، فعدم معرفته بالعاقبة لا يعفيه من العقاب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالا: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ، فَقَالَ: صَدَقَ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، فَقَالُوا لِي: عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ، فَفَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنَ الغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ العِلْمِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، أَمَّا الوَلِيدَةُ وَالغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ،وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ لِرَجُلٍ فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَارْجُمْهَا**»، **فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا**[1]، والشاهد أنَّ سؤال الخصمين، وما فعلاه يدل على أنهم يعلمون أنَّ ما فعله محرم، لكنهم ما كانوا يعلمون الحَدَّ؛ لذا لم يعفهم ذلك من إقامة الحد.

قوله (وأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ لا يُخَلَّدُونَ فِي النَّار):

قال العلماءُ: وهذا لا مفهومَ له؛ لأنَّ تخصيصَه أمةَ محمدٍ ﷺ يُفهَم منه أنَّ حُكْمَ أهلِ الكبائرِ مِن الأممِ غيرِ أمةِ النبي محمدٍ ﷺ مخالفٌ لأهلِ الكبائر من أمةِ محمدٍ ﷺ، وهذا فيه نظرٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ **[النساء: ٤٨]**، وهذا عامٌّ في أمة النبي محمد ﷺ، وغيرها من الأمم.

وقَالَ النبيُّ ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٦٩٥)، مسلم (١٦٩٧).

النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(١)، فلم يخُصَّ أمتَه بذلك.

قوله (وأَهْلُ الكَبائِرِ مِنْ أَمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ لا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ):

وهذا ردٌّ لقولِ الخوارجِ والمعتزلةِ، القائلين بتخليدِ أهلِ الكبائرِ في النار، وقد سبق بيان ذلك - بفضل الله تعالى - عند الحديث عن الشفاعة.

إشكالٌ وبيانُهُ:

بعضُ الكبائرِ ورد في عقابها خلودٌ في النار، وهو ما استدل به المعتزلة والخوارج على خلود صاحب الكبيرة في النار، كمن قتل نفسًا عامدًا بغير حق، قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وورد ذلك أيضًا فيمن قتل نفسه، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»**(٢)، وغير ذلك من الصور.

لذلك اختلفوا:

س: هل القاتلُ كافرٌ أم مسلمٌ؟ وهل هو مُخلَّدٌ في النارِ أم غيرُ مخلدٍ؟

وسبب النزاع هو ورود عقاب القاتل لنفسه أو لغيره، بأنه مخلد في النار، فمنهم من قال: إنه مخلد على الحقيقة ولا يُخلَّد في النار إلا الكفار، ومنهم من قال: إنَّ هذا من باب شدة الوعيد والزجر، لكنه غير مخلد على الحقيقة.

وهذا يتضح بمعرفة معنى الخلود، وهل الخلود يعني الدوام بلا انقطاع في كل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٧٧٨)، مسلم (١٠٩).

حالاته أم لا؟

الخلود في اللغة يطلق على أحد معنيين:

- **المعنى الأول**: الخلود: أي الدوام بلا انقطاع.

خلد: أي بقي(١).

الخلد: البقاء والدوام في دار لا يخرج منها(٢).

الخلد: دوام البقاء في دار لا يخرج منها(٣).

- **المعنى الثاني**:الخلود: بمعنى طول البقاء، ولا يلزم منه الأبد.

خلد بالمكان: أطال به الإقامة(٤).

الخوالد: الجبال والحجارة والصخور لطول بقائها بعد دروس الأطلال(٥).

وقيل لأثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال(٦).

وبهذا يتضح أنَّ الخلود لا يعني في كل حالاته الخلود الأبدي، بل قد يكون المراد به البقاء إلى أمد طويل، وليس إلى الأبد، ويتضح أيُّ المعنيين يُراد بالأدلة والقرائن الأخرى.

وكل الأدلة تبين أنَّ المسلم لا يخلد في النار، وإن طال بقاؤه فيها، ما دام قد مات على الإسلام، وثبتت الأدلة بإسلام المسلم القاتل، منها قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ

(١) المخصص لابن سيده (٣/ ٣١٩).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (٨/ ٦١).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٣/ ١٦٤).

(٤) أساس البلاغة للزمخشري (١/ ١٢١).

(٥) تاج العروس للزبيدي (٨/ ٦٣).

(٦) لسان العرب لابن منظور (٣/ ١٦٤).

مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ **[البقرة: ١٧٨]**، وفي الآية إثبات الأخوة بين القاتل والمقتول لقوله "فمن عُفِي له من أخيه شيء"، وهذا يبين أنَّ القاتل لم يكفر بقتله لأخيه، وإن ارتكب كبيرة من الكبائر يستحق عليها القتل.

عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا التقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»[1]، فسماهما النبي ﷺ مسلمَين مع أنهما التقيا للقتال، وأصبح أحدهما قاتلًا والآخر مقتولًا.

وكذلك قاتلُ نفسِهِ، فلقد وردت الأدلة أنَّ الله تعالى غفر لبعضهم، وهذا دليل على إسلامهم؛ لأنَّ الله تعالى لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فلو أنَّ قَتْلَ النفسِ كفرٌ ما غفر الله تعالى له مهما كان معه من الحسنات.

عنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: هَاجَرَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**»[2]، ونحو ذلك من الأدلة.

والخلاصة:

أنَّ كلَّ خلودٍ ورد في القرآنِ والسنةِ لمسلمٍ، فهو خلودٌ أمديٌّ، أي: إلى أمد.

وكلُّ خلودٍ ورد في القرآنِ والسنةِ لكافرٍ أومشركٍ فهو خلودٌ أبديٌّ.

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٨٧٥).

(٢) أخرجه: مسلم (١١٦).

وعليه فمرتكب الكبيرة ليس كافرًا، ولا يخلد في نار جهنم، بل له من الأمن والهداية بقدر ما معه من الخير، وإن ارتكب الكبائر، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، والظلم هنا هو الشرك كما بيَّنَ ذلك النبي ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟! فَأَنْزَلَ اللهُ " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "[1].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على إيراد البخاري لهذا الحديث:

وفي المتن من الفوائد: أنَّ المعاصي لا تُسَمَّى شركًا، وأنَّ مَن لم يشرك بالله شيئًا فله الأمن وهو مهتد، فإن قيل: فالعاصي قد يُعذَّبُ، فما هو الأمن والاهتداء الذي حصل له؟ فالجواب: أنه أَمِن من التخليد في النار، مهتدٍ إلى طريق الجنة، والله أعلم[2].

لذلك قال (**وأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أَمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ لا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ إِذَا مَاتُوا وهُمْ مُوحِّدُون**):

أي لا يُخلَّدون أبدًا، وان كانوا قد يُخلَّدون أمدًا أي يمكثون مُكْثًا طويلًا.

قوله (وإنْ لمْ يكُونُوا تَائِبينَ):

إنَّ أهلَ الكبائرِ مُتَوعَّدون بالعقاب إلَّا في حالات:

منها: التوبةُ النصوح، فإذا تاب صاحبُ الكبيرةِ توبةً نصوحًا فإنَّه يكونُ غيرَ معاقب.

ومنها: الحسناتُ الماحياتُ كأن يكونَ عند العبدِ حسناتٌ كبيرة تمحو أثرَ هذا الذنبِ كالهجرة والجهاد، ونحو ذلك.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٨٩).

ومنها: مغفرةُ الله وعفوُهُ ابتداءً، دون سببٍ من العبدِ، وغير ذلك من الأسباب.

قوله (بعْدَ أنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنينَ):

قال بعضُ العلماءِ: لو قال (مُوحِّدينَ) بدلًا من (عارفين) لكان أولى؛ لأنَّ من عرَفَ اللهَ، ولم يؤمنْ به فهو كافرٌ كإبليس، فقد كان عارفًا لربِّه، لكنَّ المصنف بيَّن ذلك بقولِه: (عَارِفِينَ مُؤمنينَ).

قوله (وهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وحُكْمِهِ إنْ شَاءَ غَفَرَ لهُمْ، وَعَفَا عَنْهُم بِفَضْلِه كَمَا ذكَرَ ﷻ فِي كِتَابِهِ " وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ "):

أي بدونِ سببٍ منهم يعفو عنهم بفضلِه ورحمتِه، كما قال ربُّنَا سبحانه وتعالى:" وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ".

قوله (وإنْ شَاءَ عذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِه، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ، وشَفَاعَةِ الشَّافِعينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ):

وتعذيب أهل الكبائر بعدله سبحانه وتعالى كما سبق، بل ويعفو عن كثير، **وقوله "برحمته، وشفاعة الشافعين"**، وشفاعة الشافعين هي من آثار رحمته أيضًا، لكن أهل الكبائر كما سبق في باب الشفاعة قد يخرجون بسبب شفاعة الشافعين، وقد يخرجون برحمة الله تعالى وفضله بدون شفاعة من أحد، بل برحمة أرحم الراحمين فقط.

قوله (ثُمَّ يَبْعثُهُمْ إِلى جَنَّتِهِ، وذَلك بِأنَّ اللهَ تَعَالَى مولى أهْلِ مَعْرِفَتِهِ):

والمَولَي: هو الذي يتولَّي أمورَهم ويدبِّرُها، وهوالذي يأمرُ ويُطاعُ، و يُثِيبُ ويعاقِبُ، وأعظم هذه الولاية وتمامها هو بِبَعْثِهِم إلى الجنة، فعذبهم في النار بعدله، ثم أدخلهم الجنة بفضله ورحمته.

قوله (ولمْ يَجْعَلْهُم فِي الدَّارَيْنِ كَأهلِ نُكْرَتِهِ):

وهذا من تمام عدله سبحانه وتعالى أنه لم يسوِّ بين أهل الطاعة وأهل المعصية، قال تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ **[القلم: ٣٥**

- ٣٦]، وقال تعالى ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

قوله (الذينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِه):

وخيبتهم من هدايته هي خيبةٌ في تحصيل أسباب الهداية أولًا؛ ولأنَّ الله سبحانه وتعالى يهدي بحكمةٍ،

ويضلُّ بحكمةٍ، فالإنسانُ يخيبُ ويضلُّ أولًا بترك أسباب الهداية، فيضلُّه اللهُ سبحانه وتعالى بعدم توفيقه للنور والهداية، وييسر له طريق الغواية، والعبد الذي يستقيمُ ويهتدي بتحصيل أسباب الهداية، يهديه اللهُ عز وجل بتوفيقه إليها، وتمام نعمته عليه، قال تعالى سبحانه وتعالى ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾ [مريم: ٧٥].

وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وقال جل جلاله ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم: ٧٦].

لذلك كان تعبيرُ الطحاويُّ تعبيرًا دقيقًا حيث قال: (الذين خابوا من هدايته)، فهم خابوا لأنَّهم لم يسعوا لتحصيل أسبابِ الهدايةِ، فحرمهم اللهُ سبحانه وتعالى منها.

قوله (اللهُمَّ يا وليَّ الإسْلامِ وأهْلِهِ ثَبِّتْنا عَلى الإسْلامِ حتَّى نلْقاكَ بِهِ):

وختم كلامَه المُتقدِّمَ بالتوسل بولاية الله تعالى للإسلام وأهله، حيث إنَّ الولي يتولى أمر أوليائه، ويثبِّتهم على طريق الخير والحق حتى يلقوه، وفي هذا اقتداءٌ بالأنبياءِ، والصالحين، كقولِ نبيِّ اللهِ يوسفَ عليه السلام ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وكدعاءِ السحرةِ الذين ءامنوا بنبيِّ اللهِ مُوسى عليه السلام ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

بل إنَّ النبي ﷺ كان كثيرًا ما يدعو بـ" يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".

عنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ **"يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَ" يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ"**[1].

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»، **ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»**[2].

وكل مسلم يحتاج ذلك؛ لأنَّ القلوب متقلبة، ولا يأمن العبد على نفسه من الفتن إلا إذا ثبته الله تعالى.

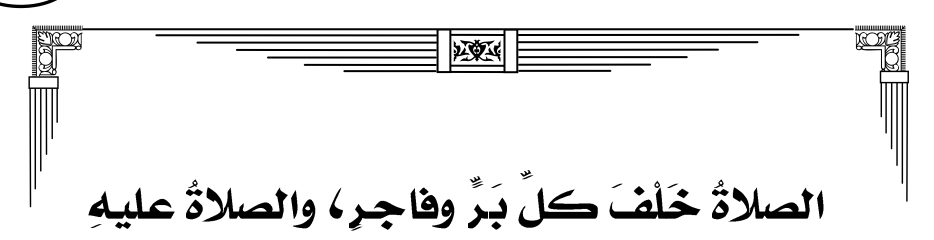
عنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ أنَّه قال: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ، يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ **" لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا"**[3].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

(٢) أخرجه: مسلم (٢٦٥٤).

(٣) سبق تخريجه.



الصلاةُ خَلْفَ كلِّ بَرٍّ وفاجرٍ، والصلاةُ عليهِ

وَنَرَى الصَّلاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفَاجِرٍ مِنْ أهْلِ القِبلةِ، وعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُم.

قوله (ونرى الصلاةَ خلفَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ):

و هذا هو مذهبُ أهلِ السنةِ أنَّهم يرون الصلاةَ خلف كلِّ برٍّ وفاجرٍ[1]، سواء كان الإمام العام، أو الأمير، أو كان الإمام الراتب.

وكان هذا دأب السلف وفعل أصحاب النبي ﷺ، فكان المسلمون يُصَلُّونَ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَكَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، وكانَ ذلكَ بِحَضْرَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، حَتَّى إِنَّهُ صَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ مَرَّةً أَرْبَعًا، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ؟ ! فَرُفِعَ إلي عُثْمَانَ فأَمَرَ به أنْ يُجْلَدَ.....[2].

قوله (مِنْ أَهْلِ القِبلةِ، وعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُم):

وأهلُ القبلةِ هم أهلُ الإسلام، وسمُّوا أهلَ القبلةِ لأنهم يُصلُّون إلى القبلةِ، وهذا دليلٌ على أنَّ الصلاةَ ركنٌ في الإيمان، لأنهم سُمُّوا أهلَ الإسلامِ، وسُمُّوا

---

(١) روى أبو داود (٢٥٣٣) من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجهاد واجبٌ عليكم مع كلِّ أميرٍ، بَرًّا كان أو فاجرًا، والصلاة واجبةٌ عليكم خلف كلِّ مسلمٍ بَرًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل الكبائر، والصلاة واجبةٌ على كلِّ مسلمٍ بَرًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل الكبائر» وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ١٤٤)، وقال الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم.

بأهلِ القبلةِ، فدلَّ على أنَّ استقبالَ القبلةِ ركنٌ في الإسلام.

وأهلُ النفاقِ يُطلَقُ عليهم في الجملة أهلُ القبلةِ، لكن عند التفصيل يُراد بأهل القبلة أهلُ الإسلامِ الذين لم يتبينْ منهم خلافُ ذلك، نُصلِّي خلفهم وعلَيهم.

๑◊๑



الحكمُ بالظاهر

وَلا نُنَزّلُ أحَدًا منْهُم جنّةً ولا نَارًا، ولا نَشْهدُ عليهم بِكُفْرٍ، وَلَا بِشِرْك، ولا بِنفَاقٍ، مَا لمْ يَظْهرْ مِنْهُم شَيءٌ مِنْ ذَلِك، ونَذرُ سَرَائِرَهُمْ إلَى اللهِ تَعالَى.

قوله (وَلا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُم جنَّةً ولا نَارًا):

والمراد هنا الحكم الخاصُّ، أمَّا الحكم العامُّ فجائز.

❁ فالحكمُ العامٌّ:

أنَّ كلَّ مؤمنٍ سيدخل الجنةَ، وأنَّ كلَّ كافرٍ سيدخل النارَ، وهذا ما دل عليه النصُّ.

❁ والحكم الخاصُّ أو العيني قسمان:

الأول: حكمٌ عينيٌّ على المؤمن:

والصحيح: أننا لا نحكم له بالجنةِ ولا بالنارِ، لأننا لا نعلمُ بماذا سيُختمُ له، لكننا نرجو للمحسنِ، ونخاف على المسيء، وهذا عام في كل مسلم إلا مَن حكم له النص من الكتاب أو السنة بأنه من أهل الجنة كالعشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم.

الثاني: حكم عينيٌّ على الكافر بالنار، وهذا مُختَلَفٌ فيه بين العلماءِ:

فمنهم من يقول: يصحُّ أن نحكم عليه عينًا إن مات على الكفرِ أنه من أهل النار، ولا يجوز أن نقول: ربَّما أسلم، ونحن لا ندري، لأنَّ الحكمَ يكونُ بالظاهر،

والله يتولى السرائرَ، والظاهر أنَّه مات كافرًا، فهو من أهل النار.

وفريقٌ آخرُ قالوا: لا يُحكم عليه أيضًا بالنار عينًا لأننا لا نعلم الخاتمةَ، والله تعالى قد يَختمُ له في آخرِ حياتِه بخير، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، والحكم بالظاهر هو لِمَا يتعلق به من أحكام الدنيا، وهذا يكفي فيه أن نحكم بكفره بالظاهر، ولا احتياج للحكم بأنه من أهل النار في شيء من أحكام الدنيا، وهو الأقربُ، والله أعلم.

قوله (ولا نَشْهدُ عليهم بِكفْرٍ، وَلَا بِشِرْكٍ، ولا بِنفَاقٍ مَا لمْ يَظْهرْ مِنْهُم شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ):

ومسألة الحكم على المسلم بكفر أو نفاق تُبنى على أصلين في الشريعة:

الأصل الأول: اليقين لا يزول بالشك[1]:

فإنَّ الأصل في المسلم الإسلام، وهذا يقين، واليقين لا يزول بالشك، بل لا يزول إلا بيقين مثله حتى يتم تغيير هذا الأصل من الإسلام إلى الكفر، فإننا إن حكمنا بطهارة الماء والثياب والأرض، وقلنا إنَّ هذا الأصل لا يتغير إلى النجاسة إلا بيقين، فمن باب أولى إسلام المسلم فهو أصل ويقين، ولا يتغير هذا الأصل واليقين إلا بيقين مثله.

الأصل الثاني: الحكم يكون بالظاهر:

فإنَّ الأمور تُبنى على الظاهر، والله يتولى السرائر، فالمسلم الظاهر فيه الإسلام إلا إذا ظهر منه شيء من الكفر أو النفاق، وأقيمت عليه الحجة بشروط بابها، فإنه يُحكم بكفره أو نفاقه.

تنبيه: **أولًا**: هناك فرقٌ بين أصلِ الحكمِ ، وبين إظهارِ الحكمِ، فأصل الحكمِ مَنوطٌ بالأدلة فمَن فَعَلَ الكفرَ، وأقيمت عليه الحجَّةُ يصبح عينًا كافرًا، أمَّا إظهارُ

---

(١) انظر بيان هذه القاعدة في كتاب: الرسالة الندية في القواعد الفقهية (صـ ٦٠) للعبد الفقير.

هذا الحكمِ فمنوطٌ بالمصلحةِ، فكان النبيُّ ﷺ يعلم المنافقين، ولم يظهر أعيانهم لكلِّ الصحابةِ، لأنَّه رأى أنَّ المصلحةَ في عدمِ إظهارِ ذلك الآن، مع ثبوت الحكم عنده.

ثانيًا: وجوب التَّرَوِّي والتَّرَيُّث في إصدار الأحكام؛ لأنَّ حقيقة الحكمِ أحيانًا تكون على خلافِ الظاهرِ، لذلك حكَمَ بعضُ الصحابةِ على بعضِ المسلمين بالنفاقِ، ولم يكونوا كذلك، **مثل حاطب** رضي الله عنه، **قَالَ فيه عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ "**(١)، ولم يكن في الحقيقةِ منافقًا.

وكذلك معاذٌ رضي الله عنه لمَّا تخلَّف حَرَامٌ رضي الله عنه عن الصلاةِ خَلْفَه، وتَجَوَّزَ في صلاته لبعض حاجته قال: قد نافق، ولم يكن الأمر كذلك.

عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلاةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ البَقَرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلاَةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا البَارِحَةَ، فَقَرَأَ البَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **" يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ - ثَلاثًا - اقْرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَنَحْوَهَا"**(٢).

وفي روايةٍ: عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ حَرَامٌ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَ نَخْلَهُ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ لِيُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا رَأَى مُعَاذًا طَوَّلَ، تَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، وَلَحِقَ بِنَخْلِهِ يَسْقِيهِ، فَلَمَّا قَضَى مُعَاذٌ الصَّلَاةَ، قِيلَ لَهُ: إِنَّ حَرَامًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَآكَ طَوَّلْتَ تَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ وَلَحِقَ بِنَخْلِهِ يَسْقِيهِ، قَالَ:

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٠٠٧)، مسلم (٢٤٩٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦١٠٦)، مسلم (٤٦٥).

إِنَّهُ لَمُنَافِقٌ، أَيَعْجَلُ عَنِ الصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ سَقْيِ نَخْلِهِ، قَالَ: فَجَاءَ حَرَامٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمُعَاذٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَسْقِيَ نَخْلًا لِي، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ لِأُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا طَوَّلَ، تَجَوَّزْتُ فِي صَلَاتِي، وَلَحِقْتُ بِنَخْلِي أَسْقِيهِ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ. فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: **" أَفَتَّانٌ أَنْتَ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ، لَا تُطَوِّلْ بِهِمْ، اقْرَأْ: بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَنَحْوِهِمَا "**(١).

فظن معاذٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ التجوز في الصلاةَ من أجلِ بعض مصالح الدنيا نفاقٌ، ولم يكن هذا الظن صحيحًا، بل عاتبَه النبيُّ ﷺ في ذلك، وأنكر عليه.

قوله (ونَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إلى اللهِ تَعالَى):

ومِن عقيدةِ أهل السنة ترك السرائر إلى الله، وعدم التنقيب والتفتيش عنها، والأخذ بالظاهر؛ لذا نُهينا عنِ الظنِّ، وعدمُ الحكمِ إلا بعلم، كما قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ١٢﴾ **[الحجرات: ١٢]**، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ **[الإسراء: ٣٦]**.

❊

(١) أخرجه: أحمد (١٢٢٤٧)، النسائي في الكبرى (١١٦٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع
(٧٩٦٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

حُرمةُ السيفِ على أحدٍ منَ الأمةِ إلا مَن وجبَ عليهِ السيفُ

ولا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ إلَّا مَنْ وجَبَ عليه السَّيْفُ.

والمعنى: أنه لا يجوز رفع السيف على أحد من الأمة إلا من أوجب الشرع عليه ذلك، **عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ** رضي الله عنه **قَالَ**: **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "**(١).

وعليه فلا يجوز رفع السيف على أحد من الأمة إلا بإباحةٍ من الشرع، **عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ أَوْ بِزِمَامِهِ قَالَ«أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ«أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟!» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ«فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ«أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟!» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ بِالْبَلْدَةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»**(٢)، وهذا يدل على أنَّ الأصل في دم

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٨٧٨)، مسلم (١٦٧٦).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٧)، مسلم (١٦٧٩).

المسلم الحرمة[١]، ولا يتغير هذا الأصل من التحريم إلى الإباحة إلا بإذن الشارع، ولعظم دم المسلم لم يحل الشرع الإشارة بالحديدة للمسلم، ولو على سبيل المزاح، بل عدَّه النبي ﷺ من الكبائر، وبيَّنَ أنَّ الملائكة تلعن مَن فَعَل ذلك، **عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ** ﷺ: **«مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»**[٢].

۞

(١) انظر تفصيل القاعدة في كتاب: الرسالة الندية في القواعد الفقهية (صـ ٦٧) للعبد الفقير.

(٢) أخرجه: مسلم (٢٦١٦).



حُرْمَةُ الخروج على الأئمة والولاةِ، ووجوبُ طاعتِهم

ولا نَرَى الخُرُوجَ عَلَى أئمّتنا وَوُلاة أمُورِنَا وإن جَارُوا، ولا نَدْعُو عليهم، ولا نَنْزِعُ يدًا منْ طاعتهم، ونَرَى طَاعتَهُم منْ طَاعَةِ الله تعَالى فَرِيضَةً، مَا لمْ يَأمُرُوا بمَعْصِيةٍ، وندْعُو لهُمْ بالصّلاحِ والمُعَافَاةِ.

قوله (ولا نَرَى الخُرُوجَ عَلى أئمَّتِنا وَوُلاةِ أمُورِنَا):

وهذا أصلٌ من أصولِ أهلِ السنةِ والجماعةِ، وهو عدمُ الخروجِ على الأئمةِ، وولاةِ الأمرِ، والسمع والطاعة لَهم.

عنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وَوليُّ الأمرِ: هو الذي قامَ على أمرِ الناسِ، وسُمِّي وليًّا لأنَّه يتولَّى أمورَ الناس

---

(١) أخرجه: أبوداود (٤٦٠٩)، الترمذي (٢٦٧٦)، ابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

أي ما يُصْلِحُ أمورَ دنياهم، وأمورَ دينهم، والمعنى: يسوسُ الناسَ في الدنيا، ويتولَّى أمورَ الدين.

لذا فالإمام لابد أن يكون من أهل الخبرة بأمور الدنيا، ومن أهل العلم الشرعي، أو يكون أهل الخبرة وأهل العلم هم أهل مشورته؛ لأنَّه لايستطيع أن يسوس أمورَ الدنيا والدين على وجه الصلاح للعباد إلا بذلك، ولذلك سُمِّى وليَّ الأمرِ.

قوله (وإن جاروا):

الجَورُ: نَقيضُ العَدْلِ، وضِدُّ القَصْدِ[1]، وَجَارَ عليه يَجُورُ جَوْرًا في الحُكْمِ: أي ظَلَمَ، والجَوْرُ: ضِدُّ القَصْدِ، أو المَيْلُ عنه، أو تَرْكُه في السَّيْر[2].

وعليه فالجور لا يعني الظلم فقط، بل قد يطلق على مجرد ترك العدل والقصد، أو الميل عن العدل والقصد، فهذا يكون جورًا وظلمًا.

والجور نوعان:

الأول: جورٌ في أمورِ الدنيا، كظلمِ الناسِ في أرزاقِهم ومعاشِهم، ونحو ذلك.

الثاني: جورٌ في أمورِ الدينِ، كإلزام الناس بمذهب غير صحيح أو مخالف لمذهب أهل السنة، أوكأن يَمنَع أهلَ العلمِ من تعليم الناس وإرشادهم لسببٍ ما، كما منع بعضُ الأمراء العلماءَ من القول بأَنَّ القرآن كلام الله في زمنٍ ما، وتوعدوا وعاقبوا من يقول بذلك.

وفي كلتا الحالتين لا يجوزُ الخروجُ على وليِّ الأمرِ طالما أنه لم يصلْ إلى حدِّ الكفرِ، لكنَّ هذا لا يمنع أن يبين العلماء للناس الخطأ من الصواب، وأن ينصحوا ولاة الأمور، فهذا باب وهذا باب.

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/ ٤٧٠).

(٢) تاج العروس للزبيدي (١/ ٢٦٣٥).

قوله (ولا نَدْعُو علَيهِم):

بل الواردُ عن علماءِ السنةِ أَنَّهم كانوا يدْعُون لهم.

قال الفضيل بن عياض: لو كانت لي دعوةٌ مستجابةٌ لم أجعلها إِلا في إِمام؛ لأنه إِذا صلح الإِمام أَمِن البلادُ والعبادُ[1].

قوله (ولا ننْزِعُ يَدًا مِنْ طاعتِهم، ونَرى طَاعتَهُم مِنْ طَاعَةِ اللهِ تعَالى فَرِيضَةً، مَا لمْ يَأمُرُوا بِمعْصِيةٍ، وندْعُو لهُمْ بالصَّلاحِ والمُعَافَاةِ):

وليُّ الأمرِ والحاكمُ المسلمُ لا يَخرجُ أمرُه عن أشياءَ:

۞ إمَّا أن يأمرَ بطاعةٍ فهذا يجبُ طاعتُه، ولا تجوز مخالفتُه.

۞ أن يأمرَ بأمرٍ اجتهاديٍّ، أو مسألةٍ حادثةٍ ليس منصوصًا عليها، وقد اختلف فيها العلماءُ، ورجَّح وليُّ الأمرِ أمرًا، فلو كان هذا الأمرُ أو الرأيُ يشمل العامَّة فيجبُ على الإنسانِ أن يلتزمَه في العمل، وإن خالفَه في الرأي، كما صلى ابن مسعود خلف عثمان ﵁ في الحج تمامًا مع أنَّه يرى القصرَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: صَلَّى عُثْمَانُ بِمِنًى أَرْبَعًا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ أَبِى بَكْرٍ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ عُمَرَ رَكْعَتَيْنِ - زَادَ عَنْ حَفْصٍ - وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ ثُمَّ أَتَمَّهَا. زَادَ مِنْ هَا هُنَا عَنْ أَبِى مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمُ الطُّرُقُ، فَلَوَدِدْتُ أَنَّ لِى مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ مُتَقَبَّلَتَيْنِ. قَالَ الأَعْمَشُ فَحَدَّثَنِى مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ عَنْ أَشْيَاخِهِ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ صَلَّى أَرْبَعًا قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: عِبْتَ عَلَى عُثْمَانَ ثُمَّ صَلَّيْتَ أَرْبَعًا قَالَ: الْخِلاَفُ شَرٌّ[2].

۞ أن يأمرَ بمعصيةٍ، فلا يجوز طاعتُه، بل الطاعةُ في المعروفِ، ولا طاعةَ للمخلوقِ في معصيةِ الخالقِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ،

---

(١) اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى (١ / ١٧٦).

(٢) أخرجه: أبو داود (١٩٦٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

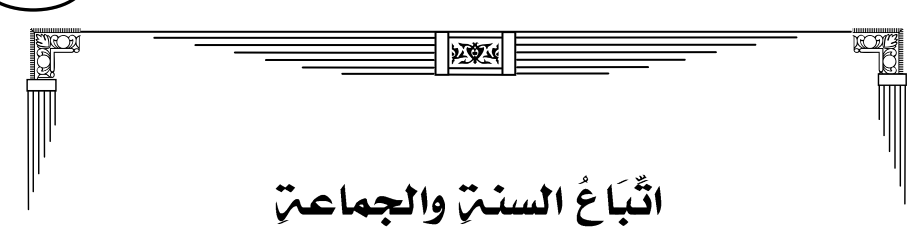
فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، وَطُفِئَتِ النَّارُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(١)].

قوله (ونَدْعُو لهُمْ بالصَّلاحِ والمُعَافَاةِ):

وندعو لهم بالصلاح والعافية؛ لأنه بصلاحهم، وعافيتهم صلاح الأمة، وعافيتها، كما سبق.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧١٤٥)، مسلم (١٨٤٠).



اتِّبَاعُ السنةِ والجماعةِ

ونتّبعُ السُّنَّةَ والجَمَاعةَ، ونجْتَنِبُ الشُّذوذَ، والخِلافَ، والفُرْقَةَ.

قوله (ونتَّبعُ السنةَ والجماعةَ):

ونتَّبعُ السنةَ، أي العلم المأثور عن النبيِّ ﷺ، وليس المراد بالسنة هنا المندوب الذي هو قسيم الواجب، بل المراد بالسنة الطريقة العامةُ التي كان عليها النبيُّ ﷺ والسلفُ الصالحُ.

والجماعةُ تأتي بمعان، منها:

- الجماعةُ الأولى، وهم الصحابةُ، ومَن تَبِعَهُم بإحسان.
- ويُراد بها الحقُّ والدينُ والعلمُ، أي ما عليه أهلُ الحقِّ والعلمِ، لذلك يقول نعيم بنُ حمادٍ[1]: إذا فَسَدَتِ الجماعةُ فعليك بما كانت عليه الجماعةُ، فأنت الجماعةُ حينئذٍ[2].
- وقد تُطْلَقُ الجماعة على الإجماع.

---

(١) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام العلامة الحافظ، أبو عبدالله الخزاعي المروزي الفرضي، صاحب التصانيف، وروى الميموني عن أحمد قال: أول مَن عرفناه يكتب المسند نعيم بن حماد، توفي عام ٢٢٨هـ.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر(٤٦/ ٤٠٩)، تهذيب الكمال للمزي (٢٢/ ٢٦٥)، إعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ٣٩٧).

قوله (ونجْتَنبُ الشُّذوذَ، والخِلافَ، والفُرْقَةَ):

الشذوذُ: هو الانفرادُ، فلا يجوزُ للإنسانِ أن ينفردَ وحده، مع مخالفةِ الجماعة،

كأن تكونَ المسألةُ مسألةً عامَّةً، والانفرادُ يُحدثُ فتنةً أو خلافًا، كما ذكرنا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد يكون معه الحقُّ لكن لا يُحمَدُ له الانفرادُ في هذه الحالةِ.

والمراد بالخلاف هنا الخلافُ في العقيدةِ.

والخلافُ في العقيدةِ نوعان:

الأول: خلافٌ في أصلٍ من الأصولِ، كالخلافِ في مسألة القدَرِ، أو في باب الأسماءِ والصفاتِ، فهذا يخرجُ عن اسمِ أهلِ السنةِ في هذا الباب، ولا يكون منهم طالما خالفَ في أصلٍ كاملٍ فيها.

الثاني: خلافٌ في فرعٍ من هذه الأصول، كأن يُقرَّ عَالمٌ بالأسماءِ والصفاتِ دون تحريف، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيل، لكنه يُخالفُ في صفةٍ من الصفاتِ بتأويلٍ، ظنًّا منه أنَّ هذا التأويل سائغ في صفةٍ ما، لكنه يُقِرُّ بمجمل الأسماءِ والصفاتِ، فهذا يكون مُخطئًا فيما أوَّل، لكنَّه لا يخرجُ عن اسمِ أهلِ السنةِ والجماعةِ في الجملة.

وأيضًا نجتنبُ كلَّ فُرقَةٍ؛ لأنَّ الفُرقَةَ والخلافَ مضارُّها كثيرةٌ.

لذلك بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ الاجتماعَ يكون سببًا للنصر، والفرقة تكون سببًا للهزيمة، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ **[الأنفال: ٤٦]**.

والاختلافُ، والسعي إلى الاختلافِ، أو حبُّ الخلافِ كل ذلك ليس من عمل أهل السنة والفضل، وإن وُجِد الخلاف فلا يؤدي في الغالب إلا إلى الافتراق والتنازع والبغضاء، وقلَّ أن يوجد الخلاف بدون فرقة وتنازع وبغضاء، وإن وجد في بعض العصور النضرة كعصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن بعدهم، فلقد كانوا يختلفون

لكنهم لا يتفرقون، بل يختلفون اختلاف تناصح وتشاورٍ، وليس اختلافَ تنازع وعداوة وبغضاء، وكذلك أهل الفضل والدين والعلم الذين ساروا على طريقتهم، واتبعوا نهجهم.

فأهلُ السنةِ هم المتبعون للسنة، المجتمعون عليها، وهم كذلك ينبذون الفُرقةَ والخلافَ.

لذلك قال: (**ونجْتَنبُ الشُّذوذَ، والخِلافَ، والفُرْقَةَ**).

لأنَّ من تركَ السنةَ والجماعةَ وقع في الشذوذ والخلاف والفُرقَة، والعصمةُ من ذلك هو اتِّباعُ السنةِ، ولزوم جماعةِ أهل الدينِ والعلمِ والحقِّ، وإتباع ما كان عليه الجماعةُ الأولى ﷺ.

✧

ونُحبُّ أهلَ العدلِ والأمَانَة، ونُبغضُ أهْلَ الجَوْرِ والخِيانةِ، ونَقُولُ: اللهُ أعلمُ فِيمَا اشْتَبَه علَيْنَا عِلْمُهُ.

قوله (ونُحبُّ أهلَ العدلِ والأمَانَةِ):

وهذا يبين أنَّ حبَّ أهلِ العدلِ والدينِ والأمانةِ من عقيدةِ أهلِ السنةِ.

❁ المحبة نوعان:

أولًا: محبةٌ طبيعيةٌ: أي محبةٌ فطريةٌ كمحبةِ الأهلِ والأولادِ والأموالِ، فهذه محبة فطريةٌ يستوي فيها كل الناس مسلمهم، وكافرهم.

ثانيًا: محبة دينية:

وهي نوعان: الأولى: محبةُ الله ﷻ. **الثانية:** محبةٌ في اللهِ أو لله.

وهاتان المحبتان واجبتانِ، وهذه تُسَمَّى المحبةَ الدينيةَ.

فالمحبةُ الدينيةُ: هي كل حُبٍّ يكون راجعًا إلى ذات الله تعالى، وأعظمُه وأجلُّه حبُّ ذات الله سبحانه وتعالى، ثم الحب من أجل ذاته سبحانه، ومنها حب أوامره وشرعه؛ لأنها نزلت من عنده، ومنه حب أهل الطاعة والإيمان؛ لأنهم أحبابه وأولياؤه، وهو المقصود بقول المصنف (ونحب أهل العدل والأمانة).

قوله (ونُبغِضُ أهْلَ الجَوْرِ والخِيانةِ): وبغض أهل الجور والخيانة ليس مرتبة واحدة، وإن اجتمعوا في البغض، لكن يكون بغضهم على قدر ما هم عليه من الظلمِ والخيانةِ، وقد يجتمع في الإنسان عدلٌ وأمانةٌ، وجورٌ وخيانةٌ، فالمحبة تزيد وتنقص بحسب طاعة العبد وقربه من الله تعالى، أو معصيته وبعده عنه سبحانه وتعالى، فقد تكون المحبة تامة كاملة كما هي للملائكة والأنبياء؛ لأنهم بلغوا الكمال في الإيمان و القرب من الله تعالى، وقد تكون مختلطة محبة وبغض كما هي للمسلم العاصي، فيُحَبُّ على قدر ما معه من الإيمان والطاعة، ويُبغَض على قدر ما معه من المعاصي، وقد يكون البغض تامًّا وكاملًا كما هو للكافر والمشرك.

وهذا لا ينفي أن يحسن المسلم إلى من حوله وأهله وأقاربه من الكفار، لكن هذا من باب الإحسان والبر، وليس من باب المحبة والموالاة.

قوله (ونَقُولُ: اللهُ أعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَه علَيْنَا عِلْمُه):

ومن عقيدة أهلِ السنةِ وهَديِهم وسَمْتِهم أنَّهم لا يجترئون على الفتوى، ولا يتكلَّمون في دين اللهِ بغيرِ علم، قال ﷻ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ **[الإسراء: ٣٦]**.

بل كان النبيُّ ﷺ كثيرًا ما يسأل الصحابةَ فيقولون: اللهُ ورسولُه أعلم، **عنْ أبي بكرةَ** ﵁ **قالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ** ﷺ **يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْم هَذَا؟»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْس يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «أَلَيْسَ ذُو الحِجَّةِ ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ «أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ؟» قُلْنَا: بَلَى...الحديث "**(١).

وقال النبيُّ ﷺ لعمرَ ﵁:...**«يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»**(٢).

عنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾** [البقرة:٢٥٥] **قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»**(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.




المسحُ على الخُفَّيْن

ونَرَى المسْحَ عَلَى الخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ والحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

قوله (ونَرَى المسْحَ عَلَى الخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ والحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ):

ذكرنا قبلَ ذلك أنَّ ما يُذكَر في العقيدةِ: إما أن يتعلقَ بالتوحيدِ، أو يتعلقَ بالغيبيات، أو أن يكونَ منَ الأحكامِ العمليةِ لكنْ خالف فيه أهلُ البدعِ أهلَ السنة، وصار الخلافُ وسامًا عليهم، والعملُ بهذه المسائلِ وسامًا لأهلِ السنةِ.

ومن ضمن هذه المسائلِ: (المسحُ على الخُفَّين) لخلاف الروافضِ فيها.

لذلك لمَّا خالف أهلُ البدعِ في المسحِ على الخُفَّين، وأصبح وسامًا على أهلِ السنة ذكره أهل السنة في عقائدِهم.

والمسح على الخفين مع أنه من الأحكام العملية إلا أنَّ القول به أصبح من علامات أهل السنة، وهو أيضًا من الدلائل الهامة لكثير من الأمور في الشريعة ترجع كلها إلى صحة عقيدة المسلم وسلامتها، ومنها:

- **المسح على الخفين دليل على أنَّ المسلم يجب عليه التسليم لأوامر ربه،** وإن خالفَتْ عقله ونظره، وهذا من أركان الإيمان والعقيدة؛ إذ إنه من السنة المسح على ظاهر الخف لا أعلاه، وهذه تربية عقدية هامة أن يُسَلِّم المسلمُ قلبَه وعقلَه وروحَه وجوارحَه لربه، فما قضاه الله تعالى سَلَّمَ له، وإن خالف عقله القاصر؛ إذ إنه بذلك يتهم عقله، ويشهد بقصوره، ولا يتهم شرع ربه وأحكامه، وهذا من أسس عقيدة المسلم وصحة بنائها.

قالَ عليٌّ بنُ أبي طالب ﷺ: **لو كانَ الدينُ بالرأيِ لكانَ أسفلُ الخفِّ أَوْلَى بالمسحِ منْ أعلاهُ، لقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يمسحُ على ظاهرِ خُفَّيْهِ**[1].

- **المسح على الخفين أيضًا دليلٌ على عموم الشريعة،** وارتباطها بواقع الناس، وأنَّ الشرع والتشريع ليس منفصلًا عن حياة الناس، بل جعل الله تعالى التخفيف درجات بحسب ما يلم بالناس من المشاق، قال تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [**البقرة: ١٨٥**]، وفي ذلك قاعدة فقهية كبرى في الشريعة وهي: المشقة تجلب التيسير[2]؛ لذا جعل النبي ﷺ المسح للمقيم يومًا وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها؛ لأنَّ المسافر أكثر مشقة وأكثر احتياجًا للتخفيف.

عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُها عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَتْ: عَلَيْكَ بِابْنِ أَبِى طَالِبٍ، فَسَلْهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: **جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيم**[3]، وهذا دليل على ارتباط الشرع بمناحي الحياة، وليس كما يقول أعداء الدين أنَّ الشرع والتشريع خاص بالمساجد، وبيوت الله فقط، ولا علاقة له بواقع الحياة، وهذه من الأمور الهامة في عقيدة المسلم أن يعتقد أنَّ الإسلام عقيدة، وشريعة، ومنهاج حياة.

- **ومن ذلك أيضًا:** أنَّ من صحة عقيدة المسلم وسلامتها حبه لله تعالى وشعوره بفضله عليه ورحمته به؛ إذ العبادة تقوم على ثلاثة أشياء: الخوف، والرجاء، والمحبة، ومما يُنْبِتُ الحبَّ لله تعالى في قلب العبد تيسيرُ اللهِ تعالى لشريعته، والتخفيف فيما كلف به عباده، والمسحُ على الخفين من الأدلة على يسر هذه الشريعة الغراء وسهولتها، وأنَّ الله تعالى لم يجعل على العباد من حرج في

---

(١) أخرجه: أبوداود (١٦٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٢) انظر تفصيل القاعدة في كتاب: الرسالة الندية في القواعد الفقهية (صـ ٥٥) للعبد الفقير.

(٣) أخرجه: مسلم (٢٧٦).

الدين، فمع أنَّ غسل الرجلين ركن من أركان الوضوء، لكن عند الحاجة يُستعاض عنه بمجرد المسح ليس على القدم، بل على الخف، ولم يُكَلَّف بنزع الخف، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: «**أَمَعَكَ مَاءٌ؟**» **قُلْتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ، فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ الإِدَاوَةَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا، حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ:** «**دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**» **فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا**(١)، وهذا مما يورث في عقيدة المسلم حبه لربه، واعترافًا بفضله، وشكرًا على نعمه، وهذا من أصول عقيدة المسلم.

وغير ذلك من الأمور الهامة التي تظهر في مسألة المسح على الخفين، والله أعلم.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٧٩٩)، مسلم (٢٧٤).



وُجُوبُ الحَجِّ والجِهَادِ إلى يومِ القيامةِ

والحَجُّ، والجِهَادُ فرضانِ مَاضِيانِ مَعَ أُولي الأمْرِ مِنَ المُسْلمينَ، بِرِّهِمْ وفاجِرِهِم إلى قِيامِ السَّاعَةِ، لا يُبْطِلُهُما شَيءٌ، ولا يَنقُضُهُما.

قوله (والحَجُّ، والجِهَادُ فرضانِ مَاضِيانِ مَعَ أُولِي الأمْرِ مِنَ المُسْلمينَ):

والمعنى: أنَّ الحجَّ والجهادَ فرضانِ مستمرانِ شرعًا ووجوبًا على المسلم لم يتغيرا، ولم يُنسَخَا، بل حكمهما باق مع وليِّ الأمر والحاكم المسلم.

وخالف في ذلك أهلُ البدع، كالروافض الذين رفضوا الجهادَ والحجَّ إلا مع المهدي، وهو عندهم محمد بن الحسن العسكري.

وكذلك الخوارج رفضوا الجهادَ والحجَّ إلا مع الإمام البرِّ التقيِّ، وهوالذي لا يُعلم عنه معصيةٌ.

قوله (إلى قِيامِ السَّاعَةِ، لا يُبْطِلُهُما شَيءٌ، ولا يُنقِضُهُما):

والمعنى إلى قربِ قيامِ الساعةِ، وذلك لأنَّ الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وحتى لا يقال في الأرض الله الله، فلا جهاد ولا حج حينها، **عنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ**

اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[(١)].

عَنْ أَنَسٍ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ**»[(٢)].

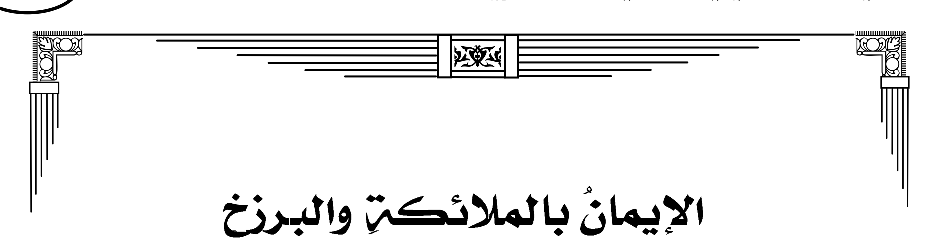
فالجهاد ماضٍ إلى قرب قيام الساعةِ، وكذلك الحجُّ فلا يبطلهما شيءٌ، أي لا يبطل فرضيتَهما شيءٌ، وكذلك لا ينقضهما شيءٌ أي لا ينقضُ الجهادَ والحجَّ بعد أن شرع فيه شيء.

فهما فرضان واجبانِ قبل العمل فلا يُبطَلان، وبعد العمل والشروع لا يُنقضَان.

۞

(١) أخرجه: مسلم (١٩٢٤).

(٢) أخرجه: مسلم (١٤٨).



الإيمانُ بالملائكةِ والبرزخ

ونُؤْمنُ بالكرامِ الكَاتبينَ، وأنّ اللهَ تعالى قدْ جعلَهُم عليْنَا حَافِظِينَ، ونُؤْمِنُ بِمَلَكِ الموْتِ المُوكّلِ بِقبْضِ أرْوَاحِ العَالَمينَ.

قوله (ونُؤْمنُ بِالكِرامِ الكَاتِبينَ):

الوصفُ بالكرمِ وصفُ تشريفٍ؛ لذا ما وصف الله تعالى شيئًا بالكرم إلَّا وكان له مكانة وشرف، لذلك وصف اللهُ ﷻ بعضَ مخلوقاتِه بالكرمِ كالملائكة، فقال جل جلاله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١]، وقال تعالى ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦]، فسمَّى اللهُ الملائكةَ كرامًا؛ لأنَّ لهم شرفًا ومكانةً عند الله.

ووصف به العرشَ، فقال تعالى ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

ووصف الصحُفَ بأنها مكرمة، فقال ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ [عبس: ١٣].

ووصف رسولَه بالكرمِ، فقال ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠].

ووصف نعيم الجنة بأنه رزق كريم، قال تعالى ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [الأحزاب: ٣١].

قوله (الكَاتِبينَ):

وهم الذين يكتبون أعمالَ العبادِ، فنؤمن بجميعِ الملائكةِ الكَاتِبينَ، وغيرِهم.

قوله (فإنَّ اللهَ قدْ جعلَهُم عليْنَا حَافِظِينَ):

والملائكة الحافظون أنواع:

- فمنهم الذين يحفظون الأبدان من الأسواء والحادثات.

- ومنهم الذين يحفظون الأعمال بكتابتِها.

- ومنهم الذين يحفظون الأرواح بعد موتها وإنزالها منازلها من الخير والشر، وكلهم حفظة لا يُفَرِّطون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾[الأنعام:٦١] أَيْ من الملائكة يحفظون بدنَ الإنسانِ، كقوله ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[الرعد:١١]، وَحَفَظَةً يَحْفَظُونَ عمله ويحصونه كقوله ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠]وكقوله ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٧-١٨]، وَقَوْلُهُ ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أَيِ احْتَضَرَ وَحَانَ أَجَلُهُ ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾ أَيْ مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بِذَلِكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يُخْرِجُونَ الرُّوحَ مِنَ الْجَسَدِ، فَيَقْبِضُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ إِذَا انْتَهَتْ إِلَى الْحُلْقُومِ، وَسَيَأْتِي عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٢٧] الْأَحَادِيثُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِذَلِكَ الشَّاهِدَةُ لِهَذَا الْمَرْوِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍوَغَيْرِهِ بِالصِّحَّةِ.

وَقَوْلُهُ ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أَيْ فِي حِفْظِ رُوحِ الْمُتَوَفَّى، بَلْ يَحْفَظُونَهَا، وَيُنْزِلُونَهَا حَيْثُ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَبْرَارِ فَفِي عِلِّيِّينَ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْفُجَّارِ فَفِي سِجِّينٍ، عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ[1].

وقول المصنف رَحِمَهُ اللهُ **(قد جعلهم علينا حافظين)** يعني الذين يحفظون الأعمال ويحصونها، فالسياق يدل على ذلك، وإن كنا مطالبين بالإيمان بجميع

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٨).

الملائكة من الحفظة، وغيرهم.

قوله (ونُؤْمِنُ بِمَلَكِ المَوْتِ):

وهو ملكٌ مُوكَّلٌ بقبضِ الأرواح، وله أعوانٌ، كما قال ﷻ: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: ١١].

وقال النبيُّ ﷺ: **"...ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ..."**[1].

تنبيه: الملكُ المُوَكَّل بقبض الأرواح يُسمَّى ملكَ الموتِ، وليس عزرائيل كما يقال، فليس هناك نصٌّ صحيحٌ على ذلك.

قوله (المُوكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِينَ):

الروح من الغيب الذي لا يعلم حقيقته، ولا ماهيته، ولا كيفيته إلا الله؛ لذا قال ﷻ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ **[الإسراء: ٨٥]**.

لكننا نؤمن بها، وبكل ما ورد من أوصافها مثل: أنها تخرجُ، وتصعدُ، وتتحرك، ويكونُ لها بعضُ الارتباطِ بالبدن، ونحو ذلك.

والعالَمين: جمع عالَمُ وهو يشمل كلَّ مخلوقاتِه.

قال الزَّجَّاجُ[2]: العالَم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة، قال القرطبي: وهذا

---

(١) أخرجه: أحمد (١٨٥٣٤)، البيهقي في الشعب (٣٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، ولد ٢٤١ هـ في بغداد، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو، فعَلَّمَه المبردُ، ومن كتبه (معاني =

هو الصحيح أنه شامل لكل العالَمين كَقَوْلِهِ: قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ. قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ [الشعراء: ٢٣]، والعالَم مشتق من العلامة. (قُلْتُ) لأنه عِلمٌ دالٌّ على وجود خالقه وصانعه، ووحدانِيَّته كما قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[1]

٨٠◊٠٣

=

القرآن)، و(الاشتقاق)، و(الأمالي) في الأدب واللغة، و(إعراب القرآن)، توفي عام ٣١١ هـ.

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦).

ونُؤْمِنُ بِعَذَابِ القَبرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وبِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنكيرٍ للميت في قبْرِهِ عنْ ربِّهِ وَدِينِهِ وَنَبيِّه، علَى مَا جاءَتْ به الأخْبارُ عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وعَنْ أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أجمعين، والقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنّةِ، أوْ حُفْرةٌ مِنْ حُفَرِ النّيرانِ.

الإيمان بعذاب القبر هو إيمان بأمر من الغيبيات التي ورد بها النص من الكتابِ، والسنةِ، والإجماعِ.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥﴾ [نوح: ٢٥].

والفاءُ تقتضي الترتيبَ و التعقيبَ، فدلَّ على أنَّهم أُدْخلوا النار بعد الإغراقِ مباشرةً، وهذه ليست نارَ الآخرةِ قطعًا، و لكنها نارُ القبرِ.

وورد في إثبات عذاب القبر كثير من الأدلة من سنة النبي ﷺ، منها:

عنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺفِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ، فَقَالَ: **«مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ " قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**(١).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺوَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا،

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٨٦٧).

فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»(١).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ المَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «**صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ كُلُّهَا**» فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلاَةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ(٢).

عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» **ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»**(٣).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ؛ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ**»(٤).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ يَهُودِيَّةٌ، فَاسْتَطْعَمَتْ عَلَى بَابِي، فَقَالَتْ: أَطْعِمُونِي أَعَاذَكُمُ اللهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَتْ: فَلَمْ أَزَلْ أَحْبِسُهَا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ؟ قَالَ: "**وَمَا تَقُولُ؟" قُلْتُ: تَقُولُ: أَعَاذَكُمُ اللهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَّالِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ، وَسَأُحَذِّرُكُمُوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١٣٧٥)، مسلم (٢٨٦٩).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٣٦٦)، مسلم (٥٨٦).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢١٨)، مسلم (٢٩٢).

(٤) أخرجه: الدارقطني في سننه (٤٥٩)، وقال المحفوظ مرسل، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٢).

كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ[١]، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ؟ فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا، فَتُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُعَذَّبُ "[٢].

س: هل عذابُ القبرِ لمن يُدفَنُ في القبرِ فقط، أم لكل ميت؟

ج: عذاب القبر كلمة تتكون من المضاف والمضاف إليه، فكلمة "عذاب" مضافة إلى كلمة "القبر"، والإضافةُ في اللغةِ لها حالات:

❁ **إضافةِ الشيءِ إلى فاعلِه**، قال تعالى ﷿ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣]، فكلمة" بالغ" أُضيفت إلى فاعلها، وهو "أمره".

❁ **إضافة الشيءِ إلى مفعولِه**، قال تعالى ﷿ ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦]، فكلمة"خالق" أضيفت إلى المفعول، وهو " كل

---

(١) الشَّعَفُ: شدَّةُ الفَزَع حتى يذهَب بالقلب. النهاية في غريب الحديث (٢/ ١١٧٢).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٥٠٨٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

شيء".

إضافة الشيءِ إلى مكانه كعذاب القبر.

وإضافة العذاب إلى القبر حكمٌ أغلبيٌّ، وليس احترازيًّا، فلا يصحُّ أخذُ مفهوم المخالفةِ منه؛ لأنَّ من شروطِ الأخذِ بمفهوم المخالفة أن يكونَ الحكمُ احترازيًّا وليس أغلبيًّا[1]؛ لأنَّ الأخذ بمفهوم المخالفة يؤدي إلى القول بأنَّ مَن يُقبَر فقط هو الذي يُعذَّب، ويُنعَّم في القبر، أمَّا مَن لم يُقْبَرْ لا عذابَ، ولا نعيمَ له، وكذلك فإنَّ عذاب القبر ونعيمه يرجع إلى عمل العبد، لا إلى كيفية دفنه أو مكان دفنه، ولو كان عذاب القبر لمن يُدْفَنُ في القبر فقط لما تدافن الناس في قبورهم، فالذي لا يُقبر كالذي يموت حرْقًا أو غرَقًا يُعذَّبُ و يُنعَّمُ، ويدل عليه قول الله تعالى السابق" أُغرقوا فأُدخلوا نارًا"، ويشهد لذلك قول النبي ﷺ لمَن هَمُّوا بدخول النار طاعة لأميرهم **"لو دخلوها ما خرجوا منه"**، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، **فَأَوْقَدُوا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، وَطُفِئَتِ النَّارُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»**[2]، ومعنى: لو دخلوها ما خرجوا منها أي: ظلوا فيها مستمرين من وقت دخولهم، وهم لا يدخلون نار

---

(١) القيد الاحترازي: هو القيد الذي يشتمل على وصف يصلح لأن يتعلق به الحكم دون غيره، فيثبت له الحكم ويُنْفَى نفسُ الحكم عن غيره، والدليل أن نسبته للقبر هنا حكم أغلبى وليس احترازيًّا؛ أنَّ مدار العذاب والنعيم يدور على أعمال العباد ولا علاقة له بمكان موته أو مكان دفنه، خاصة وأنَّ إقبار الميت أو عدم إقباره ليس من فِعل العبد نفسه، ولكنه من فِعْل غيرِه، فكيف يتوقف عليه عذابه أو نعيمه، وهو ليس ممَّا كسبته يداه.

(٢) سبق تخريجه.

الآخرة بعد موتهم مباشرة، فدل أنهم لو دخلوها كانوا سيكونون في نار عذاب القبر، مع أنهم لم يدفنوا في قبورهم.

عذابُ القبرِ قسمان:

الأول: عذابٌ دائمٌ لا ينقطع إلى يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فدلَّ على أنَّ هذا مستمرٌّ إلى يوم القيامة.

الثاني: عذابٌ قد ينقطع.

وهو العذاب لبعض العصاة من المسلمين، ويدل لذلك ما فعله النبيُّ ﷺ لمَّا مرَّ بقبرين فوجدهما يعذبان: **فأَخَذَ ﷺ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»**(١).

قوله (وبِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنكِيرٍ):

اختلف العلماءُ في هذين الاسمين هل هما اسمان أم وصفان؟

فمِن العلماء مَن يقول: إنَّ هذه أسماء لهما، فأحدهما اسمه منكر، والثاني نكير.

وقال بعضُ العلماء: هذا ليس اسمًا لكنه وصفٌ؛ لأنهما لمَّا كانا مُنكَرَين بالنسبةِ للميتِ لا يعرفهُما، وأمرهما مُنْكَرٌ بالنسبة له، وُصِفَا بذلك، وهما الموكلان بسؤال الميت في قبره.

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: **«اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»**(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: أبو داود (٣٢٢١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥١١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَنَازَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ، فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ بِهِ، فَهَذَا مَنْزِلُكَ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا يَقُولُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَيَقُولُونَ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَلَا اهْتَدَيْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِهِ فَإِنَّ اللهَ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ يَقْمَعُهُ قَمْعَةً بِالْمِطْرَاقِ يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَيْهِ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ إِلَّا هِيلَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "** ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٢٧] **"**(١).

وقوله (فِي قَبْرِهِ):

هذا حكم أغلبيٌّ، لكن كلُّ ميتٍ يُسألُ، ويُفتَنُ كما سبق.

ضمة القبر:

ومما يحدث في القبر أيضًا، ويجبُ الإيمانُ به لورودِه عن النبيِّ ﷺ ضمةُ القبرِ.

عنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: قالَ ﷺ **«للقبرِ ضغطةٌ لو نَجا منها أحدٌ لنَجا منها سعدُ بنُ معاذٍ»**(٢).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ صَبِيًّا دُفِنَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (٣١١٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٩٥).

ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَأَفْلَتَ هَذَا الصَّبِيُّ»[١].

قوله (والقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ)[٢]:

الروضةُ: هي الأرضُ ذات الخضرة، والبستان الحسن[٣].

الحفرة هي: ما يُحفَر من الأرض وغيرها[٤]، حَفَرَ الشَّيْءَ يَحْفِرُه واحْتَفَرَه: نَقَّاه كما تُحْفَرُ الأَرْضُ بالحَدِيدَةِ، واسم المُحتَفَرِ: الحُفْرَة[٥]، ومنه سُمِّي القبر: الحفير[٦].

والقبرُ روضةٌ من رياضِ الجنةِ، أو حفرةٌ من حُفَرِ النيرانِ حقيقةً لِمَا يحدث فيه من النعيمِ أو العذابِ كما سبق.

---

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير (٣٨٥٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٦٤).

(٢) ورد حديث بهذا اللفظ أخرجه: الترمذي (٢٤٦٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٢٣١).

(٣) تاج العروس للزبيدي (١/ ٥٦).

(٤) المعجم الوسيط (١/ ١٨٤).

(٥) تاج العروس للزبيدي (١/ ٢٧١٠).

(٦) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/ ٤٨٣).



الإيمانُ بيومِ القِيامَةِ وما فيهِ مِنَ المشاهدِ

وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ، وجَزَاءِ الأعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالعَرْضِ، وَالحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الكِتَابِ، والثَّوابِ والعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالمِيزَانِ.

قوله (وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ):

والبعثُ يكون بعد النفخة الثانية، فالنفخة الأولى يُصعَق فيها العباد، والنفخة الثانية يُبعَث بها العباد، وبين النفختين أربعون، ويُبعَث الناس - بعدما بَلِيَتْ أجْسَادُهم - من عَجْبِ الذَّنَبِ، وهو عظم أسفل الصلب، فإنَّ الأرض تأكل كل الجسد إلا عَجْبَ الذَّنَب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ» قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[1].

وبيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ هذا أمرٌ قريبٌ جدًّا، بل إنَّ صاحبَ القرنِ قد التقم القرن، وينتظر الأمر بالنفخ، **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٨١٤)، مسلم (٢٩٥٥).

أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا»(١).

الحشر:

والحشر من الأشياء الغيبية التي نؤمن بها، ووردت بها الأدلة، والحشر يكون بعد البعث والنشور، ويكون الحشر إلى أرض المَحشَرِ والحسابِ.

صفة الحشر وأحوال الناس فيه:

إنَّ الدار الآخرة دار جزاء وحساب، وفيها يتفاوت الناس على حسب أعمالهم من بداية اليوم الآخر إلى أن يأخذوا أماكنهم في الجنة أو النار - عافانا الله والمسلمين من النار - حتى في هيئة محشرهم، لا يُحشرون محشرًا واحدًا، بل كلٌّ على حسب عمله.

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **" يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاَثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلاَثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا "**(٢).

واختُلِف في هذا الحشر: هل هو يوم القيامة أم قبله؟ ولأيِّ سبب كان اختلاف هذه الهيئات؟

أما عن وقت الحشر بهذه الصفة:

قال القاضي عياض(٣): هذا المحشر في الدنيا قبل قيام الساعة، وهو آخر

---

(١) أخرجه: أحمد (١١٠٣٩)، الترمذي (٢٤٣١)، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦٩).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٢٢)، مسلم (٢٨٦١).

(٣) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون أبو الفضل: عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب، وُلِدَ عام ٤٧٦ هـ، وتوفي مسمومًا، من تصانيفه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، و(شرح صحيح مسلم)، و(مشارق الأنوار)، توفي عام =

أشراطِها، ويدل على أنه قبل يوم القيامة

قَوْلُه ﷺ (**وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهمْ النَّارُ تَقِيل مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيت مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِح مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا**)(١).

قال النووي: قال العلماء هذا الحشر في آخر الدنياقُبَيْل القيامة، وقُبَيْل النفخ في الصور، وهو آخر أشراط الساعة تحشرهم نار تخرج من قعر عدن(٢).

وقال بعض العلماء: أنَّ ذلك في الآخرة(٣).

والأول أقرب- والله أعلم - لتتمة الحديث السابق كما استدل به القاضي عياض.

وأما عن سبب اختلاف أحوالهم:

قال بعض العلماء: نرى أنَّ هذا التقسيم الذي وقع في هذا الحديث نظير التقسيم الذي وقع في تفسير الواقعة في قوله تعالى" وكنتم أزواجًا ثلاثة........" الآيات، فقوله في الحديث "راغبين راهبين" يريد به عوام المؤمنين، وهم مَن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فيترددون بين الخوف والرجاء، يخافون عاقبة سيئاتهم، ويرجون رحمة الله بإيمانهم، وهؤلاء أصحاب الميمنة، وقوله "واثنان على بعير...الخ" السابقين، وهم أفاضل المؤمنين يحشرون ركبانًا، وقوله "وتحشر بقيتَهم النار" يريد به أصحاب المشأمة، وركوب السابقين في الحديث يحتمل الحمل دفعة واحدة تنبيهًا على أنَّ البعير المذكور يكون من بدائع فطرة الله تعالى حتى يقوى على ما لا يقوى عليه غيره من البعران، ويحتمل أن يراد به التعاقب. قال الخطابي: وإنما سكت عن الواحد إشارة إلى أنه يكون لمن فوقهم في المرتبة

=

٥٤٤ هـ.

(١)حاشية السيوطى على النسائى (٣/ ٣١٥).

(٢) الديباج على مسلم (٦/ ١٩٧).

(٣) حاشية السيوطي على النسائي (٣/ ٣١٥). ذكره عن الحليمي.

كالأنبياء ليقع الامتياز بين النبي، ومن دونه من السابقين في المراكب كما وقع في المراتب[١].

وقيل: يحتمل أنَّ قوله عليه الصلاة والسلام: يُحشَر الناس على ثلاث طرائق إشارة إلى الأبرار والمُخَلِّطِين والكفار، فالأبرار الراغبون إلى الله تعالى فيما أعدَّ لهم من ثوابه، والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء، فأما الأبرار فإنهم يُؤتَوْنَ بالنَّجائب، وأمَّا المُخَلِّطُون فهم الذين أُرِيدوا في هذا الحديث، وقيل إنهم يُحمَلون على الأبْعِرَة، وأمَّا الفجَّار الذين تحشرهم النَّار[٢]، وقيل غير ذلك.

صفات أخرى لأهل المحشر:

عنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، **قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ:** «**الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاك**»[٣].

عنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ: رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا، وَرُكْبَانًا، وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ**»[٤].

وفي رواية: «**إِنَّكُمْ مَدْعُوُّونَ مُفَدَّمَةً أَفْوَاهُكُمْ بِالْفِدَامِ، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُبِينُ عَنْ أَحَدِكُمْ لَفَخِذُهُ وَكَفُّهُ**»[٥]، الفِدام: ما يُشَدُّ على فَمِ الإبْرِيق والكُوزِ مِن خِرْقةٍ لتَصْفيَةِ الشَّرابِ الذي فيه: أي أنهم يُمْنَعون الكلامَ بأفواهِهم حتى تتَكَّلم جوارِحُهم، فشَبَّه

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٨٠).

(٢) حاشية السيوطى على النسائى (٣/ ٣١٥).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٢٧)، مسلم (٢٨٥٩).

(٤) أخرجه: أحمد (٢٠٠٣١)، الترمذي (٢٤٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٠٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٥) أخرجه: أحمد (٢٠٤٣)، النسائي في الكبرى (١١٤٠٥)، الطبراني في الكبير (٩٧٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧١٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

ذلك بالفِدام[١].

أرض المحشر:

وأرض المحشر في الدنيا هي أرض الشام:

عنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **"تُحْشَرُونَ هَاهُنَا، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَحْوِ الشَّامِ مُشَاةً وَرُكْبَانًا..."**[٢].

وأرض محشر الآخرة والحساب هي أرض بيضاء عفراء كقُرْصَةِ نَقِيٍّ:

عنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ**[٣]، **كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ**[٤]»، قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»[٥].

قوله (وجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ):

الواو هنا لا تقتضي التعقيب، فليس الجزاءُ بعد البعثِ مباشرة، لكنَّ الجزاءَ يكون بعد العرضِ والحسابِ والميزانِ وغيرِها، لكنَّه أجمل فذكر البداية، وذكر النهاية والغاية، ثم فصَّل بعد ذلك، فقال: نؤمن بالبعث والجزاء؛ لأنَّ البعثَ من أجل الجزاء، فالله سبحانه وتعالى يبعث العبادَ لكي يجازيَ الناسَ بأعمالهم، وإذا أُطْلِقَ الجزاءُ فيرادُ به الجزاءُ النهائيُّ (الجنة والنار).

قوله (يَوْمَ القِيَامَةِ): وسُمِّى يومُ القيامةِ بيوم القيامة لأنه تقوم فيه الأبدان

---

(١) النهاية في غريب الحديث. لأبى السعادات ابن الجزري (٣/ ٨٠٧).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٠٠٢٢)، الطبراني في الأوسط (٦٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٠٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٣) بيضاء عفراء: أي بيضاء إلى حمرة. شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٣٤).

(٤) كقُرْصَةِ نَقِيٍّ: بفتح النون وكسر القاف، وهو الدقيق النقى من الغش والنخال. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٣/ ٣٢٢).

(٥) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٢١)، مسلم (٢٧٩٠).

وتُبعَث.

وقيل: لأنَّ الشهودَ أو الأشهاد تقوم فيه، والأشهادُ هم الأنبياءُ والملائكةُ وأمةُ النبي ﷺ تكون شاهدة على الأمم الأخرى، والجوارحُ والأعضاءُ تشهد على أصحابها، وغيرُ ذلك.

ويوم القيامة يوم يطول على الناس، لكن يخففه الله على المؤمن، **عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَيَهُونُ ذَلِكَ الْيَوْمُ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ»**[1].

وهو يوم شديد على الخلائق، ويحقر الناسُ أعمالَهُم يوم القيامة لما يرون من شدة العذاب وعظم النعيم.

عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **" لَوْ أَنَّ رَجُلًا يَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ، لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "**[2].

قوله (وَالعَرْضِ):

والمرادُ بالعَرْضِ: الإمرارُ والمقابلةُ.

وعَرَضْتُ الجَيْشَ فاعْتَرَضُوا: أمْرَرْتُهم عَلَيَّ، وعَرَضْتُ الكِتَابَ والهِبَةَ، وعَارَضْتُه: قَابَلْتُه[3]، قال ﷻ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [**الحاقة: ١٨**].

والمراد بالعرضِ هنا: العرضُ على الله ﷻ، قال تعالى ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [**الكهف: ٤٨**].

---

(١) أخرجه: أبو يعلى في مسنده (٦٠٢٥)، ابن حبان في صحيحه (٧٣٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٨٩).

(٢) أخرجه: أحمد (١٧٦٤٩)، الطبراني في الكبير (٣٠٣)، البيهقي في الشعب (٧٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٤٩).

(٣) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (١/ ٤٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ؟، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ "[(١)].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ "[(٢)].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٦٨).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٩٦٩).

قوله (وَالحِسَابِ):

والحِسابُ لغة: هو عَدُّكَ الأشياءَ حَسَبْتُ الشيءَ أَحْسَبُهُ حِسابًا وحِسَابَةً وحِسْبَةً وحُسْبانًا وحُسْبَانُكَ على الله - أي حِسَابُك[١]، والمرادُ هنا عدُّ أعمالِ العبدِ عليه وسؤالُه عنها، قال تعالى ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]، والله تعالى هو أسرع الحاسبين، قال تعالى ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

أوَّلُ مَن يُحاسَبُ:

وأولُ مَن يُحاسَب من الأمم أمة الإسلام، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ، وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ "**[٢].

أشياء تحدث قبل الحساب:

وهناك أشياء كثيرة تحدث قبل الحساب، وهي بمثابة التوطئة لحساب الخلق، وإقامة الحجج عليهم، منها:

مجيء الله تعالى، وسؤال مَن عُبِد من دون الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٣].

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: **" يُلَقَّى عِيسَى حُجَّتَهُ وَلَقَّاهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ**

---

(١) المخصص لابن سيده (٥/ ١٩٣).

(٢) سبق تخريجه.

يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾[المائدة:١١٦] " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ" فَلَقَّاهُ اللهُ: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ ﴾[المائدة:١١٦] " الآية كلها:[١].

سؤال الأنبياء والرسل عن تبليغهم الرسالة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] "[٢].

قطع الأنساب بين الناس، حتى الأنبياء وذويهم:

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ "[٣].

مجيء جهنم لأرض الحساب، وتوعدها لأصناف من الناس:

عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٠٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٥٩).

(٢) أخرجه: البخاري (٤٤٨٧).

(٣) سبق تخريجه.

زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنِ ادَّعَى مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَالْمُصَوِّرِينَ "[(٢)].

بيان أنَّ نعيم الدنيا وبؤسها في الآخرة ليس بشيء:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»[(٣)].

الأمر لآدم بإخراج بعث الجنة وبعث النار:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: أحمد (٨٤٣٠)، الترمذي (٢٥٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٥١).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٨٠٧).

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»(١).

أنواعُ الحساب:

الأول: حسابُ موازنةٍ بين الحسناتِ والسيئاتِ: قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

الثاني: حسابٌ خاصٌّ بعرضِ السيئاتِ على العبدِ مع عدم المؤاخذةِ بها:

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " **إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: {هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}** [هود: ١٨] "(٢).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ " **اللهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**"، **فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: " أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ، وَكُلُّ مَا**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٣٠)، مسلم (٢٢٢)، والرقمة: الخط، والرقمتان في الحمار: هما الأثران اللذان في باطن عضديه، والغاية بيان قلة عدد المؤمنين بالنسبة إلى الكافرين، وأنهم غاية في القلة.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٤٤١)، مسلم (٢٧٦٨).

يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكَفِّرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ"[١].

الثالث: حسابٌ لقصاص المظالم بين أهل الجنة:

ويكون ذلك بعد عبور الصراط، يحبس أهل الجنة على قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم، **عنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ** رضي الله عنه: **عَنْ رَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وسلم **قَالَ: " إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ،فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا،أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا"**[٢].

الحساب يكون بلا واسطة:

والحساب يكون بين الله تعالى وعبده مباشرة بلا واسطة، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ** صلى الله عليه وسلم: **مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ "**[٣].

أوَّلُ مَن يُحَاسَبُ مِنَ الناسِ:

وأَوَّلُ مَن يُحَاسَبُ منَ الناسِ ثلاثةٌ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ[٤]: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٤٢١٥)، الطبراني في الأوسط (٣٦٤٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٥٦٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٢٤٤٠).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٥١٢)، مسلم (١٠١٦).

(٤) (ناتل أهل الشام)، وفي الرواية الأخرى(فقال له ناتل الشامي)، وهو ناتل بن قيس الجذامي الشامي من أهل فلسطين، وهو تابعي، وكان أبوه صحابيًّا، وكان ناتل كبير قومه، وكان أبوه قيس بن زيد ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه و سلم، وشهد ناتل صفين مع معاوية، وقتل سنة ٣٦هـ .

رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **" إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ "**[1].

أوَّلُ ما يُحاسَبُ عليه العبدُ مِنَ الأعمالِ:

وأوَّلُ ما يُحاسَب عليه العبدُ منَ الأعمالِ الصلاةُ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **" أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ نَافِلَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْمَلَهَا، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا، هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَأَكْمِلُوا بِهَا مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَتِهِ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ "**[2].

وبيَّن النبيُّ ﷺأنَّ هناك أشياءَ خاصةً يُحاسَب عليها العبد، ويُسأَل عنها ألا وهي العمرُ، والمالُ، والشبابُ، والعلمُ، والجسمُ، **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا**

---

(١) أخرجه: مسلم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه: أحمد (١٦٦١٤)، ابن ماجه (١٤٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٧١)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

عَلِمَ»[(١)].

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»[(٢)].

ثم يكون السؤال عن كل شيء إلا من عفا الله عنه، أو لقَّنَه حجتَهُ، قال تعالى ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

عنْ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللهُ عَبْدًا حُجَّتَهُ، قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ، وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ»[(٣)].

صورٌ من محاسبةِ بعضِ الخلقِ:

ذكر النبي ﷺ بعض صور الحساب الواقعة لبعض الناس، فمنهم من تجاوز الله عنه، ومنهم من أوبقه بعمله.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ**

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤١٦)، الطبراني في الكبير (٩٧٧٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٩٩).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٤١٧)، الدارمي في سننه (٥٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٣) أخرجه: أحمد (١١٢٤٥)، ابن ماجه (٤٠١٧)، ابن حبان (٧٣٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨١٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي "(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ؟» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ "(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي "(٣).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٩٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه: مسلم (٢٥٦٩).

كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لا أَرَاهَا هَا هُنَا " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ"(١).

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي "**(٢).

قوله (وَقِرَاءةِ الكِتابِ):

وقبل قراءة الكتاب تطايرُ الصحفِ، وأخذُ الكتابِ باليمينِ أو الشمالِ، ثم قراءةُ الكتابِ، ثم الحسابُ، فهنا لم يذكرها المصِّنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ على الترتيب.

قال الله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ **[الإسراء: ١٣ - ١٤]**.

وقراءة العبد كتابه بنفسه فيه كثير من الحِكَمِ، منها:

- تمام إقامة الحجة على العبد، ولئلا يكون له عذر عند الله بعد ذلك.

- فيه من النكال والإهانة للعبد المذنب، وإظهار الحسرة والتحسر على ما فات منه، وما قصَّر في جناب الله تعالى.

- وفيه من السعادة والكرامة للعبد الصالح أن تقر عينه بما فعل.

ولذا أتبع الله تعالى ذكره لقراءة العبد كتابه بنفسه بقوله ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى

---

(١) أخرجه: مسلم (١٩٠).

(٢) أخرجه: مسلم (١٥٦٠).

لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

والمعنى: أنَّ من يهتدِ فلنفسه جزاءً وإكرامًا، ومن ضل فعلى نفسه جزاءً وإهانةً.

قوله (والثَّوابِ والعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالمِيزَانِ):

وهذا أيضًا ليس مُرَتَّبًا، فالمراد: والميزانِ والصراطِ والثوابِ والعقابِ.

فالميزانُ قبل الصراطِ.

والثوابُ والعقابُ بعد الصراطِ.

الوزن والميزان:

والوزن والميزان حقيقيان، والميزان له كفتان كما سيأتي في الأدلة إن شاء الله تعالى، وبالميزان تُوزَن أعمال العباد، فمن رجحت حسناته فهو من الناجين، ومن رجحت سيئاته فهو من الهالكين، قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾** ﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

وورد في بعض الأدلة أنَّ الذي يُوزَن الأعمال، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **" كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ "**[1].

ووردت أدلةٌ بأنَّ الذي يُوزَنُ السِّجلاتُ والصحفُ التي يُكْتَبُ فيها الأعمالُ، عنْ عبدِاللهِ بنِ عمروٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **" إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا**

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه: البخاري (٧٥٦٣)، مسلم (٢٦٩٤).

رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[(١)].

ووردت أدلة بأنَّ الذي يُوزَنُ صاحبُ العمل، عنْ أبي هريرةَ: رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قالَ:" إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لايَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥][(٢)].

عَنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ: عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ: أنهُ كانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ، وكانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ القَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ" مِمَّ تَضْحَكُونَ؟" قالُوا: يا نَبِيَّ اللهِ مِن دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ" والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِن أُحُدٍ"[(٣)].

الصراط:

الصراط جسر مضروب على ظهر جهنم، وعليه يمر الخلائق جميعًا، ويختلف سَيْرُ الناس عليه على حسب منازلهم؛ لذا فإنه من المواضع التي يكثر عندها وجود النبي ﷺ، عنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: " أَنَا فَاعِلٌ "، قَالَ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: " اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ "، قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: " فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ "، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: " فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُخْطِئُ هَذِهِ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤٧٢٩)، مسلم (٢٧٨٥).

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٣٩٩١)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن.

الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[١].

والمعنى: أني لا أتجاوز هذه المواطنَ الثلاثةَ، ولا أحد يفقدني فيهن جميعهن، فلا بد أن تلقاني في موضع منهن[٢].

وقيل: بأنَّ المرادَ أني لا أزال أتردَّد بين هذه الموضع، فتارةً أَلْقاك ههنا، وأخرى هناك، فكأنه ﷺ لا يكون له استقرارٌ في موضعٍ من المَحْشر، مادام تحاسب أُمتُه، فيراقِبُ أُمته في مواضعِ الأَهْوالِ كُلِّها[٣].

أحوالُ الناسِ على الصراطِ:

والناس في جملتهم على الصراط على ثلاثة أحوال: فناجٍ مُسَلَّمٌ، وناج مخدوشٌ، ومكدوسٌ في نارِ جهنمَ، **عنْ أبي هريرةَ** ؓ: **عنِ النبيِّ** ﷺ: **" وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ...." وقَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: **" فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ " قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو "**[٤].

عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ ؓ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ"...**قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: " مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي**

---

(١) أخرجه: أحمد (١٢٨٢٥)، الترمذي (٢٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٢٥).

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ١٠٢).

(٣) انظر: فيض الباري على صحيح البخاري للكشميري الهندي (٤/ ٢٨٧).

(٤) أخرجه: البخاري (٦٥٧٣).

نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا....[١]"[٢].

درجات الناجين على الصراط:

والناجون على الصراط ليسوا على درجة واحدة، بل تختلف درجاتهم على حسب أعمالهم ومنازلهم، فمنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس المجد، وآخرون يسعون سعيًا، وآخرون يمشون مشيًا، وآخرون يحبون حبوًا، وآخرون يزحفون زحفًا، وهكذا.

عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ ﵁ قال:"...قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: "**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ،** "[٣].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: **يُعْرَضُ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ، وَكَلَالِيبُ، وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ، قَالَ: فَيَمُرُّ النَّاسُ مِثْلَ الْبَرْقِ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الرِّيحِ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجِدِّ، وَآخَرُونَ يَسْعَوْنَ سَعْيًا، وَآخَرُونَ يَمْشُونَ مَشْيًا، وَآخَرُونَ يَحْبُونَ حَبْوًا، وَآخَرُونَ يَزْحَفُونَ زَحْفًا**"[٤].

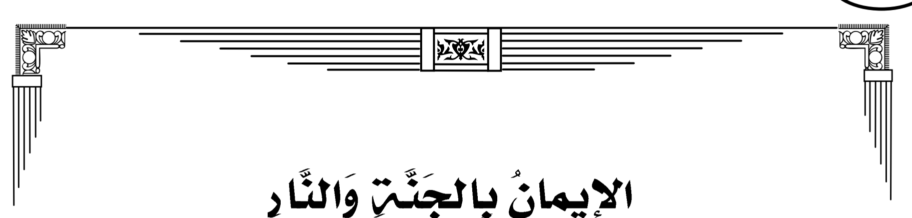
---

(١) (مدحضة) من دحضت رجله إذا زلقت ومالت، (مَزِلَّة) موضع تزلق فيه الأقدام، (خطاطيف) جمع خطاف وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء، وفي معناها (الكلاليب) فهي جمع كلوب، وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم، وقيل هي ما يتناول به الحداد الحديد من النار، (حَسَكَة) شوكة صلبة، (مفلطحة) عريضة، (عُقَيْفَة) منعطفة معوجة، (بنجد) مكان مرتفع، (مخدوش) مخموش مُمَزَّق، (مكدوس) مصروع أو مدفوع مطرود.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٤٣٩)، مسلم (١٨٣).

(٣) الحديث السابق.

(٤) أخرجه: أحمد في مسنده (١١٢٠٠)، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم.



الإيمانُ بالجَنَّةِ وَالنَّارِ

وَالجَنّةُ وَالنّارُ مَخلُوقتَان، لا تَفْنَيَان أبَدًا، وَلا تَبيدَان، وَأنّ اللّهَ تَعَالى خَلَقَ الجنّة وَالنّار قَبْلَ الخَلْق، وَخَلَقَ لَهُما أهْلًا، فَمَنْ شَاءَ منْهُمْ أدخَلَهُ الجنّةَ فَضلًا منْه، ومَنْ شَاءَ منْهُمْ أدخَلَهُ النّارَ عَدلًا مِنْهُ، وكُلٌّ يَعمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ منهُ، وَصَائرٌ إلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

قوله (وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ):

فالجنة والنار مخلوقتان وموجودتان، قال تعالى عن الجنة ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال عن النار ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١]، فالتعبير بلفظ "أُعِدَّت" يدل على وجودهما.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **" لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا "، قَالَ: «فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا»، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا "، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ**

إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا"[(١)].

والجنَّةُ من رحمته تعالى، والنارُ من عذابه، **عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه **قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ** صلى الله عليه وسلم**:"...قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا..."**[(٢)].

قوله (لا تَفْنَيَانِ أبَدًا، وَلا تَبِيدَانِ):

هذا رَدٌّ على مَن يقولُ أنَّ الجنةَ والنارَ تفنيان، فالجنةُ والنارُ لا تفنيان بل هما باقيتان بإذن الله تعالى وأمره، ومَن قال أنهما تفنيان استدل ببعض الأدلة، منها قول الله تعالى ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٨]، وأُجيب بأنَّ الاستثناء هنا قد يكون لمن يدخل النار من أصحاب الكبائر، ونحوهم، وقيل: أنَّ هذا لإعلامهم أنهم تحت مشيئته سبحانه وتعالى، وإن كانوا سيُخَلَّدون، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وقيل غير ذلك.

وكذلك استدل من قال بفناء النار ببعض الأدلة، منها قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٥ - ١٠٧]، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ: ٢١ - ٢٣]، ونحو هذا من الأدلة.

لكن كل الأدلة التي استدل بها من يقول بفناء الجنة أو النار هي من قبيل المتشابه، وهي أيضًا محتملة التأويل بزمن معين أو فئة معينة، وذلك متحتم للجمع بين الأدلة، وعامة الأدلة من الكتاب والسنة تدل على بقائهما، وهي أدلة

---

(١) أخرجه: أحمد (٨٣٩٨)، أبو داود (٤٧٤٤)، الترمذي (٢٥٦٠)، النسائي (٣٧٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٦٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٨٥٠)، مسلم (٢٨٤٦).

واضحة محكمة، منها أدلة تدل على بقاء الجنة، مثل قوله تعالى ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨] أي غير مقطوع بل هو دائم، وقال تعالى ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ **[الرعد: ٣٥]**، وقال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **" يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا " فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ **[الأعراف: ٤٣]**[١].

ومن الأدلة المحكمة الدالة على بقاء النار قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ **[المائدة: ٣٧]**، وقوله تعالى ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ **[الحجر: ٤٨]**، وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ **[فاطر: ٣٦]**، وقوله تعالى ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ **[النبأ: ٣٠]**، وغير ذلك من الأدلة.

ويدل على بقائهما أيضًا أنَّ النبي ﷺ بيَّنَ أنَّ الموت يذبح بين الجنة والنار، ويصبح أهل الجنة وأهل النار خالدين بلا موت، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ**

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٨٣٧).

خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم:٣٩][(١)].

وغير ذلك من الأدلة المحكمة، ويجب في كل أحكام الشريعة حمل المتشابه من الأدلة على المحكم منها.

قوله (وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلقَ الجَنَّة وَالنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا):

فالله تعالى خلق الجنة والنار قبل أن يخلق أصحابهما، بل واختارالله تعالى أهل الجنة وأهل النار، ولكن كل ذلك بحكمتِه ﷻ وعلمِه؛ لأنَّه يعلم ماذا سيفعلُ العبادُ، وليس هذا ظلمًا منه، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في بابِ الإيمان بالقدر، ولله الحمد.

قوله (فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ فَضْلًا مِنْهُ، ومَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَدْخَلَهُ النَّارَ عَدلًا مِنْهُ، وكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ):

وهنا بيان أنَّ دخولَ الناسِ الجنةَ فضلٌ منه ﷻ، ودخولَ أهلِ النارِ النارَ بعدلِه – كما سبق –؛ لأنَّ الله ﷻ سَلَبَ هؤلاء الفضلَ (أي سلبهم التوفيقَ) في الدنيا، وعاملهم بعدلِه، فالله تعالى إن عذَّب عباده فهو غير ظالم لهم؛ لأنه عذَّبهم بعدلِه، فاللهَ ﷻ إن حاسبَ عباده على ما أعطاهم مِن نِعَم، وعلى وجوب الشكر عليهم لِمَا أعطاهم من النعم، فأعمالُ العبادِ لا تفي بعُشْرِ مِعْشَارِ شكر النعم الواردة عليهم من ربهم. لذلك دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ بفضلِه، كما أنَّ هدايتهم كانت بفضلِه.

وأهل المعاصي دخلوا النارَ بعدله، كما أنَّ معصيتهم كانت بعدلِه.

لذلك قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تالله ما عدا عليك العدوُّ إلا بعد أن تَوَلَّى عنك الولِيُّ، فلا تظن أنَّ الشيطانَ غَلَبَ، ولكنَّ الحافظَ أَعْرَضَ[(٢)].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٧٣٠)، مسلم (٢٨٤٩).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ٦٨).





الاسْتِطَاعَة وعلاقتُها بالأعْمَال

وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى العِبَاد، والاسْتطَاعَةُ التي يَجبُ بِهَا الفعْلُ منْ نَحْوِ التَّوْفيقِ الّذي لا يَجُوزُ أنْ يُوصَفَ المَخْلُوقُ به، فَهِيَ مَعَ الفعْل، وأمّا الاسْتطَاعَةُ منْ جِهَة الصّحّة، والوُسْع، والتّمَكُّن، وسَلامَة الآلَات فَهِي قبْلَ الفعْل، وبهَا يَتَعلّقُ الخطَابُ، وهُوَ كَمَا قَالَ اللهَ تَعَالَى:" لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا".

الاستطاعة تنقسم إلى قسمينِ:

الأولى: استطاعةٌ قدريةٌ: وهي التي تحدثُ باختيار الله وتوفيقه، ولا دخل للعبد بها.

الثانية: استطاعةٌ شرعية: وهي ترجع إلى قدرةِ العبدِ على الفعل، والتمكن منه، وسلامة آلاته، ويتعلق بها التكليفُ.

۞ أولًا: الاستطاعة القدرية:

وتُسمَّى هدايةَ التوفيقِ، وهذه تكون مع الفعلِ.

مثال: إذا لم يُصَلِّ العبد مع تَمَكُّنِه وسلامةِ آلاتِه، وعدم وجود عارض له، فهنا تخلفت الاستطاعةُ القدريةُ، بمعنى أنَّ الله تعالى لم يوفقْه للصلاة.

قال ﷻ ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

ليس المرادُ أنهم كانوا عميانًا وصمًّا، ولكنَّ المقصودَ أنَّ اللهَ لم يوفقْهم للاستماع ورؤية الحق، وهذه هي الاستطاعة القدرية.

لذلك قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والاسْتِطَاعَةُ التِي يَجِبُ بِهَا الفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذي لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ المَخْلُوقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ الفِعْلِ)**.

لأنَّها بيدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الذي يوَفِّقُ العبادَ، ويهديهم، ويجعلُهم يستطيعون الطاعةَ، ويقبلونها، ويستجيبون لأمر الله تعالى.

ثانيًا: الاستطاعة الشرعية:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(وأَمَّا الاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ، والْوُسْعِ، وَالتَّمَكُّنِ، وَسَلامَةِ الآلَاتِ فَهِي قبْلَ الفِعْلِ، وبِهَا يَتَعلَّقُ الخِطَابُ، وهُوَ كَمَا قالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾)**:

والاستطاعة هنا تعني انعدام الموانع المانعة من آداء التكليف كالمرضِ، والسفرِ، والمشقةِ، وهذه الاستطاعة هي التي يتعلق بها الخطابُ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»(١).

ولذلك فإنَّ كلَّ عملٍ يُرَادُ إتمامُه لا بدَّ له من شرطين:

أولًا: القدرة وهي من نوعِ الاستطاعةِ الشرعيةِ.

ثانيًا: الإرادة وهي من نوعِ الاستطاعةِ القدريةِ.

والمعنى: لا بد لإتمام العمل من إعانة الله تعالى للعبد، وذلك بتوفيق الله تعالى، وكذلك انعدام الموانع المعارِضة والمانعة من القيام بالعمل.

---

(١) أخرجه: البخاري (١١١٧).

أفعالُ العبادِ خلقُ اللّهِ، وكسبُ العبادِ

وأفْعَالُ العِبَادِ خَلْقٌ مِنَ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ.

ومسألةُ أفعالِ العبادِ وقع الخلافُ فيها بين أهلِ السنةِ وأهلِ البدعِ، هل هي خلق الله أم ليست من خلقه؟

❁ **أولًا: أهلُ السنةِ يقولون:** إنَّ أفعالَ العباد خلقُ اللهِ سبحانه وتعالى بمعنى أنَّ اللهَ خَلَقَ الإنسانَ وخَلَقَ فِعْلَه، وذلك بحكمةِ الله ومشيئتِه، قال الله جل جلاله ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ **[الرعد: ١٦]**، وقال تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ **[الصافات: ٩٦]**.

أي خَلَقَكُم وأعمالَكم، لأنَّ (ما) في الآية- على قولٍ- مصدرية، أي خلقكم وعملكم فهي مُنْصَبَّةٌ على ذاتِ العمل. أما إذا كانت (ما) موصولة، كان المعنى: والله خلقكم والذي تعملونه، أي الأصنام، ونحوها، وصناعةُ الأصنامِ نتيجةُ العمل. الأمر الثاني: أنَّ العملَ يكون بقدرة وإرادة، وقدرةُ العبدِ مخلوقةٌ، وإرادتُه مخلوقةٌ، والعملُ تابعٌ للقدرةِ والإرادةِ، فيكونُ العملُ مخلوقًا؛ لأنه لا يتمُّ إلَّا بهما.

❁ **ثانيًا: المعتزلة قالوا:** العملُ ليس مخلوقًا بالنسبة للمكلَّفِ، ولكنّه مخلوقٌ لغيرِ المُكَلَّفِ، بمعنى أنَّ الله سبحانه وتعالى خَلَقَ أعمالَ الصغير والصبي، لأنَّ أعمالَه كلَّها في ميزانِ الحسناتِ، أما المُكَلَّف فهناك حسنات وسيئات، فلذلك لا يخلق الله أعمالَه، ولكنَّ العبدَ هو الذي خلق أفعالَه بنفسِه.

❁ **ثالثًا: الجبرية:** فقالوا: إنَّ اللهَ خلق الإنسانَ، وخلق عملَه، ولكن لا تدخُّلَ للإنسانِ في العمل، ولا اختيار، ولا مشيئة، فهو كالريشة في الهواء.

وقد سبق مناقشة ذلك، والحمد لله تعالى.

قوله (وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ):

الكَسْبُ هو: العملُ سواءٌ كانَ عملَ القلبِ، أم عملَ الجوارحِ، فهذا يُسمَّى كسبًا، قال ﷻ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [**البقرة: ٢٢٥**]، فهذا كسبُ القلب.

وقال ﷻ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [**البقرة: ٢٨٦**] أي بالأعمالِ.

والكسبُ قد يكونُ خيرًا، وقد يكون شرًّا، قال ﷻ ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [**التوبة: ٩٥**]، فهذا كسب شر.

وقال تعالى ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [**الأنعام: ١٥٨**]، هذا كسبُ خيرٍ.

فالكسبُ كلمةٌ عامةٌ تشمل كلَّ عملٍ سواء كان بالقلب أم بالجوارح، وتشمل كلَّ نوعٍ من العملِ سواء كان خيرًا أو شرًّاً.

وقد يُطلَقُ الكسب على الخير، ويُطلَقُ الاكتسابُ على الشرِّ، قال ﷻ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [**البقرة: ٢٨٦**].

وقول المصنف" كسب من العباد" يقصد بذلك فعل الخير والشر؛ إذ إنَّ الكسب يُطلَقُ على الخير والشر، وقد يفرق بينهما فيُطلَقُ على الخير كسبًا، وعلى الشر اكتسابًا كما سبق.

تنبيه: هناك علاقةٌ بين الألفاظ ومبانيها، والمعاني المترتبة عليها، فاللفظُ

القليلُ في المبنى، السهل في نطقه قد يكون معناه وعمله يسيرًا، واللفظُ الكثيرُ في المبنى قد يكون معناه كبيرًا، وعمله ثقيلًا.

❑ أمثلة:

- كلمتا (اسطاعوا – واستطاعوا):

نجد أنَّ كلمةَ (استطاعوا) أكثرُ في المبنى من كلمةِ (اسطاعوا)، وهي أثقل في نطقها لزيادة مبناها؛ لذا تستخدم يما يصعب تحمله، أما (اسطاعوا) فهي أقل في المبنى سهلة في النطق؛ لذا تستخدم فيما يسهل تحمله.

لذا قال تعالى ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [**الكهف: ٩٧**]، فلما كان صعودُ الجبلِ أسهلَ من نقبه عَبَّر الله بقوله:" اسطاعوا "في الظهور والصعود عليه، و"استطَاعوا" في نقبه.

- كلمتا: "تسطع – وتستطع":

قال تعالى حكاية عن قول الخضرِ لموسى ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [**الكهف: ٧٨**].

ولما أخبره قال ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [**الكهف: ٨٢**]، فقَبْل الإخبار كان الأمر صعبًا على نبي الله موسى ولم يقبله شرعًا ولا عقلًا؛ لذا عبر بـ "تستطع"، فلما أُخْبِر بالعلل والأسباب سَهُلَ الأمر عليه، ورآه ممكنًا سائغًا؛ لذا عبَّر بـ "تسطع"، والله أعلم.

- ومن نفس الباب: كلمتا " كسبت – اكتسبت":

اكتسبت أكثر في المبنى من كسبت، وزيادةُ المبنى تدلُّ على زيادةِ المعنى، فدل على أنَّ في الاكتساب زيادةً في الجهد، وهذا دليلٌ على أنَّ الطاعةَ أيسرُ من المعصيةِ، فالمعصية تحتاج إلى جهدٍ وتعبٍ ومشقةٍ أكثر من الطاعة؛ لذلك عبر الله ﷻ في الطاعة بقوله (لها ما كسبت)، وفي المعصية بقوله (وعليها ما اكتسبت)، والله أعلم.

قال ابن جني[1]: قول الله – عزَّ وجلَّ –: (لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكتَسَبَتْ)، وتأويلُ ذلك أنَّ كسْبَ الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومُسْتَصْغَر، وذلك لقوله – عزَّ اسمه –: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها)، أفلا ترى أنَّ الحسنةَ تصغر بإضافتها إلى جزائها صِغَرَ الواحدِ إلى العشرةِ؟!، ولمَّا كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها لم تحتقر إلى الجزاء عنها، فعلم بذلك قوّة فعل السيِّئة على فعل الحسنة، ولذلك قال – تبارك وتعالى –: (تكاد السموات يتفطَّرن منه وتنشقُّ الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا أن دَعَوْا للرحمن ولدًا)، فإذا كان فعل السيئة ذاهبًا بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية عُظِّم قدرُها، وفُخِّم لفظُ العبارة عنها، فقيل" لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت"، فزِيد في لفظِ فِعل السيئةِ، وانتُقِصَ من لفظِ فعلِ الحسنةِ لما ذكرنا.

ومثله:

أنـــا اقتســـمنا خُطَّتَيْنـــا بيننـــا ... فحَمَلْــتُ بَــرَّةً واحْتَمَلْــتَ فَجَــارِ

فعبَّر عنِ البرِّ بالحمل، وعن الفَجْرة بالاحتمال، ومِن ذلك أيضا قولهم: رجل جميل ووضيء فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا: وُضَّاء وجُمَّال فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه قال:

والمــرءُ يلحقــه بفتيــان النَّــدَى ... خُلُــق الكــريم ولــيس بالوُضَّــاء[2]

❊

(١) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، إمام العربية، صاحب التصانيف، ولد قبل الثلاثين وثلاث مئة، وكان مُمَتَّعًا بإحدى عينيه، لزم أبا علي الفارسي دهرًا، وسافر معه حتى برع وصنف، وله تصانيف عدة منها:"سر الصناعة "، و" اللمع "، و" التصريف "، و"التلقين في النحو"، وغيرها، توفي عام ٣٩٢هـ.

(٢) الخصائص لابن جني – بتصرف – (٣/ ٢٦٥).



التَّكْلِيفُ بما يُطاقُ

وَلَمْ يُكَلّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إلّا مَا يُطيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إلّا مَا كلّفَهُمْ، وهُوَ تَفْسِيرُ: " لَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا باللهِ".

قوله (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ):

وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى أنَّه لم يكلفِ العبادَ إلا على قدرِ طاقتِهم.

قوله (وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ):

وقد يُفْهَم من قول المصنف رحمه الله أنَّ اللهَ كلَّف العبادَ إلى منتهى طاقتِهم؛ لذلك قال: ولا يطيقون إلا ما كلفهم، والمعنى: أي لا يطيقون أكثرَ ممَّا كلفهم، والنصوص تدل على أنَّ الله كلَّف عبادَه بأشياء ثم خفَّفها، وهذا يعني أنه سبحانه لما كلَّفهم بها كانت في طاقتِهم، فلمَّا خففها عنهم عُلم أنَّهم يطيقون أكثرَ مما استقر عليه التكليف، ولكن لرحمته بهم خفف عنهم.

مثال:

❑ **(الصيام)** لقد كان الصيام في بداية الأمر إلى غروب الشمس، ويبدأ من بعد صلاة العشاء، وكان هذا في طاقتهم لأنَّ الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، ثم خفَّف الله سبحانه وتعالى عنهم، فقال جل جلاله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

❑ **(القيام)** كان قيامُ الليلِ مفروضًا على النبيِّ ﷺ وأصحابه زمنًا، ثم خفف الله عنهم، ونسخ الوجوب، قال تعالى ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [**المزمل: ٢٠**].

❑ **وفي القتال والجهاد** كان الواحد يجب عليه الصمود لعشرة، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [**الأنفال: ٦٥**]، وكان هذا في طاقتهم؛ لأنَّ الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، ثم خفف عنهم، فجعل الواحد يصمد لاثنين، قال تعالى ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [**الأنفال: ٦٦**]، وهذا قطعًا أقل من منتهى طاقتهم، وهو الذي استقر عليه الأمر، وغير ذلك من الأدلة.

فدلَّ على أنَّ اللهَ ما كلَّفهم منتهى طاقتهم، بل كلَّفهم أقلَّ من طاقتِهم لرحمتِه بهم.

قوله: وهُوَ تَفْسِيرُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ):

والمعنى: هو تفويض الأمرِ إليه، فيتبرأ الإنسانُ من حولِه وقوتِه، ويلجأُ إلى حولِ اللهِ وقوتِه.

❧◊☙



خاتمة وخلاصة لمبحث القدر

نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لأحَدٍ، ولَا حَرَكَةَ لأحدٍ، ولَا تَحَوُّلَ لأحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ الله إلَّا بمَعُونَةِ الله، ولَا قُوَّةَ لأحَدٍ عَلَى إقَامَةِ طَاعَةِ الله، والثَّبَاتِ عَلَيْهَا إلَّا بتَوْفِيقِ الله، وكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بمَشِيئَةِ الله تَعَالَى، وعِلْمِه، وقَضَائِه وقَدَرِه، فغَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ ما يَشَاءُ وَهُوَ غَيرُ ظَالِمٍ أبدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وشَيْنٍ ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

قوله (**نَقُولُ: لَا حِيْلَةَ لأحَدٍ، ولَا حَرَكَةَ لأحَدٍ، ولَا تَحَوُّلَ لأحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ، ولَا قُوَّةَ لأحَدٍ عَلَى إقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ، والثَّبَاتِ عَلَيْهَا إلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ**):

والمعنى: أنَّ العبدَ لا يستطيعُ أن يُطيعَ اللهَ ﷻ، وأن يبتعد عن معصية الله تعالى إلَّا إذا أعانَه اللهُ ﷻ ووفَّقَه، وقد سبق ذلك مُفصَّلًا في باب القدر.

قوله (**وكُلُّ شَيءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعِلْمِهِ، وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المَشِيئاتِ كُلَّهَا**):

مشيئةُ اللهِ ﷻ فوق كلِّ مشيئةٍ، قال ﷻ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [**الإنسان: ٣٠**]، فكلُّ شيءٍ بقدرِه ومشيئتِه، كما سبق بيانه.

قال الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مَا شِئْتَ كَانَ، وإنْ لم أشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إن لَمْ تَشأْ لَمْ يكنْ

خَلقْتَ العِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتَ ... فَفِي العِلْم يَجري الفَتَى وَالْمُسِنْ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَنْ

عَلَــى ذَا مَنَنْــتَ، وَهَــذا خَــذلْتَ وذاكَ أعــــنْتَ، وذا لـــم تُعِـــنْ[١]

قوله (وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعلُ ما يَشَاءُ وَهُوَ غَيرُ ظَالِمٍ أبَدًا، تَقدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ[٢]، وتَنزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وشَيْنٍ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾):

وهنا يختم المصنِّفُ الكلامَ في بابِ القدرِ ببعض الأصول التي سبق الإشارة إليها وهي:

أولًا: أنَّ اللهَ هو المَلِك، وقضاؤه وحكمه نافذ غالب.

ثانيًا: أنَّ الله تعالى عدلٌ لا يظلمُ أحدًا.

ثالثًا: تنزيه الله تعالى عن صفات النقص والشين.

---

(١) ديوان الإمام الشافعي (١/ ١٠٧).

(٢) الحَيْنُ: الهلاك والمحنة، وقد حان وأحانه الله، وكل ما لم يُوَفَّق للرشاد فقد حان، وحَيَّنه الله فتَحَيَّن، والحائن: الأحمق، والحائنة: النازِلة المُهلِكَة. القاموس المحيط (١/ ١٥٣٩).

وَفِي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ، وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ.

وأتبع المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا باب القدر بمسألةٍ فقهيةٍ، وهي أنَّ بعض الأعمال قد تصل للميت مع أنه انقطع عملُه، ومثَّل لها بالدعاء والصدقة.

والأعمال التي تلحق الميت بعد موته كثيرة غير تلك المذكورة، ولقد وردت بها النصوص ومن ذلك:

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: **" إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "**[1].

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عنِ النبيِّ ﷺقالَ: «**إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْبَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْنَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْصَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ**»[2].

وفي روايةٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" سَبْعَةٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهَرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ "**[3].

والخلاصة أنَّ الميت يصلُه أشياء بعد موته:

منها: عباداتٌ ماليةٌ كالصدقة.

ومنها: بعض العباداتِ البدنيةِ: كالدعاءِ والاستغفارِ والصلاةِ – أي صلاةِ

---

(١) أخرجه: مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٢٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٣) أخرجه: البيهقي في الشعب (٣١٧٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٢).

الجنازةِ -، فهي أفعالٌ تصلُ إلى الميت.

ومن فقه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن اختار شيئين: الدعاءَ، والصدقَةَ، حيث ورد النص بهما، ولا خلاف فيهما، وكذلك فأحدهما عبادة مالية، والآخر عبادة بدنية.

ووصول بعض الأعمال للميت مع أنه من المسائل الفقهية إلا أنَّ له ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة ومسائلها، وخاصة باب القدر؛ لذاجُعِلَت تابعةً لباب القدر، ومن ذلك:

- أنَّ باب القدر يدور بين أمرين: إما عدلٌ، أو محضُ فضلٍ من الله، ووصولُ بعض الأعمال للأموات هي محض فضل من الله تعالى؛ إذ الأًصل أنَّ العبد ليس له إلا عمله الذي عمله في حياته، فإلحاق أجر الأعمال له بعد موته، سواء كان من أعمال عملها في حياته، أو عملها غيرُه له هو من فضل الله تعالى.

- وكذلك من توفيق الله تعالى أن يوفق العبد في حياته لأعمال قد تنفعه بعد موته، أو يقدر له أعمالًا على يد غيره، فهذا من فضل الله تعالى، ومن حُرم ذلك فهو من عدله سبحانه وتعالى، والعدل والفضل هما مدَارَا الأعمالِ والجزاءِ في باب القدر.

- **ومنها**: الإشارة إلى أنَّ الهداية والتوفيق والخير مع أنه فضل من الله تعالى إلا أنه يكون بسبب يبذله العبد، وليس عبثًا، بل بحكمة، وفضل، وعلم، وهذا في قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ (والله يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات)، فهو يستجيب دعاء من بذل السبب، ويقضي له حاجاته.

٭٭٭

ويَمْلِكُ كُلَّ شَيءٍ، ولا يَمْلِكُهُ شَيءٌ، ولَا غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، ومَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ، وكانَ مِن أهلِ الجحيمِ.

قوله (ويَمْلِكُ كُلَّ شَيءٍ، وَلا يَمْلِكُهُ شَيءٌ):

وهذا من آثارِ اسم اللهِ المَلِك، فالمَلِكُ هو: الذي يملك كلَّ شيء، ولا يملكُه شيءٌ ﷻ، فهو يملكُ أبدانَ الناسِ، وأرزاقَهم، وكذلك يملك قلوبَهم؛ **لذلك قالَ** ﷺ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»(١).

والمُلْكُ نوعانِ:

الأول: ملكٌ كونيٌّ قدريٌّ. **الثاني:** ملكٌ دينيٌّ شرعيٌّ.

فإذا قضى وقدَّر شيئًا لابد أن نُسَلِّمَ ونرضى؛ لأنَّه المَلِكَ، والمَلِكُ يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يُسأَل عما يفعل، وهذا من الملك القدري.

وإذا أمَرَ بشيء أو نَهَى عن شيء، فلا بد أن نُسَلِّمَ، ونسمع ونطيع؛ لأنَّ الحكمَ له، والأمرَ والنهيَ له؛ لأنه المَلِك، فهذا من الملك الشرعي.

وهذه مسألةٌ هامة، فكما أنَّ الإيمانَ بالله وأسمائه وصفاته من أركان الإيمانِ، فكذلك الإيمانُ بالقضاء والقدر، بل والإيمان بالقدر عظيم الصلة بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته؛ لأنَّ عدمَ الرضا بالقضاءِ والقدرِ خللٌ في الإيمانِ باسم الله الملِك، وكذلك عدم تحكيمِ أمرِ اللهِ تعالى، والالتزامِ بأمرِه ونهيِه خللٌ في الإيمانِ باسم الله الملِك.

فهو يملك كل شيء: فكما أنه يملك الأوامر والنواهي، ويملك القضاء

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٥٤).

والقدر، فكذلك هو الذي يملك الثواب والعقاب؛ لذا لا بد من التوجه إليه وحده بالعبادة، وصرفها إليه وحده. عنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **"إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي، أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، وَتَعَدَّوْا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ، وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟!"**[1].

لذا قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويملك كلَّ شيءٍ، ولا يملكه شيءٌ، ولا غنى عن الله طرفة عينٍ).**

ومن آثار اسم الله الملك الذي يدبر الأمورأن يكون حاضرًا شاهدًا في كل وقت لا يغيب عن عباده؛ لأنه لا يُستغنَى عنه طرفة عين؛ ولذلك استدل إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على قومه بأنَّ الشمسَ والقمرَ والنجومَ لا تكون آلهةً بأنَّها تغيبُ !!

قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ **[الأنعام: ٧٦ -٧٩].**

عنْ أنسِ بنِ مَالِكٍ قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ لِفَاطِمَةَ: **" مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا**

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٨٦٣)، صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ "(١).

لأنَّه في طرفةِ عينٍ يهلكُ الإنسانُ، وفي طرفةِ عينٍ ينجو؛ لذا كان هذا المعنى من أصول الإيمان وتمامه.

قوله (وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ، وصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ):

لا يستطيع مخلوق أن يستغني عن ربه طرفة عين إنسًا كان أو جانًّا، مسلمًا أو كافرًا، إنسانًا أو حيوانًا، ولكنَّ المعنى: أنَّ من اعتقد أنَّه يستطيع أن يستغني عن اللهِ طرفة عينٍ فقد كفر؛ لأنَّه مُكذِّبٌ للقرآنِ، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ **[فاطر: ١٥]**.

---

(١) أخرجه: النسائي في السنن الكبرى (١٠٣٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٢٠).



بعضُ الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ

واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى.

ذكر المصنِّفُ هنا صفتين من الصفات الفعليةِ وهما: صفة الغضب، وصفة الرضا.

والصفات تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: صفات ذاتية.

القسم الثاني: صفات فعلية.

ووقع الخلافُ بين أهلِ السنةِ وأهلِ البدعِ في كلا النوعين، وخاصة في الصفات الفعلية، فأهل البدعِ أنكروا الصفاتِ الفَعليةَ، وقالوا: إنها تُومئ بالتشبيهِ بين الله ﷻ وخلقه.

لذلك ذكر المُصنِّفُ هاتين الصفتينِ إثباتًا لهما، ولما يشبههما من الصفات.

والضابطُ في مسألةِ الصفاتِ الفعليةِ: هو إمرارها كما أتت بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف، كما هو في جميع الأسماء والصفات.

والإيمان بأسماءِ اللهِ وصفاتِه على وجهين:

الوجه الأول: هو إثباتُها لله كما أَتَتْ.

الوجه الثاني: هو الإيمانُ بآثارِها.

وضلَّ أهلُ البدع في الأمرين معًا، فلما حرَّفوا الصفاتِ عن معانيها حُرِموا من الاستفادة بآثارها، بخلاف أهل السنة الذين ءامنوا بالصفات على حقيقتها، ففازوا

بآثارها، وانتفعوا بالإيمان بها في الدنيا والآخرة.

۞ فأهل السنة لمَّا علموا أنَّ الله ينزلُ في ثلثِ الليلِ الآخِرِ آمنوا بنزوله، وقالوا كما قال تعالى " ليس كمثله شيء "، وعملوا بآثار ذلك الإيمان، فقاموا الليلَ، وباتوا يطلبون منه العفو والغفران.

۞ وكذلك لما علموا أنَّ الله يضحكُ، ما قالوا: كيف يضحكُ ؟!بل نظروا لآثار ضحكه من الخيرات والنِّعَم.

عنْ أبي رَزِينٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ«**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عَبْدِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ**» **قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا**[(١)].

۞ وكذلك لما علموا أنه يرضى آمنوا بذلك، وشغلوا أنفسهم بالبحث عن أسباب الرضى، وكيفية تحصيله.

فآمنوا بالأسماء والصفات، ثم نظروا إلى الأثرِ، وما نظروا إلى الكيفِ؛ لأنَّ هذا لم يكلفهم الله به، فإن الله ﷻ لم يكلفنا البحثَ عن الكيفِ في بعضِ المخلوقاتِ كالروح، والملائكة، والحور العين، والجنة والنار، فكيف يكلفنا اللهﷻ البحثَ عن الكيف في ذاته وصفاته؟!

لذا فمَن بحث عن الكيف ضل في الإيمان بالصفة، وحُرِم النفعَ بآثارها.

اجتمع إسحاقُ بنُ راهويه مع بعض أهل البدع في مجلسِ عبدِ الله بنِ طاهرٍ الأمير[(٢)]، فسأله عن أدلةِ النزولِ، فسردَها له إسحاق.

---

(١) أخرجه: أحمد (١٦١٨٧)، ابن ماجه (١٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨١٠).

(٢) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، أبو العباس: أمير خراسان، ولد عام ١٨٢ هـ، قال ابن الأثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلًا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدًا نبيلًا عالي الهمة شهمًا، توفي عام ٢٣٠ هـ.

فقال: الله ينزل؟!

قال إسحاق: نعم.

قال: أنا أكفرُ بربٍّ ينزلُ من سماءٍ إلى سماءٍ.

فقال إسحاق: وأنا أؤمنُ بربٍّ يفعلُ ما يشاء.

قال إسحاق: فأُعجِب عبدُ اللهِ بنُ طاهر بما قلتُ، وأنكر قوله[١].

وهذا من آثارِ الإيمانِ بأنَّ اللهَ ﷻ على كل شيء قدير، فهو مستوٍ على عرشِه، وينزلُ متى شاء، وكيف شاء، ولا يخلو منه عرشُه، فإنَّه على كل شيء قدير، قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال إسحاق بن راهويه: سألني عبدُ الله بنُ طاهرٍ: الله ينزل؟

قلت: نعم.

قال: كيف ينزل ؟

قلت: لا يُسأَل عن الربِّ كيف ينزلُ، ينزل بلا كيفٍ[٢].

والمعنى: ينزلُ بلا كيفٍ معلومٍ لنا.

۞ وسُئِلَ عبدُ الله بنُ المباركِ هل اللهُ ﷻ ينزلُ؟

فقال: نعم. قيل: كيف ينزل ؟!

قال: ينزلُ كيف يشاءُ ﷻ، فهو يفعلُ ما يشاءُ[٣].

قوله (والله يغضب):

وصفة الغضب وردت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ لذا فأهل السنة والجماعة

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٧٦).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١/ ٣٨).

(٣) المصدر السابق.

أثبتوها، وآمنوا بها، وعملوا بآثارها، فابتعدوا عن كل ما يغضب الله تعالى، وما تعرضوا لعقابه، وكانوا على حذر.

أما أهل البدع فقالوا: كيف يغضب؟!

فالغضبُ هو: غليانُ الدمِ في العروقِ، وانتفاخُ الأوداجِ، فنظروا إلى الكيف!!

فضلوا في الإيمان بالصفة، وحُرِموا العمل بآثارها.

۞ والغضب من الصفات التي ورد ذكرها كثيرًا في الكتاب والسنة، ومن ذلك:

قوله تعالى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]، وقال تعالى ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ۝١٥٢﴾ [الأعراف: ١٥٢]، وقال ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، وقال ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ۝١٦﴾ [الشورى: ١٦]، وقال ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ۝٦﴾ [الفتح: ٦].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِى عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِى الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا**

أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**»(٢).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ، فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللهِ، قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ(٣).

فصفة الغضب صفة ثابتة لله تعالى، مع أننا لا نعلم كيفيتها كبقية الصفات، وما علينا إلا الإيمان بها، والعمل بمقتضى آثار هذا الإيمان، وذلك بالخوفِ والفزع من غضبه، وعدمِ التعرضِ له؛ **لذا لما أغضبَ أبو بكر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **بعضَ أصحابِ النبيِّ** ﷺ **أو ظنَّ ذلك، وقالَ له النبيُّ** ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ» فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي"**(٤).

ولذلك فإنَّ أهلَ السنةِ أصحُّ الناسِ عقيدةً، وأكثرُ الناسِ عملًا، وأصلحُ الناس قلوبًا.

وأهلُ البدعِ أفسدُ الناسِ عقيدةً، وأقلُّ الناسِ عملًا، وأردأُ الناسِ قلوبًا.

قوله (وَيَرْضَى):

صفة الرضا من الصفات الفعلية أيضًا، ولقد ثبتت صفة الرضا لله تعالى في كثير من الأدلة، قال تعالى ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى**

---

(١) أخرجه: مسلم (٤٨٦).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣١٩٤)، مسلم (٢٧٥١)

(٣) أخرجه: البخاري (٣٨٢٧).

(٤) أخرجه: مسلم (٢٥٠٤).

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥]، وقال تعالى ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٧]، وقال تعالى ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟! فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"(١).

وثبت أنَّ الله سبحانه وتعالى رضيَ عن أناسٍ، كأصحابِ الشجرةِ رضي الله عنهم، قال جل جلاله ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح: ١٨]، ورضي عن أصحاب بئر معونة، وغيرهم، وبيَّن عز وجل أنَّ الرضى مرتبطٌ بالأعمالِ، والأعمالُ هي مجرد سببٍ من العبدِ، ومهما فعلَ العبدُ من أعمال فهو لا يستحقُّ الرضا من الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّه مُقصِّرٌ مُفرِّطٌ بفطرته، لكنَّها أسبابٌ تجلبُ له رضا الله عز وجل.

والسببُ الأصليُّ في جلبِ الرضا من الله سبحانه وتعالى هو الرضا بالله عز وجل.

والرضا بالله عز وجل يكون بأمرين:

الأول: الرضا بقضائِه وقدرِه.

الثاني: الرضا بحُكمِه وشرعِه.

قوله (لَا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى):

أي إنَّ غضبَه ورضاه سبحانه وتعالى لا كغضبِ المخلوقِ ولا كرضاه، لا في

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٥١٨)، مسلم (٢٨٢٩).

كيفية الغضبِ والرضا، ولا كأحد من الورى في سرعةِ الغضبِ والرضا، ولا كأحد من الورى في غاية الغضب والرضا ونهايته.

فالمخلوقُ غضبُه أقربُ من رضاه وأسرع، أما اللهُ ﷻ فرحمته غلبَتْ غضبَه، **عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»**[1].

ولا كأحدٍ مِنَ الورى في أسباب الغضب والرضى، فالعبد يغضب بالقليل من الأعمال، ولا يرضى إلا بالكثير، لكن الله تعالى لا يغضب إلا بعد أن يبلغ العبد مداه في النشوز والإباق عن ربه، وقد يرضى عنِ العبدِ بعملٍ قليلٍ كاستعمال عودٍ من الأراكِ يُطَهِّرُ به فمَه، **عنْ عَائِشَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»**[2]؛ ولذلك لو تَتَبَّعتَ أسماءَ الله وصفاتِه تجد أكثرَها صفاتِ الودِّ والرحمةِ والمغفرةِ والحلمِ، ونحوها، والقليلُ منها صفاتُ الغضبِ والانتقامِ، ونحوها، وهذا دليلٌ على أنَّ رحمتَه غلبتْ غضبَه.

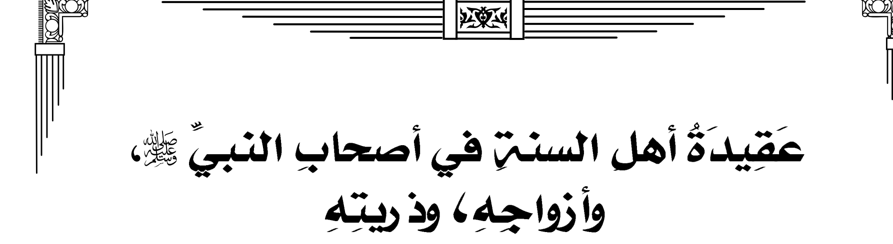
والله تعالى أيضًا ليس كأحد من الورى في غاية الغضب والرضا ونهايته، فرضا الله تعالى وغضبه لا حدود له ولا نهاية بخلاف المخلوق.

فهو حقًّا يغضب ويرضى ليس كأحدٍ من الورى.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: البخاري معلقًا بصيغة الجزم قبل (١٩٣٤)، أحمد (٢٤٢٠٣)، النسائي (٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٥).



عَقِيدَةُ أهلِ السنةِ في أصحابِ النبيِّ ﷺ، وأزواجِهِ، وذريتِهِ

وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم، وَلا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَلا بِغَيرِ الحَقِّ نَذْكُرُهُم، وَلا نَذْكُرُهُم إلا بِخَيْرٍ، وَنَرَى حُبَّهُم دِينًا وَإِيمَانًا وَإِحْسَانًا، وَبُغْضَهُم كُفْرًا وَنِفَاقًا وَطُغْيَانًا.

حبُّ أصحابِ النبيِّ ﷺ دينٌ، وهو مما يُمَيَّز به الخلق، ومما يُعلَمُ به إيمانُ العبدِ ونفاقُهُ، وهو من المسائل التي خالف فيها أهلُ البدعِ أهلَ السنةِ، فأهل السنة جعلوا حب أصحاب النبي ﷺ من الدين بلا إفراط ولا تفريط، أما أهل البدع فهم ما بين مُفرِّطٍ في ذلك، ومُفرِطٍ.

تعريف الصحابي: هو مَن لَقِيَ النبيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك.

قوله (ونحبُّ أصحابَ النبيِّ ﷺ ولا نُفرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم):

أي نحب أصحاب النبي ﷺ، ولا نُغالي في حب أحد منهم، فالإفراطُ من الغلوِّ، أما التفريطُ فمن التقصيرِ، فلا نُفْرِط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نُفَرِّطُ فيه، كما يُفرِطُ الشيعةُ كذبًا وزُورًا في حبِّ أهلِ البيتِ، ويكفِّرون الصحابةَ على آثارِ ذلك، وهم كاذبون في هذا الحبِّ المزعوم، وَأَيُّ صدقٍ في هذا !!

فهم مُفرِطون غالون - زورًا وكذِبًا- في حب آل البيت، ومُفرِّطون مُقَصِّرون في حب غيرهم من الصحابة، فاجتمع فيهم الإفراط والتفريط في آن واحد.

قوله (ولا نَتبرَّأُ مِنْ أحَدٍ مِنهُم):

وذلك كما تبرأ الرافضةُ من بعض الصحابة، والخوارجُ من بعضهم، فتبرأ الخوارجُ من عثمانَ، وعليٍّ، ومن معهم من الصحابة، وتبرأ الروافضُ من عامةِ الصحابةِ ﭫ.

وأصحاب النبي ﷺ هم أفضل الخلق بعد الأنبياء، وأطهر الناس قلوبًا؛ لذا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: **" إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ "**[١].

ولذا فإنَّ السبَّ فيهم، وعيبَهم هو طعنٌ في حكمةِ الله تعالى، وفي اختياره لهم لصحبة نبيه ﷺ – حاشاه سبحانه وتعالى –؛ لذا شدد النبي ﷺ في ذلك، وحذَّر من الوقوع في هؤلاء الصحب الكرام.

عنْ أَبِي سَعِيدٍالخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَتَسُبُّواأَصْحَابِي، فَلَوْأَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**[٢]»[٣].

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي «**أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ**

(١) أخرجه: أحمد (٣٦٠٠)، الطبراني في الكبير (٨٥٨٢)، وحسن إسناده الأرنؤوط.

(٢) النصيف: النصف، وفيه أربع لغات: نِصف بكسر النون، ونُصف بضمها، ونَصف بفتحها، ونَصِيف بزيادة الياء حكاهن القاضى عياض عن الخطابى، ومعناه: لو أنفق أحدُكم مثلَ أحدٍ ذهبًا ما بلغ ثوابُه في ذلك ثوابَ نفقةِ أحدِ أصحابى مدًّا، ولا نصفَ مدٍّ. شرح النووي على مسلم (١٦/ ٩٣).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٦٧٣)، مسلم (٢٥٤٠).

النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ»[(١)].

فإنَّ منزلتهم ومكانتهم لا تُدْرَك ولو ضُرِبَ لها أكبادُ الإبلِ، فلقد حازوا قصب السَّبقِ، ولا سبيلَ لِلِّحَاقِ بهم إلا حُبُّهُم؛ إذ إنَّ المرءَ يُحشَرُ مع مَن أَحَبَّ، بل إنَّ الله تعالى لم يسوِّ بين السابق من أصحاب النبي ﷺ والمتأخر، وإن كانوا جميعًا من أصحابه، فكيف بمن دونهم؟!

قال تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَلَامٌ، فَقَالَ خَالِدٌ لِعَبْدِالرَّحْمَنِ: تَسْتَطِيلُونَ عَلَيْنَا بِأَيَّام سَبقْتُمُونَا بِهَا، فَبَلَغَنَا أَنَّ ذَلِكَ ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **" دَعُوا لِي أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ - أَوْ مِثْلَ الْجِبَالِ - ذَهَبًا، مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ "**[(٢)].

ومما يُمَيِّزُ أصحابَ النبي ﷺ أنهم أخذوا من مشكاة واحدة، وتربوا على مائدة واحدة، وهي مائدة المصطفى ﷺ، فكانوا إخوة بعضهم من بعض.

عنْ مالكِ بنِ أوسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَخَذَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِينَارٍ، فَجَعَلَهَا فِي صُرَّةٍ ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: اذْهَبْ بِهِمْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ تَلَهَّ[(٣)] سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ، فَقَالَ: وَصَلَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالِي يَا جَارِيَةُ، اذْهَبِي بِهَذِهِ السَّبْعَةِ إِلَى فُلَانٍ، وَبِهَذِهِ الْخَمْسَةِ إِلَى فُلَانٍ، حَتَّى أَنْفَذَهَا، فَرَجَعَ الْغُلَامُ وَأَخْبَرَهُ، فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا إِلَى مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى مُعَاذِ

---

(١) أخرجه: مسلم (٣٠٢٢).

(٢) أخرجه: أحمد (١٣٨١٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٢٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) تَلَهَّ: أي تشاغلْ وتعلَّلْ. النهاية في غريب الحديث (٤/ ٥٨٣).

بن جَبَلٍ، وَتَلَهَّ فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذَا فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ، فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَصَلَهُ، تَعَالِي يَا جَارِيَةُ، اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، وَاذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، فَاطَّلَعَتِ امْرَأَةُ مُعَاذٍ، فَقَالَتْ: نَحْنُ وَاللهِ مَسَاكِين فَأَعْطِنَا - وَلَمْ يَبْقَ فِي الْخِرْقَةِ إِلَّا دِينَارَانِ - فَدَحَا بِهِمَا إِلَيْهَا، وَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَسُرَّ بِذَلِكَ وَقَالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ[(١)].

- ولقد أثنى النبي ﷺ على كثير منهم ثناءً خاصًّا، ومن ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ، نِعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ**»[(٢)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَيُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ؟ قَالَتْ: «**أَبُو بَكْرٍ**»، **قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ:** «**عُمَرُ**»، **قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟**

قَالَتْ: «ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: فَسَكَتَتْ[(٣)].

وهذا قليل من كثير مما ورد في فضلهم- وسيأتي إن شاء الله مزيد لذلك -، فكيف بعد ذلك يتسنى لأحد أن يطعن في أحد منهم، أو يتعرض له بالعيب والمثالب، ولا يحبهم بلا إفراط ولا تفريط.

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٧)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٦/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه: أحمد (٩٤٣١)، الترمذي (٣٦٥٧)، الحاكم (٥٠٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٧٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٣) أخرجه: أحمد (٢٥٨٢٩)، الترمذي (٣٦٥٧)، النسائي في الكبرى (٨١٤٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قوله (ونُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، ولا بِغيرِ الحقِّ نَذْكُرُهُم):

والمعنى: أنه يجب علينا أن نُبْغِضَ من يُبْغِضُ أصحابَ النبيِّ ﷺ دينًا وإيمانًا، وهذا ليس معناه أنَّ الصحابةَ ﭫ معصومون، ولكن هناك فرقٌ بين الواجبِ على الصحابةِ، والواجبِ علينا نحوهم، فالواجبُ عليهم قد أدَّوه، وما أخطأوا فيه فبَيْنَهم وبين اللهِ ﷻ، وما عَصَمَ اللهُ تعالى إلا الأنبياءَ، ولقد عفا اللهُ عن أناسٍ كثيرين منهم، ونصَّ على ذلك، أما الواجبُ علينا نحوهم، أن نُحبَّهم، ونبغضَ مَن أبغضهم، ولا نذكرهم إلا بخير.

والمتكلم فيهم إنما يجمع حسناته ويضعها في موازينهم، فإنهم قد ماتوا وانقطعت أعمالهم، فلَعَلَّ الله سبحانه وتعالى أحبَّ أن يُجري إليهم أعمالَ غيرِهم فتكلموا فيهم.

فكل مَن يتكلم في مسلم بسوء فضلًا عن صحابة النبي ﷺ، وأهل الفضل والعلم، فإنَّ اللهَ سخَّره لكي يعملَ لهم، فيعمل الصالحاتِ، ويجتهد ويضعها في ميزانِ غيرِه، وهذا نذير شؤمٍ على العبد.

لذا يُقالُ: المُفْلِسون ثلاثةٌ: كلب الصيد فإنه يلهث، ويذهب صيدُه لغيره، والبخيل يجمع المال، ويذهب مالُه لغيره، والمغتاب يعمل الحسنات، وتذهب حسناتُه لغيره.

قوله (وبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ):

ذكر المصنف هنا ﵀ أنَّ بغض الصحابة كفر، ونفاق، وطغيان، **قال** ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[(١)].

وقال السمعاني ﵀: التعرُّض إلى جانب الصحابة علامةٌ على خذلان فاعله، بل هو بدعةٌ وضلالةٌ[(٢)].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١٧)، مسلم (٧٤).

(٢) نقله عنه الحافظ في الفتح (٤/ ٣٦٥)

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا رأيت الرجلَ ينتقصُ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنَّه زنديقٌ؛ وذلك أنَّ رسول الله ﷺ عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنَّما يريدون أن يجرحوا شهودَنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرحُ بهم أولى، وهم زنادقةٌ[1].

وكان أبو حنيفة يقول: مقام أحدهم مع رسول الله ﷺ ساعة واحدة خير من عمل أحدنا جميع عمره، وإن طال[2].

فأصحابُ رسول الله ﷺ هم الذين شهدوا الوحيَ والتنزيلَ، وعرفوا التفسيرَ والتأويلَ، وهم الذين اختارهم الله عزَّ وجلَّ لصحبة نبيِّه ﷺ ونصرتِه وإقامةِ دينه وإظهارِ حقِّه، فرضيهم له صحابةً، وجعلهم لنا أعلامـًا وقدوةً، فحفظوا عنه ﷺ ما بلَّغهم عن الله عزَّ وجلَّ، وما سنَّ وشرع، وحكم وقضى، وندب وأمر، ونهى وحظر، وأدَّب، ووعَوْه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمرَ الله ونهيه، ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ، ومشاهدتهم منه تفسيرَ الكتاب وتأويله، وتلقّفهم منه، واستنباطهم عنه، فشرَّفهم الله عزَّ وجلَّ بما مَنَّ عليهم، وأكرمهم به من وضعه إيَّاهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك، والكذب، والغلط، والريبة، والغمز[3].

واختلف النقل عن السلف، وعلماء أهل السنة في حكم مَن سب الصحابة ما بين مُكَفِّرٍ لهم، وما دون ذلك، وتحرير محل النزاع - والله أعلم - هو في سبب البغض.

---

(١) العواصم من القواصم لابن العربى (١/ ٣٤).

(٢) مناقب أبى حنيفة للمكى (صـ ٧٦).

(٣) انظر: كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (١/ ٨٧)

فبغض الصحابةِ له أحكام مختلفة باعتبار سببِ البغضِ:

- **فإن كان سببُ البغضِ هو الدين، فحكمه الكفرُ**، وهو هنا كفرٌ أكبر؛ لأنهم هم أهل الفضل والدين؛ فبغض دينهم هو بغضٌ لدين رب العالمين، وعلى هذا يحمل قول من حكم بكفرهم.

- **أمَّا إن كان البغضُ بسببِ أمرٍ من أمورِ الدنيا سواء كان الصحابة أخطأوا أم أصابوا في ذلك:**

كاتِّهام أحدِ الصحابةِ بأخذ بعضِ الأموالِ ظلمًا، وآخر عيَّن أقاربَه بغير وجه حق، ونحو هذا، من أجل ذلك يبغضُه.

فقيل: إنه كافر أيضًا لطعنه في الصحابة رضي الله عنهم واتِّهامه لهم، وهم أهل الدين والفضل، لكنَّه كفرٌ أصغرلا يُخرِجُ عنِ الملَّةِ، وقيل لا يكفر بل يفسق لعظم ما ارتكبه في حقهم ببغضه لهم، وسوء الظن بهم، وعلى هذا يحمل قول من لم يحكم بكفرهم.

إذًا بُغضُهم يدور بين الكفرِ الأكبر، والكفرِ الأصغرِ، والفسقِ والكبيرةِ، وليس أقلَّ من ذلك، لأنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن أنَّ حبَّهم دليلُ الإيمانِ، فكلَّما قلَّ هذا الحبُّ قلَّ معه الإيمانُ، وزاد النفاقُ، والعياذ بالله تعالى.

اللهم إنا نشهدك أنا نحبهم، ونبغض مَن يبغضهم، وبغير الخير لا نذكرهم، فاجمعنا يارب بهذا الحب معهم، وإن كنا لم نعمل عملهم.

ونُثْبتُ الخلافَةَ بعدَ رَسُولِ اللّه ﷺ أولًا لأَبِي بكْرٍ الصّدّيق رضي الله عنه تفْضيلًا لَهُ، وتَقْديمًا علَى جَميعِ الأمّة، ثُمّ لِعمرَ بْنِ الخطّاب رضي الله عنه، ثمّ لعثْمَانَ بنِ عفّانَ رضي الله عنه، ثمّ لعليّ بْنِ أبي طَالبٍ رضي الله عنه، وهُمُ الخُلفاءُ الرّاشِدونَ، والأئمّةُ المَهْديّون.

قوله (ونُثْبِتُ الخِلافَةَ بعدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ):

والخلافة المرادة هنا هي الخلافة الراشدة التي نص عليها النبي ﷺ، وأمر باتِّباع أصحابها، وهم كانوا أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ نصًّا، وتلميحًا، وإشارةً.

قوله (أولًا: لأبي بكر الصديق):

وهو أفضل الأمة بلا خلاف، والمُقَدَّم عليهم على الإطلاق سبقًا، وعملًا، وقدْرًا.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ المَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، فَقُلْتُ لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ اليَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**». **فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ**

يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ فِي القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يُرِيدُ أَخَاهُ -

يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقُلْتُ عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، **فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ» فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وِجَاهَهُ مِنَ الشَّقِّ الآخَرِ، قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ «فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ»**(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺفَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، **ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ**، فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، **قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «أَنْتَ مَعَ أَبِيكَ»**(٢).

عَنْ مُحَمَّدٍ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «**أَبُو بَكْرٍ**»، **قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ»**(٣).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْطَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**هَذَانِ السَّمْعُ وَالبَصَرُ**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٦٧٤)، مسلم (٢٤٠٣).

(٢) أخرجه: أحمد (٦٥٤٨)، البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٧٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه: البخاري (٣٦٧١).

(٤) أخرجه: الترمذي (٣٦٨٠)، الحاكم (٤٤٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع =

سببُ ثبوتِ الخلافةِ لأبي بكرٍ رضي الله عنه:

أولًا: أنَّه أفضلُ الأمةِ بلا نزاع، ولقد سبق بعض الأدلة الدالة على ذلك، ومن ذلك أيضًا:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَعْظَم عِنْدِي يَدًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَاسَانِي بِمَالِهِ، وَنَفْسِهِ، وأَنْكَحَنِي ابْنَتَهُ**»(١).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال:"مَا اسْتَبَقْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَنَا إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ(٢)، وغير ذلك من الأدلة.

ثانيًا: الإجماعُ على خلافته، فإنَّ الأمَّةَ أجمعت في هذا الوقتِ على تقديمه، وخلافته.

ثالثًا: إشارة النبي ﷺ إلى خلافته من بعده في بعض الأحاديث، **كقولِ النبيِّ ﷺ لعَائِشَةَ فِي مَرَضِهِ:" ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ"**(٣).

عنْ حذيفةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ:" **اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ"**(٤).

عنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ، قَالَ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»(٥).

= (٧٠٠٤).

(١) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٥٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥١٧).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٦٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه: مسلم (٢٣٨٧).

(٤) أخرجه: أحمد (٢٣٣٨٦)، الترمذي (٣٦٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٤٢).

(٥) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٦٥٩)، مسلم (٢٣٨٦).

فجمع أبو بكر ﷺ في خلافتِه أسباب التقديم كلها وهي: الأفضلية، وإجماع الأمة عليه، وإشارة النصوص إلى خلافته.

❁ واختلفوا هل ثبتتْ خلافةُ أبي بكرٍ بالنص الصريح أم لا؟

قال بعضُ العلماءِ: ورد نصٌّ صريحٌ، وقال البعض: لم يردِ النصُّ الصريحُ بذلك، وفريق توسَّط وقال: هناك نصوصٌ قريبةٌ من الصريح لكنَّها لم تصرِّح، **كقولِ النبيِّ ﷺ لعَائِشَةَ، فِي مَرَضِهِ:" ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ "**[١].

وقولِ النبيِّ ﷺ:**" اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ "**[٢].

عنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ، قَالَ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»[٣]، وهو الأقرب والله أعلم.

ومما يدل على أنه لا يوجد نصٌّ صريح في ذلك أنَّ الصحابةَ لمَّا اختلفوا على الخلافة ما استدل أحدٌ منهم بأنَّ ذلك منصوص عليه، ولو كان منصوصًا عليه ما نازع في ذلك أحدٌ، ولو كان منصوصًا عليه لما استخدم عمرُ وغيرُهُ القياسَ على تقديمه ﷺ أبابكر للصلاة.

ووجه ذلك: أنَّ إنابة النبي ﷺ أبا بكر في الصلاة، وهي الإمامة الصغرى، والاختيار لها اختيار للكبرى، وهذا ما فهمه عمر ﷺ، ولذا قال رَدًّا على مَن كانوا يريدونها لغير أبي بكر: رضيه رسول الله ﷺ لديننا فكيف لا نرضاه لدنيانا، فاقتنعوا

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

واتفقوا على تولية أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

عن الحسن قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قدَّمَ رسول الله ﷺ أبا بكر، وقد رأى مكاني، وإني لصحيح غير مريض، وإني لشاهد غير غائب، ولو أراد أن يقدمني لقدمني، فرَضِينا لدنيانا مَن رَضِيَهُ رسولُ اللهِ ﷺ لديننا[(٢)].

فلو كان هناك نصٌّ صريح ما لجأ الصحابة كعمر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للقياس على الصلاةِ.

ويدل على هذا نص قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبي ﷺ لم يستخلف، وهي الملازِمة للنبي ﷺ إلى أن مات.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: **" قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَسْتَخْلِفْ أَحَدًا، وَلَوْ كَانَ مُسْتَخْلِفًا أَحَدًا لَاسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ أَوْ عُمَرَ "**[(٣)].

قوله (ثُمَّ لِعُمرَ بْنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

وكان لعمرَ المكانةُ العظيمةُ في قلوب أصحاب النبي ﷺ التي تُمَكِّنُه من الخلافة، بل إنه المُلْهَمُ المُوَفَّقُ كما بيَّن ذلك النبي ﷺ، **عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ»**[(٤)].

---

(١) مسند الشافعي ترتيب السندي. الباب السابع (صـ ٣٦٢).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٩/ ٧٥٥).

(٣) أخرجه: أحمد (٢٤٣٤٦)، النسائي في الكبرى (٨٠٦٤)، والطبراني في الأوسط (٧٠٥٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه: أحمد (١٧٤٠٥)، الترمذي (٣٦٩٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٨٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

❁ **وسببُ ثبوتِ الخلافةِ لعمرَ رضي الله عنه:**

❑ **أولًا: استخلاف أبي بكرٍ رضي الله عنه له، وأنَّه عَهِد إليه بالأمر من بعده.**

إنَّ أَبَا بَكْرٍ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ يَسْتَخْلِفُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: تَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا فَظًّا غَلِيظًا، وَلَوْ قَدْ وَلِيَنَا كَانَ أَفَظَّ وَأَغْلَظَ، فَمَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا لَقِيتَهُ وَقَدِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْنَا عُمَرَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَبِرَبِّي تُخَوِّفُونَنِي، أَقُولُ: اللَّهُمَّ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ خَلْقِكَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهَا: إِنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ، وَإِنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً، حَتَّى تُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ، وَإِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ وَثِقَلُهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخِفَّتُهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا، وَأَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَأَنَّهُ تَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا أُبَلِّغُ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَإِ مَا عَمِلُوا، وَأَنَّهُ رَدَّ عَلَيْهِمْ صَالِحَ مَا عَمِلُوا، فَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ الْعَذَابِ، لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا، لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ؛ فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَنْ تُعْجِزَهُ"[(١)].

❑ **ثانيًا: ثبوتُ النصِّ** وإجماعِ الأمةِ على أنَّه أفضلُ الأمةِ بعد أبي بكرٍ رضي الله عنه، ونقل البيهقي عن الشافعي أنه قال: أجمعَ الصحابةُ وأتباعُهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليٍّ[(٢)]. وقد سبق الإشارة إلى بعض الأدلة الدالة على فضله، وإلى بعض مناقبه رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه: ابن أبى شيبة في مصنفه (١٤/ ٥٧٣).

(٢) الاعتقاد للبيهقي (صـ١٩٢).

❑ ثالثًا: إجماعُ الأمةِ على توليتِه وخلافتِه، وأنه أحقُّ بالخلافة من غيره.

قوله (ثمَّ لعثْمَانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ):

۞ وتولى الخلافةَ عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد عُمَرَ لأمورٍ:

❑ **أولًا: أفضلية عثمان على غيره، حتى على عَلِيٍّ، ولقد نُقِل الإجماعُ على ذلك كما سبق، وقد سبق الإشارة لبعض فضائله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومن ذلك أيضًا:**

عنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ، فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ، فَجَلَسْتَ، وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[1].

عنِ الأَحْنَفِ بنِ قيسٍ: **قَالَ أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، وَأَنَا حَاجٌّ، فَبَيْنَا نَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا نَضَعُ رِحَالَنَا إِذْ أَتَى آتٍ، فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ، فَاطَّلَعْتُ فَإِذَا يَعْنِي النَّاسَ مُجْتَمِعُونَ، وَإِذَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ نَفَرٌ قُعُودٌ، فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا قُمْتُ عَلَيْهِمْ قِيلَ هَذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ قَدْ جَاءَ - قَالَ - فَجَاءَ، وَعَلَيْهِ مُلَيَّةٌ صَفْرَاءُ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَنْظُرَ مَا جَاءَ بِهِ. فَقَالَ عُثْمَانُ: أَهَا هُنَا عَلِيٌّ؟ أَهَا هُنَا الزُّبَيْرُ؟ أَهَا هُنَا طَلْحَةُ؟ أَهَا هُنَا سَعْدٌ؟ قَالُوا نَعَمْ.**

قَالَ: فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «مَنْ يَبْتَاعُ مِرْبَدَ[2] بَنِي فُلانٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ». فَابْتَعْتُهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي ابْتَعْتُ مِرْبَدَ بَنِي فُلانٍ. قَالَ «فَاجْعَلْهُ فِي مَسْجِدِنَا، وَأَجْرُهُ لَكَ»؟. قَالُوا: نَعَمْ.

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٤٠١).

(٢) المِرْبَد: الموضع الذي تُحبَس فيه الإبل والغنم. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٥٥).

قَالَ: فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِى لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «مَنْ يَبْتَاعُ بِئْرَ رُومَةَ غَفَرَ اللهُ لَهُ». فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: قَدِ ابْتَعْتُ بِئْرَ رُومَةَ. قَالَ «فَاجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَجْرُهَا لَكَ»؟.قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِى لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «مَنْ يُجَهِّزْ جَيْشَ الْعُسْرَةِ غَفَرَ اللهُ لَهُ». فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى مَا يَفْقِدُونَ عِقَالًا وَلا خِطَامًا؟. قَالُوا نَعَمْ. قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدِ، اللَّهُمَّ اشْهَدِ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ[١].

❑ **ثانيًا: أمرُ الشُّورى، وهم الستَّةُ الذين اختارهم عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للشورى**، وأقرَّت الأمةُ بعد ذلك اختيارَهم.

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ الرَّهْطَ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ عُمَرُ اجْتَمَعُوا فَتَشَاوَرُوا، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «لَسْتُ بِالَّذِي أُنَافِسُكُمْ عَلَى هَذَا الأَمْرِ، وَلَكِنَّكُمْ إِنْ شِئْتُمْ اخْتَرْتُ لَكُمْ مِنْكُمْ»، فَجَعَلُوا ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَلَمَّا وَلَّوْا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَمْرَهُمْ، فَمَالَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَتَّى مَا أَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَتْبَعُ أُولَئِكَ الرَّهْطَ وَلاَ يَطَأُ عَقِبَهُ، وَمَالَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُشَاوِرُونَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَصْبَحْنَا مِنْهَا، فَبَايَعْنَا عُثْمَانَ، قَالَ المِسْوَرُ: طَرَقَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ هَجْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَضَرَبَ البَابَ حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَقَالَ: «أَرَاكَ نَائِمًا فَوَاللهِ مَا اكْتَحَلْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِكَبِيرِ نَوْمٍ، انْطَلِقْ فَادْعُ الزُّبَيْرَ وَسَعْدًا»، فَدَعَوْتُهُمَا لَهُ، فَشَاوَرَهُمَا، ثُمَّ دَعَانِي، فَقَالَ: «ادْعُ لِي عَلِيًّا»، فَدَعَوْتُهُ، فَنَاجَاهُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ عَلَى طَمَعٍ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَخْشَى مِنْ عَلِيٍّ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ لِي عُثْمَانَ»، فَدَعَوْتُهُ، فَنَاجَاهُ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا المُؤَذِّنُ بِالصُّبْحِ، فَلَمَّا صَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ، وَاجْتَمَعَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ عِنْدَ المِنْبَرِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَأَرْسَلَ إِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ، وَكَانُوا وَافَوْا تِلْكَ الحَجَّةَ مَعَ عُمَرَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَلِيُّ إِنِّي

---

(١) أخرجه: النسائي في سننه (٦/ ٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي.

قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ، فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ، فَلاَ تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا»، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى سُنَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَالخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، وَأُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، وَالمُسْلِمُونَ[1].

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: ومِن أفضلِ أعمالِ عبدِ الرحمنِ عَزْلُه نفسَه من الأمر وقت الشورى، واختيارُه للأمة مَن أشارَ به أهلُ الحلِّ والعقدِ، فنهض في ذلك أَتَمَّ نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها، لأخذها لنفسه، أو لولَّاها ابنَ عمِّه وأقربَ الجماعةِ إليه سعدَ بنَ أبي وقاصٍ[2].

قوله (ثمَّ لعليِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ):

❁ وثبتَتِ الخلافةُ لعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأمور منها:

❑ أولًا: أفضليته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على غيره، ودل على أفضلية عليٍّ ومكانته من رسول الله ﷺ كثير من الأدلة، منها:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: خَلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[3].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي حَجَّتِهِ الَّتِي حَجَّ، فَنَزَلَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَأَمَرَ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: «**أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟**» **قَالُوا: بَلَى، قَالَ:** «**أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟**» **قَالُوا: بَلَى، قَالَ:** «**فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ**»[4].

---

(١) أخرجه: البخاري (٧٢٠٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٦).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٤٠٤).

(٤) أخرجه: أحمد (١٨٤٧٩)، ابن ماجه (١١٦)، النسائي في الكبرى (١٨٤٨٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٥٠)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

عنْ أَبِي بُرَيْدَةَ الأسلميِّ رضي الله عنه قَالَ: حَاصَرْنَا خَيْبَرَ فَأَخَذَ اللِّوَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْصَرَفَ، وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ مِنَ الْغَدِ عُمَرُ فخَرَجَ فَرَجَعَ، وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ، وَأَصَابَ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ شِدَّةٌ وَجَهْدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" إِنِّي دَافِعٌ اللِّوَاءَ غَدًا إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَيُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ ". فَبِتْنَا طَيِّبَةٌ أَنْفُسُنَا أَنَّ الْفَتْحَ غَدًا، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَّى الْغَدَاةَ، ثُمَّ قَامَ قَائِمًا فَدَعَا بِاللِّوَاءِ وَالنَّاسُ عَلَى مَصَافِّهِمْ، فَدَعَا عَلِيًّا وَهُوَ أَرْمَدُ، فَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ اللِّوَاءَ، وَفُتِحَ لَهُ، قَالَ بُرَيْدَةُ: وَأَنَا فِيمَنْ تَطَاوَلَ لَهَا "**[١].

❑ ثانيًا: **إجماع الصحابة على أحقيته بالخلافة**، وما نوزع رضي الله عنه الخلافة لعدم أحقيته، ولا لأنَّ غيره أفضل منه، بل كل ما هنالك أنَّ معاوية رضي الله عنه، وبعض الصحابة طالبوه بقتلة عثمان، ورأى عليٌّ رضي الله عنه أنَّ الفتنة كانت قائمة، والأمر يحتاج شيئًا من التَمَهُّلِ.

قوله (وهُمُ الخُلفاءُ الرَّاشِدونَ، والأئمَّةُ المَهْديُّونَ):

الخلفاءُ الراشدون: هم الخلفاء الأربعة الأكابر، وثبتت تسميتهم راشدين مهديين بلسان الشرع، **عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ" قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"**[٢].

---

(١)أخرجه: أحمد (٢٢٩٩٣)، النسائى في الكبرى (٨٤٠٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٤٤)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) أخرجه: أبوداود (٤٦٠٧)، ابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

سببُ تسميتِهم بالراشدين المهديين:

الرّشدُ ضدُّ الغي، والعلم والفهم هو طريق الرشد كما أنَّ الغيَّ طريقه الجهل.

والهدايةُ ضدُّ الضلالِ، والهدايةُ سببُها وسبيلُها العملُ، كما أنَّ الضلالة سبيلها ترك العمل.

فالرشدُ والهدايةُ بالعلمِ والعملِ.

والغيُّ والضلالُ بالجهلِ وتركِ العملِ.

والخلفاءُ الأربعةُ راشدون مهديُّون؛ لأنهم أفضلُ الأمةِ وأهداها عملًا، وأكثرُ الأمةِ علمًا وفهمًا.

☙◊❧

وأنّ العشرةَ الّذين سمّاهُم رسُولُ الله ﷺ، وبشّرَهُم بالجنّة، نشهدُ لهُمْ بالجنّة علَى ما شهدَ لهُم رسُولُ الله ﷺ، وقولُه الحَقُّ، وهُم أبُو بَكرٍ، وعُمرُ، وعُثْمانُ، وعَليٌّ، وطلْحةُ، والزّبيرُ، وسعْدٌ، وسَعيدٌ، وعَبدُ الرّحْمنِ بْنُ عَوفٍ، وأبُو عُبيدةَ بنُ الجرّاحِ، وهُو أمِينُ هذهِ الأمّةِ رَضِوانُ اللهُ عليهِم أجْمَعين.

قوله (وإنَّ العَشرةَ الَّذين سمَّاهُم رسُولُ اللهِ ﷺ وبشَّرَهُم بالجنَّةِ، نشهدُ لهُمْ بالجنَّةِ علَى ما شهِدَ لهُم رسُولُ اللهِ ﷺ):

الشهادةُ لأناسٍ بالجنةِ نوعان:

❑ الأول: شهادةٌ عامةٌ:

وهي بشارةٌ من اللهِ ﷻ بالجنة لأصحاب أوصاف معيَّنةٍ كالذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ۝١٠٨﴾ [**الكهف: ١٠٧ – ١٠٨**]، ومنهم المتقون، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾[**القمر: ٥٤ – ٥٥**]، ومنهم المحسنون، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٤٤﴾ [**المرسلات: ٤١ – ٤٤**]، وغيرهم، فهذه شهادةٌ بالوصفِ، ويجوزُ لنا أن نشهدَ هذه الشهادةَ، ونقول أنَّ كلَّ مؤمنٍ، وكلَّ متَّقٍ، وكلَّ مُحسنٍ يكونُ من أهلِ الجنةِ.

❑ الثاني: الشهادةُ لمُعيَّنٍ:

وهذه لا تكونُ إلا لمن شهدَ له الشرعُ، ونصَّ النصُّ عليه.

ومن هؤلاء المشهود لهم بالجنة شهادة عينية: العشرة المبشرون بالجنة، فيجب أن نشهد لهم بالجنة كما شهد لهم النبي ﷺ.

قوله (وقولُه الحَقُّ):

فقوله صدقٌ وحقٌّ، وإخباره عن الغيب الذي أعلمه الله إياه كإخباره عن الشهادة التي يراها بعينيه، قال تعالى ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾ [**النجم: ٣ - ٤**]، فلقد شهد لهم النبيُّ ﷺ بالجنةِ وهم أحياءٌ، واللهُ يعلمُ ما هم فاعلون.

وذكرَ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ العشرةَ المبشَّرينَ بالجنةِ، مع أنَّ المبشَّرين بالجنةِ كُثُرٌ كما سيردُ إن شاء الله تعالى، لكن هؤلاء العشرة كان لهم ميزاتٌ خاصةٌ، منها:

أولًا: جَمَعَهم النبيُّ ﷺ في حديثٍ واحدٍ، فدل على فضلهم وأنَّ لهم مزية خاصة في الشرع.

ثانيًا: كان لهم في الإسلامِ السبْقُ.

ثالثًا: كان لهم مواقف عظام حفظ الله بها بيضة الإسلام، وحمى جنابه، فمنهم من حماه بماله كعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، ومنهم من حماه بنفسه وجهاده ودفاعه عن نبيه ﷺ كعمر، وعلي، وأبي عبيدة، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، ومنهم من جمع ذلك كله كأبي بكر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قوله: (وهُم أبُو بَكرٍ، وعُمرُ، وعُثْمانُ، وعَليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ):

وقد سبقَ الحديثُ عنهم، وذِكْرُ شيءٍ من فضائلهم.

قوله (وطلْحَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ):

هو طلحة بن عبيدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو من الستةِ الذين اختارهم عمرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للشورى، وكان ذلك في وجودِ الصحابةِ، ولم ينكر عليه أحدٌ، فدل ذلك على إجماع الصحابة على فضله، واختارَهم عمر لأنَّ النبيَّ ﷺ مات وهو راضٍ عنهم، وطلحةُ وَسَمَه النبي ﷺ بوسام لم يجعله لغيره، وهو وسام "الشهيد الذي يمشي على الأرض".

عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ**

إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ»(١).

عنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»(٢).

قوله (والزُّبيرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ):

هو الزُّبيرُ بنُ العوَّام ابنُ عمَّةِ النبيِّ ﷺ.

وقد أسلم الزبيرُ وهو ابنُ ثمان سنين، فكان من السابقين، وهاجر الهجرتينِ، وشهد المشاهدَ كلَّها، وهو حواري النبي ﷺ.

عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ **"مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟"، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ "مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟"، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ" مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟"، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ"**(٣)، وكان الزبير أيضًا من الستةِ الذين اختارهم عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للشورى.

قوله (وسعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ):

وهو: سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو خالُ النبيِّ ﷺ، عنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا خَالِي، فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ**»(٤).

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٧٨٤)، ابن ماجه (١٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢).

(٢) أخرجه: أحمد (١٤١٧)، الترمذي (١٦٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٠).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٢٦١)، مسلم (٢٤١٥).

(٤) أخرجه: الترمذي (٣٧٦١)، الحاكم (٦١١٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع =

وكفى بسعدٍ فضلًا وفخرًا أنِ افْتَخَرَ به النبيُّ ﷺ، وبقرابته منه.

وجمع له النبيُّ ﷺ أبويه يوم أُحدٍ، عنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ قال: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، يَقُولُ: نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»[1].

وكان رضي الله عنه مستجابَ الدعوةِ، عنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا، يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ»[2]، وكان أيضًا من الستةِ الذين اختارهم عمر رضي الله عنه للشورى.

وهؤلاء السبعة السابقون اجتمعوا مع النبي ﷺ على جبل حراء، فوسمهم النبي ﷺبأوسمة رفيعة عالية، **عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ على جبلِ حراءَ فتحركَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ«اسكُنْ حِرَاءُ فما عليك إلا نبيٌّ، أو صِدِّيقٌ، أو شهيدٌ» وعليهِ النبيُّ ﷺ، وأبوبكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وطلحةُ،والزبيرُ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضي الله عنهم**[3].

قوله (وسَعِيدٌ رضي الله عنه):

وهو سعيدُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه ، وهو ابنُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نفيل، وأبوه لم يدركِ النبيَّ ﷺ، ولكنَّه كان يبحثُ عن الدِّين الحقِّ، وكان يفعل الصالحاتِ، ويُحيي الموءودةَ، ويشتريها بمالِه، وكان يُشْهِد قريشًا أنه ليس أحد منهم على ملة إبراهيم غيره.

عنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قالَتْ:" رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي المَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ، لا تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا

=

(٦٩٩٤)، قال الترمذي: وكان سعد بن أبي وقاص من بني زُهرةَ، وكانت أُمُّ النبي ﷺ من بني زُهرةَ؛ فلذلك قال النبي ﷺ "هذا خالي".

(١) أخرجه: البخاري (٤٠٥٥).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٧٦٠)، الحاكم (٦١١٨)، وصححه الألباني في المشكاة (٦١٢٥).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٤١٧).

مَئُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا "(١).

ولعله إذ لم يدرك هذا الخير مع صدق نيته لم يحرمِ الله منه ولَدَه سعيدًا، بل أصبح من العشرة المبشرين بالجنة، وكان سعيدٌ أيضًا من السابقين إلى الإسلام، ولكنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يكن من الستة الذين اختارهم عمر للشورى، وذلك ليس لعدم أهليته ولا لتهمته؛ بل لأنَّ سعيدًا كان ختنَ عمر- زوجَ أختِه -، وكان ابنَ عمِّه، لذلك خشيَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من التُّهمةِ، فاستبعد سعيدًا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أجمعين.

واستجاب الله تعالى دعاءه في أروى بنت أويس وأعمى الله بصرها، وقتلها في أرضها لما اتَّهَمَتْه كذبًا وزورًا.

عنْ هشامِ بنِ عروةَ: عنْ أبيهِ: أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**»، **فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: «اللهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا»، قَالَ: «فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ»**(٢).

قوله (وعَبدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ):

وهو أيضًا من الستة أصحاب الشورى، وكان من أهل بدر، ومن السابقين إلى الإسلام، والسبقُ قد لا يساويه عملٌ، ففي الحديث لما قال خالد بن الوليد لعبدالرحمن بن عوف: أتعيروننا بأيامٍ سبقتمونا بها قال النبيُّ ﷺ: «**لا تَسُبُّوا**

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٨٢٨).

(٢) أخرجه: مسلم (١٦١٠).

أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلا نَصِيفَهُ»(١).

وهو ممن صلى خلفهم النبي ﷺ، وهذه منقبه أيما منقبة.

عنْ عمرِو بنِ وهبٍ الثقفيِّ قالَ: **كنا معَ المغيرةِ بنِ شعبةَ فسُئِلَ: هل أَمَّ النبيَّ ﷺ أحدٌ من هذهِ الأمةِ غيرَ أبي بكرٍ، فقالَ: نعم، فذكرَ أنَّ النبيَّ ﷺ توضأَ ومسحَ على خُفَّيْهِ، وعمامتِهِ، وأنه صلَّى خلفَ عبدِالرحمنِ بنِ عوفٍ وأنا معه ركعةً منَ الصبحِ، وقضينا الركعةَ التي سُبِقْنا**(٢).

وكان من فضائله رضي الله عنه أن كانت له اليد الطولى في الإنفاق وبذل الأموال، قال طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه: كان أهل المدينة عيالًا على عبدالرحمن بن عوف: ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضي دينهم، ويصل ثلثًا(٣).

قوله (وأبو عبيدة رضي الله عنه وهو أمينُ الأُمَّةِ):

وهذه منقبة ما أعظمها من منقبة - أمين خير أمة أخرجت للناس -، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لا تَفْعَلْ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاعَنَّا لا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا، فَقَالَ «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»**(٤).

وليس هؤلاء فقط الذين بشَّرهم النبيُّ ﷺ، بل إنَّ بعض الصحابةِ والصحابياتِ غيرهم بشَّرهم النبي ﷺ أيضًا بالجنة، ومنهم:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: مسلم (٨١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٨).

(٤) **متفق عليه:** أخرجه: البخاري (٤٣٨٠)، مسلم (٢٤١٩).

(خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ"**(١).

(عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا):

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»(٢).

(حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا):

عَنْ أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَفْصَةَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ" **رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ"**(٣).

(فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا):

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ**»(٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ: " **تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ " فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ "**(٥).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٨٢٠)، مسلم (٢٤٣٢).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٨٨٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٦١٩١).

(٣) أخرجه: الطبراني في الأوسط (١٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٥١).

(٤) أخرجه: أحمد (١١٧٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٩٠)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٥) أخرجه: أحمد (٢٦٦٨)، ابن حبان (٧٠١٠)، الطبراني في الكبير (١١٩٢٨)، وصححه =

(حمزة رضي الله عنه):

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" **سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**"(١).

عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ"**دخَلْتُ الجنَّةَ البَارِحَةَ، فنَظَرْتُ فيها فإذَا جَعْفَرٌ يَطِيرُ مَعَ المَلَائِكَةِ، وإذَا حَمْزَةُ مُتَّكِئٌ على سَرِيرٍ**"(٢).

(بلال رضي الله عنه):

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ رضي الله عنه قَالَ لِبِلالٍ عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ: «**يَا بِلالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ**»(٣)، **قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ** "(٤).

(الحسن والحسين رضي الله عنهما):

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٥).

=

الألباني في صحيح الجامع (١١٣٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(١) أخرجه: الحاكم (٤٨٨٤)، الطبراني في الكبير (٢٩٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٨٩).

(٢) أخرجه: الطبرانى في الكبير (١٤٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٣).

(٣) قال ابن القيم في حادي الأرواح (١/ ١١٥): ولا يدل على أنَّ أحدًا يسبق رسولَ الله ﷺ إلى الجنة، وأما تقدم بلال بين يدي رسول الله ﷺ في الجنة؛ فلأنَّ بلالًا كان يدعو إلى الله أولًا في الأذان، فيتقدم أذانه بين يدي رسول الله ﷺ، فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١١٤٩)، مسلم (٢٤٥٨).

(٥) أخرجه: أحمد (١٠٩٩٩)، الترمذي (٣٧٧٧)، ابن ماجه (١١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣١٨٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه):

عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" **رَأيْتُ جَعْفرًا يَطيرُ فِي الجنَّةِ مع الملائكَةِ بجَناحَيْنِ**"[1].

(ثابت بن قيس رضي الله عنه):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحُجُرات:٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺسَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»**[2].

(عبدالله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه):

عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَام يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَبِيكَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: " مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ. قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ ": {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا} [آل عمران: ١٦٩] الْآيَةَ كُلَّهَا "**[3].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٧٧٢)، الحاكم (٣/ ٢٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٨).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٨٤٦)، مسلم (١١٩).

(٣) أخرجه: الترمذي (٣٠١٠)، ابن ماجه (٢٨٠٠)، ابن حبان (٧٠٢٢)، وصححه الألباني في =

(سعد بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ):

عنِ الْبَرَاءِ قال: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمسُونَهَا، وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ «أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ، لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِى الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ»[1].

(أصحاب بئر معونة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ ثَلَاثِينَ غَدَاةً عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ أَنَسٌ: أُنْزِلَ فِي الَّذِينَ قُتِلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قُرْآنٌ قَرَأْنَاهُ، ثُمَّ نُسِخَ بَعْدُ" **بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيَ عَنَّا، وَرَضِينَا عَنْهُ** "[2]، ومن يرض الله عنه في الآخرة يكن من أهل الجنة قطعًا.

(عمير بن الحمام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ):

عنْ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ- يومَ بدرٍ- **«قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ». قَالَ يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟!، قَالَ «نَعَمْ». قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ». قَالَ: لا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا». فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِى هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ**[3].

= صحيح الترغيب والترهيب (١٣٦١)، وقال الأرنؤوط: في تعليقه على ابن حبان إسناده جيد.

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٦١٥)، مسلم(٢٤٦٨).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٨١٤)، مسلم (٦٧٧).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩٠١).

(زيد بن حارثة ﵁):

عنْ بريدةَ ﵁ : عنِ النبيِّ ﷺ قالَ:" دخلتُ الْجَنَّةَ، فَاسْتَقْبَلَتْنِي جَارِيَةٌ شَابَّةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَةُ؟ قَالَتْ: لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ"[1].

(عبدالله بن سلام ﵁):

عنْ يزيدَ بنِ عُمَيرَةَ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ معاذَ بنَ جبلٍ الموتُ قيلَ لهُ: يا أبا عبدِ الرَّحمنِ أَوْصِنا، قَالَ: أَجْلِسُونِي، فقَالَ: إنَّ العلمَ والإيمانَ مَكَانَهُما مَنِ ابتَغَاهُما وَجَدَهُما، يقولُ ذلكَ ثلاثَ مراتٍ، والتَمِسوا العلمَ عند أربعةِ رهطٍ: عند عُوَيْمِرٍ أبي الدَّرْدَاءِ، وعند سلمانَ الفارسيِّ، وعند عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، وعند عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ الذي كان يهوديًّا فَأَسْلَمَ، فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ **" إنهُ عاشِرُ عشرةٍ في الجَنةِ "**[2].

(عمَّار وسَلمان ﵄):

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **" إنَّ الجنَّةَ لتشتاقُ إلى ثلاثةٍ: عليٍّ، وعمَّارٍ، وسَلْمانَ "**[3].

(حذيفة بن اليمان ﵁):

عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُ مَعَهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟! لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"أَلَا**

---

(١) أخرجه: ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/ ٣٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٦).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٢١٥٧)، الترمذي (٣٨١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٧٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه: الترمذي (٣٨٠٦)، الحاكم (٤٦٦٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٩٨).

رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: فَسَكَتْنَا، فَقَالَ ﷺ:"قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ"، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يُصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ:"لَا تَذْعَرْهُمْ"، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ ﷺ أَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَضْلَ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ ﷺ: "قُمْ يَا نَوْمَانُ "[١].

(عُكَّاشة بن محصن رضي الله عنه):

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه: قَالَ: لا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ، فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ،** قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: **بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا، وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ،** قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، **وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ " ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»**[٢].

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٣٣٣٤)، ابن حبان (٧١٢٥)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وأخرجه مسلمٌ بنحوِه مُختصرًا (١٧٨٨).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٥٧٠٥)، مسلم (٢١٦).

(عمرو بن الجموح ﵁):

عنْ جابرٍ قالَ: جاءَ عمرُو بنُ الجموحِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ فقالَ: يا رسولَ اللهِ مَنْ قُتِلَ اليومَ دخلَ الجنةَ؟ قالَ **" نعم "، قالَ: فوالذي نفسي بيدِهِ لا أرجعُ إلى أهلِي حتى أدخلَ الجنةَ، فقالَ لهُ عمرُ بنُ الخطابِ: يا عَمْرُو لا تأَلَّ على اللهِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ " مهلًا يا عُمَرُ، فإنَّ منهم مَنْ لَوْ أقسمَ على اللهِ لأَبَرَّهُ: منهم عمرُو بنُ الجموحِ يخوضُ في الجنةِ بعرجتِهِ "**[1].

(حارثة بن النعمان ﵁):

عَنْ عَائِشَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **" دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً، قُلْتُ: مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، كَذَاكُمُ الْبِرُّ، كَذَاكُمُ الْبِرُّ "**[2].

﵃ أجمعين، وجَمَعَنا بهم في جنته، ودار كرامته.

(١) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٩٤)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

(٢) أخرجه: أحمد (٢٤٠٨٠)، النسائي في الكبرى (٨٢٣٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وَمَنْ أحْسنَ القوْلَ فِي أصحَاب رسولِ الله ﷺ، وأزْواجه الطّاهِراتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وذُرِّياتهِ المُقدّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فقدْ برِئَ مِنَ النِّفاقِ.

والمعنى: أنَّ إحسانَ القولِ في أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأزواجِهِ المطهراتِ، وذريتِهِ أمانٌ من النفاق، وكلٌّ لازمٌ للآخر، ودليلٌ عليه، فمَن أحسَنَ القولَ فيهم دَلَّ على أنه بعيد عن النفاق، ومَن أحسَنَ القول فيهم جازاه الله بالأمان من النفاق، وبمفهوم المخالفة أنَّ الخوض فيهم يكون طريقًا للنفاق - والعياذ بالله تعالى -، بل وقد يكون دليلًا عليه.

لذلك قال النبيُّ ﷺ: «...**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي** »[(١)].

وقال ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٤٠٨).

(٢) سبق تخريجه.



عَقِيدَةُ أهلِ السنةِ في العلماءِ، وأهلِ الفضل

وعُلمَاءُ السّلف منَ الصالحين، والتّابعين، ومَنْ بعْدَهُم من أهْلِ الخيْرِ والأَثَرِ، وأهْلِ الفقْه والنّظَرِ، لا يُذْكَرُونَ إلّا بالجَمِيلِ، ومَنْ ذكَرَهُمْ بسُوءٍ فَهُوَ علَى غيْرِ السّبِيلِ.

وذِكْرُ هذه المسألة هنا من حسن فهم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعمق تصوره أن جعل من عقيدةِ أهلِ السنةِ حبَّ أهلِ العلمِ، وأنَّ من يخالفُها فهو على غيرِ مذهبِ أهلِ السنةِ في ذلك.

وذلك لأنَّ أهلَ العلمِ هم ورثةُ الأنبياءِ، فحبهم من الدين، ومن عقيدة المسلمين، وهم ليسوا معصومين، ولكن لهم حسنات عظيمة، بل هي من أعظم الحسنات، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، فالحسنات تُذْهِب السيئاتِ وتُمْحِي أثرَها، قال ﷻ ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

فالله تعالى غفر لأهلِ الهجرةِ بهجرتِهم، عنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:" **هَاجَرَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ»**(١).

---

(١) سبق تخريجه.

وغفر لأهل بدر بغزوهم، **قالَ ﷺ لعمرَ "...لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ "**(١).

وأهل العلم جمعوا أفضل الأعمال، وأعلاها قدرًا، وأحبها إلى الله تعالى ألا وهي الدعوة إلى الله، وورثوا ميراث الأنبياء، وقاموا به ليبلغوا دين ربهم للناس.

قال ابنُ المباركِ: " لم يجعلِ اللهُ العالِمَ من غيرِ الناسِ، ولو كان الفضلُ بالقوَّة لكان للجملِ، فإنَّ الجملَ أقوى منك، ولو كان بالعظَمةِ لكان للفيلِ، فإنَّ الفيلَ أعظمُ منك، وإن

كان بالأكلِ، وسعةِ البطنِ لكان للثورِ، فإنَّ الثورَ أوسعُ بطنًا منك(٢).

قال ابنُ وهبٍ(٣): كنتُ جالسًا عند مالكٍ، فوضعتُ الألواحَ وقمتُ أصلي ركعتين، قال: فلمَّا جلستُ قال لي: ما الذي قمتَ له بأفضلَ من الذي كنتَ فيه، إذا صحت النية فيه(٤).

قال الفضيلُ: العالِمُ المُعَلِّمُ يُدعَى كبيرًا في عالَمِ السماءِ(٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: استشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجلِّ مشهودٍ عليه وهوتوحيده، فقال ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾** ﴾ **[آل عمران: ١٨]، وهذا يدلُّ على فضلِ العلمِ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٠٠٧)، مسلم (٢٤٩٤).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالى (١/ ٧).

(٣) عبد الله بن وهب بن مسلم الإمام الحافظ المصري الفقيه، ولد سنة ١٢٥هـ، قال ابن يونس: جمع

ابن وهب بين الفقه والحديث والعبادة، قال أحمد بن صالح: ما رأيت أحدًا أكثر حديثًا منه، حدَّث بمائة ألف حديث، مات ١٩٧هـ.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١/ ٦٢).

(٥) أخرجه: الترمذي (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

وأهلِهِ من وجوه:

أحدها: استشهادُهُم دونَ غيرِهم من البشر.

الثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

الثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

الرابع: أنَّ في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإنَّ الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه، وهو أَجَلُّ شاهد، ثم بخيار خلقه، وهم ملائكته، والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلًا وشرفًا.

السابع: أنه استشهد بهم على أَجَلِّ مشهود به، وأعظمه، وأكبره، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

الثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجةً على المنكِرين، فهم بمنزلة أدلته، وآياته، وبراهينه الدالة على توحيده.

التاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه، ومن ملائكته، ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته،وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته.

العاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به، فثبت الحق المشهود به، فوجب على الخلق الإقرار به، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل من ناله الهدى بشهادتهم، وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم، فلهم من الأجر مثل أجره، وهذا فضل عظيم لا

يدرى قدره إلا الله[1].

وكل ذلك يدل على علو مكانتهم عند الله تعالى، وعلو قدرهم، وهو دليل على حب الله لهم، وأنهم أهله وخاصته؛ لذا كان من عقيدة أهل السنة والجماعة حب أهل العلم، وذكرهم بالجميل، وغض الطرفِ عن أخطائِهم، وإن أظهرنا خطأهم نُظْهِرُه نصحًا ومشاورةً وبيانًا، وليس تنقيبًا وتفتيشًا وإظهارًا للعوراتِ.

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم – بتصرف – (١/ ٤٨).



الأنبياءُ أفضلُ مِنَ الأولياءِ

ولا نُفضّلُ أحدًا منَ الأوْلياءِ على أحَدٍ منَ الأنْبياءِ، ونقولُ نبيٌّ واحدٌ أفضلُ من جَميعِ الأولياءِ، ونُؤمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرامَاتِهِمْ، وصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَاياتِهِمْ.

قوله (ولا نُفضِّلُ أحدًا مِنَ الأولياءِ على أحدٍ مِنَ الأنبياءِ):

النبيُّ: هو رجل اصطفاه الله تعالى من بني ءادم، ونُبِّئَ بالوحي.

الوليُّ: هو المؤمن التقي كما عرَّفه الله تعالى، قال ﷻ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

والأنبياءُ أفضلُ من الأولياءِ بلا خلاف ولا نزاع، وضل في ذلك بعض المبتدعة كالرافضة الذين يجعلون الأئمة أفضل من الأنبياء، وبعض الصوفيةِ الذين يقولون: إنَّ الوليَّ أفضلُ من النبيِّ والرسولِ، وقالوا قال ﷻ ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [**الحجر: ٩٩**]، والوليُّ قد أتاه اليقينُ، فهو أفضل من النبي؛ لذا لا يلزمه اتباع النبي.

كما قال ابنِ عربي(١):

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عربي، المعروف بابن عربي، فيلسوف، من أئمة المتكلمين، ولد عام ٥٦٠ هـ، وأُنْكِر عليه شطحات صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، وحُبِس، وهو كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود، ومن تصانيفه (الفتوحات المكية)، وتوفي عام ٦٣٨ هـ.

مقـــــامُ النبــــــوةِ في بــــــرزخ فُوَيــقَ الرســـولِ ودون الــولِي[١]

وغاية ذلك إضلال الناس، وتلبيس دينهم عليهم، وكذلك التَفَلُّت من التكاليف الشرعية التي يأمر بها الأنبياء.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا قلبٌ للحقيقة التي اتفق عليها المسلمون، وهو أنَّ الرسول أفضل من النبي الذي ليس برسول، والنبي أفضل من الولي الذي ليس بنبي، والرسالة تنتظم النبوة والولاية كما أنَّ النبوة تنتظم الولاية، وأنَّ أفضلَ الأولياءِ أكملُهُم تلقِّيًا عنِ الأنبياءِ، وهو أبو بكرٍ الصدِّيقُ، فإنه أفضلُ من عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وعمر كان كما ثبت في الصحيح عنِ النبي ﷺ أنه قال" أنه قد كان في الأمم قبلكم مُحدَّثونَ، فإن يكن في أمتي أحد فعمر"، فعمر كان مَحدَّثًا مُلهَمًا، وهو أفضل المُحَدَّثين من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

وليس في أولياء هذه الأمة من يأخذ عن الله سبحانه شيئًا بلا واسطةِ نبيٍّ أفضل من عمر، ومع هذا فكل ما يرد عليه بدون واسطة النبي عليه أن يعتبره بما جاء به النبي ﷺ، فإن وافقه قَبِلَه، وإن خالفه رَدَّه كما كان عمر بن الخطاب يفعل، فإنه كان إذا وقع له شيء، وجاءت السنة بخلافه ترك ما عنده لما جاءت به السنة، حتى كانت المرأة إذا نازعته فيما قاله بآية من كتاب الله ترك ما رآه لما دل عليه النص.

وهذا هو الواجب عليه وعلى كل مَن آمن بالله ورسوله، فإنَّ ما جاء به الرسول معصوم أن يستقر فيه خطأ، قد فرض الله على خلقه تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وأما ما يَرِدُ على قلوب الأولياء فليس معصومًا، وليس عليهم تصديقه، بل وليس لهم العمل بشيء منه إذا خالف الكتاب والسنة[٢].

فمع أنَّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان هو المُحدَّث المُلْهَم في هذه الأمة، لكنّ أبابكر أفضل منه بالإجماع؛ لأنه أكثر اتباعًا منه للنبي ﷺ، فكيف بمن هو أفضل من أبي بكر

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٢٢١).

(٢) الصفدية لابن تيمية (ا/ ٢٥٢-٢٥٣).

ﷺ، وهم الأنبياء والرسل؛ لذا مَن يقول أنَّ الأولياء أفضل من الأنبياء يكون قد أنكر الكتاب والسنة، وناقض أصل الدين، بل قد يكون قد دخل في الإلحاد بما هو متفق عليه بين الأمة، ونص عليه الكتاب في محكم التنزيل.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهؤلاءِ الملاحدةُ يدَّعون أنَّ الولايةَ أفضلُ من النبوة، ويُلَبِّسونَ على الناسِ، فيقولون: ولايته أفضل من نبوته، وينشدون:

مقــــام النبــــوة في بـــــرزخ فُوَيـــقَ الرســـول ودون الـــولي

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته، وهذا من أعظم ضلالهم، فإنَّ ولاية محمد ﷺ لم يماثله فيها أحدٌ لا إبراهيم، ولا موسى فضلًا عن أن يماثله هؤلاء الملحدون[1].

تنبيه هام:

ابن عربي السابق هو: الصوفيُّ الضالُّ الذي قال بوحدة الوجود، بخلاف ابن العربي[2] العالِم المُحدِّث الفقيه المالكي، وشتان بين هذا وذاك.

والفرق بينهما **(ال التعريفية)** وهو فرق في اللفظ والمعنى:

فـ **(ال التعريفية)**: من المعرفة والعلم، فصاحب (ال التعريفية) صاحب علم ومعرفة، بخلاف الآخر فهو صاحب جهل وضلال.

(ال التعريفية): من المعروف والخير، فصاحب (ال التعريفية) صاحب دعوة إلى الخير والمعروف، بخلاف الآخر فإنه صاحبُ دعوةٍ إلى الشرِّ والمُنكَرِ.

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (١/ ٢١٤).

(٢) الإمام العلامة الحافظ، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي، المالكي، ولد سنة ٤٦٨هـ، وكان ثاقب الذهن، عذب المنطق، كريم الشمائل، ومن مصنفاته " عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي "، و" الأصناف "، و" المحصول "، توفي عام٥٤٣هـ

(ال التعريفية): من المعروف المألوف، فصاحب (ال التعريفية) قوله معروف مألوف عند أهل السنة، بخلاف الآخر فقوله مُحدَثٌ مُنكَرٌ عندهم.

(ال التعريفية): من العرف والعادة، فصاحب(ال التعريفية) قوله موافق لعرف وعادة أهل العلم والشرع، بخلاف الآخر فقوله مخالف لعرفهم وعاداتهم الشرعية.

فإذا علمت هذا فلا يلتبس عليك الفرق بينهما علمًا، واعتقادًا، وصفةً.

قوله (ونقولُ نبيٌّ واحدٌ أفضلُ من جَميعِ الأولياءِ):

الرسلُ والأنبياءُ أفضلُ الخلقِ على الإطلاق، وذلك لأمور، منها:

أولًا: كمالُ الإيمانِ، فإيمانُهم أفضلُ الإيمانِ وأكملُه؛ ولذلك اختارهم اللهُ ﷻ لرسالته، وأعلاهم في ذلك وأكملهم النبي محمد ﷺ، **قالَ ابنُ مسعودٍ** رضي الله عنه **" إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ... "**[1].

ثانيًا: تحقيقُ مقامِ العبوديةِ، فهم أعلى الناسِ قدرًا في تحقيقِ مقامِ العبوديةِ، فتحقيقُ مقامِ العبوديةِ على الوجه الأكملِ لا يكون إلا للأنبياءِ.

لذا فإنَّ اللهَ ﷻ إذا وصف الأنبياءَ في مقام المدح والثناء وصفهم بالعبوديةِ؛ لأنَّهم حقَّقوا أعلى مقامات العبوديةِ.

فوصفَ الله تعالى نبيَّه ﷺ بالعبودية في مواضع كثيرة كما سبق، ووصف غيره من الأنبياء بالعبودية أيضًا، ومدحهم بذلك، فقال عن داوود ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص: ٣٠].

وكذلك قال تعالى عن أيوب ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤٤].

---

(١) أخرجه: أحمد (٣٦٠٠)، الطبراني في الكبير (٨٥٨٢)، وحسَّنَ إسناده الأرنؤوط.

بل دعا نبيُّ اللهِ سليمانُ عليه السلام الذي أوتي النبوة والملك أن يدخله الله في عباده الصالحين، فقال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

فما حقَّق أحدٌ مقامَ العبوديةِ على الوجهِ الأكملِ إلاَّ الأنبياءُ؛ لأنَّ مقامَ العبوديةِ مرتبطٌ بالعلمِ، فكلما كان الإنسانُ أعلمَ باللهِ كان أكثرَ خشية وعبادة للهِ سبحانه وتعالى.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ **يَسْتَفْتِيهِ وَهِيَ تَسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تُدْرِكُنِي الصَّلاةُ وَأَنَا جُنُبٌ، أَفَأَصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلاةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُومُ». فَقَالَ: لَسْتَ مِثْلَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَقَالَ «وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي»**[(١)].

ثالثًا: نزول الوحي عليهم، فنزولُ الوحيِ أمرٌ عظيم جللٌ، حيث إنَّ الله تعالى بجلاله وعظمته يمنُّ على هذا النوع الإنساني، والمخلوق الضعيف، ويختار رجلًا منهم يفيض عليه من وحي السماء، فيجعله حلقة وصل بين الله الخالق والعبد المخلوق، ويخصُّه من بين الناسِ أجمعَ بنزولِ الوحيِ عليه؛ لذا كان انقطاع الوحي عن الأرض أمر جلل.

عنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ: " انْطَلِقْ بنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا "[(٢)].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٤٩).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٤٥٤).

رابعًا: العِصْمةُ، وهو أنَّ اللهَ ﷻ عصمَهم ولم يعصمْ غيرَهم، وما عصمهم إلا لمحبته لهم، وعظيم قدرهم ومكانتهم عنده سبحانه.

خامسًا: أنَّ اللهَ تعالى أثنى عليهم ثناءً خاصًّا، بخلاف الأولياء فلقد أثنى اللهُ عليهم ثناءً عامًّا، فقال تعالى عن الأولياء ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

ومن ثنائه الخاص على أنبيائه:

قال سبحانه عن النبيِّ ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

وقال عن موسى ﵇ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١].

وقال عن إسماعيل ﵇ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ۝٥٥﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥].

وقال عن إدريس ﵇ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧].

ونبيُّ الله إبراهيمُ ﵇ كان له قدرٌ وافرٌ من هذا الثناءِ، قال تعالى ﴿۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقال ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٢٣﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٣]، وقال ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]، وغير هذا كثير.

سادسًا: النبيُّ ﷺ في رحلةِ المعراجِ رأى الأنبياءَ وأماكنَهم في السماء، ولم ير أحدًا من الأولياء، فدلَّ على عِظَمِ مكانتِهم وفضلِهم.

سابعًا: أنَّ الوليَّ يكونُ وليًّا باتِّباعِ النبيِّ، فالولاية بالإيمان والتقوى، والإيمان والتقوى يتحققان باتِّباع الأنبياء، فكيف يصل التابع إلى مكانة المتبوع فضلًا أن يكون خيرًا منه.

عنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ:" **لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى** "(١).

وذلك لأنَّ يونسَ عليه السلام ذهب مُغْضَبًا من قومِه، فحدث معه ما حدث، وعاتبه ربه، فربَّما يظنُّ أحدٌ أنَّه قد لا يفعل هذا الفعلَ، بل يصبر على أذى الناس؛ فيظن لذلك أنَّه أفضلُ من نبي الله يونس عليه السلام.

فيبيِّنُ النبيُّ ﷺ أنَّ العبد مهما فعل فلن يكونَ أفضلَ من أحدٍ من الأنبياء، ولو نبي الله يونس؛ لأنَّ الله تعالى اصطفاه واجتباه، وبحبه له أَنْجَاه، وأرسلَه إلى مائةِ ألفٍ أو يزيدون فآمنوا به جميعًا.

ثامنًا: مما يدل على أنَّ الأنبياء أفضل من الأولياء أنَّ الناس في أرضِ المحشرِ عند طلب الشفاعة العظمى لم يطلبوها إلَّا من الأنبياءِ، ولم يذهبوا إلى أحد من الأولياءِ، بل إنَّهم ذهبوا جميعًا بما فيهم الأولياء إلى الأنبياءِ.

قوله (ونُؤمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِواياتِهِمْ):

الأولياءُ لهم مكانةٌ عاليةٌ، وإن كنا لا نساويهم بالأنبياءِ، ولكن كذلك لا نساويهم بعوامِّ الناسِ، فإنَّ لهم كراماتٍ، والكرامةُ أصلُها من الإكرامِ، والمعنى: أنَّ اللهَ أكرم هؤلاء، واللهُ سبحانه وتعالى لا يُكرِمُ إلا أولياءَه وأحبابَه.

والكرامةُ: أمرٌ خارقٌ للعادةِ، أو مخالفٌ للعادةِ، يُظهِرُه الله على يد الولي.

الأمرُ الخارقُ للعادةِ ثلاثةُ أنواعٍ:

الأول: إمَّا أن يظهرَ الأمرُ الخارقُ للعادة على يدِ نبيٍّ فيُسمَّى معجزةً.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٣٩٥)، مسلم (٢٣٧٧).

الثاني: أن يظهرَ على يدِ وليٍّ فيُسمَّى كرامةً.

الثالث: أن يظهرَ على يدِ مُشعوذٍ مخالفٍ لأمرِ اللهِ ورسولِه، فيُسمَّى شعوذةً.

لذلك نقولُ: إنَّ الكرامةَ أمرٌ خارقٌ للعادةِ يُظْهِرُه اللهُ ﷻ على يدِ وليٍّ.

ومعنى (خارق للعادة) يعني خارج عن طاقاتِ الناسِ وعاداتِهم، وما أَلِفُوهُ، فمثلًا لو ذكرنا أنَّ شخصًا صلَّى الظهرَ في مصرَ، وصلى العصرَ في بلاد الحجاز، فهل هذا الأمر خارقٌ للعادةِ أم لا ؟

ج: الآن غير خارقٍ للعادةِ، ولكنه كان في زمانٍ سابقٍ خارقًا للعادةِ، فقد يكون خارقًا في زمانٍ غيرَ خارقٍ في زمنٍ؛ لذا قيل خارق ومخالف للعادة.

أنواعُ الكرامة:

أولًا: الكرامةُ القَدَرِيةُ:

وهي أمر خارق للعادة في الأمور الكونية القدرية، وهي التي يلمسُها الناسُ بالحواسِّ، وهي كثيرة في الأمة، وحدث من هذه الكرامات لبعض أصحاب النبي ﷺ في حياته، وكذلك بعد مماته، ومن ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه **قَالَ: أَصَابَ رَجُلًا حَاجَةٌ فَخَرَجَ إِلَى الْبَرِيَّةِ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مَا نَعْتَجِنُ وَمَا نَخْتَبِزُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ وَالْجَفْنَةُ مَلْأَى عَجِينًا، وَفِي التَّنُّورِ جَنُوبُ الشِّوَاءِ، وَالرَّحَا تَطْحَنُ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ رِزْقِ اللهِ، فَكَنَسَ مَا حَوْلَ الرَّحَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: **«لَوْ تَرَكَهَا لَدَارَتْ، أَوْ قَالَ: طَحَنَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[1].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه **«أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ** ﷺ **فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَإِذَا نُورٌ بَيْنَ**

---

(١) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٥٥٨٨)، البيهقي في الشعب (١٢٨٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٣٧).

أَيْدِيهِمَا، حَتَّى تَفَرَّقَا، فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا»[١]، وفي رواية " أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ كَانَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ أَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا فَكَانَا يَمْشِيَانِ بِضَوْئِهَا، فَلَمَّا تَفَرَّقَا أَضَاءَتْ عَصَا هَذَا وَعَصَا هَذَا "[٢].

عَنْ سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:" رَكِبْتُ الْبَحْرَ، فَانْكَسَرَتْ سَفِينَتِي الَّتِي كُنْتُ فِيهَا، فَرَكِبْتُ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِهَا، فَطَرَحَنِي اللَّوْحُ فِي أَجَمَةٍ فِيهَا الْأَسَدُ، فَأَقْبَلَ يُرِيدُنِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، أَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، وَأَقْبَلَ إِلَيَّ، فَدَفَعَنِي بِمَنْكِبِهِ حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنَ الْأَجَمَةِ، وَوَضَعَنِي عَلَى الطَّرِيقِ، وَهَمْهَمَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَدِّعُنِي، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ "[٣].

عنِ ابنِ عمرَ:" أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعَثَ جَيْشًا أَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَى سَارِيَةَ. قَالَ: فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمًا، قَالَ: فَجَعَلَ يَصِيحُ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا سَارِيَ الْجَبَلَ، يَا سَارِيَ الْجَبَلَ»، قَالَ: فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا، فَإِذَا بِصَائِحٍ يَصِيحُ: «يَا سَارِيَ الْجَبَلَ، يَا سَارِيَ الْجَبَلَ»، فَأَسْنَدْنَا ظُهُورَنَا بِالْجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ ".فَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «إِنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ» "[٤].

ومنها أيضًا كرامات لغير الصحابة، كما حدث لأبي مسلم الخولاني عندما أُلْقِيَ في النار على يد الأسود العنسى المتنبئ الكذاب، فصارت عليه النار بردًا

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٨٠٥).

(٢) أخرجه: أحمد (١٢٩٨٠)، النسائي في الكبرى (٨١٨٨)، ابن حبان (٢٠٣٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٩٤٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (٦٤٣٢)، والبغوي في شرح السنة (٣٧٣٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٩٤٩).

(٤) أخرجه: أحمد في فضائل الصحابة (٣٥٥)، واللالكائي في كرامات الأولياء (٦٧)، والآجري في الشريعة (١٣٦٠)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٩٥٤).

وسلامًا.

قال أبو حاتم: أبو مسلم الخولاني اسمه عبدالله بن ثوب يماني تابعي من أفاضلهم وأخيارهم، وهو الذي قال له العنسي: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا، قال: أتشهد أنَّ محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار عظيمة، فأُجِّجَت، وخَوَّفَه أن يقذفه فيها إن لم يُوَاتِه على مُرَادِه، فأبى عليه، فقذفه فيها، فلم تضرَّه، فاستعظم ذلك، وأمر بإخراجه من اليمن، فأُخْرِج، فقصد المدينة، فلقي عمر بن الخطاب، فسأله من أين أقبل؟ فأخبره، فقال له: ما فعل الفتى الذي أُحْرِقَ؟ فقال: لم يحترق، فتَفَرَّسَ فيه عمر أنه هو، فقال: أقسمتُ عليه بالله أنت أبو مسلم؟ قال: نعم، فأخذ بيده عمر حتى ذهب به إلى أبي بكر، فقصَّ عليه القصة، فَسُرَّا بذلك، وقال أبو بكر: الحمد لله الذي أرانا في هذه الأمة مَن أُحرِق فلم يَحتَرِق مثل إبراهيم ﷺ.

وكان لأبي مسلم الخولاني امرأةٌ صبيحةُ الوجهِ، فأفسَدَتْها عليه جارةٌ له، فدعا عليها، وقال: اللهم أعم من أفسد عليَّ امرأتي، فبينما المرأة تتعشى مع زوجها إذ قالت: انطفأ السراج؟ قال زوجها: لا، فقالت: فقد عَمِيتُ لا أبصر شيئًا، فأُخْبِرَت بدعوة أبي مسلم عليها، فأتته فقالت: أنا قد فعلت بامرأتك ذلك، وأنا قد غَرَرْتُها، وقد تُبْتُ، فادع الله يرد بصري إلي، فدعا الله، وقال: اللهم رُدَّ بصرها، فرَدَّه إليها[1].

ثانيًا: الكرامةُ الشرعيةُ:

الكرامة الشرعية: هي أمر خارق للعادة في الأمور الشرعية، كما كان عمر رضي الله عنه يوافق الوحي في كثير من المسائل، وينزل الشرع مؤيِّدًا لما قال، فهذه كرامة شرعية، ومنها كأن يفوقَ إنسانٌ أقرانَه في الحفظِ، أو الفهمِ، أو نحوه إفاقة مخالفة للعادة، ومن ذلك:

---

(١) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٣٨)، وقال الألباني في التعليقات الحسان: قصة صحيحة، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

❁ **الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:**

– **كان أقران البخاري الذين يتعلمون معه في بداية الطلب يكتبون ولا يكتب، فقالوا:** له أضعتَ وقتَك وعمرَك، وكان غلامًا، فقال لهم: أَخْرِجوا ما معكم، فإذا هي خمسةَ عشرَ ألف حديثٍ، فذكرها لهم، قالوا: وكنا نضبطُ كتبَنا على قولِه، فقلنا: ليس هناك مثله(١).

ويشهد لذلك حادِثَتُه ببغداد:

لمَّا قَدِمَ محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان، وغيرها، ومن البغداديين، فلما اطمأنَّ المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فما زال يلقى عليه واحدًا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجلُ فَهِمَ، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدًا بعد آخر حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب إليه الثالث، والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه، فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال: أمَّا

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب. عن محمد بن حاتم عن غالب بن إسماعيل – وكان قرينَ البخاريِّ – ورجلًا آخر (٢/ ١٥).

حديثك الأول، فهو كذا، وحديثك الثاني، فهو كذا، والثالث، والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرَدَّ كلَّ متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل[١].

قال الحافظ ابن حجر: هنا يُخْضَع للبخاري، فما العجب مِن رَدِّهِ الخطأَ إلى الصواب، فإنه كان حافظًا، بل العجبُ من حِفْظِهِ للخطأِ على ترتيب ما أَلْقَوْه عليه من مرةٍ واحدةٍ[٢].

الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- **ومن ذلك كان الشعبيُّ**[٣] **يقول**: ما كتبتُ سوداءَ في بيضاءَ إلى يومي هذا، وما ذَكر لي أحدٌ حديثًا إلا وحفظتُه، وما أحببتُ أن يُعيدَ عليَّ[٤].

وكان يقول: ما أَرْوِي شيئًا أقلَّ من الشعر، ولو شئتُم لأنشدتُكم من الشعر شهرًا، ولا أُعيد[٥].

إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- **لمَّا ذُكِرَ عنده أنَّ الشعبيَّ قالَ**: ما كتبتُ سوداءَ في بيضاءَ إلى يومي هذا، ولا حدثني رجلٌ بحديثٍ قط إلا حفظتُه، فقال: ما كنتُ أسمع شيئًا إلا حفظتُه، وكأني

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب (٢/ ٢١).

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٤٨٦).

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية من التابعين، يُضْرَب المثل بحفظه، ولد عام ١٩ هـ، وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته، وهو من رجال الحديث الثقات، وكان فقيهًا، شاعرًا، توفي عام ١٠٣ هـ.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٣٠١).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٣٧٣).

أنظرُ إلى سبعينَ ألفَ حديثٍ في كتبي[١].

الزهري رَحِمَهُ اللهُ:

- **ومن ذلك أنَّ الزهري** رَحِمَهُ اللهُ: حفظ القرآنَ في ثمانين ليلة، وكان يقول: ما استعدتُ حديثًا قط، وما شككتُ في حديثٍ قطُّ إلا مرةً واحدةً، فسألتُ صاحبي فإذا هو كما حفظت[٢]، وكان يقول: ما استودعتُ قلبي شيئًا ونسيتُه[٣].

قوله (ونُؤمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرامَاتِهِمْ، وصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِواياتِهِمْ):

والمعنى: أنه يجب الإيمان بما جاء من الكرامات عن الصالحين، لكن ذلك بشرط أن تكونَ الكرامةُ صحيحةً أي ثابتةً من طريق صحيح، لأنَّ كثيرًا ممن يدعي الكرامة لا تثبت كرامته، بل قد تكون شعوذة.

س: كيف يُفرَّقُ بين الكرامةِ والشعوذةِ؟

ج: الفروقُ بين الكرامةِ والشعوذةِ كثيرةٌ، وأهمُّها:

أولًا: الكرامةُ سببُها الطاعةُ، والشعوذةُ سببُها المعصيةُ.

ثانيًا: الكرامة مقصودُها خدمةُ الدينِ، وإظهار الحق وعُلُوِّه، بخلاف الشعوذةِ فمقصودُها إبطالُ الدينِ، وتحريفُ العقيدةِ.

ثالثًا: الكرامةُ تزدادُ بذكرِ اللهِ والطاعةِ، وتضعف وتذهب بالمعصية؛ لذا لمَّا جلس الشَّافعِيُّ بين يَدَيْ مالكٍ، وقرأ عليه أعجبه ما رأى مِنْ وُفُورِ فِطْنَتِهِ، وَتَوَقُّدِ ذكائِهِ، وكمالِ فهمِهِ، فقال: إنِّي أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئْه بظلمة المعصية[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١١١).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٣٣٢).

(٤) الجواب الكافي لابن القيم (صـ٥٢).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وأَخبَرَني بأَنَّ العِلمَ نورٌ ... ونورُ اللهِ لا يُهدَى لعَاصِي[1]

أَمَّا الشعوذةُ فإنها تُخمَدُ وتقلُّ عند الذكرِ وتزيد بالمعاصي؛ لأَنَّها من الشيطان.

رابعًا: الكرامةُ أهلُها لا يتعالَونَ بما منَّ الله عليهم من الكرامة على الناسِ؛ لأنها ليست سبيلَ تَعَالِي، بل سبيل التواضع وشكر النعمة، بخلاف الشعوذةِ فإنَّهم يفعلونَها للتعالي على الناس.

خامسًا: أهلُ الكرامةِ غالبًا يُخفونَها إن لم يكن هناك مصلحةٌ، بخلاف الشعوذةِ فإنهم يظهرونها؛ لأنها رأسُ مالِهم، فلم يُذكَرْ أنَّ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وساريةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيرهم ذكروا كراماتِهم هذه للناسِ، وتغنَّوا بها، ومدحوا أنفسَهم بها. وما ذكره بعضُهم كعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنَّما ذكره من بابِ شكرِ النعمةِ، وبيانِ مِنَّةِ الله عليه، كذكرِه لموافقتِه بعضَ الأحكام، والأدلةِ الشرعيةِ قبل نزولِها، لكنَّه ذكرها مع بيانِ أنَّ الفضلَ والمنَّةَ لمن أعطاه إيَّاها، فقال: وافقتُ ربي في ثلاث، وكان نظم الكلام أن يقول: وافقني ربِّي في ثلاثٍ؛ لأنَّه سبق قولُه نزولَ القرآنِ، لكنَّه تأدبًا مع الله تعالى أرجعَ الفضلَ والمنةَ لصاحبِ الفضلِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

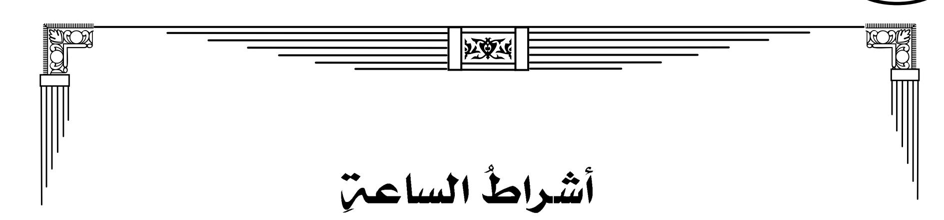
سادسًا: الكرامةُ حقيقيةٌ، أمَّا الشعوذةُ فأغلبُها تَخَيُّلٌ، قال تعالى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ **[طه: ٦٦]**.

سابعًا: الكرامة تزيد صاحبها إيمانًا، وقربًا من ربه، وتَمَسُّكًا بأمره، والتزامًا بقوله، أما الشعوذة فأصحابها أكثر الناس مخالفة لأمر الله تعالى، وتَفَلُّتًا من الأوامر والتكاليف الشرعية.

وعليه لا يلتبس أمرُ الشعوذةِ بالكرامةِ في ماهيتِها، ولا في أسبابِها، ولا في غاياتِها، ولا في صفات فاعلها.

---

(١) ديوان الإمام الشافعي (١/ ٦١).



أشراطُ الساعةِ

ونُؤمنُ بخُروجِ الدّجّالِ، ونُزولِ عيسَى ابنِ مَريمَ عليه الصلاة والسلام من السّماءِ، ونُؤمنُ بطلوعِ الشّمسِ مِن مغْربِها، وخُروجِ دابّةِ الأرْضِ مِنْ موضعِها.

قوله (ونُؤمنُ بأشْراطِ السَّاعةِ):

أشراطُ الساعةِ أي علاماتُها.

وأشراطُ الساعةِ نوعان:

علاماتٌ صغرى، وعلاماتٌ كبرى.

أولًا: العلامات الصغرى:

والعلامات الصغرى لم يذكرها المصنف رَحِمَهُ اللهُ، وهي كثيرةٌ، منها:

بعثَةُ النبيِّ ﷺ:

عنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»**[١].

وفي رواية **"بُعِثْتُ أنا والساعةُ جميعًا إنْ كادتْ لتسبِقُني"**[٢].

ومنها: أن تلدَ الأمةُ ربَّها، وأن تجدَ الحفاةَ العراةَ يتطاولون في البنيان:

كما جاء في حديثِ جبريلَ الطويلِ، وفيهِ" **قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ:" مَا**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٩٣٦)، مسلم (٢٩٥٠).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (١٨٧٧٠)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ[١] فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ "[٢].

- ومنها: قلة العلم، وظهور الجهل، وظهور الزنا، وكثرة النساء، وقلة الرجال:

عَنْ أَنَس قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ" **مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ** "[٣].

- ومنها: كثرة القتل:

عنْ عَبْدِ اللهِ وأَبِي مُوسَى قَالَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ" **إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ** "[٤].

عنْ أبي هريرةَ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: "**والذي نفسي بيدِهِ ليَأْتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ لا يَدْرِي القاتلُ في أيِّ شيءٍ قَتَل، ولا يَدْرِي المقتولُ على أيِّ شيءٍ قُتِل**"[٥].

- ومنها: كثرة الزلازل، وظهور الفتن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ" **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ**

---

(١) البُهْم: جمع بَهيم وهو في الأصل الذي لا يُخالط لونَه لونٌ سواه، يعنى ليْس فيهم شيء من العاهات والأعْراض الَّتى تكون في الدنيا كالْعَمى والعَوَر والعَرج، وغير ذلك، وإنما هى أجْسادٌ مُصَحَّحة لِخُلُود الأبَدِ في الجنة أو النار، وقال بعضهم في تمام الحديث: [قيل ومَا البُهْم؟ قال: ليس مَعهم شىء] يعْنى من أعراض الدنيا، وهذا يخالف الأوّل من حيثُ المعْنَى. النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٤٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٨١)، مسلم (٢٦٧١).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٠٦٢)، مسلم (٢٦٧٢).

(٥) أخرجه: مسلم (٢٩٠٨).

فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ"[١].

- **ومنها: كثرة الصواعق:**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **" تَكْثُرُ الصَّوَاعِقُ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ، فَيَقُولَ: مَنْ صَعِقَ قِبَلَكُمُ الْغَدَاةَ ؟ فَيَقُولُونَ: صَعِقَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ"**[٢].

- **ومنها: كثرة المال:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ "**[٣].

عنْ أبي سعيدٍ وجابرِ بنِ عبدِ اللهِ قَالَا: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ **" يكونُ في آخرِ الزمانِ خليفةٌ يقسمُ المالَ ولا يَعدُّهُ"**[٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ **" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ"**[٥].

- **ومنها: خروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ **قَالَ" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ"**[٦].

---

(١) أخرجه: البخاري (١٠٣٦).

(٢) أخرجه: أحمد (١١٦٢٠)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٣) أخرجه: مسلم (١٥٧).

(٤) أخرجه: مسلم (٢٩١٤).

(٥) سبق تخريجه قريبًا.

(٦) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٥١٧)، مسلم (٢٩١٠).

عنْ أبي هريرةَ ﵁: عنِ النبيِّ ﷺ **قالَ" لا تذهبُ الأيامُ والليالي حتى يملكَ رجلٌ يُقالُ لهُ الجَهْجَاه "**[(١)].

وفي رواية:**" لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاه"**[(٢)].

- ومنها: قتال اليهود:

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الحَجَرُ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ**»[(٣)].

وعند مسلم:**" إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ "**[(٤)].

- ومنها: قتال الترك:

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: **عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ**[(٥)]**، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ**[(٦)]**، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ**[(٧)]**»**[(٨)].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩١١).

(٢) أخرجه: أحمد (٨٣٦٤)، الترمذي (٢٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤١٣).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٥٩٣)، مسلم (٢٩٢١).

(٤) أخرجه: مسلم (٢٩٢٢).

(٥) ذُلفُ الأُنوف: أي فطس الأنوف قصارها مع انبطاح. شرح النووي لمسلم (١٨/ ٣٧).

(٦) المَجانّ: هو الترس، المُطرَقة: المجلدة طبقا فوق طبق، وقيل هي ألبست طراقًا أي جلدًا يغشاها، شبَّه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها. تحفة الأحوذي (٦/ ٣٨٢ -٣٨٣).

(٧) نعالهم الشعر: أي يجعلون نعالهم من شعر مضفور. تحفة الأحوذي (٦/ ٣٨٢).

(٨) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٩٢٨)، مسلم (٢٩١٢).

- ومنها: انحسار الفرات عن جبل من ذهب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا**»(١).

وفي روايةٍ "**يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو**"(٢).

- ومنها: عودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا**»(٣).

- ومنها: الخسف بجيشٍ يَؤُمُّ البيتَ:

عنْ عائشةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»(٤).

- ومنها: تقارب الزمان:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ(٥)**»(١).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧١١٩)، مسلم (٢٨٩٤).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٨٩٤).

(٣) أخرجه: مسلم (١٥٧).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢١١٨)، مسلم (٢٨٨٤).

(٥) كالضرمة بالنار: أي: كزمان اتقاد الضرمة، وهي ما توقد به النار أولًا كالقصب والكبريت. =

- ومنها: كلام السباع وغيرها للإنس:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ»(٢).

- ومنها: خروج المهدي:

بيَّن النبي ﷺ صفات المهدي، ونسبه، ومقامه في الأرض، واسمه، وكيفية حكمه في الأرض:

عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»(٣).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ»(٤).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ

= إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٢/ ٢٥٦).

(١) أخرجه: الترمذي (٢٣٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٢٢).

(٢) أخرجه: أحمد (١١٧٩٢)، الترمذي (٢١٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٨٣).

(٣) أخرجه: أبو داود (٤٢٨٢)، الطبراني في الأوسط (١٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٤).

(٤) أخرجه: أبو داود (٤٢٨٤)، ابن ماجه (٤٠٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٤).

سِنِينَ»[١].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" **يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ، فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ، تُؤْتَى أُكُلَهَا وَلَا تَدَّخِرُ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَالْمَالُ يَوْمَئِذٍ كُدُوسٌ، فَيَقُومُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي، فَيَقُولُ خُذْ** "[٢].

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ**»[٣].

- علامات وأمور أخرى:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ وُضُوءًا مَكِيثًا[٤]، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيَّ، فَقَالَ: " **سِتٌّ فِيكُمْ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ: مَوْتُ نَبِيِّكُمْ ﷺ**"، **فَكَأَنَّمَا انْتَزَعَ قَلْبِي مِنْ مَكَانِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " وَاحِدَةٌ "، قَالَ: " وَيَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى عَشَرَةَ آلَافٍ، فَيَظَلُّ يَتَسَخَّطُهَا "، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " ثِنْتَيْنِ "، قَالَ: " وَفِتْنَةٌ تَدْخُلُ بَيْتَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ "، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " ثَلَاثٌ "، قَالَ: " وَمَوْتٌ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ "، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَرْبَعٌ "، قَالَ " وَهُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ يَجْمَعُونَ لَكُمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كَقَدْرِ حَمْلِ الْمَرْأَةِ، ثُمَّ يَكُونُونَ أَوْلَى بِالْغَدْرِ مِنْكُمْ "، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " خَمْسٌ "، قَالَ: " وَفَتْحُ مَدِينَةٍ**

---

(١) أخرجه: أحمد (١١١٣٠)، أبو داود (٤٢٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٦).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٤٠٨٣)، الحاكم (٨٦٧٥)، الطبراني في الأوسط (٥٤٠٦)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

(٣) أخرجه: أحمد (٦٤٥)، ابن ماجه (٤٠٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٥).

(٤) مَكِيثًا: أي بَطِيئًا مُتَأَنِّيًا غيرَ مُسْتعجِل، والمَكْث والمُكث: الإقامة مع الانْتظار، والتَّلَبُّث في المكان. النهاية في غريب الحديث (٤/ ٧٧٢).

"، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " سِتٌّ "، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَدِينَةٍ؟ قَالَ: " قَسْطَنْطِينِيَّةُ "[١].

عنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺفِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَم، فَقَالَ: " اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا "[٢].

- ومنها: فتح مدينة نصفها في البحر، ونصفها في البر:

وهي آخر العلامات الصغرى التي يتبعها خروج الدجال مباشرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ، وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ[٣]، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا،

---

(١) أخرجه: أحمد (٦٦٢٣)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) أخرجه: البخاري (٣١٧٦).(اعدد ستًّا) من العلامات. (بين يدي الساعة) قدام قيامها، ومن أشراطها القريبة منها. (موتان) موت كثير الوقوع بسبب طاعون أو نحوه، (كقعاص الغنم) داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة، (استفاضة المال) كثرته، (فتنة) تقاتل واضطراب في الأحوال، (هدنة) صلح، (بني الأصفر) هم الروم، (غاية) راية، سميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف، وإذا مشت مشى.

(٣) قال القاضى: كذا هو فى جميع أصول صحيح مسلم من بنى إسحاق قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ من بنى إسماعيل، وهو الذى يدل عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية (١٨/ ٤٣). شرح النووي على مسلم.

فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ »[١].

۞

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٢٠).



علامات الساعة الكبرى

قوله (ونُؤمنُ بخُروجِ الدَّجَّالِ، ونُزولِ عيسَى ابنِ مَريمَ عليه الصلاة والسلام من السَّماءِ، ونُؤمنُ بطلوعِ الشَّمسِ مِن مغْرِبِها، وخُروجِ دابَّةِ الأرْضِ مِنْ موضعِها):

والعلامات الكبرى عشر علامات ذكر المصنف منها أربعةً.

والعشر علامات ذكرها النبيُّ ﷺ مجتمعةً، **عنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسِيدٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ " قُلْنَا: السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ " قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، مِثْلَ ذَلِكَ، لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ، وقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وقَالَ الْآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ "**[1].

وهذه العلامات تكون متتابعة كخرزات منظومات يتبع بعضها بعضًا، **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا "**[2].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٠١).

(٢) أخرجه: أحمد (٧٠٤٠)، الحاكم (٨٤٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٥٥).

وهذه العلامات العشر تنقسم باعتبارِ قربها من الساعةِ إلى أقسام:

القسم الأول: علاماتٌ وأماراتٌ تدلُّ على قرب قيام الساعة وتغير نظام الأرض العام، كخروجِ الدجَّال، ونزولِ عيسى عليه السلام.

القسم الثاني: علامات تدل على تغييرِ نظامِ الكونِ العلوي، وقرب الساعة جدًّا كخروج الشمسِ من مغربِها، لذلك وُضِعَ حَدًّا لقبول التوبةِ.

القسم الثالث: علامة تؤذن بقيام الساعة: وهي خروج نار تسوق الناس إلى محشرهم.

وبهذا تنتظم الأدلة وتجتمع، فإنَّ منها أدلةً تنص على أنَّ المسيح الدجال يكون أول العلامات، وأدلةً تنص على أنَّ أول العلامات خروج الشمس من مغربها، وأخرى تنص على أنَّ أول العلامات خروج النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر.

والمرادُ – والله أعلم – أنَّ المسيح الدجال أول العلامات الكبرى وتغير نظام الأرض، وخروجُ الشمسِ من مغربِها أول علامة فاصلة للتوبة والإيمان، ودالَّةٌ على القربِ منَ الساعةِ، وتغييرِ نظامِ الكونِ العلوي، وخروجُ النارِ أول علامات قيام الساعة بالفعل.

قال الحافظ ابن حجر:

مدة لبث الدجال إلى أن يقتله عيسى، ثم لبث عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج كل ذلك سابق على طلوع الشمس من المغرب، فالذي يترجح من مجموع الأخبار أنَّ خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأنَّ طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي

ذلك بقيام الساعة[١].

وقال: وأولُ الآياتِ المؤذنةِ بقيامِ الساعةِ النارُ التي تحشر الناس كما تقدم في حديث أنس في بدء الخلق في مسائل عبد الله بن سلام ففيه" وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب"[٢][٣].

وتنقسمُ العلاماتُ بالنظرِ إلى سببِها وماهيتِها إلى قسمين:

الأول: علاماتٌ وأماراتٌ تدل على قرب الساعةِ، وتؤذن بقدومها.

الثاني: علاماتٌ تدل على قرب الساعةِ، لكنها مع ذلك فتنة واختبار للناسِ أيضًا.

فجميعُ العلاماتِ هي علاماتٌ وأماراتٌ للساعة فقط، إلا علامةً واحدةً وهي: فتنةُ المسيحِ الدجالِ، فهي علامةٌ، وفتنةٌ واختبارٌ.

۞ العلامةُ الأولى: خُروجُ المسيحِ الدَّجَّالِ:

الدَّجَّال: هو الكذَّابُ المُمَوِّهُ المُدَّعِي[٤]، والدَّجَّال مأخوذ من: دَجَلَ دَجَلًا: إذا كَذَبَ وأَخْرَقَ لأنه يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّة، وهذا مِن أعظَم الكَذِب، قِيل: هو مِن دَجَلَ الرجُلُ: إذا قَطَع نَواحِيَ الأرضِ سَيْرًا، قال أبو العَبَّاس: سُمِّيَ دَجَّالًا لضَربه في الأرضِ، وقَطْعِه أكثرَ نَواحِيها، أو مِن دجَّل تدجِيلًا: إذا غَطَّى؛ لأنه يُغَطِّي على الناسِ بكُفْرِه، أو لأنه يُغَطِّي الأرضَ بكثرةِ جُموعِه، أو لأنه يَدْجُلُ الحقَّ بالباطِلِ، أو مِن دَجَلَ: إذا طَلَى بالذَّهبِ، وكل شيءٍ مَوَّهْتَه بماءِ الذَّهَب، فقد دَجَلْتَه سُمِّيَ به لتَمويهِه على الناسِ بالباطِلِ، وتَلْبِيسِه، أو لأنه يُظهِرُ خِلافَ مايُضْمِرُ[٥].

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٣٢٩).

(٣) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ٣٥٣).

(٤) المعجم الوسيط (١/ ٢٧٢).

(٥) تاج العروس للزبيدي (١/ ٧٠٥٢).

وعل ذلك فالدجَّالون كثيرون، لكنَّ أشدَّهم وأشرَّهم المسيحُ الدَّجَّالُ؛ لذلك صارت كلمةُ الدَّجَّالِ عَلَمًا عليه، فإذا ذُكر الدجالُ عُلِم أنَّه المسيحُ الدجالُ، وذلك لأنَّه أشرُّهم، وأعظمُهم فتنةً وكذبًا.

ويُسمَّى الدَّجَّالُ بالمسيحِ لأمورٍ:

قيل: لأنه يمسحُ الأرضَ كلَّها في أربعين يومًا.

وقيل: لأنَّ إحدى عينيه ممسوحتانِ.

وقيل: لأنَّه يقتلُه المسيحُ عيسى ابنُ مريم ﵇، وقيل غير ذلك.

وفتنته أعظم فتنة تجوب الأرض على الإطلاق؛ **لذا قالَ النبيُّ ﷺ:" «إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»**[١].

وهذا يدل على أنَّ الأنبياءَ ما كانوا يَعلمون وقتَ خروج الدَّجالِ؛ لذا كان كلُّ نبيٍّ من لدنْ نوحٍ ﵇ ينذر أمَّتَه الدَّجَّالَ، وهذا يدلُّ على عِظَمِ فتنته، وقد يُقالُ: إنَّ النبي ﷺ ما كانَ يعلمُ وقت خروجه في أولِ الأمرِ، ثم عَلِم بعد ذلك أنَّه في آخرِ الزمانِ؛ **لذا كانَ ﷺ يقولُ:" إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"**[٢].

وعِظَمُ فتنته لِعِظَمِ ما يثير من شُبَهٍ لدى الناس؛ لأنَّ الفتن تشتدُّ باشتدادِ الشبهةِ، فعلى قدرِ ما تكونُ الشبهةُ كبيرةً تكونُ الفتنةُ عظيمةً، **عنْ هشامِ بنِ عامرٍ قَالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:"ما بينَ خلقِ ءادمَ إلى قيامِ الساعةِ خلقٌ أكبرُ مِنَ الدَّجَّالِ"**[٣].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦١٧٥)، مسلم (٢٩٣٣).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٩٣٧).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٩٤٦).

ويدلُّك على عظم فتنته استعاذةُ النبيِّ ﷺ منه في كلِّ صلاةٍ، عنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَعِيذُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»[(١)].

وفي روايةٍ عنْ عائشةَ:" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»[(٢)].

وأمَرَنا كذلك أن نتعوذ منه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ "[(٣)].

❁ ذِكْرُ بعضِ ما جاء في المسيحِ الدَّجَّالِ:

- بعض صفاته، ومكانه، ووقت خروجه:

وجاء في وصفِهِ حديثُ فاطمةَ بنتِ قيسٍ أختِ الضحاكِ بنِ قيسٍ، وفيه" فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَة، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِم الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ

---

(١) أخرجه: مسلم (٥٨٧).

(٢) أخرجه: مسلم (٥٨٩).

(٣) أخرجه: مسلم (٥٨٨).

دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ، فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ

طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

- ومِن صفاتِهِ أنه أعورُ، أفحجُ، أجعدُ الشَّعرِ:

قال ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»[2].

وقال ﷺ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ[3]، جَعْدٌ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[4][5].

وهذا دليل على أنَّه ليس بربٍّ ولا إلهٍ؛ حيث إنَّ العَوَرَ عيبٌ ونقصٌ، فكيف يكونُ إلهًا، ولم يستطعْ أن يزيلَ العيبَ والنقصَ عن نفسِه؟!

ووردت الأحاديثُ بتعيينِ العينِ العوراءِ، فبعضُ النصوصِ تدلُّ على أنَّها اليُمنى.

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٤٢).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧١٣١)، مسلم (٢٩٣٣).

(٣) أَفْحَج: بفاء ساكنة ثم مهملة مفتوحة ثم جيم من الفَحَج، وهو تباعد ما بين الساقين أو الفخذين، وقيل تداني صدور القدمين مع تباعد العقبين، وقيل هو الذي في رجله اعوجاج. تحفة الأحوذي (٦/ ٤٢١).

(٤) أخرجه: أحمد (٢٢٧٦٤)، أبو داود (٤٣٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥٩).

(٥) قوله ﷺ" إنَّه أعورُ وإنَّ ربَّكم ليس بأعور" يدلُّ على أنَّ اللهَ ﷻ له عينان، إذ العور ذَهابُ أحدِ العينين.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ»**[(١)].

وبعض الأدلة يذكر أنَّها اليسرى، عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى...**»[(٢)].

ونقل النوويُّ: عن القاضي عياض الجمع بين الأدلةِ، حيث قال: روينا هذا الحرف عن أكثر شيوخنا بغير همز، وهو الذى صححه أكثرهم، ومعناه ناتئة كنتوء حبة العنب من بين صواحبها، قال وضبطه بعض شيوخنا بالهمز، وأنكره بعضهم، ولا وجه لإنكاره، وقد وصف فى الحديث بأنه ممسوح العين، وأنها ليست جحراء، ولا ناتئة، بل مطموسة وهذه صفة حبة العنب اذا سال ماؤها، وهذا يصحح رواية الهمز، وأما ما جاء فى الأحاديث الآخر جاحظ العين، وكأنها كوكب، وفى رواية لها حدقة جاحظة كأنها نخاعة فى حائط، فتصحح رواية ترك الهمزة، ولكن يجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعا بأن تكون المطموسة، والممسوحة، والتي ليست بجحراء، ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمز، وهى العين اليمنى كما جاء هنا، وتكون الجاحظة والتى كأنها كوكب، وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز، وهى العين اليسرى كما جاء فى الرواية الأخرى، وهذا جمع بين الأحاديث، والروايات فى الطافية بالهمز وبتركه، وأعور العين اليمنى واليسرى؛ لأنَّ كل واحدة منهما عوراء، فإنَّ الأعور من كل شيء المعيب لا سيما ما يختص بالعين، وكلا عينى الدجال معيبة عوراء: إحداهما بذهابها، والأخرى بعيبها، هذا آخر كلام القاضي، وهو فى نهايةٍ من الحسن، والله أعلم[(٣)].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٤٣٩)، مسلم (١٦٩).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٩٣٤).

(٣) شرح النووي على مسلم - بتصرف قليل - (٢/ ٢٣٥).

- مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ، أو كـ - فـ - ر:

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»[1].

و يقرؤها المؤمنُ الذي يقرأُ، والذي لا يقرأُ.

والقراءةُ تكون بأمرين:

الأول: بالعلمِ.

الثاني: بالإدراكِ.

فالذي لا يقرأُ وقتها ليس عنده علمُ القراءةِ، ولكن الله تعالى يكسبه الإدراكَ والفهمَ للمكتوب، لذلك من منَّةِ اللهِ على المؤمنِ وقتَها أن أعطاه الإدراكَ فيرى الحروفَ، و يدرك معناها، وإن كان لا يقرأُ، و لكنَّ الكافرَ مع أنه يقرأ لكن نَزعَ اللهُ منه الإدراكَ فلا يفهمُها.

- ومن صفاته أنه أبيض وتشبه رأسُه الأفعى:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ **أَنَّهُ قَالَ فِي الدَّجَّالِ: «أَعْوَرُ هِجَانٌ أَزْهَرُ**[2]**، كَأَنَّ رَأْسَهُ أَصَلَةٌ**[3]**، أَشْبَهُ النَّاسِ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ»**[4].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الهجان الأزْهَر: الأبيضُ المُسْتَنِير، والزَّهْر والزَّهْرة: البياضُ النيِّر، وهو أحسنُ الألوان. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨٠٤).

(٣) الأصَلَة: الأفعى. النهاية في غريب الحديث (١/ ١٢١).

(٤) أخرجه: أحمد (٢١٤٨)، ابن حبان (٦٧٩٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٩٣)، وقال الأرنؤوط: في تعليقه على ابن حبان: إسناده صحيح.

- معه جنةٌ ونارٌ:

وأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ معه جنةً ونارًا، وأخبر أنَّ جنتَه نارٌ، ونارَه جنةٌ وماءٌ باردٌ، **عنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ**(١)**، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ»**(٢).

عنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قالَ ﷺ: **«لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ»**(٣).

عنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قالَ ﷺ: **«إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً، فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ»**(٤).

- يُحيي الموتى بإذن الله تعالى:

عنِ النَوَّاسِ بنِ سمعانَ قالَ: قالَ ﷺ: «...ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ...»(٥).

- ويخرج كنوز الأرض وخيراتها:

عنِ النَوَّاسِ بنِ سمعانَ قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ **«...فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ**

---

(١) جُفَالُ الشَّعَرِ: أي كثيره. النهاية في غريب الحديث (١/ ٧٨٠).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٩٣٤).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٩٣٤).

(٤) أخرجه: مسلم (٢٩٣٥).

(٥) أخرجه: مسلم (٢٩٣٧).

سَارِحَتُهُمْ[(١)]، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا[(٢)]، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا،وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ[(٣)]،ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ[(٤)] لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ[(٥)]..."[(٦)].

وكل هذا يدل على عظم فتنته؛ لذلك أمر النبيُّ ﷺ بالثبات حينها، **فقال** ﷺ: **"يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا "**[(٧)].

- مُدَّةُ مُكْثِهِ فِي الأَرْضِ، وسرعتُه:

عن النواس بن سمعانٍ رضي الله عنه: أَنَّ الصحابةَ سألوا النبيَّ ﷺ، وقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لُبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: لَا، «اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: " كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ..."[(٨)].

---

(١) سارحتهم: أي فترجع بعد زوال الشمس إليهم ماشيتهم التى تذهب بالغدوة إلى مراعيها.تحفة الأحوذي (٦/ ٤١٦).

(٢) ذرًا: جمع ذروة مثلثة وهى أعلى السنام، وذروة كل شيء أعلاه، وهو كناية عن كثرة السمن (المصدر السابق).

(٣) وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر: أى أطوله لكثرة اللبن، وكذا أمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٦).

(٤) (مُمْحِلين) أي أصابهم المَحْلُ، وهو القحط. فتح الباري لابن حجر (١/ ١٨٦).

(٥) كيعاسيب النحل: هى ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة، وآخرون، قال القاضى: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٦).

(٦) أخرجه: مسلم (٢٩٣٧).

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

- الدجَّال لا يدخل مكة والمدينة:

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»[١].

وقال ﷺ: " يَأْتِي الدَّجَّالُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ - فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ، قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ "[٢].

- ذكر مَن يَتْبَع الدجال، وعددهم، وصفتهم:

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»[٣].

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ:" الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ"[٤].

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (١٨٨١)، مسلم (٢٩٤٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (١٨٨٢)، مسلم (٢٩٣٨).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٩٤٤).

(٤) أخرجه: أحمد (١٢)، الترمذي (٢٢٣٧)، ابن ماجه (٤٠٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، والمجانُّ المُطرَقة: هي التُّروس التي يُطرق بعضها على بعض أي: يركَّب بعضها فوق بعض، يعني أنها عريضة، ورواه بعضهم بتشديد الرَّاء من " المطرَّقة " للتكثير، قال ابن الأثير في " النهاية ": والأول أشهر (٣ / ١٢٢).

ما يعصم من فتنة الدجال:

قالَ ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[1].

وفي رواية: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ في الدجالِ:"...فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ..."[2].

وفي رواية:"مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ"[3].

وسورة الكهف خاصةً لعلها لِمَا اشتملَتْ عليه من بعض القصص، وأهمها:

القصة الأولى: قصةُ أصحابِ الكهف.

القصة الثانية: قصةُ موسى والخضر.

القصة الثالثة: قصةُ ذي القرنين.

والقصص الثلاثة تعطي العبد سبل النجاة في الفتن:

أولًا: قصة أصحاب الكهف، وهي تُبَيِّن جزاء فرارِ الإنسانِ بدينِه، وهو أن ينشرَ الله سبحانه وتعالى رحمته للعبد، وإن كان في أشد الضيقِ، قال جل جلاله ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ [**الكهف: ١٦**]، وهذا ما أمر به النبي ﷺ في فتنة الدجال أن يُنْأَى عنه ويُهْرَبَ منه، و في هذا الضيق ينشر الله تعالى للناسِ الرحمةَ، و يهيئ لهم أمورهم.

القصة الثانية: قصةُ موسى والخضر، وهي تبين أنَّ الأمورَ ليست بظاهرِها، فالظاهرُ قد يكون شرًّا كخرقِ السفينةِ، وقتلِ الغلامِ، لكنه في مضمونه وحقيقته خير، فكذلك الأمر بالنسبة للدجال فإنَّ كلَّ ما معه من فتن هي في ظاهرها شر،

---

(١) أخرجه: مسلم (٨٠٩).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٩٣٧).

(٣) أخرجه: أحمد (٢٧٥١٦)، النسائي في الكبرى (١٠٧٢٠)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان قال: لكن الأصح بلفظ من أول سورة الكهف، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

لكنها في حقيقتها خير وعافية.

القصة الثالثة: قصةُ ذي القرنين، وهي تعني أنَّ المحن والفتن بتراء لا تدوم، وأنَّ العاقيةَ تكون دائمًا للمتقين.

- **هل ابن صياد هو الدَّجَّال:**

لقد كان النبيُّ ﷺ يتبع ابنَ صائدٍ، تَحَرِّيًا وخوفًا أن يكونَ هو الدجَّال، **عنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِابْنِ صَائِدٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَهُوَ غُلَامٌ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ»، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَأْتِيكَ؟» قَالَ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيئَةً»، وَخَبَأَ لَهُ: {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان: ١٠]، قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ - يَعْنِي الدَّجَّالَ -، وَإِلَّا يَكُنْ هُوَ فَلَا خَيْرَ فِي قَتْلِهِ»**[(١)].

واختلف الصحابة في ابن صياد، فمنهم من قال إنه الدجال، بل كان بعضهم يحلف على ذلك كجابر بن عبدالله رضي الله عنه.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ[(٢)] **قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَحْلِفُ بِاللهِ: أَنَّ ابْنَ**

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٣٠).

(٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبدالعزى بن عامر، أبو عبد الله القرشي، الإمام الحافظ، شيخ الاسلام، ولد سنة بضع وثلاثين، قال سفيان: كان من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون، ولم يدرك أحدًا أجدر أن يقبل الناس منه إذا قال: قال رسول الله منه، مات سنة ١٣٠هـ.

=

الصَّائِدِ الدَّجَّالُ، قُلْتُ: تَحْلِفُ بِاللهِ؟ قَالَ: «إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ»(١).

وقد لا يكون هذا إقرارًا من النبي ﷺ كما فهم جابر رضي الله عنه بدليل قولِ النبيِّ ﷺ لعمرَ لمَّا طَلَبَ قَتْلَه «**إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ**»(٢)، وهذا دليل أنَّ النبيَّ ﷺ لم يجزمْ أنَّه الدجالُ.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «وَاللهِ مَا أَشُكُّ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ابْنُ صَيَّادٍ»(٣).

ومن قال بأنه ليس الدجال استدل بأدلة، منها:

أنَّ عامة الصفات التي ذكرها النبي ﷺ في الدجال ليست موجودة في ابن صياد، منها أنه لا يدخل مكة والمدينة، وكان ابن صياد يعيش في المدينة، وكان يذهب للحج بمكة، واستدلوا أيضًا بحديث تميم الداري، وما ورد من ذكر الدجال فيه، وغير ذلك.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: وَقَدِ اخْتلف النَّاس فِي أَمْرِ ابْنِ صياد اخْتِلافًا شَدِيدًا، وأُشكِل أمرُه حَتَّى قِيلَ فِيهِ كُلُّ قَوْلٍ، وَقَدْ يُسْأَل عَنْ هَذَا، فَيُقَالُ: كَيْفَ يقار رَسُولُ اللهِ ﷺ رجلًا يَدَّعِي النُّبُوَّةَ كَاذِبًا، ويتركه بِالْمَدِينَةِ يساكنه فِي دَاره، ويجاوره فِيهَا، وَمَا وَجه امتحانه إِيَّاه بِمَا خبَّأه لَهُ من آيَة الدُّخان، وَقَوله بَعْد ذَلِكَ: «اخْسَأْ فَلَنْ تعدوَ قدرَك» ؟.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: وَالَّذِي عِنْدِي أَن هَذِهِ الْقِصَّة إِنَّمَا جرت مَعَهُ أَيَّام مهادنة رَسُول اللهِ ﷺ الْيَهُود وحلفاءهم، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَعْد مقدمه الْمَدِينَة كتب بَينه وَبينهمْ كتابًا صَالحهمْ فِيهِ عَلَى أَن لَا يهاجوا، وَأَن يُتْرَكُوا عَلَى أَمرِهم، وَكَانَ ابْن الصياد =

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٢٩).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٣٥٥)، مسلم (٢٩٣٠).

(٣) أخرجه: أبو داود (٤٣٣٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٥٠١).

مِنْهُمْ، أَوْ دخيلًا فِي جُمْلَتهمْ، وَكَانَ يبلغ رَسُول اللهِ خَبره وَمَا يَدَّعِيهِ من الكهانة، ويتعاطاه من الْغَيْب، فامتحنه بِذَلِكَ ليروز بِهِ أمره، ويخبر بِهِ شَأْنه، فَلَمَّا كَلَّمه علم أَنَّهُ مُبْطِل، وَأَنه من جملَة السَّحَرَةِ أَوِ الكهنةِ، أَو مِمَّن يَأْتِيهِ رَئِيٌّ من الْجِنِّ، أَوْ يتعاهده شَيْطَان، فيُلْقِي عَلَى لِسَانه بَعْض مَا يتكَلَّمُ بِهِ، فَلَمَّا سمع مِنْهُ قَوْله الدخ، زبره، فَقَالَ: «اخْسَأْ فَلَنْ تعدو قدرك»، يُرِيد أَن ذَلِكَ شَيْء أَلْقَاهُ إِلَيْهِ الشَّيْطَان، وأجراه عَلَى لِسَانه، وَلَيْسَ ذَلِكَ من قِبَل الْوَحْي السماوي، إِذْ لَمْ يكن لَهُ قدر الْأَنْبِيَاء الَّذِينَ يُلْهَمُون الْعلم، ويصيبون بِنور قُلُوبهم الْحق، وَإِنَّمَا كَانَتْ لَهُ تارات يُصِيب فِي بَعْضهَا، ويخطئ فِي بَعْض، وَذَلِكَ معنى قَوْله: «يأتيني صَادِقٌ وكاذبٌ»، فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ: خلط عَلَيْك، فالجملة مِن أَمْرِهِ أَنَّهُ كَانَ فتْنَةً قَدِ امتَحنَ الله بِهِ عباده الْمُؤْمِنِينَ، ليهلك من هلك عَنْ بَيِّنَة، وَقَدِ امتُحِن قومُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زَمَانه بالعجل، فَافْتتنَ بِهِ قومٌ وأهلكوا، وَنَجَا من هداه الله وَعَصَمَهُ مِنْهُمْ[1].

قال البيهقي: اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافًا كثيرًا هل هو الدجال؟

قال: ومن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة الذي ذكره مسلم بعد هذا، قال ويجوز أن تُوَافِقَ صفةُ ابنِ صيادٍ صفةَ الدجالِ كما ثبت في الصحيح أنَّ أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن وليس هو هو.

قال: وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله تعالى بها عباده، فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها.

قال: وليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ، وقول عمر، فيحتمل أنه ﷺ كان كالمتوقف في أمره، ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح به في حديث تميم[2].

---

(١) شرح السنة للبغوي (١٥/ ٧٥).

(٢) تحفة الأحوذي لأبي العلا المباركفوري (٦/ ٤٢٦).

ورأى الصحابة منه من الأمور الغريبة ما جعلهم في حيرة من أمره، ومن ذلك:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: لَقِيَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» فَقَالَ هُوَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، مَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، وَمَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى صَادِقَيْنِ وَكَاذِبًا، أَوْ كَاذِبَيْنِ وَصَادِقًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لُبِسَ عَلَيْهِ، دَعُوهُ»[(١)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا، أَوْ عُمَّارًا، وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ، فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَحْشَةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَرُفِعَتْ لَنَا غَنَمٌ، فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ، فَقَالَ: اشْرَبْ، أَبَا سَعِيدٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، وَاللَّبَنُ حَارٌّ، مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ - أَوْ قَالَ آخُذَ عَنْ يَدِهِ - فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبْلًا فَأُعَلِّقَهُ بِشَجَرَةٍ، ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِي النَّاسُ، يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟! أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُوَ كَافِرٌ» وَأَنَا مُسْلِمٌ؟!، أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُوَ عَقِيمٌ لَا يُولَدُ لَهُ»، وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ؟! أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ» وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ؟! قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ، وَأَعْرِفُ مَوْلِدَهُ، وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبًّا لَكَ، سَائِرَ الْيَوْمِ "[(٢)].

عن ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ لَقِيَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَائِدٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٢٥).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٩٢٧).

غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا؟»(١).

عن ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: لَقِيتُهُ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ: هَلْ تَحَدَّثُونَ أَنَّهُ هُوَ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، قَالَ: قُلْتُ: كَذَبْتَنِي، وَاللهِ لَقَدْ أَخْبَرَنِي بَعْضُكُمْ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَكُونَ أَكْثَرَكُمْ مَالًا وَوَلَدًا، فَكَذَلِكَ هُوَ زَعَمُوا الْيَوْمَ، قَالَ: فَتَحَدَّثْنَا ثُمَّ فَارَقْتُهُ، قَالَ: فَلَقِيتُهُ لَقْيَةً أُخْرَى وَقَدْ نَفَرَتْ عَيْنُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَتَى فَعَلَتْ عَيْنُكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ: قُلْتُ: لَا تَدْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ؟ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ خَلَقَهَا فِي عَصَاكَ هَذِهِ، قَالَ: فَنَخَرَ كَأَشَدِّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِعْتُ، قَالَ: فَزَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِي أَنِّي ضَرَبْتُهُ بِعَصًا كَانَتْ مَعِيَ حَتَّى تَكَسَّرَتْ، وَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ مَا شَعَرْتُ، قَالَ: وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَدَّثَهَا، فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضَبُهُ»(٢).

ومن غريب أحواله أنه فُقِد يوم الحَرَّة، **عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «فَقَدْنَا ابْنَ صَيَّادٍ يَوْمَ الْحَرَّةِ»**(٣).

عافانا الله ونجَّانا والمسلمين من فتنة المسيح الدجال، ومن الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن.

العلامة الثانية: نزولُ عيسى عليه السلام:

عيسى ابن مريم عليه السلام هو روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، وهو من الخمسة أولي العزم، ومن الأنبياء المقربين، وممن يُطلَب منهم الشفاعة يوم القيامة، وكل نبي يعتذر عن الشفاعة بأمرٍ فَعَلَه يخاف من عاقبته إلا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يذكر ذنبًا، وهو الذي يدل الناس على النبي ﷺ للشفاعة، وهو صاحب معجزتين عظيمتين لم تكن لأحد من الأنبياء غيره: أنه تكلم في المهد،

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٣٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه: أبو داود (٤٣٣٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٥٠٢).

وأنه لم يمت ولكنه قد رُفع إلى السماء حيًّا، كما بيَّن اللهُ ﷻ، ويَنزِل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مرة ثانية قرب قيام الساعة في وقت صلاة المسلمين، وإمامهم منهم، **عنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»**[1].

عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: " فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ "**[2].

وبيَّن النبيُّ ﷺ أنَّه سينزلُ حكمًا مقسطًا، ويقيم العدل، وينشر الإسلام، وتفيض البركة، ويزداد المال.

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»**[3].

وفي رواية:...**وَيُرْجِعُ السَّلْمَ، وَيَتَّخِذُ السُّيُوفَ مَنَاجِلَ، وَتَذْهَبُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، وَتُنْزِلُ السَّمَاءُ رِزْقَهَا، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا، حَتَّى يَلْعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبَانِ، فَلَا يَضُرُّهُ، وَيُرَاعِي الْغَنَمَ الذِّئْبُ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيُرَاعِي الْأَسَدُ الْبَقَرَ، فَلَا يَضُرُّهَا "**[4].

و يأتي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يطلبُ المسيحَ الدجالَ، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ هيئته حين نزوله، ومكان نزوله، **فقال ﷺ:"...فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ**[5]**، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: مسلم (١٥٦).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٢٢٢)، مسلم (١٥٥).

(٤) أخرجه: أحمد (١٠٢٦١)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٥) بين مهرودتين: أي في شُقَّتَيْن أو حُلَّتَيْن، وقيل: الثوب المَهْرُودُ: الذي يُصْبَغ بالوَرْسِ، ثم =

تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ[١]، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ"، قال ﷺ: " فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ..."[٢].

العلامةُ الثالثة: خروجُ يأجوج ومأجوج:

ويأجوجُ ومأجوجُ: لغة مأخوذة من الفعل (أَجَّ)، ويدور معناها حول التوهج، والاضطراب، والشدة في الأمور والأحوال.

يُقال: أَجَّتِ النارُ أَجًّا وأجيجًا وأَجَّة: تلَهَّبَت وتوَقَّدَت، وكان لِلَهِيبِها صوتٌ، وسمعتُ أَجَّةَ القومِ: حفيفَ مشيِهم، واضطرابِهم، والماء أجوجًا وأجوجة ملح ومر[٣].

والأَجِيجُ: تَلَهُّبُ النارِ، الأَجَّةُ والأَجِيجُ: صوت النار، وأَجَّتِ النارُ تَئِجُّ وتَؤُجُّ أَجِيجًا إِذا سمعتَ صَوتَ لَهَبِها[٤].

فيأجوج ومأجوج اسم لأقوام عتاة مُتَمَرِّدين مُكَذِّبين بالله ورسله، يكون في ظهورهم وخروجهم شرٌّ كبير على الناس، وضيق شديد، وتضطرب أحوالهم، وتفنى أموالهم ومياههم، فيكونون على الناس كنار اشتعلت في كل مكان.

=

بالزعفران. النهاية لابن الأثير (٥/ ٥٨٥).

(١) جُمَان كاللؤلؤ: بضم الجيم وتخفيف الميم هى حبَّات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته، فسُمِّى الماء جُمَانًا لشبهه به في الصفاء. تحفة الأحوذي (٦/ ٤١٧).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٩٣٧).

(٣) المعجم الوسيط (١/ ٦)

(٤) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٢٠٥).

ويأجوج ومأجوج هم الذين حبسهم ذو القرنين خلف السَّدِّ لِكَفِّ شرِّهم، وأذاهم عن الناس؛ حيث لا طاقة للناس بقتالهم.

وبيَّن النبيُّ ﷺ أنهم ينقبون في كل يوم نقبًا يكادون يرون منه الشمس، ثم تغرب الشمس، فيقول سيدهم لهم: نأتي غدًا، ونكمل، فيأتون غدًا، فيجدونه أشد مما كان حتى يأذن الله تعالى، فإذا جاءوا في يومٍ ما وغربت الشمس، فيقول سيدهم سنعود غدًا إن شاء الله، فيعودون، فيجدونه كما هو، فينقبون و يخرجون.

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" **إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْم، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللهُ أَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى -، وَاسْتَثْنَوْا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيُنْشِفُونَ الْمَاءَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ**[١]**، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ نَغَفًا**[٢]** فِي أَقْفَائِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا "، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ، وَتَشْكَرُ شَكَرًا**[٣]** **مِنْ لُحُومِهِمْ»**[٤].

---

(١) المُجْفَئِظُّ: كُلُّ شَيْءٍ يُصْبحُ على شَفا المَوْتِ من مَرَض، وهو المُنْتَفِخُ أيضًا، وأصْلُ الجَفْظِ: المَلْءُ، وجَفَظْتُ البَعِيْرَ: إذا ملأْتُ بَطْنَه. المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٢/ ١٠٤).

(٢) النَّغَف: دُودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٩٦).

(٣) أي تسمَنُ وتمْتلئُ شحْمًا، يقال شكِرت الشاةُ بالكسر تَشْكَر شَكَرًا بالتحريك إذا سَمِنَتْ وامْتلأَ ضَرْعُها لبَنًا. النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٢٠٠).

(٤) أخرجه: الترمذي (٣١٥٣)، ابن ماجه (٤٠٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٧٦).

عن النوَّاسِ بن سمعانَ قالَ: قالَ ﷺ:"...وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ..."(١).

و يتحرز عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه إلى الطور، ويرغبون إلى الله تعالى، قال ﷺ:" فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ"(٢).

العلامة الرابعة والخامسة والسادسة: ثلاثةُ خسوفاتٍ:

الخسف هو ذهاب أعلى الأرض، يقال: خَسَفَ الْمَكَانُ يَخْسِفُ خُسُوفًا: ذَهَبَ في الأَرْضِ(٣).

ويقال: خسَفَتِ الأرضُ خسفًا وخسوفًا غارت بما عليها، ويقال: خسف الله

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٣٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاج العروس للزبيدي (١/ ٥٧٩٨).

بهم الأرض غيَّبَهم فيها، وفي التنزيل العزيز " فخسفنا به وبداره الأرض"[(١)].

عنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أسيدٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ " قُلْنَا: السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ " قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، مِثْلَ ذَلِكَ، لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ، وقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وقَالَ الْآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ "[(٢)].

والخسف يدل على حدوثِ أمرٍ عظيمٍ، وقد ضرب الله له أمثلة للناس في الغابرين، وخسَفَ بأناس سابقين كما خسف بقارون، وملكه وداره، والخسف يكون دليلًا على غضب الجبار سبحانه وتعالى، لكن هذه الخسوفات الثلاثة علامات ودلائل على قرب القيامة والحساب، ولعل ذلك من الأسباب التي جعلها الله من أجلها ثلاثة خسوفات واحدًا بالمشرق، وواحدًا بالمغرب، وواحدًا بجزيرة العرب.

العلامة السابعة: خروج الشمس من مغربها:

خروج الشمس من مغربها هو أول علامات اختلال نظام الكون العلوي، **عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»**[(٣)].

وهي دليلٌ على اقتراب الساعة جدًّا، وعلامةٌ لإغلاق باب التوبة، وهو علامة

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٢٣٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه: مسلم (٢٩٤١).

يعلمها كل الناس في ذاك الزمان، ويعلمون أنه بخروجها تكون الساعة قريبة جدًّا؛ لذا إذا رآها الناس ءامنوا جميعًا.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: **كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَيْهِ بَرْذَعَةٌ أَوْ قَطِيفَةٌ، قَالَ: وَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ لِي: "يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغِيبُ هَذِهِ؟ " قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِئَةٍ، تَنْطَلِقُ حَتَّى تَخِرَّ لِرَبِّهَا سَاجِدَةً تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا حَانَ خُرُوجُهَا أَذِنَ اللهُ لَهَا فَتَخْرُجُ فَتَطْلُعُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُطْلِعَهَا مِنْ حَيْثُ تَغْرُبُ حَبَسَهَا، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ مَسِيرِي بَعِيدٌ، فَيَقُولُ لَهَا: اطْلُعِي مِنْ حَيْثُ غِبْتِ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا "**[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ"**[(٢)].

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: {لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: ١٥٨]، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلا يَتَبَايَعَانِهِ، وَلا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلا يَطْعَمُهَا "[(٣)].

---

(١) أخرجه: أحمد (٢١٤٥٩)، أبو داود مختصرًا (٤٠٠٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٠٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه: مسلم (١٥٨).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٠٦)، مسلم (٢٩٥٤).

العلامة الثامنة: خروجُ الدَّابَةِ:

وخروج الدابة من علامات الساعة، وهي قريبة من طلوع الشمس من مغربها إما قبلها أو بعدها قريبًا منها، تخرجُ تُكَلِّم الناسَ، وتَسِمُهم، قال تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو قَالَ: حَفِظْتُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ حديثًا لم أَنْسَهُ بعدُ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ" **إنَّ أولَ الآياتِ خُروجًا طلوعُ الشمسِ مِن مَغرِبِها، وخروجُ الدَّابةِ على الناسِ ضُحَى، وأيُّهما ما كانت قَبْلَ صاحِبَتِها، فالأخرى على إِثْرِها قَريبًا**"[1].

قال الحافظ ابن حجر:

قلت: والحكمة في ذلك: أنَّ عند طلوع الشمس من المغرب يُغْلَق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة[2].

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنِ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ "[3].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٤١).

(٢) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١١/ ٣٥٣).

(٣) أخرجه: أحمد (٢٢٣٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

العلامة التاسعة: الدُّخَان:

والدخان علامة من علامات الساعة الكبرى، وهو دخان عظيم يغشى الناس، ويحيط بهم، وهذا دليل على اشتداد الخطب، وقرب أهوال القيامة.

عنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أسيدٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ " قُلْنَا: السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ " قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ، مِثْلَ ذَلِكَ، لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ، وقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وقَالَ الْآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ "(١).

- واستدل البعض على هذا أيضًا بقوله تعالى ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠ - ١١]، فقيل: إنَّ المراد بالدخان هنا هي العلامة التي ذكر النبي ﷺ أنها من علامات القيامة، ورُوِي ذلك عن حذيفة وعلي وابن عباس، وقالوا: إنَّ قوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ﴾ يقتضي وجود دخان تأتي به السماء، فقوله: (يوم تأتي السماء بدخان) نصٌّ واضحٌ وصريحٌ على أنَّ السماء نفسها سوف تأتي بدخان، ولا شك أنَّ الأصل حمل الآية على الحقيقة، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة تصرفه عنها.

وقالوا: قوله (يَغْشَى النَّاسَ) عموم لكل الناس، فالمناسب له أن يكون من علامات الساعة.

- وقيل: إنَّ الدخان ليس المقصود به العلامة المعلومة من علامات القيامة، بل هذا هو ماحدث لكفار مكة في زمن النبي ﷺ، وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنما كان هذا لأنَّ قريشًا لما اسْتَعْصَوْا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسِنِي

---

(١) سبق تخريجه.

يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال: فأُتي رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله استسق الله لِمُضَرَ، فإنها قد هلكت قال: لِمُضَرَ إنك لجريءٌ، فاستسقى، فسُقُوا، فنزلتْ (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ)، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرَّفاهية، فأنزل الله عز وجل (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) قال: يعني يوم بدر[1].

- وجمع بعض العلماء بين القولين فقالوا هما دخانان:

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلًّا فيما يستأنف بعدُ بآخرين دخانًا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك؛ لأنَّ الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأنَّ ذلك كائن، فإنه قد كان ما روَى عنه

عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين الذَيْنِ رُوِيا عن رسول الله ﷺ صحيح[2].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار[3].

قال الإمام الطحاوي: الدخان المذكور في أحاديث ابن مسعود غير الدخان المذكور في حديثي حذيفة وأبي هريرة، وذلك أنَّ الله تعالى قال في كتابه في سورة الدخان" بل هم في شك يلعبون"، ثم أتبع ذلك قوله تعالى" فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين" أي عقوبة لهم لما هم عليه من الشك واللعب، ومحال أن تكون هاتان العقوبتان لغيرهم، أو يؤتى بهما بعد خروجهم من الدنيا، وسلامتهم من ذلك الدخان.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٨٢١)، مسلم (٢٧٩٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٥ / ١١٤ - ١١٥).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨ / ٢٧).

وقال: إنَّ المذكور في حديث ابن مسعود سُمِّي دخانًا على المجاز لتوهم قريش أنه دخان في الحقيقة من الجهد الذي بها، وإن لم يكن في الحقيقة كذلك، فأما ما في حديثي حذيفة وأبي هريرة من ذكر الدخان، فهو على دخان حقيقي مما يكون بقرب القيامة، ونسأل الله تعالى خير عواقبه في الدنيا والآخرة، والله نسأله التوفيق[١].

وعلى كلِّ حالٍ فالجمع أولى، وعامة الجمع أنَّ هناك دخانين أحدهما خاصٌّ بقريش، وهذا قد سبق في عصر النبي ﷺ، والآخر هو الدخان العام الذي يعم الناس وهو من علامات الساعة- والله أعلم -.

العلامة العاشرة: نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم:

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»[٢].

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا نَتَحَدَّثُ فِى ظِلِّ غُرْفَةٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا السَّاعَةَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَنْ تكُونَ - أَوْ لَنْ تَقُومَ - السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا عَشْرُ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَالدَّجَّالُ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَالدُّخَانُ، وَثَلاَثُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ»[٣].

---

(١) مشكل الآثار للطحاوي – بتصرف – (٣/ ٣١).

(٢) أخرجه: أحمد (٥٣٧٦)، الترمذي (٢٢١٧)، ابن حبان (٧٣٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٦٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) سبق تخريجه.



حكمُ تصديقِ الكهنةِ والعرَّافينَ

ولَا نُصدّقُ كَاهنًا ولَا عَرّافًا، وَلَا مَن يدّعِي شَيْئًا بخلافِ الكِتابِ والسنَّةِ، وإجْمَاعِ الأُمّةِ.

قوله (ولا نُصَدِّقُ كاهنًا ولا عرَّافًا...):

وذِكْرُ مسألةِ الكهانِ هنا وجيهٌ جدًّا؛ ولعل المصنِّفَ لمَّا تكلَّمَ عنِ العقيدةِ، وأسماءِ اللهِ وصفاتِه، والإيمانِ بالغيبِ، وما إلى ذلك، أراد أن يبين بعض أثر الإيمانِ بهذه الأسماء والصفات، ومن ذلك أنه يجب على الإنسان ألَّا يصرفَ صفةً من هذه الصفات إلى مخلوقٍ، ولذلك فالذي يؤمن بالكهَّان والعرافين ويصدِّقهم، أخذ بعضَ الأوصافِ ممَّا سبق في عقيدةِ الأسماءِ والصفاتِ، وصرفها إلى بعض المخلوقِين ألا وهو وصف العلم بالغيب؛ لذلك كان كافرًا.

وأيضًا لمَّا سبق الكلامُ عنِ الأولياءِ والكراماتِ عرَّج بعد ذلك على الكهنةِ والعرَّافين، لبيان أنَّ أفعالَهم من نحوِ الشعوذةِ، وليست من الكرامات، من باب التفريقِ بين الكرامةِ، والشعوذةِ والسحرِ.

وقيل: أنَّ ذِكْرَهُ للكهان والعرافين هنا؛ لأنَّ الكهانة كانت مُشْتَهَرة في عصر المصنف رَحِمَهُ اللهُ – والله أعلم –.

❁ تعريف الكاهن:

الكاهن لغة: كل من يتعاطى علمًا دقيقًا، ومِنَ العرب مَن كان يُسَمِّى المُنَجِّمَ والطبيبَ كاهنًا، والذي يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته، وعند اليهود والنصارى من ارتقى إلى درجة الكَهَنُوت، وعند أصحاب الديانات الأخرى من

غير المسلمين مَن ساغ له أن يُقَدِّمَ الذبائح، والقرابين، ويتولى الشعائر الدينية[١].

وقيل: الكاهنُ: مِن: كَهَنَ له يَكْهَنُ ويكهُنُ وتكَهَّنَ تكَهُّنـًا قَضى له بالغيب[٢].

فالكاهن في اللغة أُطْلِقَ على من يدَّعِي الغيب، وغيره ممن يتعاطى علومًا هامة أو دقيقة، لكنه غلب في العرف والشرع بعد ذلك على من يدَّعِي معرفة الغيب، ونحوه.

الكاهنُ في الشرع: هو الذي يدَّعي معرفةَ الغيبِ في المستقبلِ.

تعريف العرَّافِ:

العرَّاف لغةً: قال ابن الأَثِيرِ: العَرَّافُ: المنَجِّمُ، أَو الحازِي الذي يَدَّعِي عِلْمَ الغَيْبِ الذي استَأْثَرَ اللهُ بعِلْمِه، وقالَ الرّاغِبُ: العَرّافُ: كالكاهِنِ إِلَّا أَنَّ العَرَّاف يُخَصُّ بمَنْ يُخْبِرُ بالأَحْوالِ المُستَقْبَلَةِ، والكاهِنُ يخبِرُ بالأَحْوالِ الماضِيَةِ[٣]، وقيل العكس.

العرَّاف شرعًا: اختلف العلماءُ في تعريف العرَّاف شرعًا، فمنهم من قال: هو الكاهن ولا فرق بينهما.

وقيل: هو من يدَّعي معرفةَ الغيب الماضي وليس المستقبل كمعرفة الضالة، ونحوها، وقيل: غير ذلك.

فالكاهن والعرَّاف - على التفريق المذكور - بينهما عموم وخصوص، فالعموم أنَّ كلًّا منهما يدَّعي معرفة الغيب، والخصوص أنَّ الكاهن يدَّعي معرفة الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وهو العلم بالغيب في المستقبل، والعرَّاف يدعي معرفة الغيب النسبي الذي قد يخفى على بعض الخلق دون

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٨٠٣).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٣٦٢).

(٣) تاج العروس للزبيدي (١/ ٦٠١٥).

البعض كمعرفة الضالة.

حقيقة الكهانة:

وحقيقة الكهان تدور بين قليل من الصدق يخطفه الجني، ويقرها في أذن الكاهن، وكثير من الكذب؛ لذا كان حكمهم العام كما قال ﷺ" ليسوا بشيء".

عنْ عائشةَ قالتْ: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَيْسُوا بِشَيْءٍ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»**[١].

س: فإن قيل كيف يكون حكمهم "ليسوا بشيء" مع أنهم يأتون بشيء صدق من السماء، وهو ما يخطفه الجني؟!

الجواب: ذلك لأنَّ الحكم للغالب، بل إنَّ الصدق فيه قد يصل إلى حدِّ الندرةِ لقلةِ نسبتِهِ، فهو كَلِمَةُ صِدْقٍ بجانبِ مائةِ كذبةٍ أو أكثر كما بين النبي ﷺ، والنادر في الشرع لا حكم له.

عن رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ثُمَّ قَالَ: " الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ. قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٢١٣)، مسلم (٢٢٢٨).

فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ "[١].

حُكْمُ مَن صدَّق كاهنًا أو عرَّافًا:

- قال بعضُ العلماءِ بكفر من أتى كاهنًا أو عرَّافًا، واستدلوا بحديث أبي هريرةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **" مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ "**[٢].

- وقال بعض العلماء لا يكفر، واستدلوا بما ورد عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ **قالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»**[٣].

ووجه الاستدلال عندهم أنه لو كان كافرًا لـمَا علَّق النبيُّ ﷺ عدم القبولِ منه على أربعين يومًا، ولقال: لن تقبل منه مطلقًا.

- وفصَّلَ بعضُ العلماءِ في ذلك[٤] فقالوا: لِسؤالِ الكاهنِ أو العرَّافِ أحكامٌ مختلفةٌ باعتبارِ السببِ لهذا السؤالِ:

الصورةُ الأولى: السؤالُ المجردُ وهو حرامٌ، ولا تُقبل صلاة صاحبه أربعين ليلة، وهذا الذي ورد فيه قولُه ﷺ" مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً "، فهذا سؤالٌ مجردٌ.

وعدمُ القبولِ ينفي أمرين:

الأول: ينفي الأجر. **الثاني**: ينفي إبراءَ الذمَّةِ.

ولكن المعلوم أنه تبرأ ذمتُه بالصلاة، فدل على أنَّ معنى (لا تقبل له صلاة) أي

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٢٢٩).

(٢) أخرجه: أحمد (٩٥٣٦)، الحاكم (١٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٣٩).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٢٣٠).

(٤) مستفاد من كلام الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - في كتابه القول المفيد على كتاب التوحيد (صـ ٣١٣).

لا أجرَ له على هذه الصلاة أربعين ليلة.

الصورة الثانية: يسأله ويُصَدِّقُه، وهذا كافرٌ بما أُنزِل على محمدٍ ﷺ؛ حيث إنه قد كذَّب القرآنَ، قال تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ **[الأنعام: ٥٩]**.

الصورة الثالثة: يسأله للاختبار فقط ليعلم حقيقته، وهذا جائز:

مثل ما فعل النبيُّ ﷺ مع ابنِ صيَّاد **قال** ﷺ **له: "...«مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: **«خُلِّطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ» ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ** ﷺ: **«إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ: «اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ» فَقَالَ عُمَرُ** رضي الله عنه: **دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: **«إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»**[(١)].

الصورة الرابعة: يسأله ليظهرَ عجزَه وكذِبَه، وهذا جائز ، بل قد يكون واجبًا.

---

(١) سبق تخريجه.



الفَرقُ بينَ الجَماعَةِ والفُرْقَةِ

وَنَرَى الجَمَاعَةَ حَقًّا وصَوَابًا، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذابًا.

قوله (وَنَرَى الجَمَاعَةَ حَقًّا وصَوَابًا):

والمعنى: أنَّ الاجتماعَ على الحقِّ والتمسكَ به، والاجتماعَ مع أهلِ الحقِّ هو الحقُّ والصوابُ.

فالجماعةُ حقٌّ وصوابٌ: حقٌّ في ماهيتِها، ومقصودِها، وصوابٌ في سبلِها وغاياتِها؛ إذ إنها موافقة لأمر الله تعالى، واتِّباع لما يحبه ويرضاه، وموافقة لمقصود الشريعة المطهرة.

قوله (والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذابًا):

(**والفرقةَ**): تشمل البعد عن الحق، وكذلك مفارقة أهله، ومخالفتهم.

(**زيغًا**): والفرقة زيغ؛ إذ إنها حَيْدٌ عن طريق أهل السنة، وبُعْدٌ عن مقصود شرع الله تعالى وحكمه، وانفرادٌ بالرأي والقول، كل ذلك لا بد وحتمًا أن يكون مؤداه إلى الزيغ والضلال، وبعدًا عن الهداية والرشد.

(**وعذابًا**): أي عذاب في الدنيا والآخرةِ، ففي الدنيا تجدُ أهلَ الفرقةِ أهلَ العذابِ والضنك والحيرة والاضطراب، وأهلَ الاجتماعِ على الحقِّ والتمسك به، والدعوة إليه تراهم أهلَ الراحةِ والاطمئنان، والبصيرة.

لذلك كثيرًا ما أمر الله ﷻ بالاعتصام، والتمسك بحبل الله، والاجتماع عليه؛ إذ به تحدث الراحة، والاطمئنان، والألفة، والمودة، قال ﷻ ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم

بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ (١٠٣)﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

عنْ أبي الدرداءِ رضي الله عنه: عنِ النبيِّ ﷺ:"...**فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**»[1].

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: **قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: «**الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[2].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلَالَةٍ**»[3]. **عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ**»[4].

وفي لفظ: «يَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ»[5].

---

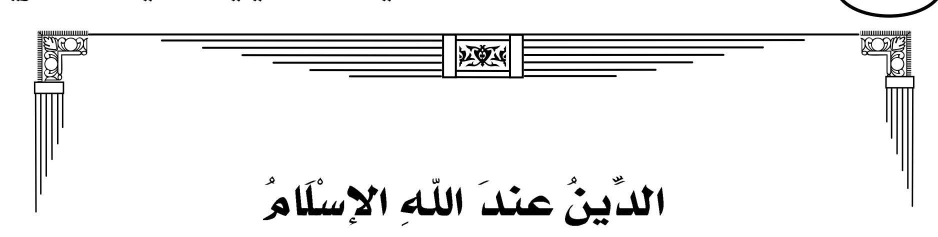
(١) أخرجه: أبو داود (٥٤٧)، النسائى (٨٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠١).

(٢) أخرجه: أحمد (١٨٤٤٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٦٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه: الترمذي (٢١٦٦)، ابن حبان (٤٥٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٢١)، وقال الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه: النسائي (٤٠٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٦٥).



الدِّينُ عندَ اللّهِ الإسْلَامُ

ودينُ اللّه تعالى في السّمَاءِ والأرْض وَاحدٌ، وهُوَ دِيْنُ الإسْلَامِ، كما قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وقَالَ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وقَالَ تعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

قوله (ودِيْنُ اللهِ فِي الأَرْضِ والسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وهُوَ دِيْنُ الإسْلَامِ):

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

والإسلامُ المرادُ في الآيةِ: هو الإسلامُ العامُّ.

فالإسلام نوعان:

الأول: الإسلامُ العامُّ: وهو كلُّ دين أتى بالاستسلام لله ﷻ، وتسليم الإرادة له وحده، وهذا موجودٌ في كلِّ دينٍ سماويٍّ قبل أن يُحرَّف، فاليهودية أتت بالإسلام، والنصرانية أتت بالإسلام، و كذلك الإسلام.

الثاني: الإسلام الخاصُّ: وهو دينُ الإسلامِ الخاتمِ الذي بُعِثَ به النبيُّ محمدٌ ﷺ.

وإذا أُطْلِق الخاصُّ، وأُرِيد به العامُّ، أو أُطْلِق العامُّ، وأُرِيد به الخاصُّ، فهذا

يدل على أنَّ لهذا الخاصِّ مزيةً وأهميةً في هذا العامِّ.

فلمَّا كان الإسلامُ دينًا عامًّا، ثم خصَّه اللهُ بالدينِ الأخيرِ عُلم أنَّ لهذا الدينِ مزيةً خاصَّةً؛ إذ هو الدين الخاتم، والذي لابد أن ينتهي الناسُ إليه.

لذلك سمَّاه اللهُ ﷻ الإسلامَ، وسمَّى أهلَه المسلمين، قال ﷻ ﴿**وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ٧٨**﴾ [**الحج**: ٧٨].

ولمَّا ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدةَ أهل السنة ذكر بعدها الإسلامَ، وذكر بينهما الجماعةَ والتمسكَ بالسنةِ؛ لأنَّ هذا هو الرابط بين العقيدةِ وبين إقامةِ دينِ الإسلام، وهو وجود جماعة تتمسك بالسنة، وتدعوا إلى الجماعة وعدم الفرقة، وبذلك تقوم العقيدةُ الصحيحةُ في دين الإسلام.

❀◊❀

وَهُوَ بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ، وبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وبَيْنَ الجَبْرِ والقَدَرِ، وبَيْنَ الأَمْنِ والإِيَاسِ.

قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فأمة الإسلام أمةٌ وسطٌ وعدلٌ في كل شيء: في أحكامها، وفي تصوراتها، وفي عقائدها، وكذلك في غاياتها وأهدافها، بل وفي العبادة وتَقَرُّبِها إلى ربها، فهي أمةٌ وسطٌ بلا إفراط ولاتفريط.

قوله (وهو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ):

والمعنى: كما أنَّ أمةَ الإسلام وسط بين الأمم، فكذلك عقيدتهم وأقوالهم وأعمالهم وسط بين الغلو والتقصير، فلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل: ٩].

ومعنى المُقتَصِدِ هو مَن يتوسَّط في أمر الدِّين، ولا يميل إلى جانب الإفراط، ولا إلى جانب التَّفريط[1].

والغلو والتقصير فرعا التحريف والتبديل في الدين؛ لأنَّ التحريفَ والتغييرَ في الدينِ يكونُ لأحدِ سببين:

الأول: الجهل.

الثاني: الشبهة.

وفى الغالبِ تكون الزيادةُ مرتبطةً بالجهلِ، ويكون النقصُ مرتبطًا بالعلمِ مع الشبهةِ، وقد يجتمعان؛ فالمعتزلة والجهمية مثلًا في الأسماء والصفاتِ ينقصون؛ لأنَّهم عندهم علمٌ مع الشبهة، أما الصوفيةِ فإنهم أزادوا لجهلِهم، فأقروا بالموجودِ وزيادة.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٠١).

عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عنِ النبيِّ ﷺ **قالَ:" لتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ:** «فَمَنْ»[1]؛ وذلك لأنَّهما أصلُ كلِّ ضلالٍ، فاليهود أنقصوا لما معهم من العلم المَشُوب بالشُّبَهِ، والنَّصارى أزادوا لما يحيط بهم من الجهل، وقلة العلم.

أولًا: الغُلُـوُّ:

الغلوُّ لغةً: مِن غَلا في الأمر يَغْلو، أي جاوز فيه الحد[2].

الغلوُّ شرعًا: هو مجاوزة الحد المشروع سواء كان في الاعتقاد أو العمل.

والنهي عن الغلو ورد في القرآن والسنة كثيرًا، ومن ذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ **[النساء: ١٧١]**، وقال سبحانه ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ **[المائدة: ٧٧]**.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ «**الْقُطْ لِي حَصًى**» فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ، وَيَقُولُ «**أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا**»، **ثُمَّ قَالَ**«**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»[3].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٤٥٦)، مسلم (٢٦٦٩).

(٢) الصحاح في اللغة للجوهري (٢/ ٢٤).

(٣) أخرجه: ابن ماجه (٣٠٢٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

ثَلَاثًا[١].

والمتنطعون أي المتعمقون الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم، وأفعالهم[٢].

بل نهى ﷺ عن الغلو حتى في نفسه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أنه سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»[٣].

ولذلك لما قال رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[٤].

- والغلو مذموم في كل أحواله سواء كان في الاعتقادات أو في الأعمال:

أولًا: الغُلُوُّ في الاعتقادات:

وذلك كغُلُوِّ النصارى في عيسى وجعْلِه ابنَ الله - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -، وكغُلُوِّ المجسمة في إثبات الصفات لله تعالى، وجعلها مشابهة للمخلوق من كل جهة، وغُلُوِّ الشيعة في عليٍّ وآلِ البيتِ، ورفعِهم إلى مقامٍ أعلى من جميع الصحابة، بل ولمقامٍ أعلى من مقام النبوة أحيانًا، بل والألوهية أحيانًا، وكغُلُوِّ الصوفية في الصالحين وأصحاب القبور، وجعل النفع والضر بأيديهم، أو أنهم شفعاء يقربون العباد من الله تعالى.

وللغلو في الاعتقاد مَغَبَّةٌ عظيمة ألا وهي وقوع الإنسان في باب البدع، والتي أَقَلُّها أن تكون بدعًا غير شركية، وقد تكون بدعًا شركية، وكفى بباب البدع مغبة وهلاك لأهل الغلو.

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٧٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٢٠).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٤٤٥).

(٤) سبق تخريجه.

ثانيًا: الغُلُوُّ في الأعمال:

وهو كل زيادة ومجاوزة للحد عن المطلوب في الأعمال: كمن يوجب على نفسه صوم الدهر كله، أويوجب على نفسه قيام الليل كله، أو نحو ذلك.

وللغُلُوِّ في الأعمال مغبتان عظيمتان:

أحدها: لا يكون العبد بفعلها طائعًا، بل قد يكون مناقضًا لأمر الله تعالى مخالفًا له، بل وقد تبطل عبادته بهذه الزيادة كمن أزاد ركعة في الصلاة متعمدًا.

ثانيها: غُلُوٌّ يؤدي إلى انقطاع العبد عن العبادة، وإن كان عمله مشروعًا في أصله، لكنه شدَّدَ على نفسه، فأدَّى ذلك إلى انقطاعه عن العبادة كقيام الليل كله،وهذا يخالف يُسْرَ الشريعة.

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الحَبْلُ؟**» **قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ**: «**لا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»(٢).

قال ابن حجر: والمشادَّة بالتشديد المغالبة، يقال شادَّهُ يشادُّهُ مُشادَّةً إذا قاواه، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلَب، قال ابن المنير: في هذا الحديث علمٌ من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أنَّ كلَّ مُتَنَطِّع في الدين ينقطع، وليس المرادُ منعَ طلبِ الأكملِ في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المُؤدِّي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١١٥٠)، مسلم (٧٨٤).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٩).

ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل، فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس، فخرج وقت الفريضة، وفي حديث محجن بن الأدرع عند أحمد "إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وخير دينكم اليَسَرَة"(١).

ثانيًا: التقصيرُ:

التقصير في الأمر هو التواني فيه(٢)، والتقصير مرادف للتفريط، **فالتفريط**: مِن فَرَطَ في الأمر يَفْرُطُ فَرْطـًا، أي قصَّر فيه وضيَّعه حتَّى فات(٣).

وشرعًا: هو النقص عن المشروع الواجب من الكتاب والسنة اعتقادًا أو عملًا.

أولًا: النقص في الاعتقاد:

وذلك كنقص أهل البدع من صفات الله تعالى، ونفيها كلها، أو نفي بعضها، أو إثبات لفظها ونفي معناها، كل هذا من نحو التقصير والنقص في الاعتقاد، وقد سبق بيانه في الحديث عن الأسماء والصفات.

ثانيًا: النقص في الأعمال:

وذلك كالنقص في بعض الأعمال، أو في أركان العبادات وواجباتها، أو نحو ذلك، كل ذلك نهى عنه ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّلَامَ، قَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**» **فَرَجَعَ الرَّجُلُ، فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ»، ثُمَّ قَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» حَتَّى**

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٩٤).

(٢) مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر الرازي (١/ ٥٦٠).

(٣) الصحاح في اللغة للجوهري (٢/ ٤٠).

فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا، عَلِّمْنِي، قَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»(١).

عنِ ابنِ عُمرَ ﵁ أَنَّ اليَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟»، فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلام: كَذَبْتُمْ، إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ، فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلام: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ "**(٢).

فقوله:" فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا "، أي أراد إخفاءها وإنقاصها من التوراة.

فنهى النبي ﷺ عن كلِّ نقصٍ وزيادةٍ في الشرع، عنْ أنسٍ قالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا، كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟! قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **«أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**(٣)، فنهى مَن أراد الزيادة كمن أراد صيام الدهر، ومن أراد قيام الليل كله، ونهى من أراد النقص كمن

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٦٦٧)، مسلم (٣٩٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٨٤١).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٠٦٣)، مسلم (١٤٠١).

أراد ألا يتزوج النساء، فكلهم سواء إما بالإفراط والزيادة، أو بالتفريط والنقصان.

فالدينُ عامَّة بين الغلوِّ والتقصيرِ، فلم يُجزِ الشرعُ الزيادةَ ولا النقصَ إلَّا بدليل يجيز ذلك، ومن ذلك: نهيُ النبيِّ ﷺ عنِ الوصالِ، **عنِ ابنِ عمرَ** رضي الله عنه: **أَنَّ النَّبِيَّ** ﷺ **وَاصَلَ، فَوَاصَلَ النَّاسُ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَنَهَاهُمْ، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَظَلُّ أُطْعَمُ وَأُسْقَى»**[1].

فنهاهم ﷺ عن الزيادة بالوصال، ثم أذن لهم ﷺ فيه، **فقال: «لا تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ، فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ»**[2].

ومنها: الزيادةُ في التلبيةِ في الحجِّ، وأقرَّها النبيُّ ﷺ، **عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** رضي الله عنه **قَالَ: أَهَلَّ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **فَذَكَرَ التَّلْبِيَةَ، قَالَ: وَالنَّاسُ يَزِيدُونَ «ذَا الْمَعَارِجِ» وَنَحْوَهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَالنَّبِيُّ** ﷺ **يَسْمَعُ، فَلَا يَقُولُ لَهُمْ شَيْئًا "**[3].

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً عِنْدَ مَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ، أَهَلَّ، فَقَالَ: **«لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ» قَالُوا: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ** رضي الله عنهما **يَقُولُ: هَذِهِ تَلْبِيَةُ رَسُولِ اللهِ** ﷺ**، قَالَ نَافِعٌ: كَانَ عَبْدُ اللهِ** رضي الله عنه **يَزِيدُ مَعَ هَذَا: «لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ لَبَّيْكَ، وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ»**[4].

قوله (وبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ):

فأهل السنة وسط في كل باب لاسيَّما أبواب العقيدة.

قال شيخ الإسلام:

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١٩٢٢)، مسلم (١١٠٢).

(٢) أخرجه: البخاري (١٩٦٧).

(٣) أخرجه: أبو داود (١٨١٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٩١).

(٤) أخرجه: مسلم (١١٨٤).

بل هم الوسط في فرق الأمة كما أنَّ الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى: بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله: بين الجبرية والقدرية، وغيرهم، وفي باب وعيد الله: بين المرجئة والوعيدية من القدرية، وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين: بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ: بين الرافضة، والخوارج[1].

فأهل السنة في بابِ الأسماءِ والصفاتِ وسطٌ بين المشبهة والمعطلة.

فأهلُ التشبيه: أثبتُوا الصفاتِ و زيادةً كقولهم: إنَّ لله يدًا كأيدينا، وعينًا كأعيننا- عياذًا بالله تعالي -.

وأهلُ التعطيل: أنقصوا، فأثبتوا لله ﷻ بعضَ الصفاتِ، وقالوا لكننا لا نعلم معناها، فنفوا المعنى.

وأهلُ السنة: أثبتوا الاسمَ والصفةَ، وأثبتوا المعنى، وفوَّضوا الكيفَ.

فهم بين التشبيه والتعطيل، قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ ردٌّ على المُشبِّهة، وقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

" ردٌّ على النفاة النافين للصفات كالمحرفة، أو النافين لمعانيها كالمعطلة؛ لأنَّ الأصل إثبات اللفظ بمعناه، وهم أثبتوا اللفظ وأنقصوا المعنى، وقد سبق - بفضل الله تعالى - بيان ذلك في الحديث عن الأسماء والصفات.

قوله (وبين الجَبْرِ والقَدَرِ):

فأهل السنةِ في باب أفعال العباد وسطٌ بين الجبريَّة والقدريَّة:

---

(١) العقيدة الواسطية لابن تيمية (١/ ١٠).

فالجَبْرِيَّةُ يقولون: إنَّ اللهُ ﷻ هو الفاعلُ على الحقيقةِ، والعبد كالرِّيشةِ في الهواءِ لا اختيارَ له، ولا مشيئةَ له، ولا قدرةَ له على شيء.

والقَدَرِيَّةُ يقولون: إنَّ اللهَ تعالى لا يعلمُ أفعالَ العبادِ قبل أن يفعلُوها، وكذلك لا يريدها ولا يُقدِّرُها، وقال فريقٌ منهم: يعلمها لكنَّه لا يريدُها ولا يُقدِّرُها، وإنَّما العبدُ هو الذي أرادَها.

وأهلُ السنةِ بين هؤلاءِ وهؤلاءِ فقالوا: إنَّ العبدَ يفعلُ بإرادتِه وقدرتِه، ولكنَّه تحت مشيئةِ اللهِ تعالى وقدرتِه، قال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [**الإنسان: ٣٠**]، وقد سبق بيان ذلك في مبحث القدر.

قوله (وبين الأمن والإياس):

أهل السنة وسطٌ بين الأمنِ والإياسِ، وذلك في باب الخوف والرجاء، ويعتبرون أنَّ الخوفَ والرجاءَ هما جناحا الطائرِ فلا يستقيمُ عمل العبد إلا بهما معًا، قال ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [**الأنبياء: ٩٠**]؛ لذا فإنَّ اللهَ ﷻ حذَّر من الأمنِ من مكرِه، فقال ﷻ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [**الأعراف: ٩٩**]، **وكان ﷺ كثيرًا ما يقولُ: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ "، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: " يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا شَاءَ أَقَامَ، وَمَا شَاءَ أَزَاغَ "**[(١)].

وهذه إشارةٌ إلى عدمِ الأمنِ مهما وصلَ العبدُ درجةً من القربِ فلا يأمنُ مكرَ الله تعالى، ولقد حكى الله تعالى عن نبيه إبراهيم ﵇ قوله ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ

(١) أخرجه: أحمد (٢٦٦٧٩)، الترمذي (٣٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٠١)، وقال الأرنؤوط: صحيح بشواهده.

﴿ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وهو الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقال نبيُّ اللهِ يوسفُ عليه السلام ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

لذا ضربَ اللهُ تعالى كثيرًا من الأمثلةِ التي تُربِّي القلوبَ على عدمِ الأمنِ، وعدمِ اليأسِ، فضربَ الأمثلةَ لأناسٍ دخلوا الجنةَ، ونالوا رضا اللهِ سبحانه وتعالى بعملٍ قليلٍ، وقد يكونُ ذلك بعد زمنٍ من المعاصي والحيْدِ عنْ طريقِ الله تعالى ليقطعَ على العبد باب اليأس، ويُزَكِّي عنده باب الرجاء.

ومن ذلك:

❁ دخلَتِ امرأةٌ بغيٌّ الجنةَ بعملٍ قليلٍ، بل قد لا يُعَدُّ عند بعض الناسِ عملًا صالحًا، وقد لا يُنتبَه إليه ألا وهو سقيُ كلبٍ، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**»[1].

❁ وشكرَ اللهُ لرجل سقَى كلبًا، وأدخلَه الجنةَ، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عنِ النبيِّ ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ**»[2].

❁ وأُدخِل رجلٌ الجنةَ؛ لأنه قد نحَّى شجرةً أو غصنَ شجرةٍ عن طريقِ الناسِ، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عنِ النبيِّ ﷺ **قالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»**.

وفي لفظٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ** "[3].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٢٤٥).

(٢) أخرجه: البخاري (١٧٣).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩١٤).

۞ وجعل رجلًا أقدم على المعصيةِ بعدما تمكَّن منها، وأوشكَ على ارتكابِ الفاحشةِ، فلمَّا ذُكِّرَ باللهِ تذكَّر وابتعدَ جعله من المقربين، لا لأَنَّه عَمِلَ عملًا صالحًا، بل لأَنَّه تركَ المعصيةَ التي أقدم عليها ابتغاء وجه الله تعالى، وعدَّها الله تعالى من أفضلِ أعمالِه الصالحةِ، فقالَ ﷺ: "...وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بها، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ "[1].

وكل هذا يُربِّي اللهُ ﷻ به عبادَه على عدمِ اليأسِ من رحمتِه وفضلِه ومغفرتِه، وليَكنْ طيلةَ حياتِه محاولًا للقربِ، وإن حُرِمَ زمَنًا، وإن أخفقَ أزمانًا، وإن ابتعد مراحلَ وأميالًا فلا ييأسْ من رَوْحِ اللهِ ﷻ ورحمتِه، ولا يحقرنَّ من المعروفِ شيئًا.

وعدم اليأس من حسن ظن العبد بربه، والله تعالى عند ظن عبده به، فإن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

عنْ وَاثِلَةَ بنِ الأسقعِ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **" قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ "**[2].

عنْ جابرِ بنِ عبدِاللهِ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"مَرَّ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بِجُمْجُمَةٍ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنَا أَنَا، أَنْتَ الْعَوَّادُ بِالْمَغْفِرَةِ، وَأَنَا الْعَوَّادُ بِالذُّنُوبِ، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَقِيلَ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، فَأَنَا الْعَوَّادُ بِالْمَغْفِرَةِ، وَأَنْتَ الْعَوَّادُ بِالذُّنُوبِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَغَفَرَ لَهُ"**[3].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٤٦٥)، مسلم (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه: أحمد (١٦٠١٦)، البيهقي في الشعب (١٠٠٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه: ابن أبى شيبة في مصنفه (٧/ ١٣٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٣١).

ومما يبين ذلك أيضًا أنَّ الله تعالى غفر لرجل قتل مائة نفس لما تاب وأناب لله تعالى، بل جعله من أوليائه، وأحدث له كرامة في آخر حياته، وغير له نواميس الكون.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **" كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ العَذَابِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ "**[١].

لذا عاتب الله تعالى نبيه ﷺ لَمَّا خَوَّف أصحابه وأبدلوا لذلك ضحكهم بكاءًا، **فعنْ أبى هريرةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ: خَرجَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَضحَكُون ويتَحَدَّثُون، فَقَالَ" وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِه لَوْ تَعْلَمُون مَا أَعلَمُ، لضَحِكتُم قَلِيلًا ولَبَكَيْتُم كَثيرًا"، ثُمَّ انْصَرَفَ وأَبْكَى القومَ، وأَوحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا مُحمد لِمَ تُقَنِّطُ عِبَادي؟ فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: " أَبْشِروا، وسَدِّدوا، وقَارِبُوا"**[٢].

بل إنَّ الرجاء قد يُنَجِّي العبد يوم القيامة بعد إذ قُضِي به إلى النار، **عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ" يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعِدْنِي فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا "**[٣].

وفي رواية: يَخْرُجُ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّارِ – قَالَ أَبُو عِمْرَانَ: أَرْبَعَةٌ، قَالَ ثَابِتٌ: رَجُلَانِ – فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللهِ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البحاري (٣٤٧٠)، مسلم (٢٧٦٦).

(٢) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد (٢٥٤)، ابن حبان (١١٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٩٤).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩٢).

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا "(١).

- وضرب لنا الأمثلة الأخرى الكثيرةَ التي تجعلُ العبدَ على حذرٍ دائمًا، ولا يأمنُ مكرَ اللهِ ﷻ، فكما أنَّه من الممكنِ أن ينجوَ العبدُ بعملٍ قليلٍ، كذلك من الممكن أن يهلكَ بعمل قليلٍ، ومن ذلك:

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(٢).

- ولقد أَخْرَجَ الله إبليسَ وطردَه من رحمتِه ﷻ بتركِ سجدةٍ واحدةٍ أُمِر بها، فأبى واستكبر، وكان من الكافرين.

- و أخرج اللهُ تعالى آدمَ عليه السلام من الجنةِ بلقمةٍ أكلها من الشجرةِ، وهو ناسٍ لعداوةِ إبليس، ولم يكن له عزمٌ على المعصيةِ.

- وأُدخِلَ رجلٌ عابدٌ النارَ بكلمةٍ قَالَها، عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ ﷺ: **"كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟! فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟!، وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ "، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ "**(٣).

---

(١) أخرجه: أحمد (١٤٠٤١) ، أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣١٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٤٧٨)، مسلم (٢٩٨٨).

(٣) أخرجه: أحمد (٨٢٩٢)، أبو داود (٤٩٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع =

- ودخل رجلٌ صحِبَ النبيَّ ﷺ النارَ في شَمْلَةٍ غلَّها من الغنائم لم تُصِبْهاالمقاسمُ، عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى وَادِي القُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِر، حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا**»، **فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ قد أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:** «**شِرَاكٌ - أَوْ شِرَاكَانِ - مِنْ نَارٍ**»[1].

ومن كل ما سبق عُلِم أنَّ الدين الحق هو الذي يقوم على الوسطية والاعتدال في الاعتقاد، والأقوال، والأعمال.

بل إنَّ الله تعالى يدعو عباده للوسطية حتى في العبادة.

ومن ذلك أمرهم الله تعالى بالوسطية في الإنفاق، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ **[الفرقان: ٦٧]**.

ونهى ﷺ عن الصلاةِ حال الفتورِ والتعبِ، عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الحَبْلُ؟**» **قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:** «**لا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**»[2].

= (٤٤٥٥).

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٢٣٤)، مسلم (١١٥).

(٢) سبق تخريجه.

بل إنَّ أحبَّ العبادات إلى الله تعالى ما كان وسطًا وقصدًا، **عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الصِّيَام إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»**[١].

ﮋ ◊ ﮊ

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٤٢٠)، مسلم (١١٥٩).



خَاتِمَةٌ

فَهذا دينُنا واعْتقادُنا ظَاهراً وباطنًا، ونحنُ بُرَآءُ إلى الله تَعَالَى منْ كُلِّ مَنْ خَالفَ الذي ذكرْنَاهُ وبيَّنّاه، ونسألُ اللهَ تعالى أن يُثبِّتَنا على الإيمَانِ، ويَخْتِمَ لنَا بِهِ، ويعْصِمَنا مِنَ الأهْواءِ المُخْتلِفةِ، والآرَاءِ المُتفرِّقَةِ، والمَذاهبِ الرَّدِيَّةِ.

قوله (فَهذا دِينُنا واعْتِقادُنا ظَاهرًا وباطِنًا، ونحنُ بُرَآءُ إلى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالفَ الذي ذكرْنَاهُ وبيَّنَّاه):

يُبيِّنُ المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بهذه الكلماتِ أنَّ هذه العقيدةَ التي ذكرها هي عقيدتُه، وعقيدةُ أهلِ الإسلامِ ليست عقيدةَ الإمامِ أبي حنيفةَ وصاحِبَيْه فقط؛ لأنَّه ذكر في أولِ الكتابِ أنَّه سيذكرُ عقيدةَ الإمامِ أبي حنيفةَ وصاحبَيْهِ.

ويتبرأُ في نهايةِ ما ذَكَر في العقيدةِ مِن كلِّ مَن يخالفُها ويُضادُّها، ويتبرأُ من العقائدِ الفاسدةِ، فالسيئاتُ من الأعمالِ تكون بحسبِها، فكلما ازدادت بعدًا عن شريعة المسلمين وعقيدتهم، وجب التبرؤُ منها بقدرِ ذلك، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

قوله (ونسأَلُ اللهَ تَعَالَى أن يُثبِّتَنا على الإيمَانِ):

والمعنى: أنَّ هذه العقيدةَ التي ذكرها الوصول إليها، واعتقادها، والإيمان بها هي محضُ فضلٍ من الله تعالى، فهو الذي وفَّق إليها بفضله ومنَّتِه، وهدى إليها، فكذلك هو وحدَهُ القادرُ على أن يُثبِّتَ عليها.

قوله (ويَخْتِمَ لنَا بِهِ):

وهذا من تمام نعمة الله تعالى بالصالحات ألا وهو الختام والتمام للعمل؛ إذ المنة بالعمل الصالح تكون بثلاثةِ أمورٍ:

أولًا: أن يمنَّ اللهُ على العبد بالهداية والتوفيق إليه.

ثانيًا: أن يمنَّ عليه بالدوامِ عليه.

ثالثًا: أن يختمَ له به.

فقوله في أول الكتاب (هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة): إشارة للهداية والتوفيق إلى هذه العقيدة، والإيمان الصحيح.

وقوله هنا (أن يثبتنا عليه): طلب الدوامِ عليه.

وقوله (أن يختم لنا به): طلب الختامِ به، وعدم الحيد والزيغ عن طريقه.

قوله (ويعْصِمَنا):

والدعاء بالعصمة هنا لا يناقض السنة الربانية في خلق الله تعالى للعبد مُقَصِّرًا ومُفَرِّطًا بفطرته، وأنه لا معصوم إلا الأنبياء؛ لأنَّ المرادَ بالعصمةِ هنا أمور:

- أن يكون المرادُ العصمةَ فيما بقي، وهذا لا يمنع أن يكون العبد أخطأ فيما مضى.

- أن يكون المرادُ العصمةَ في الخواتيمِ أي العصمة من سوءِ الخاتمةِ.

- أن يكون المرادُ العصمةَ من الكبائر، وكلُّ ذلك لا يعارض أنَّ العصمةَ للأنبياءِ، ولا يناقضُ خَلْقَ العبدِ مذنبًا ومقصِّرًا.

قوله (مِنَ الأهواءِ المختلفةِ):

الهوى هو: الميل والعشق، ويكون في الخير والشر، وميل النفس إلى الشهوة، والنفس المائلة إلى الشهوة، وفي التنزيل العزيز (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)، وفيه

(ولا تتبع الهوى)[١].

والمرادُ بهذه الأهواءِ هي الأهواء التي ليست على وَفق الشرعِ.

لذا قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الأهواء المختلفة)؛ لأنَّ الأهواءَ طالما أنَّها مختلفةٌ فقطعًا هي ليست على و فق الكتابِ والسنةِ.

لأنَّ الناسَ لا يجتمعون اجتماعًا حقيقيًّا إلا على الكتابِ والسنة، أمَّا إذا كان الاجتماعُ على شيءٍ آخر فإنَّه اجتماعٌ في حِينٍ، وافتراقٌ في حِينٍ آخرَ.

قوله (والآرَاءِ المُتفرِّقةِ):

هي متفرِّقةٌ لأنَّها ليست على وفْقِ الكتابِ والسنةِ، فالآراءُ التي ليست على وفْقِ الكتابِ والسنة لها وصفان:

الوصفُ الأولُ: أنَّها مُتفرِّقةٌ.

الوصفُ الثاني: أنَّها مُفرِّقةٌ للأمةِ.

قوله (والمَذَاهبِ الرَّديَّةِ):

الرَّديَّة: مأخوذةٌ من الرَّدى، وهو الهَلاكُ.

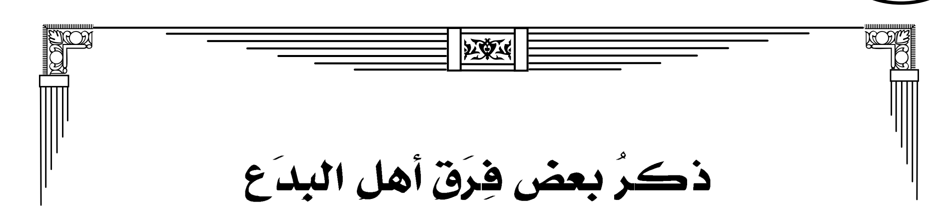
وقد رَدِيَ فهو رَدٍ، وأرْدَاه اللهُ، من قَوْلِه عَزَّوجَل: " تاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ "، والترَدِّي في مَهْوَاةٍ: التَّهَوُّرُ فيها، والمُتَرَدِّيَةُ في القُرْآنِ: منه، ورَدِيَ مِن رَأسِ الجَبَلِ وفي الرَّكِيَّةِ: تَرَدَّى فيها[٢].

والمذاهب طالما أنها نابعة من الأهواء المختلفة والمتفرقة والمُفرِّقة فلابدَّ أن يكونَ عاقبتُها إلى البوارِ والرَّدَى والهلاكِ، والسقوط في الهاوية، نسأل اللهَ السلامةَ والعافيةَ.

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ١٠٠١).

(٢) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٢/ ٣٥٧).



ذكرُ بعض فِرَقِ أهلِ البدَع

مثلُ المُشَبِّهَةِ، والمُعْتَزِلَةِ، والجَهْمِيَّةِ، والقَدَرِيَّةِ، والجَبْرِيَّةِ، وغيرِهم من الذين خالفوا السنةَ والجماعةَ، وحالفوا الضلالةَ، ونحن بُرَآءُ منهم، وهم عندنا ضُلَّالٌ وأردياءُ، واللهُ أعلمُ بالصوابِ، وإليهِ المرجعُ والمآبُ.

ويذكرُ هنا المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعضَ الأمثلة لبعض فرق أهل البدع التي انحرفت عن طريقِ أهلِ السنةِ، وهم يجمعهم أصلٌ عامٌّ، وهو أنَّ ضلالهم واستمرارهم على بِدَعِهم ليس لعدم ظهور الأدلة وبيان الحجة، بل لسوء طويتهم، وانحرافهم عن النهج القويم؛ وذلك لأنَّ الله تعالى قال ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ **[المائدة: ٣]**، وقال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ **[التوبة: ١١٥]**، فهم أقرب ما يكونون بالخفافيش لا ترى عند اشتداد النور.

ورحم الله تعالى الإمام أحمد حيث قال:

دينُ النبيِّ محمدٍ أخبارُ ... نِعْمَ المطيةُ للفتى آثارُ

لا تَرغَبَنَّ عنِ الحديثِ وأهلِهِ ... فالرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ

ولرُبَّما جَهَل الفتى أثرَ الهُدَى ... والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ[1]

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٥).

وهم وإن كانوا فِرَقًا شتى، لكنهم يجمعهم صفات عامة، منها:

- الفُرْقَة والاختلاف، والدعوة إليها.

- اتِّباعُ الهوى والمتشابه، وتَرْكُ النصِّ المُحْكَمِ.

- معارضة النصوص بعضِها ببعض، وأخذ الموافق لرأيهم، وإن كان ضعيفًا متشابهًا.

- بُغْضُ أهل الحديث والأثر، قال أحمد بن سنان القطان[١] ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث[٢].

- **تكفيرهم للمخالف لهم بغير دليل:**

قال ابن تيمية: والخوارج تكفر أهل الجماعة، وكذلك المعتزلة يكفرون مَن خالفهم، وكذلك الرافضة، ومن لم يُكَفِّر يُفَسِّق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأيًا، ويُكَفِّرون مَن خالفهم فيه، وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ، ولا يُكَفِّرون مَن خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق، وأرحم بالخلق[٣].

ولخطورة البدع وأهلها نهى السلف عن مجالسة أهل البدع، ومجادلتهم، والاستماع لكلامهم.

- عن أبي قلابة[٤] قال: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ

---

(١) أحمد بن سنان بن أسد بن حبان، الإمام الحافظ، ولد بعد السبعين ومئة، سمع أبا معاوية الضرير، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وصنف (المسند)، حدَّث عنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وغيرهم، وقال ابن أبي حاتم: هو إمام أهل زمانه، توفي عام ٢٥٦هـ.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/ ٢٤٥).

(٣) منهاج السنة لابن تيمية (٥/ ١٠٣).

(٤) عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل بن مالك، أبو قلابة الجرمي البصري، قال =

أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ»[1].

– دَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ عَلَى ابْنِ سِيرِينَ[2] فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: «لَا، لتَقُومَانِ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ»، قَالَ: فَخَرَجَا، فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا أَبَا بَكْرٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَآ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَآ عَلَيَّ آيَةً فَيُحَرِّفَانِهَا، فَيَقِرُّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي»[3].

– قالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ: لِأَيُّوبَ[4]: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ؟ قَالَ: «فَوَلَّى، وَهُوَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ وَلَا نِصْفَ كَلِمَةٍ» وَأَشَارَ لَنَا سَعِيدٌ بِخِنْصَرِهِ الْيُمْنَى[5].

= مالك: مات ابن المسيب والقاسم ولم يتركوا كتبًا، ومات أبو قلابة فبلغنى أنه ترك حمل بغل كتبًا، قال حماد: سمعت أيوب ذكر أبا قلابة، فقال: كان والله من الفقهاء ذوي الألباب، توفي عام ١٠٦أو ١٠٧هـ.

(١) أخرجه: الدارمي في سننه (٤٠٥)، البغوي في شرح السنة (١/ ٢٢٧)، الآجري في الشريعة (١١٤).

(٢) محمد بن سيرين الإمام، شيخ الإسلام، أبو بكر، مولى أنس بن مالك، قال أنس بن سيرين: ولد أخي محمد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، سمع أبا هريرة، وعمران بن حصين، وابن عباس، وأنس بن مالك، وخلقًا سواهم، كان ابن عون يقول: ما رأيت مثل محمد بن سيرين توفي عام ١١٠هـ.

(٣) أخرجه: الدارمي في سننه (٤١١).

(٤) أيوب السختياني الإمام الحافظ، سيد العلماء، أبو بكر بن أبي تميمة، لقي ابن عيينة ستة وثمانين من التابعين، وكان يقول: ما رأيت مثل أيوب، قال مالكٌ: كنا ندخل على أيوب السختياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ، بكى حتى نرحمه، توفي عام ١٣١هـ.

(٥) أخرجه: الدارمي في سننه (٤١٢)، أبو نعيم في الحلية (٣/ ٩)، الآجري في الشريعة (١٢٠).

قوله (مثل المُشَبِّهة):

التشبيه لغة: إلحاق أمر بأمر لصفة مُشتَرَكة بينهما[١].

التشبيه اصطلاحًا: هو تشبيه الله بخلقه في تمام الصفة وكيفيتها.

والمشبهة: هم فرقة من أهل البدع يشبهون الله تعالى بالمخلوقات، ويمثلونه بالمُحدَثات، وقاسوا صفات الخالق على ما ألفوه وشاهدوه من صفات المخلوقين.

والتشبيه المشار إليه هنا هو المشابهة من كل جهة، فليس إثبات صفات الباري، وإثبات معناها تشبيهًا كما يزعم ضلال الجهمية، وغيرهم، بل إنَّ التشبيه المذموم هو التشبيه في تمام الصفة وكيفيتها.

قال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال سمع كسمع، أو مثل سمع فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال الله تعالى فى كتابه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [**الشورى:١١**][٢].

قال ابن تيمية:من قال: علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضاء كرضائي، أو يدان كيديَّ، أو استواء كاستوائي كان مُشَبِّهًا مُمَثِّلًا لله بالحيوانات[٣].

وأهل البدع يشنعون على أهل السنة، ويصفونهم بالمُشَبِّهة لينفِّروا الناس عن قولهم.

قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة،

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٤٧١).

(٢) العرش للذهبى (٢/ ٣٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ١٦).

وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة نقصانية[١]، وعلامة المعتزلة تسميتهم أهل السنة حشوية[٢]، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة نابتة[٣][٤].

قال ابن خزيمة[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ: وزعمت الجهمية - عليهم لعائن الله - أنَّ أهلَ السنة ومتبعي الآثار، القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، المثبتين لله عزَّ وجلَّ من صفاته ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله، المثبت بين الدفتين، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولًا إليه مُشبِّهةٌ، جهلًا منهم بكتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ، وقلة معرفتهم بلغة العرب الذين بلغتهم خُوطِبْنا[٦].

مَن قال بالتشبيه:

ومِنَ الذين قالوا بالتشبيه في الإسلام واشتهروا به مقاتل بن سليمان[٧] الذي

---

(١) مرادهم بالنقصانية: أنَّ أهل السنة يقولون: الإيمان يزيد وينقص.

(٢) مرادهم بالحشوية: أنهم من حَشْو الناس وعامتهم، فلا قيمة لهم ولا عِلْم، أو مرادهم: أنهم مجسمة لإثباتهم الصفات لله تعالى، أو مرادهم: أنَّ أهل السنة لا يميزون بين الصحيح والضعيف من الأحاديث، فإنهم يجمعون هذا إلى هذا.

(٣) مرادهم بالنابتة: أنهم كالنبت الصغير، فإنهم أحداث وصغار عن فهم الدين والشريعة، أو مرادهم أنهم نابتةُ شرٍّ نبتت في الإسلام.

(٤) اعتقاد أهل السنة للالكائي(٣/ ٥٣٣).

(٥) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، الحافظ الحجة الفقيه، ولد سنة ٢٢٣هـ، قال الحاكم: فضائل إمام الأئمة ابن خزيمة عندي مجموعة في أوراق كثيرة، ومصنفاته تزيد على مئة وأربعين كتابًا سوى المسائل، والمسائل المصنَّفة أكثر من مئة جزء، توفي عام ٣١١هـ.

(٦) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٥٣).

(٧) مقاتل بن سليمان البلخي المفسر، قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وعن أبي حنيفة قال: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه، مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومئة.

في إثبات الصفات لله عزَّ وجلَّ حتى قال بالتجسيم، ولعل السبب في غُلُوِّه في إثبات الصفات هو غُلُوُّ جهمِ بنِ صفوانَ في إنكار صفات الله عزَّ وجلَّ.

قال الذهبي: وظهر بخراسان الجهم بن صفوان، ودعا إلى تعطيل صفات الرب عزَّ وجلَّ وخَلْقِ القرآن، وظهر بخراسان في قبالته مقاتل بن سليمان المفسر، وبالغ في إثبات الصفات حتى جَسَّم، وقام على هؤلاء علماءُ التابعين، وأئمةُ السلف، وحذَّروا من بِدَعِهِم[1].

أنواع التشبيه:

االنوع الأول: تشبيه المخلوق بالخالق، كتشبيه النصارى، حيث جعلوا عيسى بن مريم إلهًا، ومن هذا الصنف السبئية الذين يزعمون أنَّ عليًّا هو الله.

النوع الثاني: مَن شَبَّهَ الخالق بالمخلوق: كمن شبه ذات البارئ بذات غيره، أو شبه صفات البارئ بصفات غيره، وهؤلاء هم المشبهة - تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا -.

أقوال العلماء في المشبهة:

قال نعيم بن حماد الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومَن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف اللهُ به نفسَه ورسولُه تشبيهًا[2].

قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم[3].

قال أبو حنيفة: أفرط جهم في نفي التشبيه، حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء،

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ١١٠).

(٣) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٥٣٢).

وأفرط مقاتل – يعنى في الاثبات – حتى جعله مثل خلقه[١].

قال إسحاق بن راهويه: أخرجَتْ خراسانُ ثلاثةً لم يكن لهم في الدنيا نظير- يعني في البدعة والكذب- جهم بن صفوان، وعمر بن صبح[٢]، ومقاتل بن سليمان[٣].

وكان أبو يوسف القاضي يقول: بخراسان صنفان ما على ظهر الأرض أشر منهما: الجهمية، والمقاتلية[٤].

قال ابن القيم عن إلحاد المشبهة:

فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفَوا صفاتِ كمالِهِ، وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم إلحادٌ، وتفرَّقت بهم طرقه[٥].

قوله (والمعتزلة):

الاعتزال لغة: عَزَلَهُ يَعْزِلُه، وعَزَّلَه فاعْتَزَلَ وانْعَزَلَ وتَعَزَّلَ: نَحَّاهُ جانِبًا فَتَنَحَّى[٦].

فالاعتزال هو: التنحي والانفصال.

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ١٧٣).

(٢) هو عمر بن الصبح بن عمران التميمي العدوي أبو نعيم، كان وضَّاعًا للأحاديث، قال علي بن جرير: سمعت عمر بن صبح يقول: أنا وضعتُ خطبةَ النبيِّ ﷺ، وقال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتب حديثه إلا على وجه التعجب، وقال الأزدي: كذَّاب.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب (١٣/ ١٦٤).

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٠٨).

(٥) بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٨٠).

(٦) القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/ ١٣٣٣).

اصطلاحًا: اسم يُطلَق على فرقةٍ ظهرت في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجًا عقليًّا متطرفًا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء[1] الذي طرده الحسن عن مجلسه لمَّا قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر.

فالمعتزلة اعتزلُوا وتَنَحَّوْا عن مجلس الحسن، وكذلك تَنَحَّوْا عن مذهب أهل السنة وقولهم، فعُزْلَتُهُم كانت بأبدانهم، وكذلك كانت بأفكارهم وعقائدهم.

ولما أصبح هذا الاسم علمًا عليهم، ولا مَفَرَّ لهم منه، ولا خلاص أخذوا يبرهنون على سببه، وحولوا وجهته عن أصله، وجعلوا المذمة فيه مدحًا، والعيب والشين زينًا، وقالوا نحن المعتزلة؛ لأننا اعتزلنا أهل البدع وأقوالَهم المُحْدَثَة - يقصدون أهل السنة -.

أصول مذهب المعتزلة:

وضَعَ المعتزلة لمذهبهم أصولًا خمسةً ابتدعوها من عند أنفسهم، وخالفوا فيها مذهب أهل السنة، وحاولوا تزيين مذهبهم بطلائه بالحَسَنِ مِنَ القول، والخير الظاهر، لكنه يحوي في باطنه شرَّ مذهبِهِم، وسُوءَ طَوِيَّتِهِم.

۞ الأصل الأول: التوحيد:

التوحيد عند المعتزلة يعني نفي صفات الباري سبحانه وتعالى، وقالوا: إنَّ إثبات الصفات تشبيه لله تعالى بخلقه، وهذا يناقض أصل التوحيد.

وأيضًا من مذهبهم في الصفات - في صفة الكلام -: قولهم أنَّ القرآن مخلوقٌ ومُحْدَثٌ، وليس كلام الله تعالى حقيقة، واستدلوا بأدلة كثيرة سبق مناقشتها - بفضل الله تعالى - في الحديث عن القرآن، وصفة الكلام.

---

(١) واصل بن عطاء: البليغ الأفوه أبوحذيفة المخزومي، مولده سنة٨٠هـ، وكان يلثغ بالراء، فلاقتداره على اللغة يتجنب الوقوع في لفظة فيها راء، وهو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال، طرده الحسن عن مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، وله كتاب (المنزلة بين المنزلتين)، توفي سنة ١٣١هـ.

والبدع يؤدي بعضها إلى بعض، فلما نفَوْا صفات الباري نفَوْا أيضًا رؤيته بالعين، واستدلوا بأدلة سبق الرد عليها مُفَصَّلًا - بفضل الله تعالى - في مبحث الرؤية، وغير ذلك من المسائل.

۞ الأصل الثاني: العدل:

والمراد بالعدل: أي العدل في أفعال الله تعالى، وهي تشتمل على ثلاثة أمور: وهي أنَّ الله تعالى لا يفعل القبيح، وأنَّ أفعاله كلها حسنة، وأنه لا يُخْلِفُ واجبًا عليه- تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا-.

وجعلوا مقدمات لبعض النتائج:

فالمقدمة الأولى: قالوا: إنَّ الله لا يفعل القبيح.

والمقدمة الثانية: قالوا: إنَّ الذنوب والمعاصي قبائح.

فالنتيجة: قالوا: إنَّ الله لا يخلق أفعال العباد السيئة، فجعلوا العبد خالقًا لفعله، فسقطوا فيما فروا منه، فجعلوا أكثر من خالق، بل جعلوا كلَّ عبدٍ خالقًا لِفِعْلِه.

وقالوا: يجب على الله فعل الأصلح.

ومَن هذا الذي يوجب على الله تعالى شيئًا؟!

إنه لفساد في العقول، وانحراف في العقائد، وسوء أدب مع رب العالمين سبحانه وتعالى.

۞ الأصل الثالث: إنفاذ الوعيد:

فمذهبهم في الوعد والوعيد واحد، وهو أنه يجب الوفاء بهما؛ لأنَّ الله تعالى لا يخلف قوله، فما وعد به أنجزه، وما توعد به أجراه، فمن توعده بالنار لا بد وحتمًا أن يَدْخُلَها، وأنَّ من يدخل النار من أهل الكبائر لا يخرج منها حتى يتحقق إنفاذ وعيده سبحانه.

وفساد النتائج غالبًا ما يُبنى على فساد المقدمات، فإنهم سوَّوْا بين الوعد

والوعيد، ورأَوْا أنَّ إخلافَهما مَذَمَّةٌ ونَقْصٌ، فنزهوا الله تعالى- بزعمهم - عن ذلك، وهذا خطأ فادح، فإنَّ إخلاف الوعد مذمة ونقص؛ لذا يُنَزَّه الله عنه؛ لأنه وَعْدٌ بالعطاء والمِنَنِ، وإخلاف الوعد بالعطاء والمِنَنِ مذموم شرعًا وعقلًا؛ لأنه ليس من شِيَمِ الكرامِ.

وأما إخلاف الوعيد فإنه ليس مَذَمَّةً ونقصًا، بل هو من عظيم صفات الكمال والمدح خاصة إن كان مع القدرة عليه، والله تعالى على كل شيء قدير، وما ذُكِر العفوُ والتَّجَوُّزُ في الشريعة إلا ممدوحًا، بل بيَّن تعالى أنَّ الجنة لا يدخلها الناس إلا برحمة الله وعفوه، فدلَّ ذلك على أنَّ إنفاذ الوعيد ليس بلازم، بل إنَّ عدم إنفاذه أحيانًا يكون دليلًا على عظيم صفاته، وكمال لطفه وحلمه.

۞ الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:

وهذا هو أول ما بدأ به واصل بن عطاء مذهبه المعتزلي، وهو أنَّ مرتكب الكبيرة ليس مؤمنًا ولا كافرًا، بل هو فاسق في الدنيا، لكنهم جعلوه في الآخرة مُخَلَّدًا في النار، فخالفوا بهذه البدعة صريح الكتاب والسنة، وأحدثوا قسمًا ثالثًا غير الكفر والإيمان، وجعلوه في الدنيا كالمسلمين، وله حكم المسلمين، وهذا يقضي بعدم خلوده في النار، ثم خالفوا ذلك، وجعلوه في الآخرة مخلدًا في النار، وهذا من التخبط والتيه- عياذًا بالله تعالى -.

۞ الأصل الخامس: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أصل عظيم في الدين، ولكن المعتزلة أثبتوا النصوص في ظاهرها، وخالفوها في مضمونها، فخالفوا أولًا في ترتيبها، فقالوا البداية تكون بالحسنى، ثم باللسان، ثم باليد، ثم بالسيف، على خلاف ما بيَّن النبي ﷺ، قال ﷺ: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»**[1]، وخالفوا ثانيًا في فهمها، فقالوا يجب

(١) سبق تخريجه.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحاكم المسلم إن عصا وخالف الله تعالى- وهذا حَسَنٌ -، ولكنهم خالفوا، وقالوا: ولو أدى ذلك للخروج عليه، فإنَّ ذلك واجب، وخالفوا بذلك الكتاب والسنة والإجماع على عدم الخروج على الحاكم المسلم لما يترتب على ذلك من عظيم المفاسد.

الجهمية:

وهم أتباع جهم بن صفوان، وهوتلميذ الجعد بن درهم، وتعلَّمَ جهمٌ منه، وأخذ المذهب على يديه، وأخذ الجعدُ هذا المذهبَ من أبَان بن سَمْعَان، وتعلَّمَه أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وقيل أخذه طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ[1].

والجهمية جمعوا كل الرذائل والبدع والمُحْدَثَاتِ في مذهبهم، ففي باب الصفات نفَوْا كل الصفات ولم يثبتوا إلا الوجود المطلق، وهذا في زعمهم تنزيه لله عن مشابهة المخلوق. وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال بعض أهل العلم: إنَّ الجهمية هم المشبهة لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم، والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، ولا يخلق، وقالت الجهمية: هو كذلك لا يتكلم، ولا يبصر[2].

وفي باب الإيمان قالوا بالإرجاء، بل هم من أردأ مذاهب الإرجاء وفِرَقِهم، فقالوا: الإيمان هو المعرفة، وحكموا بذلك لإبليس وفرعون بالإيمان.

وفي باب أفعال العباد قالوا بمذهب الجبرية، وأنَّ العبد لا قدرة له، ولا إرادة على الفعل، بل هو كالريشة في الهواء.

فلقد جَمَعَ الجهمية بين أردأ ثلاثة مذاهب: وهي االجبر في الأعمال، والتجهم في الصفات، والإرجاء في الإيمان؛ لذا قيل هم أصحاب الجيمات الثلاثة.

وكأني بحرف الجيم يستجير بربه أن التصق به هؤلاء !!!

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٢٠).

(٢) خلق أفعال العباد للبخاري (٩٣).

ولمَّا ذُكِرَ جهم عند ابن المبارك قال:

عَجِبْتُ لشيطانٍ أتى الناسَ داعيًا إلى النارِ وانشقَّ اسمُه من جهنم[(١)]

وفي باب الغيبيات أنكروا كثيرًا من الغيبيات كالصراط، والميزان، وغيرها، وإنكارهم لها من قبيل أنها أمور لا توافق العقل، فيجب تأويلها إلى معان أخرى يقبلها العقل.

وقالوا بفناء الجنة والنار، وقالوا: إنه لا يُتَصَوَّرُ حركات لاتتناهى.

ونَفَوْا رؤية الله تعالى بالعين في الآخرة، وغيرها من الضلالات التي سقطوا فيها.

أقوال العلماء في الجهمية:

وحَكَمَ السلفُ على الجهمية بالكفر لشناعة مقالتهم.

قال ابن المبارك: إنا لنستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية[(٢)].

قال الإمام البخاري: لا أبالي صليتُ خلف الجهمي أو الرافضي، أم صليتُ خلف اليهود والنصارى[(٣)].

وحكى الدارمي: كفر الجهمية، وبيَّن سبب ذلك في مناظرة طويلة بينه وبين منافح عنهم.

قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ناظَرَني رجلٌ ببغداد منافحًا عن هؤلاء الجهمية، فقال لي: بأية حجة تكفرون هؤلاء الجهمية، وقد نُهِيَ عن إكفار أهل القبلة، بكتاب ناطق تكفرونهم، أم بأثر، أم بإجماع؟

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤١١)، والبيت في ديوان ابن المبارك (١/ ٢٣).

(٢) الشريعة للآجري (٢/ ٢٢٣).

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري (صـ ١٦).

فقلت: ما الجهمية عندنا من أهل القبلة، وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور، وأثر مأثور، وكفر مشهور.

- أما الكتاب:

فما أخبر الله عز و جل عن مشركي قريش من تكذيبهم بالقرآن، فكان من أشد ما أخبر عنهم من التكذيب أنهم قالوا هو مخلوق، كما قالت الجهمية سواء قال الوحيد وهو الوليد بن المغيرة المخزومي" إن هذا إلا قول البشر"(المدثر: ٢٥)، وهذا قول جهم إن هذا إلا مخلوق، وكذلك قول من يقول بقوله، وقول من قال" إن هذا إلا إفك افتراه" (الفرقان: ٤)، و" إن هذا إلا أساطير الأولين" (الأنعام: ٢٥)، و"إن هذا إلا اختلاق" (ص: ٧)، معناهم في جميع ذلك ومعنى جهم في قول يرجعان إلى أنه مخلوق ليس بينهما فيه من البون كغرز إبرة، ولا كقيس شعرة، فبهذا نكفرهم كما أكفر الله به أئمتهم من قريش، فقال "سأصليه سقر"؛ إذ قال "إن هذا إلا قول البشر"؛ لأنَّ كلَّ إفكٍ وتَقَوُّلٍ وسحرٍ واختلاقٍ وقولِ البشر كلَّهُ لا شك في شيء منه أنه مخلوق، فاتفق من الكفر بين الوليد بن المغيرة، وجهم بن صفوان الكلمة، والمراد في القرآن أنه مخلوق، فهذا الكتاب الناطق في إكفارهم.

- وأما الأثر فيه:

فما حدثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد وجرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أُتِي بقوم من الزنادقة، فحرَّقَهم، فبلغ ذلك ابنَ عباس رضى الله عنهما، فقال: أمَّا أنا فلو كنتُ لقتلتُهم لقول رسول الله" مَن بدَّل دينَه فاقتلوه"، ولَمَا حرقتُهم لنَهْيِ رسول الله" لا تعذبوا بعذاب الله"، زاد سليمان في حديث جرير، فبلغ عليًّا ما قال ابن عباس رضى الله عنهم، فقال: ويح ابن أم الفضل إنه لغواص على الهنات، قال أبو سعيد فرأينا هؤلاء الجهمية أفحش زندقة، وأظهر كفرًا وأقبح تأويلًا لكتاب الله، ورد صفاته فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلهم عليٌّ رضي الله عنه وحرقهم.

فمضت السنة من علي وابن عباس رضي الله عنهما في قتل الزنادقة لأنها كفر عندهما،

وأنهم عندهما مِمَّن بدَّل دين الله، وتأَوَّلا في ذلك قول رسول الله، ولا يجب على رجل قتلٌ في قول يقوله حتى يكون قوله ذلك كفرًا لا يجب فيما دون الكفر قتل إلا عقوبة فقط، فذاك الكتاب في إكفارهم وهذا الأثر.

ونكفرهم أيضا بكفر مشهور:

وهو تكذيبهم بنص الكتاب:

- أخبر الله تبارك وتعالى أنَّ القرآن كلامه وادعت الجهمية أنه خلقه.

- وأخبر الله تبارك وتعالى أنه كلَّم موسى تكليمًا، وقال هؤلاء لم يكلمه الله بنفسه، ولم يسمع موسى نفس كلام الله، إنما سمع كلامًا خرج إليه من مخلوق، ففي دعواهم دعا مخلوقٌ موسى إلى ربوبيته، فقال ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه:١٢]، فقال له موسى في دعواهم صدقتَ، ثم أتى فرعون يدعوه أن يجيب إلى ربوبية مخلوق كما أجاب موسى في دعواهم، فما فرق بين موسى وفرعون في مذهبهم في الكفر؛ إذًا فأي كفر أوضح من هذا؟!.

- وقال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَىۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، وقال هؤلاء ما قال لشيء قط قولًا وكلامًا كن فكان، ولا يقوله أبدًا، ولم يخرج منه كلام، ولا يخرج، ولا هو يقدر على الكلام في دعواهم، فالصنم في دعواهم والرحمن بمنزلة واحدة في الكلام، فأي كفر أوضح من هذا؟!.

- وقال الله تبارك وتعالى ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤)، و" ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" (ص: ٧٥)، و﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦] وقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح:١٠]، قال هؤلاء ليس لله يد، وما خلق آدم بيديه إنما يداه نعمتاه ورزقاه، فادَّعَوْا في يدي الله أوحش مما ادعته اليهود ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، وقالت الجهمية يد الله مخلوقة؛ لأنَّ النعم والأرزاق مخلوقة، لا شك فيها، وذاك محال في كلام العرب فضلًا أن يكون كفرًا؛ لأنه يستحيل أن يقال خلق آدم بنعمته، ويستحيل أن يقال في قول الله تبارك وتعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ بنعمتك الخير؛ لأنَّ الخير نفسه هو النعم

نفسها، ومستحيل أن يقال في قول الله عز و جل﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ نعمة الله فوق أيديهم، وإنما ذكرنا هاهنا اليد مع ذكر الأيدي في المبايعة بالأيدي، فقال﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾ [الفتح:١٠]، ويستحيل أن يقال يداه مبسوطتان: نعمتاه، فكأن ليس له إلا نعمتان مبسوطتان، لا تُحْصَى نعمُه ولا تُسْتَدْرَك، فلذلك قلنا إن هذا التأويل محال من الكلام فضلًا أن يكون كفرًا.

- ونكفرهم أيضا بالمشهور من كفرهم أنهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى وجهًا، ولا سمعًا، ولا بصرًا، ولا علمًا، ولا كلامًا، ولا صفةً إلا بتأويل ضلال افتضحوا، وتبينت عوراتهم، يقولون سمعه وبصره وعلمه وكلامه بمعنى واحد، وهو بنفسه في كل مكان، وفي كل بيت مغلق، وصندوق مقفل قد أحاطت به في دعواهم حيطانها وأغلاقها وأقفالها فإلى الله نبرأ مِن إلهٍ هذه صفته، وهذا أيضا مذهب واضح في إكفارهم.

- ونكفرهم أيضا أنهم لا يدرون أين الله، ولا يصفونه بـ(أين)، والله قد وصف نفسه بـ (أين)، ووصف به الرسول، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه: ٥)، ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ (الأنعام: ١٨)، ﴿وإني متوفيك ورافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا﴾ (آل عمران: ٥٥)، و ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ (النحل: ٥٠)، ﴿أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ (الملك: ١٦)، ونحو هذا، فهذا كله وصف بـ(أين)، ووصفه رسول الله "أين"، فقال للأَمَةِ السوداء "أين الله؟"، قالت: في السماء، قال" من أنا؟"، قالت: أنت رسول الله، قال "أعتقها فإنها مؤمنة"، والجهمية تكفر به، وهذا أيضا من واضح كفرهم، والقرآن كله ينطق بالرد عليهم، وهم يعلمون ذلك، أو بعضهم، ولكن يكابرون ويغالطون الضعفاء، وقد علموا أنه ليس من حجة أنقض لدعواهم من القرآن غير أنهم لا يجدون إلى رفع الأصل سبيلًا مخافة القتل والفضيحة، وهم عند أنفسهم بما وصف الله به فيه نفسه

جاحدون، قد ناظرنا بعض كبرائهم، وسمعنا ذلك منهم منصوصًا مُفَسَّرًا[١].

الجَبْرِيَّةُ:

الجبرية: هم الذين يقولون بالجبر في الأعمال، وأنَّ العبد لا اختيار له في عمله، وهم على النقيض من القدرية الذين قالوا إنَّ العبد يخلق فعله بلا إرادة من الله تعالى.

ويعتبر جهم بن صفوان أيضًا هو راعي هذا المذهب، والذي قام بنشره بعدما أخذه من شيخه الجعد بن درهم؛ لذا يطلق على الجبرية جهمية، وقد سبق مناقشة بعض آرائهم في مبحث القدر فلا حاجة لإعادته.

القَدَرِيَّةُ:

القَدَرِيَّةُ: هم الذين قالوا: إنَّ الأمرَ أُنُف، وهؤلاء منهم مَن يقول: إنَّ الله لم يعلم أفعالَ العباد إلا بعد أن عملوها، وهذا القول اندثر في غالبه، ومنهم من يقول: إنه يعلم أفعال العباد قبل فعلها، لكنه لا يخلق أفعال العباد، ولا قدرة له عليها.

وأول مَن قال بهذا المذهب معبد الجهني، وكان في أواخر عهد الصحابة، وهم الذين سُئِل عنهم ابنُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتبرأ منهم.

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِى الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِىُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِىُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلاءِ فِى الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِى أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِى سَيَكِلُ الْكَلامَ إِلَىَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ. قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّى بَرِىءٌ

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي (١/ ١٩٨، وما بعدها).

مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّى، وَالَّذِى يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِى أَبِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: **فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**. **قَالَ: فَأَخْبِرْنِى عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»**. قَالَ: **فَأَخْبِرْنِى عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ»**. **قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِى «يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ؟»**. **قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»**.[١].

ومن ينفي علم الله السابق حكم السلف بكفره، وسُئِلَ الإمام أحمد عمَّن قال بالقدر يكون كافرًا؟ قال: إذا جحد العلم، إذا قال إنَّ الله عز وجل لم يكن عالمًا حتى خلق علمًا، فَعَلِمَ، فجحد علم الله عز و جل، فهو كافر[٢].

وهو المراد بقول الشافعي، وروي عن أحمد أيضًا: ناظِرُوا القدرية بالعلم، فإن أَقَرُّوا به خُصِمُوا، وإن جَحَدوا كَفَروا[٣].

وقد سبق مناقشة آرائهم أيضًا، وبيان فساد أقوالهم في مبحث القدر.

---

(١) أخرجه: مسلم (٨).

(٢) السنة لعبدالله بن أحمد (٣٥٢).

(٣) سبق تخريجه.

قوله (و غيرهم):

كالرافضة، والخوارج، والكلابية، والكرامية، وغيرهم.

قوله (الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة):

و هذا لازم لذاك، فمن خالف السنة والجماعة، وسار على غير طريقهم لابد أن يحالف الضلالة، ويحيد عن طريق الهداية.

قوله (و نحن برآء منهم):

وهذا أمر واجب، فالبرء من أهل الضلالة والفسق و البدع واجب على كل مسلم؛ إذ إنَّ الولاء والبراء والحب والبغض يكون بقدر ما مع العبد من الطاعة والمعصية، واتباع السنة أو مخالفتها، ومخالفة البدع أو اتِّباعها.

قوله (وهم عندنا ضُلَّالٌ وأردياء):

فالضلال، والردى والهلاك متلازمان مرتبطان برباط وثيق، فما من أحد يحيد عن طريق الهدى، ويتبع طريق الضلالة إلا كان من الأردياء الهالكين.

قوله (و الله أعلم بالصواب):

و هنا ينسب العلم لله سبحانه و تعالى، وليس هذا شكًّا فيما اعتقده أهل السنة والتزموه، بل هو اعترافٌ بالفضل لله تعالى، وأنه هو الذي وفَّق عباده للعقيدة الصحيحة، ومَنَّ عليهم بها، فأهل السنة والجماعة على الصواب؛ لأنهم اتبعوا الكتاب والسنة، وما أجمعت عليه الأمة.

قوله (و إليه المرجع و المآب):

وختم المصنف كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر المرجع والمآب، وأنه لله تعالى، وهو إشارة إلى أنَّ كل مرجع ومآب إليه، فكما أنَّ المرجع والمصير إليه في أبدان الناس، وأرواحهم، فكذلك المرجع والمآب إليه في البيان، والتوفيق للخير والصواب.

والحمدُ للهِ وحدَهُ، وصلّى اللهُ على سيدِنا محمد، وآله وصحبِه، وسلّمَ تسليماً كثيراً، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ.

قوله (والحمدُ للهِ وحدَهُ):

وما دام المرجع في الأمور كلِّها إليه وحده، فلا بد أن يكون الحمد، والثناء، والكمال له وحده سبحانه تعالى.

قوله (وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ، وآلِهِ وصحبِهِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ):

ويختم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه العقيدة المباركة بالاعتراف والعرفان لأهل الفضل والخير، وعلى رأسهم إمامهم، إمام الهدى، ونبي الرحمة ﷺ، فكل خير في الدين بلغ الناس، وسعدوا به، ووصلوا لرضوان الله وتوفيقه هو بسبب دعوته وجهده وصبره ﷺ، فله في كل ذلك خيرُ نصيبٍ وأعظمُه، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن دعوته، ورسولًا عن أمته، وحشَرَنا تحت لوائه، وسقانا من يده شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

والصلاة والسلام على آله، و صحبه الذين حملوا لواء هذا الدين من بعده، وبلغوه للناس.

ثم ينسب الحول والقوة في التوفيق في البداية والنهاية لِمَن له الحول والقوة وحده، فإنه إن لم ييسر ذلك لم يتيسر، ولو اجتمع لذلك الإنس والجن، فإنَّ العبد في خضم هذه الفتن والبدع والضلالات لا يهتدي إلا إذا هداه الله تعالى، فكل خير وفضل إنما هو بفضل الله تعالى، وحوله، وقوته، فله الحمد.

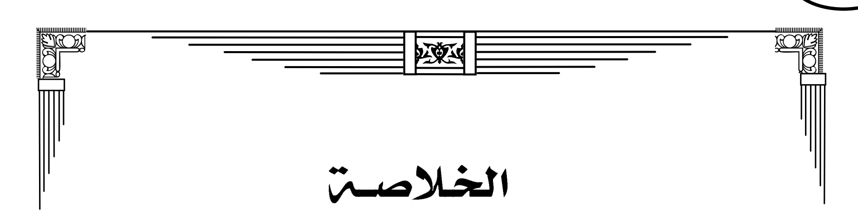
وفي بعض النسخ يختم المصنف بقوله (وبِاللهِ العِصْمَةُ والتَّوْفِيقُ):

وهذا من تأكيد نسبة الحول والقوة لله وحده، فمادام الحول والقوة له وحده، فالعصمة من الضلالات بيده وحده، والتوفيق إلى الصواب وسلوك طريق الهداية والنجاة بيده وحده.

فنسأل الله تعالى أن يعصمَنا من الزلات، وأن يقيَنا شرَّ أهلِ البدعِ والضلالاتِ، وأن يوفقَنا لما فيه رضا ربِّ البَرِيَّاتِ.

وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّ الهدى صاحبِ لواءِ الحمدِ، والمقامِ المحمودِ، وعلى آلِهِ، وصحبِهِ، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

٨٥ ◈ ٥٨



الخلاصة

وخلاصة ما ذُكِرَ في هذهِ العقيدةِ المباركةِ يدورُ حولَ أربعةِ أمورٍ:

أولًا: المسائل العلمية العقدية.

ثانيًا: المسائل العملية التطبيقية.

ثالثًا: الفوائد والآداب العلمية.

رابعًا: الآثار الإيمانية.

أولا: المسائلُ العلميةُ العقديةُ

أولًا: إثباتُ توحيدِ الربوبيةِ، والألوهيةِ، والأسماءِ والصفاتِ، والإيمانُ بذلك.

ثانيًا: أنَّ صفاتِ اللهِ تعالى أزليةٌ أبديةٌ.

ثالثًا: الإيمانُ بالقدرِ، وأنَّه سِرٌّ من أسرارِ اللهِ تعالى، وهو مراتبُ: العلمُ، والكتابةُ، والمشيئةُ، والخلقُ.

رابعًا: النبيُّ ﷺ هو خاتمُ الأنبياءِ والمرسلينَ، وأفضلُهم، وإمامُهم، وأنَّه خليلُ الرحمنِ، وأنَّ دعوتَه عامَّةٌ لكافَّةِ الوَرَى.

خامسًا: كلامُ الله صفةٌ من صفاته، وليس مخلوقًا.

سادسًا: رؤيةُ اللهِ تعالى لأهلِ الجنةِ هي رؤيةُ نعيمٍ، وهي رؤيةٌ حقيقيةٌ بالعين.

سابعًا: الإيمانُ بالإسراءِ والمعراجِ، وأنَّه كان بالروحِ والجسدِ.

ثامنًا: الإيمانُ بمعجزاتِ الأنبياءِ وكراماتِ الأولياءِ، وأنَّ نبيًّا واحدًا أفضلُ من كلِّ الأولياءِ.

تاسعًا: الإيمانُ بالحوضِ، والشفاعةِ بأنواعِها، وأنَّ الميثاقَ الذي أخذه اللهُ على بني آدم ميثاقٌ حقٌّ، وإن لم نتذكَّرْه، أو نعلم كيفيتَه.

عاشرًا: الإيمانُ بالعرشِ والكرسيِّ، وأنَّ العرشَ غيرُ الكرسيِّ.

الحادي عشر: الإيمانُ بالملائكةِ، والنبيينَ، والكتبِ السماويةِ.

الثاني عشر: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ، والناسُ فيه مختلفون، وليسوا سواء.

الثالث عشر: أركانُ الإيمانِ ستةٌ، ومنها الإيمانُ باليوم الآخر، وما يشتمل على غيبيات كالبرزخ، وعذابِ القبر، والصراطِ، وغيرها.

الرابع عشر: الجنةُ والنارُ حقٌّ، وهما موجودتان، ولا تفنيان.

الخامس عشر: الإيمان بأشراطِ الساعةِ مما ورد النصُّ بها، سواء كانت علاماتٍ صغرى، أو علاماتٍ كبرى.

السادس عشر: عدم تصديق الكهنة والعرَّافين.

السابع عشر: الإيمانُ بصفات الله تعالى عامَّة، والصفات الفعلية منها خاصة الواردة في الكتاب والسنة، ومنها: الغضب، والرضا.

ثانيًا: المسائلُ العمليةُ التطبيقيةُ

أولًا: الأعمالُ بالخواتيمِ.

ثانيًا: حرمةُ الخوضِ في ذاتِ اللهِ، والجدالِ في دينِه.

ثالثًا: حرمةُ الخوضِ في القدرِ بعيدًا عن الكتابِ والسنةِ، وفهمِ السلفِ.

رابعًا: ألَّا نكفرَ أحدًا من أهلِ القبلةِ بذنبٍ أي بالكبائر.

خامسًا: الصلاةُ خلفَ كلِّ برٍّ وفاجرٍ من أهلِ القبلةِ، وعلى مَن مات منهم، ولا نحكمُ على أحدٍ بجنة أو نار، ولا على معين بكفر ولا نفاق إلا بشروط بابه.

سادسًا: لا يُرفَعُ السيفُ على أحدٍ من أمةِ محمدٍ ﷺ إلا من أوجب الشرعُ عليه ذلك.

سابعًا: وجوبُ طاعةِ الحاكمِ المسلمِ في الطاعةِ، وفي الأمور الاجتهاديةِ الخلافيةِ، وعدمُ طاعتِه في المعصيةِ.

ثامنًا: عدمُ الخروجِ على الحاكِمِ المسلمِ، وعدمُ الدعاءِ عليه، بل الدعاء له، ورجاء الصلاح والعافية له.

تاسعًا: اتِّباعُ السنةِ والجماعةِ، وتجنُّبُ الشذوذِ، والخلافِ، والفرقةِ.

عاشرًا: المسحُ على الخفينِ في السفرِ والحضرِ.

الحادي عشر: وجوبُ الحجِّ والجهادِ، وأنَّهما ماضيانِ لا يُبْطَلان ولا يُنْقَضَان إلى يومِ القيامة.

الثاني عشر: حبُّ أصحابِ النبيِّ ﷺ، وألَّا نُفرِط أو نُفَرِّط في حبِّ أحدٍ منهم، ونُبْغِضُ من يبغضهم، وإحسان القول فيهم، وفي أزواج النبيِّ ﷺ، وذريته، ولا نذكرُهم إلا بالخيرِ.

الثالث عشر: حبُّ أهلِ العلمِ والفضلِ، وذكرُ محاسنِهم، وغضُّ الطرفِ عن

مساوئِهم.

الرابع عشر: حرمة سؤالِ الكهنة والعرَّافين إلا إذا كان السؤالُ لاختبارِهم، أو لإظهارِ كَذِبِهِم.

الخامس عشر: الوسطيةُ في العبادةِ والعملِ.

السادس عشر: التبرء من كل ما يخالف الكتاب والسنة من البدع والضلالات التي أحدثها أهلُ البدعِ، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية، وغيرها.

۞

ثالثًا: الفوائدُ والآدابُ العلمية

أولًا: الإيمانُ بالأسماءِ والصفاتِ أصلُ الإيمانِ، وما ضلَّت فرقةٌ من الفِرَقِ إلَّا وضلَّتْ في بعضِ الأسماءِ، والصفاتِ:

فالقدريةُ وصفوا اللهَ بالعجزِ وعدمِ القدرةِ.

والجبريةُ وصفوا اللهَ بالظلمِ وعدمِ العدلِ.

والمعطِّلةُ وصفوا اللهَ بالنقصِ، وناقضوا صفاتِ الكمالِ.

والمشبِّهةُ وصفوا اللهَ بعدم الأحديَّة والتفردِ، وجعلوه كخلقِه في كيفية أسمائه وصفاته.

ثانيًا: لا عصمةَ لأحدٍ بعد الأنبياءِ، فما من عبد غير الأنبياء إلا ويخطئ، ومِن ذلك ما تتبع فيه العلماءُ الإمامَ الطحاويَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، مِن ذِكْرِ بعض ما جانبه فيه الصواب، مع مقام الطحاوي العالي، لكن لا عصمة لأحد بعد الأنبياء، وهذا لا يُنقِصُ مِن قَدْرِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإنه وإن أخفق قليلًا لقد أصاب كثيرًا، وقال تعالى " إنَّ الحسنات يذهبن السيئات "؛ لذلك فمن سوء فعل الإنسان وخبث طويته أن يأخذ السيئة ويترك الحسنة كما يفعل بعض الصغار مع كبار أهل العلم في هذه الأيام، ينظرون إلى سيئاتهم، ويتركون حسناتهم، فهذا ليس منهج أهل السنة، ولا عقيدتهم.

ثالثًا: أهلُ السنةِ أعلم الناس بالحق وأرحمُ الناسِ بالخلقِ؛ لذا فالعقائدُ والأحكامُ عندهم ليست بالمقابلةِ، بل بما يوافقُ الشرعَ، فكثيرٌ من أهل البدعِ يكفِّرون أهلَ السنةِ ويُفَسِّقُونهم، والعكسُ غيرُ صحيحٍ، ومن دلائل الرحمة أنهم لاَ يكفرون المُعَيَّن، ويقيمون عليه الحجة، ويبحثون عن الأعذار للمخطئ، ويفرحون بها إن وُجدت، ويحسنون الظن بكل مسلم.

رابعًا: الوصول إلى الحق يكون بجمع الأدلة، والنظر فيها مجتمعة، وبفهم السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

رابعًا: الآثارُ الإيمانيةُ

أولًا: أنَّ الله لا يفعلُ شيئًا للعبادِ إلَّا ما فيه مصلحةٌ لهم، فيَحْجِبُ عنهم ما حَجْبُه مصلحةٌ لهم، ويُظهِرُ لهم ما في إظهاره مصلحةٌ لهم، مثل: حجب رؤية الله تعالى في الدنيا، وإخفاء الغيبيات مثل: عذاب القبر، وحجب أسرار القدر، وغير ذلك، فحَجَبَ كلَّ ذلك لما فيه مصلحة للعباد.

ثانيًا: أنَّ النجاةَ في التسليمِ لأمرِ اللهِ تعالى، والوقوفِ حيث وقفَ القومُ.

ثالثًا: أهميةُ الإخلاصِ، ومما يبين ذلك ما نحن بصدده من انتشار الطحاوية مع ما فيها من بعض المؤاخذات، وهذا يشعر بإخلاص صاحبها - نحسبه كذلك والله حسيبه -.

رابعًا: الذنوبُ والبدعُ تُخرِجُ صاحبَها من كثيرٍ من الخيراتِ في الدنيا والآخرةِ، وأهمها حرمانه من التوفيق والهداية.

خامسًا: الهدايةُ والتوفيقُ بمعونة الله تعالى، والضلالُ والغيُّ بخذلانِه ﷻ، وهذا يجعل العبد متعلقًا بربه دائمًا، فيعلم أنه لا يستغني عنه طرفة عين، ولا ييأس من رحمته، ولا يأمن من مكره.

سادسًا: مَنِ اتَّبعَ الحقَّ، ووُفِّقَ للسنةِ هو المنوَّرُ قلبُه، المهتدي الذي زاده اللهُ هدىً.

سابعًا: التعرُّفُ على اللهِ هو طريقُ الوصولِ للحقِّ، والبعدِ عن الغواية:

ففي باب القدر ينضبط الإيمان بالقدر بالإيمان بحكمة الله، وعلمه، وعدله.

وفي باب الشفاعة تظهر آثار رحمة الله، وحلمه.

وفي باب الرؤية يظهر فيه آثار جمال الله، وبهائه، وفضله على عباده.

وعلى إثر ذلك، إن كان الله تعالى بهذا القدر من الحلم، والبهاء، والكمال،

والجمال، فهل يصح أن يكون الإيمان به مجرد قول واعتقاد ؟!

بل لا بد لذلك من بذل وعمل.

لذلك فقولنا الإيمان قول وعمل يتناسب تمام المناسبة مع الإيمان بأسمائه وصفاته على الحقيقة سبحانه وتعالى.

ثامنًا: إنَّ مكانة المخلوق وقدره بقدر قربه من ربه، لذلك ذكر الطحاوي من الغيبيات التي يجب الإيمان بها الإيمان بالعرش والكرسي، ولما كان العرش أعلى المخلوقات، وأقربها لله تعالى؛ نال هذا الفضل، وهذه المكانة.

تاسعًا: الخيرُ كلُّ الخير في اتِّباع السُّنةِ، والاجتماعِ، والشرُّ كلُّ الشرِّ في الافتراقِ، والابتداع.

عاشرًا: إنَّ التعرف على آثار رحمة الله سبحانه وتعالى ولطفه بعباده يورث في قلب العبد الحبَّ لربه، وشكرَهُ على نِعَمِهِ، وشعورَهُ بتقصيرِهِ في جناب ربه، مهما قدَّم من الخيرات، وفَعَلَ من الصالحات، وآثار رحمته وحلمه ولطفه كثيرة لا تحصى، ومما ذُكر منها هنا:

- أنه سبحانه وتعالى دلَّ عباده عليه.

- أنه سبحانه لم يكلفهم إلا ما يطيقون، بل وكلفهم أقلَّ من طاقتهم.

- أنه أرسل إليهم رسلًا، وأنزل إليهم كتبًا، فيها هدايتهم، وعزهم، وشرفهم.

- ومن آثار رحمته أنه يمهلهم كثيرًا، وأنه جعل الحسنات مذهبة للسيئات، وليس العكس، ومن لقيه بذنوب لم يتب منها جعل لبعضهم الشفاعة، وهكذا.

- جعل الميت ينتفع بعمله بعد موته، وبعمل غيره كالصدقة والدعاء.

- خفف عنهم في الشرائع وجعل كل الدين يسرًا، ومن ذلك المسح على الخفين.

- أعلمهم الطريق من أوله إلى آخره، طريق الهداية ليتبعوه، وطريق الغواية

ليحذروه.

- بين لهم علامات تدل على قرب الساعة لكي يستدلوا بها على الساعة ويستعدوا لها.

- وبين لهم ما يحدث بعد الموت من أهوال وأحداث لكي يحذروا من عواقبها، ويعملوا لأمنهم وسعادتهم فيها، وغير ذلك.

الحادي عشر: العبادةُ تكونُ بالخوفِ والرجاءِ والمحبةِ، وعدمِ الأمنِ والإياسِ.

***

فهرس الكتاب

تم الصف والتنسيق

تحت إشراف مركز إثراء

للبحث العلمي وتحقيق التراث

٠٠٢ ٠١٠٢٧٧٧٠٩٩٩

